BOBST LIBRARY
3 1142 02749 9238



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

FD 771
a" 3
al-Khāzīn al-Baghdādī, 'Alī 1-1780
Tafsīr al-Qurān al-musama libāb
al-tawil
fima'ani
al-tanzil
FRONT
V. 1

(الجزء الاول)

من تفسير القرآن الجليل

المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل

تأليف الشيخ الامام الحجة المقدم العلامة قدوة الامة

وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيى السنة

علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم

البغدادى الصوفى المعروف

بالخازن تغمده الله

برحمته

آمين

م





وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الشيخ الامام الجليل القدوة السند العلامة ابى البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفى عليه سحائب الرحمة والرضوان

(قال فى كشف الظنون)

(لباب التأويل فى معانى التنزيل) فى ثلاث مجلدات للشيخ علاء الدين على ابن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة أوله الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها الخ ذكر فيه ان معالم التنزيل للبغوى موصوف بالاوصاف المحمودة لكنه طويل فانتخبه وضم اليه فوائد لخصها من كتب التفاسير بحذف الاسانيد وجعل علامة للصحيحين وذكر أسامى غيرهما وعرض فيه بشرح غريب الحديث وما يتعلق به

(وقال فى حرف الميم)

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ احدى وسبعمائة وقيل عشرة وسبعمائة أوله الحمد لله المنفرد بذاته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب وسط فى التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقراآت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح باقاويل اهل السنة والجماعة خال عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل اه قلت الذى وقع بايدينا من نسخ المدارك المنزه بدل قوله المنفرد فلعل ذلك من اختلاف النسخ اه مصحح

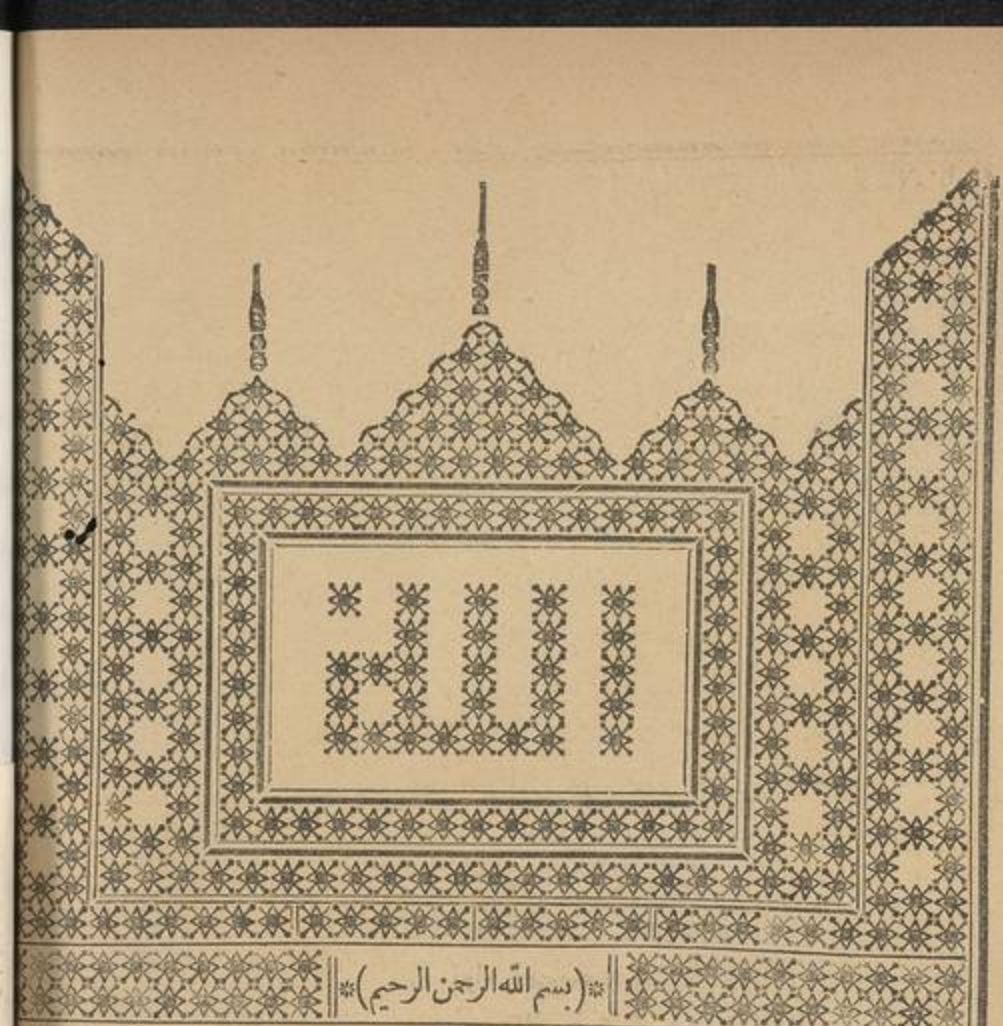

Near East
BP
130
4
K3
v.1
c.1

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام * المقدس بصفاته عن ادراك العقول والافهام * المتصف بالالوهية قبل كل موجود * الباقي بالنعوت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا * وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا * ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا * وشرفه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا * وهداه الى معرفته فيالها من نعمة وفضلا كبيرا * وأطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا * وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا * وأنزل عليه كتابا منيرا * وأودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا * وألهمه حفاظه تلاوته وتحبيرا * وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا * وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة وتحييرا * وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضله توفيرا * فى الصدور محفوظا وبالالسنة منطوقا وفى الصحف مسطورا * يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * (أحمده) على تواتر انعامه حمدا كثيرا * وأتوكل عليه مفوضا أمرى اليه ومستجيرا * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا * (وبعد) * فان الله جل ذكره * ونفذ أمره * أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين * ونذيرا للمخالفين * أكمل به بنيان النبوة * وختم به ديوان الرسالة * وأتم به مكارم الاخلاق * ونشر فضله فى الآفاق * وانزل عليه نورا هدى به من الضلالة * وأنقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه * وبالخسران لمن اعرض عنه بعد ما سمعه * عجز الخلائق عن معارضته * حين تحداهم على ان يأتوا بسورة من مثله فى مقابلته * ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته

THE PAGES IN THIS VOLUME HAVE
BEEN INTERLEAVED WITH AN ACID
FREE PAPER TO PERMIT BINDING
AND TO REDUCE FURTHER DETERI-
ORATION.

ويسر على الالسن قراءته * أمر فيه وزجر * وبشر وأنذر * وذكر المواعظ ليتذكر * وضرب فيه الامثال ليتدبر * وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر * ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر * ثم لم يرض منا بسرد حروفه * دون حفظ حدوده * ولا باقامة كلماته * دون العمل بمحكماته * ولا بتلاوته * دون تدبر آياته في قراءته * ولا بدراسته دون تعلم حقائقه * وتفهم دقائقه * ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره وأحكامه * ومعرفة حلاله وحرامه * واسباب نزوله وأقسامه * والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه * فانه أرسخ العلوم أصلا * واسبغها فرعا وفصلا * واكرمها نتاجا * وأنورها سراجا * فلا شرف الا وهو السبيل اليه * ولا خير الا وهو الدال عليه * وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين * وبالحق ناطقين * حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات * وجمعوا سائر فنونه المتفرقات * كل على قدر فهمه * ومبلغ علمه * نظر المخلف * واقتدا بالسلف * فشكر الله سعيهم * ورحم كافتهم * ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل * والحبر النبيل * الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الأمة * وامام الائمة * مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه * ونور ضريحه * من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها * وأنبلها وأسناها * جامعا للصحيح من الاقاويل * عاريا عن الشبه والتحريف والتبديل * محليا بالاحاديث النبوية * مطرزا بالاحكام الشرعية * موشيا بالقصص الغريبة * وأخبار الماضين العجيبة * مرصعا باحسن الاشارات * مخرجا باوضح العبارات * مفرغا في قالب الجمال * بافصح مقال * فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه * وجعل الجنة متقلبه ومآبه * ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن انتخب من غرر فوائده * ودرر فرائده * وزواهر نصوصه * وجواهر فصوصه * مختصرا جامعا لمعاني التفسير * ولباب التأويل والتعبير * حاويا للخلاصة منقوله * متضمنا للنكته واصوله * مع فوائد نقلتها * وفرائد لخصتها * من كتب التفاسير المصنفة * في سائر علومه المؤلفة * ولم أجعل لنفسي قصر فاسوى النقل والانتخاب * مجتنبا حد التطويل والاسهاب * وحذفت منه الاسناد * لانه أقرب الى تحصيل المراد * فما أوردت فيه من الاحاديث النبوية * والاخبار المصطفوية * على تفسير آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم قائله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه * فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي فاني أذكر اسمه بغير علامة ومالم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زائدة وألفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب * وأسهل على الطلاب * وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب * مع التسهيل والتقريب * وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شئ كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت * (وسميته لباب التأويل في معاني التنزيل) * والله تعالى أسأل التوفيق لاتمام ما قصدت * واليه أرغب في تيسير ما اردت * وأن

السرمدية بعد كل محدود * الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار * المتكبر الذي أزاحت سطوات كبريائه الافكار * القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان *

يجعله خالصا لوجهه الكريم * وأن يتقبله منى انه هو السميع العليم * وهو حسبى ونعم الوكيل * عل
توكلت واليه أنيب * وقبل أن اشرع فى الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول
(الفصل الاول فى فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى ا
عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال
بعد ألا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فأجيب وانى تارك فيكم ثقلين أولهما ك
الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بي
أذكركم الله فى اهل بيتى أذكركم الله فى اهل بيتى زاد فى رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمس
به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل وفى رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان ع
الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفى رواية الترمذى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إ
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى احدهما اعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود م
السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيه
(م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب اقوا
ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور قال مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الاحاديث
فدخلت على على فقلت يا امير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا فى الاحاديث قال أوقد فعلوها قل
نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منه
يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهز
من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكي
وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء و
يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهد
الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صرا
مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذى وقال حديث غريب واسناده مجهول وفى الحرث مقال
(قوله هو الفصل) اى الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اى هو جد كله ليس فيه شئ من الهز
والجبار فى صفة الآدمى هو المتسلط العاتى المتكبر على الناس قصمه الله اى اهلكه (قوله هو حبل الله
المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذ
الشرف والحكيم المحكم العارى من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى
لا تزيغ به الاهواء اى لا يميل عن الحق * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق)
عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يق
القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعنى الحاذق الكامل الحف
الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمى بذلك لانه يسفر برسالات الله
الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع
الملائكة ان له منازل فى الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع اى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه
اجران يعنى يحصل له اجر بسبب القراءة واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التى تحصل له فيها وليس معناه ا
له اجرا أكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا (ق) عن ابى موسى الاشعرى ان النبى

العظيم الذى تنزه عن
مماسة المكان * المتعالى
عن مضاهاة الاجسام
ومشابهة الانام * القادر
الذى لا يشار اليه بالتكييف
* القاهر الذى لا يسئل عن
التحميل والتكليف *

صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجىء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن سهل ابن معاذ الجهنى عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا اخرجه ابو داود * عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشىء كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به * معنى اذن فى اللغة استمع ولا نحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه فى ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن اى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق فى القراءة وقيل معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

(الفصل الثانى فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتى القرآن فنسيه ولم يتعهده) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية من قال فى القرآن برأيه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة اى منزلا من النار * عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال اى سماء تظلنى وأى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله بغير علم قال العلماء النهى عن القول فى القرآن بالرأى انما ورد فى حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما أن يكون عن علم أولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما

العليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان * الحكيم الذى نزل القرآن شفاء للارواح والابدان * والصلاة والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة * المحتل فى

يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع فى المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول فى القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعانى والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل فى النهى والوعيد الوارد فى ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا فى معانيه وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعلقة التى حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفى رواية لا يقل احدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسى (قوله بئسما لاحدكم) اى بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل احدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذى انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القرآن او قصدت الى نسيانه وقوله بل نسى هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء اى عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او سوء تعهد القرآن وقوله اشد تفصيا اى خروجا من صدور الرجال وفى معناه تفلتا من الابل فى عقلها اى تخلصا من العقال وهو الحبل الذى تربط به * عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقى الله يوم القيامة اجذم اخرجه ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى به جذام * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على اجور امتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم ار فيها ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان ينال بسوء اراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى ارض العدو وهى بلاد الكفار للنهى الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس بذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجىء اقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس اخرجه الترمذى * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه اخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

بحبوحة النصاحة والفصاحة * محمد المبعوث الى خليقته * الداعى الى الحق وطريقته * صلى الله وسلم عليه وعلى آله وشيعته (قال) مولانا الشيخ الامام المعظم

(الفصل الثالث فى جمع القرآن وترتيب نزوله وفى كونه نزل على سبعة احرف) * (خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الى ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر جاءنى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى اخشى ان يستحر القتل بالقراء فى كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وانى ارى ان تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف افعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورأيت فى ذلك الذى راى عمر قال لى ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان اثقل على مما امرنى به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابى بكر وفى رواية فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابى بكر وعمر ورأيت فى ذلك الذى رأيا قال فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابى خزيمة الانصارى فلم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر براءة فالحقتها فى سورتها قال فكانت الصحف عند ابى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعنى الخزف (خ) عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى اهل الشام فى فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبر فى خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها فى سورتها فى المصحف قال فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد فى رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الى ابو بكر لمقتل اهل اليمامة) اى لاوان قتلهم وارادبه الوقعة التى كانت باليمامة فى زمن ابى بكر الصديق وهى وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهى فى عداد ارض نجد (قوله استحر القتل) اى كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهى ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة (قوله يغازى اهل الشام)

والحبر الهمام المقدم استاذ اهل الارض محيى السنة والفرض كشاف حقائق اسرار التنزيل * مفتاح اسرار دقائق التأويل * ترجمان كلام الرحمن * صاحب

اى مع اهل الشام فى فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء لاغير سميت بارمين بن لطى بن لوذ من ابن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة اومع ابى خزيمة الانصارى) وفى الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم ان المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى وهما قضيتان فاما المذكور فى الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عثمان وهو الذى وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور فى الحديث الثانى فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع على بن ابى طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذى كتب بامر النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت فى الصحيح عن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعنى ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتى اخرجاه فى الصحيحين اسم ابى زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع فى مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما انزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيأ والذى حملهم على جمعه ما جاء مبينا فى الحديث وهو انه كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم ابى بكر فدعوه الى جمعه فرأى فى ذلك رأيهم فامر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخروا شيأ او وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا فثبت ان سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن

علم المعانى والبيان الجامع بين الاصول والفروع * المرجوع اليه فى المعقول والمسموع حافظ الملة والدين * شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم الانبياء والمرسلين

وقد صح فى حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين و يقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها ما نسخ و بقى فيها ما بقى ولهذا اقام ابو بكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف والزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه فى الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * واعلم ان الله تعالى انزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا فى شهر رمضان فى ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ماشاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذى خلق * ثم نون والقلم * ثم يا أيها المزمل * ثم المدثر * ثم تبت يدا أبى لهب * ثم اذا الشمس كورت * ثم سبح اسم ربك الاعلى * ثم والليل اذا يغشى * ثم والفجر * ثم والضحى * ثم الم نشرح * ثم والعصر * ثم والعاديات * ثم انا اعطيناك الكوثر * ثم ألهاكم التكاثر * ثم أرأيت الذى * ثم قل يا أيها الكافرون * ثم الفيل * ثم قل هو الله أحد * ثم والنجم * ثم عبس * ثم سورة القدر * ثم سورة البروج * ثم التين * ثم لايلاف قريش * ثم القارعة * ثم القيامة * ثم الهمزة * ثم المرسلات * ثم ق * ثم سورة البلد * ثم الطارق * ثم اقتربت الساعة * ثم ص * ثم الاعراف * ثم الجن * ثم يس * ثم الفرقان * ثم فاطر * ثم مريم * ثم طه * ثم الواقعة * ثم الشعراء * ثم النمل * ثم القصص * ثم سورة بنى اسرائيل * ثم يونس * ثم هود * ثم يوسف * ثم الحجر * ثم الانعام * ثم والصافات * ثم لقمان * ثم سبأ * ثم الزمر * ثم المؤمن * ثم السجدة * ثم حم عسق * ثم الزخرف * ثم الدخان * ثم الجاثية * ثم الاحقاف * ثم الذاريات * ثم الغاشية * ثم الكهف * ثم النحل * ثم نوح * ثم ابراهيم * ثم الانبياء * ثم قد افلح المؤمنون * ثم تنزيل السجدة * ثم الطور * ثم الملك * ثم الحاقة * ثم سأل سائل * ثم عم يتساءلون * ثم النازعات * ثم اذا السماء انفطرت * ثم اذا السماء انشقت * ثم الروم * ثم العنكبوت * واختلفوا فى آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات وأما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بها سورة البقرة * ثم الانفال * ثم آل عمران * ثم الاحزاب * ثم الممتحنة * ثم النساء * ثم اذا زلزلت الارض * ثم الحديد * ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم * ثم الرعد * ثم سورة الرحمن * ثم هل أتى على الانسان * ثم الطلاق * ثم لم يكن * ثم الحشر * ثم الفلق * ثم الناس * ثم اذا جاء نصر الله والفتح * ثم النور * ثم الحج * ثم اذا جاءك المنافقون * ثم المجادلة * ثم الحجرات * ثم التحريم * ثم الصف * ثم الجمعة * ثم التغابن * ثم الفتح * ثم التوبة * ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا فى شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى

* (فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل فى ذلك) * (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره

اكمل فحول المجتهدين * قدوة قروم المحققين * ذو السعادات والكرامات * أبو البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفى نفع الله الاسلام بطول بقائه * والمسلمين بيمن لقائه * قد سألنى من تتعين اجابته كتابا وسطا فى التأويلات * جامعا لوجوه الاعراب والقراآت

قوله فاحد وثلاثون هذا على عد الفاتحة منه كما يعلم من الخلاف الآتى فى ذلك والا فالمذكور ثلاثون لاغير اه

في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءتي التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه (قوله فكدت أساوره في الصلاة) اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية وأما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها مالا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في سورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال ابو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب تميم وما حولها وهي افصح لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية امثال بآية احكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله اعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم ازل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف * معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله

* متضمنا لدقائق علمي البديع والاشارات * حاليا باقاويل أهل السنة والجماعة * خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة * ليس بالطويل الممل * ولا بالقصير المخل * وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا لقوة البشر * عن درك هذا

صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي أرسل الي ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية ان اقرأه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم ترغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما ازال عنه ذلك الخاطر (قوله تعالى ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله أعلم * روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب بالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم

(فصل في معنى التفسير والتأويل) فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطى وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشئ ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته فآل اي صرفته فانصرف وهو رد الشئ الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم

(القول في الاستعاذة) والفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله ألتجئ اليه وامتنع به مما أخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عند

قوله فدخل آخر هكذا في جميع النسخ التي بايدينا ولعل الرواية فدخل هذا كما يعلم من سياق العبارة اه

الوطر * وأخذ السبيل الحذر * عن ركوب متن الخطر * حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة * وأتممته في مدة يسيرة (وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل) وهو الميسر لكل عسير * وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

مبحث الاستعاذة

استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى * وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل * (المسئلة الاولى) * اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ أيضا وحكى عن عطاء وجوبها سواء كانت فى الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبى صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة اعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز * وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة * واجيب عن مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات فى الصلاة فكان التعوذ مثلها * (المسئلة الثانية) * وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان فى الصلاة او خارجها وحكى عن النخعى انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ماروى عن ابى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث اشهر حديث فى الباب وقد تكلم فى بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولابى داود والنسائى عن أبى سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو لا أدرى اى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقدمات عقله وقيل همزه هو الذى يوسوسه فى الصلاة ونفخه هو الذى يلقيه من الشبه فى الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله * واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ فى قيام رمضان بعد القراءة لما تقدم من الادلة (المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابى سعيد وقال الثورى والاوزاعى الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل وانه هو الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين فتى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوى الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله أعلم

* (تفسير سورة الفاتحة) *

وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة

بالمدينة

* (فاتحة الكتاب) *

مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن ولاشتمالها على المعانى التى فى القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثانى لانها تثنى فى كل صلاة وسورة الصلاة لما روى ولانها تكون واجبة او فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القرآن قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق

بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فاول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثانى) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شئ اصله وقيل هى امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثانى سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة ويقرأ بها فى كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم فى القراءة فى الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفى عن غيرها فى الصلاة ولا يكفى عنها غيرها

(فصل فى ذكر فضلها) (خ) عن أبى سعيد بن المعلى قال كنت اصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله انى كنت اصلى فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لى لاعلمنك سورة هى اعظم السور فى القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم أخذ بيدى فلما أراد ان يخرج قلت له يا رسول الله الم تقل لاعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته ورواه مالك فى الموطأ عنه وقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى ابى بن كعب وهو يصلى وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور مثلها ورواه الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابى وهو يصلى وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح * عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل أخرجه الترمذى والنسائى * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ان تقرأ بحرف منها الا اعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة اى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهى خداج هى خداج هى خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعى وقال اقرأ بها فى نفسك يا فارسى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها العبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل (قوله فهى خداج) اى ناقصة (قوله فغمز ذراعى) اى كبس ساعدى بيده (قوله قسمت الصلاة) اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة التى جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بينى وبين عبدى

(بسم الله الرحمن الرحيم) وانما كتبت للفصل والتبرك

ولعبدى ماسأل (قوله حمدنى عبدى ومجدنى) اى اثنى على لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوض الى عبدى) وجه مطابقة هذا القوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفى الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعى وجماعة وستأتى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فى بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ باسم الله او باسم الله أبدأ او اقرأ وانما طولت الباء فى بسم وأسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبتت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم اراد ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستو وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظ لكتاب الله عز وجل * والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نا الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوى والصحيح المختار ان الا غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشئ وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحرو المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسم كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به ك كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا قوله فادعوه بها امر ان يدعى الله تعالى باسمائه فالا آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به وأجيب قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم واجي عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله ت واضافة الشئ الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تن اسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والا عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا فى اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو العلو فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفي من السمة وهى العلامة فكانه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لك تصغيره وسيم وجمعه اوسام وأجمعوا على ان تصغيره سمى وجمعه اسماء وأسام (الله) هو اسم علم خا لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله ت تعالى هل تعلم له سميا يعنى لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد دليله ويذرك والاهتك اى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله وهو الفزع الخلق يولهون اليه اى يفزعون اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى * فالفيتكم فيها كرائم محتد

وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اى سكنت اليه فكأن الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره و اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتسخير او بالارادة ومن

قراءة المدينة والبصرة والشام وفقهائها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من الس ١٤ للابتداء بها وهو مذهب ابى حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم فى الص

وقراءة مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى واصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها فى الصلاة وقالوا قد اثبتها السلف فى المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله ولما حديث ابى هريرة قال سمعت النبى عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة اى الفاتحة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل

فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون قيل من غيرها اجماعا والحديث مذكور فى صحاح المصابيح وماذكرناه لا يضرنا لان التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور

ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله
اقرأ أو اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله ١٥ والبركات كان المعنى بسم الله احل
وبسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله باسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها اول سورة نزلت في قول وكان الامر بالقراءة اهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعد الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها

قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما ارق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر احدهما بعد الآخر تطميعا للقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق (فصل في حكم البسملة) وفيه مسئلتان (الاولى) في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست آية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم اخرجهما ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها

والاسم من الاسماء التي بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شئ ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من

مع انها تسقط فى اللفظ
كثرة الاستعمال وطولت
الباء عوضا من حذفها
وقال عمر بن عبد العزيز
لكاتبه طول الباء واظهر
السينات ودور الميم والله
أصله الاله ونظيره الناس
أصله الاناس حذفت
الهمزة وعوض منها حرف
التعريف والاله من اسماء
الاجناس يقع على كل
معبود بحق أو باطل ثم
غلب على المعبود بالحق كما
ان النجم اسم لكل كوكب
ثم غلب على الثريا واما
الله بحذف الهمزة فمختص
بالمعبود بالحق لم يطلق على
غيره وهو اسم غير صفة
لانك تصفه ولا تصف به
لا تقول شئ اله كما لا تقول
شئ رجل وتقول الله واحد
صمد ولان صفاته تعالى
لابد لها من موصوف
تجرى عليه فلو جعلتها
كلها صفات لبقيت صفات
غير جارية على اسم
موصوف بها وذا لا يجوز
ولا اشتقاق لهذا الاسم
عند الخليل والزجاج
ومحمد بن الحسن والحسين
ابن الفضل وقيل معنى
الاشتقاق ان ينتظم
الصيغتين فصاعدا معنى
واحد وصيغة هذا الاسم
وصيغة قولهم اله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير فى معرفة
المعبود وتدهش القطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله الها اذا عبد فهو مصدر بمعنى م

قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم واخرج مسلم فى افراد
عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ غفا غفوة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا
ما اضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر
الحديث قال البيهقى أحسن ما احتج به اصحابنا فى أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح
السور سوى سورة براءة ما رويناه فى جمع الصحابة كتاب الله عز وجل فى المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم
الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاث
عشرة آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن
الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لا
القرآن والسورة التى بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت فى المصحف لم تقرأ وروى الشافعى
عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية فى القرآن وفى افراد البخارى من
حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله
الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من
الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فاجمع الصحابة على اثباتها فى المصاحف وانهم طلبوا بكتابة
المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من ان
يزيد وا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة
فلو لم تكن البسملة من القرآن فى أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

(المسئلة الثانية فى حكم الجهر بالبسملة والاسرار) اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة
ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها فى الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة فى
الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة فى الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة ابو هريرة
وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهرى وعكرمة
وعطاء وطاوس ومجاهد وعلى بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى وابن سيرين وابو
المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد
واليه ذهب الشافعى وهو أحد قولى ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضا عن ابن المبارك وأبى ثور وهو
ذهب الى الاسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل
وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبى وابراهيم النخعى وقتادة والاعمش والثورى والى
ذهب مالك وابو حنيفة وأحمد وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة
وابن عباس وانس وعلى بن أبى طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة
فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد فى صريح الاسرار بها عن النبى صلى الله عليه
وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهى رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن أنس وهى فى الصحيح وهى
معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم
الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى
الله عليه وسلم أخرجه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح
عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطنى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كا

اى معبود كقوله هذا خلق الله اى مخلوقه وتفخم لامه اذا كان قبلها فتحة أوضمة وترقق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرحمن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمته كل شئ كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفى الرحمن من المبالغة ماليس فى الرحيم لان فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء فى الدعاء يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان أبلغ والقياس الترقى من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم ذوفنون تحريرا لانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر فى مسيلمة * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فباب من تعنتهم فى كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود ١٧ فعلى صرفه اذليس له فعلى والاول

اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطنى اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال ليس فى روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفى رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال صحيح ليس فى اسناده مجروح وأخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ أبو شامة اى لا يماثل اسناده ما فى الصحيح ولكن اذا انضم الى ماتقدم من الادلة رجح على ما فى الصحيح وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابى السرى العسقلانى قال صليت خلف المعتمر بن سليمان مالا احصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما ألوى ان اقتدى بصلاة أنس ابن مالك وقال أنس بن مالك ما ألوى ان اقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطنى وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفى الباب أحاديث وأدلة وايرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق * قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اى قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد أعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام فى لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعنى انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب

الوجه (الحمد) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرئ به باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة بافعال مضمرة فى معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف اى واجب او ثابت وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

(٣ (خازن) ل) افادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا اى القلب واللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما فى عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ماهوله من اوصاف الكمال كونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ماهو منه من اوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته فى مواضع (رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابى سفيان لان يربنى رجل من قريش أحب الى من ان يربنى رجل من هوازن تقول ربه يربه ربا فهو رب ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا فى الله وحده وهو فى العبيد مع التقييد انه ربى احسن مثواى قال ارجع الى ربك وقال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ماعلم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض او كل موجود سوى الله تعالى

سمى به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء وما فى حكمها من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهى الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قدمر وهو دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما أعادهما لما لوا لاعادة عن الافادة (مالك) ١٨ عاصم وعلى ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله

الشئ اى مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشئ مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف فى مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم فى البحر واربعمائة فى البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا فى البر ومثلهم فى البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد سمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وانت غيث الورى لازلت رحمانا * قلت هو من باب تعنتهم فى كفرهم ومبالغتهم فى مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم فى البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت ليعلم ان العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه * قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعنى انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالامر والنهى وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالكا لشئ الا وهو يملكه وقد يكون ملكا لشئ ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضى يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اى قهرته فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى فى دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة * قوله تعالى (اياك نعبد) رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة الى هنا ثناء والثناء فى الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب فى الدعاء اولى وقيل فيه ضمير اى قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (واياك نستعين) اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع

لان الملك اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان امر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك أكثر ثوابا لانه أكثر حروفا وقرأ ابو حنيفة والحسن رضى الله عنهما ملك (يوم الدين) اى يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع كقولهم * ياسارق الليلة اهل الدار * اى مالك الامر كله فى يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع ان اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية لانه اريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية فساغ ان يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التى اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا اى مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به فى قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد أحق منه بالحمد والثناء عليه (اياك نعبد واياك نستعين) ايا امورنا

عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر اضيف اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكماله اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى

تخصك بالعبادة وهى اقصى غاية الخضوع والتذلل وتخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد وذلك من نباجانى * وخبرته عن ابى الاسود فالتفت فى الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلى وبت وجاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب ادخل فى القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ اصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل ١٩ اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين

امورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكر وافيه وجوها أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير الثانى ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ماهو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرعت فى العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهدنا الصراط المستقيم) اى أرشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة والصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

اى على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الاول اى الذين منحت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين (ولا الضالين) اى وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة

لاغيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة اقرب الى الاجابة اولنظم الاتى كما قدم الرحمن وان كان ابلغ لا يقدم واطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ويجوز ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادات ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهدنا الصراط المستقيم) اى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود اليك اى اثبت على ما أنت عليه او اهدنا فى الاستقبال كما هدينا فى الحال وهدى يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاما تعديه الى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هدانى ربى الى صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشئ اذا ابتلعه كانه يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء فى الاطباق لان الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاى لان الزاى الى الطاء أقرب لانهما مجهورتان وهى قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير فى كل القرآن وهى الاصل فى الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهى لغة قريش وهى الثابتة فى المصحف الامامى ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط وهو فى حكم تكرير العامل وفائدته التأكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والانبياء عليهم السلام او قوم موسى قبل ان يغيروا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين أنعمت عليهم يعنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة للذين يعنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين

وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم ٢٠ متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته لكل واحد منهما فيه ايهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محله النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على ما تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويدا اسم لأمهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال

يارب لا تسلبني حبها ابدا
ويرحم الله عبدا قال آمينا

(وقال)

*أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

قال عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب

والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى * عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

(فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان) (الاولى) السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد

* ويرحم الله عبدا قال آمينا* وقال في القصر * امين فزاد الله ما بيننا بعدا* ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فامن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم *(المسئلة الثانية في حكم الفاتحة)* اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة الى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسيء صلاته ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو داود وأجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

(تفسير سورة البقرة)

قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى

وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف *(سورة البقرة)* مدنية وهي مائتان وست أو سبع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلام فالقاف تدل على اول حرف قال والالف تدل على اوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما اشبهها والدليل على انها اسماء ان كلا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث لا يمسها الاعراب لفقد مقتضيه وقيل انها مبنية كالاصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها أسماء السور وقال ابن عباس رضي الله عنهما أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله وما سميت مجمعة الا لاجتماعها وابهامها وقيل ورودها هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام الا لانه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل ٢١ الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الامي المتكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيأ من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن يضاهيهم في شئ من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته

واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف

(فصل في فضلها) (م) عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان أو غيايتان أو كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة (قوله اقرؤا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر (قوله كانهما غمامتان أو غيايتان) قال اهل اللغة الغمامة والغيابة كل شئ اظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى أن ثوابهما يأتي كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران يحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال أبطل اذا جاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور وانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم) قيل ان حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله

واعلم ان المذكور في الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المفخمة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الاجناس مكنوزة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشئ ينزل منزلة كله فكأن الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما مر من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على المتحدى به مؤلفا منها لا غير اوصل الى الغرض وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم يجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص وق ون

وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة واربعة وخمسة كما
افتتاحهم فى الكلام وكما أن أبنيته كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف فسلك فى الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وك
المص آية والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية فى سورها الخمس وطسم آية فى سورتها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية فى سور
كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية ص ون وق ثلاثتها لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا
توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة ٢٢ السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعد

وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها اخبارا بتداء محذوف كقوله الم الله اى هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء او النصب او الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة (ذلك الكتاب) اى ذلك الكتاب الذى وعدبه على لسان موسى وعيسى عليهما السلام او ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك فى معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه

فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال
أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن أوائل السور وقال على بن أبى طالب
رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وأورد على هذا القول بانه
لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون وأجيب عنه بانه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه
كرمى الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب
الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من أهل العلم هى معرفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف
منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه
مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها
قال الراجز قلت لها قفى فقالت قاف * لا تحسبى أنا نسينا الايجاف
قولها قاف اى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع فى السير قال ابن عباس الم
الله أعلم وقيل هى أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم ألا ترى انك تقول ا
وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقيل أسماء السور
قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هى أقسام فقيل اقسم الله بهذه الحروف اشرفها وفضلها لانها
مبانى كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو ك
تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكانه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب
هو الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فائتوا بسورة من مثله وفى آ
بعشر سور مثله فعجزوا عنه أنزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وأنتم قادرون
عليها فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما
أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين
اسمعوا الى ما يجيء به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سبب ايمانهم
وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا
باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه * واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة فى أوائل السو
أربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والها
والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على
باقيها فى مواضعها ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (ذلك الكتاب) اى هذا الكتاب هو القرآن وقيل
فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل
عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك

عليه بالتذكير والتأنيث وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع وقيل
صفة له يقول هذا ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتد
وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر للمبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص
كما تقول هو الرجل اى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وأن يكون الم خبر مبتدا محذوف أى هذه
الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل

(الاريب) لاشك وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه لان أحد الارتاب وانما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان المراد فى ايلاء الريب حرف النفى نفى الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو أولى الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما قال فى قوله تعالى لا فيها غول ففيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هى والوقف على فيه هو المشهور وروى عن نافع وعاصم أنهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبرا والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء مكى ووافقه حفص فى فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفى داره وكما لا يقال فى داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه وقال سيبويه ما قاله مؤد الى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء اذا لهاء المتحركة فى كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفى قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانه سماهم عند مشارفتهم ٢٣ لاكتساب لباس التقوى متقين كقوله

وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل أن ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب اى هذا الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى أن أنزله على النبى الذى هو من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن (لا ريب فيه) أى لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك (هدى للمتقين) الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب فى هدايته والمتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس

علیه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضى الله عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم أن مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء

فحسب فلو جى بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى فقاؤها واو ولامها ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها فى التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفى الشريعة من يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدا محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال من الهاء فى فيه والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة ان يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جى بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متخذة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على انه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب الموعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال فى جنة تتخترا تضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بالطف وجه وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية وايراده منكرا ففيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز فى ذكر المتقين كما

(الذين) فى موضع رفع او نصب على المدح اى هم الذين يؤمنون أو أعنى الذين يؤمنون أو هو مبتدا وخبره أولئك على هدى أو جر على أنه صفة للمتقين وهى صفة واردة ٢٤ بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين

المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الجعل بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقى هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وادّاء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقى هو الذى يترك مالا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم (الذين يؤمنون بالغيب) أى يصدقون بالغيب وأصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أى بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله ونقصانه أخرى والايمان فى لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة وهى أن المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة أنه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان أو كمال الايمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقصان كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمى أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر فى الادلة والبراهين وقلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى وأثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة فى ايمانهم ولا تزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق أبى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه والدليل على أن الاعمال من الايمان ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه فى الصحيحين البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشئ واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيى ينزجر باستحيائه عن المعاصى فصار من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون

من الايمان الذى هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما المعيار على غيرهما ألا ترى أن النبى عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما فى ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت (يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه أى صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقروا واعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبى عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشئ غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب والايمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الايمان

مسلما

مسلما فى الظاهر غير مصدق فى الباطن (ق) عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك بالله شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من أشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من أشراطها وخمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفى أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقى أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اى ظاهرا وقوله أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل فى الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفى تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر (قوله ما الاحسان) هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل أراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك وأشراط الساعة علاماتها التى تظهر قبلها (قوله اذا ولدت الامة ربها) يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد بمنزلة سيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهى الصغار من اولاد الضأن والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون فى البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحى وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن ابن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومسابقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون (ويقيمون الصلوة) اى يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من أن يقع فيها خلل فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم اى ادع لهم وأصله من صليت العود اذا لينته فكأن المصلى يلين ويخشع وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية (ومما رزقناهم) اى اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب (ينفقون) اى يخرجون ويتصدقون فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه والانفاق فى المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التى هى للتبعيض صيانة لهم وكفا

كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها او أريد باقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود اذا قومه والدوام عليها والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى تتوجه اليه الرغبات واذا أضيعت كانت كالشئ الكاسد الذى لا يرغب فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين اى الالیتين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده وقيل للداعى مصل تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد (ومما رزقناهم) اعطيناهم ومابمعنى الذى (ينفقون) يتصدقون ادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهى عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التى هى أختها او هى وغيرها من النفقات فى سبيل الخير لمجيئه مطلقا وانفق الشئ وانفذه اخوان كنفق الشئ ونفذ وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على ان الاعمال ليست من الايمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الايمان والعطف يقتضى المغايرة

(والذين يؤمنون) هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار ان تمسهم الا اياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك والمراد به وصف الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم والمعنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذي سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل (وما انزل من قبلك) يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) وهي تأنيث الآخر الذي هو ضد الاول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (اولئك على هدى) الجملة في موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا والا فلا محل لها ويجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل

الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه وعلى الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (من ربهم) اى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على اى هدى ونحوه لقد وقعت على لحم ومنه اى على لحم عظيم (واولئك هم المفلحون) اى الظافرون بما طلبوا والناجون مما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كالمنجح الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد ايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره ففيه تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد النائب اى هو الذي أخبرت بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة * لما قدم ذكر اوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (ان الذين كفروا) الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمي الزراع كافرا وكذا الليل ولما

عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) اى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله (وبالآخرة) يعني وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها (هم يوقنون) من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة (أولئك) اى الذين هذه صفتهم (على هدى من ربهم) اى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) اى الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب اى الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حي مدرك الفلاح * ادركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * اى يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات انزلها في المؤمنين وبآيتين انزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى (ان الذين كفروا) اى جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية

بالعاطف هنا كما فى قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لبيان الذكر الكتاب لاخبار عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت فى المراد وهما على حد لا محال للعطف فيه وان كان مبتدا على تقدير فهو كالجارى عليه والمراد بالذين كفروا الناس باعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون كابى جهل وابى لهب واضرابهما (سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم) بهمزتين كوفى وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء اى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأنذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستوعليهم انذارك وعدمه او يكون سواء خبرا مقدما وأنذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع الابتداء اى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعنى ان هذا جرى على سورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب ٢٧ الله بالزجر عن المعاصى (لا يؤمنون)

ومنه سمى الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر * فى ليلة كفر النجوم غمامها * اى سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو أن لا يعرف الله اصلا كما كفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه كما كفر ابليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به كما كفر امية بن ابى الصلت وابى طالب حيث يقول فى شعره

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله أو انكر وحدانيته أو انكر شيأ مما انزله على رسوله أو انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو فى النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت فى مشركى العرب وقيل فى اليهود (سواء عليهم) اى مستو لديهم (أانذرتهم) اى خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) اى لا يصدقون وهذه الآية فى اقوام حقت عليهم كلمة العذاب فى سابق علم الله الازلى انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى (ختم الله على قلوبهم) اى طبع عليها فلا تعى خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشئ لكيلا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق فى علمه الازلى فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم (وعلى سمعهم) اى وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانهما تجمعه وتنبوعن الاصغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج اى

جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض او خبر بعد خبر والحكمة فى الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول (ختم الله على قلوبهم) قال الزجاج الختم التغطية لان فى الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعنى ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل

الختم والطبع خلق الظلمة والضيق فى صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة فى قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم فى الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذى أقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بنى الامير المدينة لان الفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الاسد فى جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال (وعلى سمعهم) وحد السمع كما وحد البطن فى قوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * لأمن اللبس ولان السمع مصدر فى اصله يقال سمعت الشئ سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محذوف اى وعلى مواضع سمعهم وقرئ على أسماعهم (وعلى أبصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبتدا والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائى كما ان البصيرة نور القلب وهى ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة فى حكم الختم لا فى حكم التغشية

لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار جعل وتكرير الجار في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ الامام ابو منصور بن علي رحمه الله الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم ان لا بد له من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه اخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم اصلح لهم (ولهم عذاب عظيم) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثة والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا وألسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من اول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأهم وتهكم بفعلهم ومجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم ٢٨ صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة

الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان وأناسي وانس وسموا به لظهورهم وأنهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزنته افعل وليس معك الا العين وهو من اسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة والذين لها كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي بالآخر لتأخره عن الاوقات المنقضية أو الوقت المعهود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانهم أوهموا في هذا المقال انهم أحاطوا بجانبي الايمان أوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدا وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي تكرير الباء اشارة الى أنهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله (وماهم بمؤمنين) وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو اخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفي اصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور أولا والآية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول اهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما مؤكدة لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام ومن موحدا للفظ فلذا قيل يقول وجمع وماهم بمؤمنين نظرا الى معناه (يخادعون الله) اي رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله ابو علي رحمه الله وغيره اي يظهرون غير ما في أنفسهم

وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعييه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير * قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه ففي قال الشاعر

* وسميت انسانا لانك ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله (وباليوم الآخر) اي وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا آخر قال الله تعالى رادا على المنافقين (وماهم بمؤمنين) نفى عنهم الايمان بالكلية (يخادعون الله

فالخداع اظهار غير ما في النفس وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعة وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على يؤمنون لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصف كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين او حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف والوجه الاول (والذين آمنوا) اى يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر (ومايخدعون الا أنفسهم) اى ومايعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها ٢٩ يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب

(والذين آمنوا) اى يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله في اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اى يظهر لهم نعيم الدنيا ويجعله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجيء في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجرى عليهم أحكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن (ومايخادعون الا أنفسهم) اى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين أنفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن (ومايشعرون) اى لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم (في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) يعني أن الآيات كانت تنزل تترى اى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا (ولهم عذاب أليم) اى مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) اى بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين (واذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا في الارض) اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى

في الآخرة يرجع اليهم فكانهم خدعوا أنفسهم ومايخادعون أبو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم (ومايشعرون) ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشئ علم حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له (في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد في الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب (فزادهم الله مرضا) اى ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق امثاله كما عرف في زيادة الايمان (ولهم عذاب أليم) فعيل بمعنى مفعل اى مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفي اى بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فما مع الفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم اى بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما يبالغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشئ وبين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا في الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشئ عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فسادا ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض

انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدى الى هيج الفتن بينهم (قالوا
انما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعنى ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة فادح فيها من وجه
من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة لانها تكف
عن العمل (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) انهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى
لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفى افاد تحققا كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكونها فى حيز
المنصب من التحقيق لاتقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين ابلغ رد وأدله
على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما فى الاوان من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون (وا
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) نعتوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وج
الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوى الاحلام فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادى جهلهم وفيه تسلية للغ
مما يلقى من الجهلة وانما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع أن اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والمعت
اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه ٣٠ قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما فى كما كافة كما فى ربما وما مصدرية كما

بما رحبت واللام فى الناس للعهد اى كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه اى كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اى كما آمن الكاملون فى الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف فى كما فى موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف اى ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام فى أنؤمن للانكار واللام فى السفهاء

الله عليه وسلم وبالقرآن (قالوا انما نحن مصلحون) يعنى يقولونه كذبا (الا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب
(انهم هم المفسدون) يعنى فى الارض بالكفر وهو اشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون
ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من
العذاب (واذا قيل لهم) يعنى المنافقين وقيل اليهود (آمنوا كما آمن الناس) يعنى المهاجرين والانصار
وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمنى اهل الكتاب والمعنى أخلصوا فى ايمانكم كما أخلص هؤلاء فى
ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) اى الجهال فان قلت كيف
يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعتقادهم ان
المؤمنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (ألا انهم هم السفهاء)
يعنى الجهال وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم
عقلاء ورؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعنى انهم كذلك قوله تعالى (واذا لقوا
الذين آمنوا) يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار (قالوا آمنا) كايمانكم (واذا خلوا) اى
رجعوا وقيل هو من الخلوة (الى) قيل بمعنى الباء اى (شياطينهم) وقيل بمعنى مع اى مع شياطينهم والمراد
بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو برد
فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا
ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم (قالوا انا معكم) اى على دينكم

مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وان ما عداه (انما
باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) انهم هم السفهاء وان
ذكرهنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه
الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة اما الفساد فى الارض فامر مبنى على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبران وهم فصل
أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبران (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته
استقبلته قريبا منه الآية الاولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعاملون مع المؤمنين من
الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم (واذا خلوا الى شياطينهم) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى ايضا
لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء اى اذا خلوا من المؤمنين الى شياطينهم ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين مانوا
الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشياطين اصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه انها زائدة واشتقاقه من شطن اذا بعد
لبعده من الصلاح والخير او من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا
المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الايمان منهم لا فى ادعاء انهم أحدثوا

فى الايمان اما لان أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم راتجا عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (انما نحن مستهزؤن) تأكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهز أيهز أمات على المكان (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف ٣١ قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف

(انما نحن مستهزؤن) اى بمحمد وأصحابه بما يظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى لاصحابه انظروا كيف اردهؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد ابى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تميم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن انى لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه فى مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم و ردوا الى النار (ويمدهم) أى يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتى المد فى الشر والامداد فى الخير (فى طغيانهم) اى فى ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهون) اى يترددون فى الضلال متحيرين (أولئك) يعنى المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى استبدلوا الكفر بالايمان وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه فى أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء (فما ربحت تجارتهم) أى ما ربحوا فى

فى غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن (ويمدهم) اى يمهلهم عن الزجاج (فى طغيانهم) فى غلوهم فى كفرهم (يعمهون) حال اى يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الاصلح (أولئك)

مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانهم فى قوم آمنوا ثم كفروا او فى اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلا لنا على ان من أخذ شيأ من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين (فما ربحت تجارتهم) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع و يشترى للربح واسناد الربح الى التجارة من الاسناد المجازى ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله

ولما رأيت النسر عزا بن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر

(وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العاملون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب التجار سلامة
رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة
الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة أولئك
وضمير تجارتهم الى آخر الآية في محل الرفع خبر أولئك (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب
المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك في
الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال
أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها والله المثل الاعلى اي الوصف الذي
له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس
المستوقدين أو أريد الفوج الذي استوقد نارا على ان ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد
انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ٣٢ ومعنى استوقد أوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها
من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ما حوله) الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله
والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم)

تجارتهم والربح الفضل من رأس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون (وما كانوا
مهتدين) اى مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد
ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا)
المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره وللعرب
ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين
عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان
المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون
قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا لينتفع بها (فلما أضاءت) يعني النار (ما حوله)
يعني حول المستوقد (ذهب الله بنورهم) فان قلت كيف وحدا ولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز رجوع
الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه
مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزلت في
المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فأبصر
مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة

وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف او نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيأ ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء
كل نير ومعنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى أخذ الله بنورهم وامسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان
أبلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور
عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا الا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والترك
عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شيء وهو قوله (لا يبصرون) وترك
بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات أصله هم في
ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح لا من قبيل المقدر المنوي كالفعل غير متعد اصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط في ظلمات الكفر
ولكن المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية
الى ظلمة العقاب السرمدي وللآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هذا
الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتنبيه

هم بكم عمى) اى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سادوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا
يبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان
ذا في الصفات وذلك في الاسماء وما في الآية تشبيه بليغ في الاصح لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما
طلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى
كلام (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها والتنوع الرجوع الى الشئ وعنه او اراد
هم متحيرون بقوا خامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون (او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق)
ى الله سبحانه وتعالى في شانهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان
ضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به ٣٣ حياة الارض بالمطر وما يتعلق به

ايمان فامنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم
لما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى
ه عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر أو على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر
ظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور أبلغ الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق
ستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة
ل الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة
حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احداها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا
ب ذلك بقي هو في ظلمته فكانهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار
لية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم
نية ان الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم
عالى فقال (صم) أى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه (بكم)
خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمى) أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن
صيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سادوا عن سماع الحق آذانهم
ان تنطق به ألسنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال

شعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم اذن

م لا يرجعون) اى عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى (أو كصيب) اى كاصحاب صيب وهو المطر
ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب (من السماء) اى من السحاب لان كل ما علاك فاظلك
سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان
لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من أبخرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من
ماء ليعلم ان المطر ليس من أبخرة الارض كما زعم الحكماء (فيه) اى الصيب (ظلمات) جمع ظلمة
عد) هو الصوت الذي يسمع من السحاب (وبرق) يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم

ه (خازن) ل) بل جاء به معطوفا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة
كلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معز ولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها
رها كما فعل امرؤ القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيأ واحدا باخرى مثلها
تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار في جهله
مل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يزيد
ل الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضرفه وتشبيه
ه بكيفية فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيأ واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين
لاتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل

من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد
بالرعد والبرق وما يصيبهم
من الافزاع والبلايا من
جهة اهل الاسلام
بالصواعق والمعنى او كمثل
ذوى صيب فحذف مثل
لدلالة المعطوف عليه وذوى
لدلالة يجعلون عليه والمراد
كمثل قوم اخذتهم السماء
بهذه الصفة فلقوا منها
ما لقوا فهذا تشبيه اشياء
باشياء الا انه لم يصرح
بذكر المشبهات كما صرح
في قوله وما يستوى الاعمى
والبصير والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيء
وقول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا
و يابسا
لدى وكرها العناب
والحشف البالى

وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثاني أبلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الا
ولذا أخروهم يتدرجون في مثل هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف أحد التمثيلين على الآخر باو لانها في اصلها التساوي شيئين فصاعد
في الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا وقول
تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور شيآن في وجوب العصيان فكذا هنا معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبه
لكيفيتي هاتين القصتين وان الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما
جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا وتنكير صيب لانه نوع من المطر شديد هائل
كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف والفائدة في ذكر السماء والصيب لا يكون الا من
السماء انه جاء بالسماء معرفة فافاد انه غمام اخذ بآفاق السماء ونفى ان يكون من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق
لان كل افق من آفاقها سماء فني التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل على ان السحاب من السماء ينحط
ومنها يأخذ ماءه وقيل انه يأخذ من البحر ويرتفع ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قدم
ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك اجرامه او ملك يسوق
السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات
فان أريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه
بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه ٣٤ مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد
المطر لانهما ملتبسان به
في الجملة ولم يجمع الرعد
والبرق لانهما مصدران
في الاصل يقال رعدت
السماء رعدا وبرقت برقا
فروعي حكم الاصل بان
ترك جمعهما وانكرت هذه
الاشياء لان المراد أنواع
منها كأنه قيل فيه ظلمات

ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا
تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك
وقيل اسمه (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من
يسمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء * عن ابن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (حذر الموت) اي مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين)
اي عالم بحالهم وقيل يجمعهم و يعذبهم (يكاد البرق) اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف
أبصارهم) اي يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة (كلما) اي متى ٣ ماجاء (أضاء لهم) يعني البرق

داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون اصابعهم في آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما في قوله (مشوا
اوهم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة
والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق
فقال يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هي التي تجعل في الآذان اتساعا كقولهم
قاطعوا ايديهم اوالمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذي ينبغي
به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من
الصواعق) متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار تقع
من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت في
نخلة فاحرقت نحو نصفها ثم طفئت و يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق (حذر الموت)
مفعول له والموت فساد بنية الحيوان او عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعني انهم لا يفوتونه
لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها (يكاد البرق يخطف أبصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل
لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف
اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو

٣ قوله اي متى ماجاء هكذا في جميع النسخ التي بايدينا ولم تظهر لنا فائدة جاء فلعلها زائدة وكذا قوله فيما بعد من صفته ان يخطف
ابصارهم و يعميها ليس بظاهر من التعبير بيكاد في الآية اه مصححه

(مشوا فيه) اى فى ضوئه وهو استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفى وفترلمعانه بقوا واقفين واضاءة متعد أى كلما انور لهم مشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف اوغير متعد أى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) اظلم غير متعدوذ كرمع اضاء كلما ومع اظلم اذا لانهم حراص على وجود ما هم به معتدون من امكان المشى فكلما اصادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قاموا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قام الماء اذا جمد (ولوشاء الله لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وابصارهم) بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه اى ولوشاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون ٣٥ يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كنحو قوله

فلو شئت ان ابكى دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو أراد الله ان يتخذ ولدا (ان الله على كل شئ قدير) اى ان الله قادر على كل شئ مما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يا أيها الناس) قال علقمة ما فى القرآن يا ايها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا ايها الذين آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركى مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد واى والهمزة للقريب ثم استعمل فى مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فاذا نودى به القريب المقاطن فذلك للتوكيد المؤذن بان الخطاب الذى يتلوه معتنى به جدا وقول الداعى يا رب وهو أقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعادا لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط اتهالك على استجابة دعوته واى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذى وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه يا أى والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الان أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها التأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه اى من الاضافة وكثر النداء فى القرآن على هذه الطريقة لان ما نادى الله به عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالاكد الابلغ (اعبدوا ربكم) وحدوه قال ابن عباس رضى الله عنهما

(مشوا فيه) اى فى اضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) اى وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم فى آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعنى المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا أظلم عليهم قاموا يعنى اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) اى بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ذهب اسماعهم وأبصارهم الباطنة (ان الله على كل شئ قدير) اى هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه * قوله عز وجل (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل والعبادة

كل عبادة فى القرآن فهى توحيد (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة اربابا والخلق ايجاد المعدوم على واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشئ على تقدير واستواء وهذا بناء على ان المعدوم شئ عندهم لان الشئ ما صح ان يعلم ويخبر عنه عن وعندنا هو اسم للوجود خلقكم بالادغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقر بذلك فقيل لهم ان كنتم مقرين بانه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الاصنام (لعلكم تتقون) اى اعبدوا على رجاء ان تتقوا فتنجوا بسبب العذاب ولعل للترجى والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم ووفوه وبه قال سيبويه وقال قطرب هو بمعنى اى لكى تتقوا (الذى جعل لكم الارض) اى صيرو محل الذى نصب على المدح أو رفع باضمار هو (فراشا) بساطا تتعدون عليها وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة أو كرية اذ الافتراش ممكن على التقديرين (والسماء بناء) كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمى به المبنى (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرج به) بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وايجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كما جعل الفحل فى خلق الولد وهو قادر على انشاء الكل بلا سبب كما أنشأ بعض الاسباب والمواد ولكن له فى انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال ونا قلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار يعيون الاستبصار فى (من الثمرات) للتبعيض أو للبيان ٣٦ (رزقا) مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول به لاخرج ان كانت للبيان وانما قيل الثمر دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا الان المراد جماعة الثمرة ولان المجموع يتعاور بعضها موقع بعض لا لتقائها فى الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله أندادا) هو متعلق بالامر اى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ندو لا شريك ويجوز ان يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا لله ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء اى الذى خلقكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شريكا والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى ومعنى قولهم ليس لله ند و لا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وأنتم تعلمون) انها لا تخلق شيأ ولا ترزق والله الخالق الرازق او مفعول تعلمون متروك اى وأنتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك لخلقهم احياء قادرين وخلق الارض التى هى مقرهم ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبنى آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شئ منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم فى ريب مما نزلنا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس الناس والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لان المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لنزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عب آيات على حسب النوازل وعلى ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيأ فشيأ لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى

غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى (الذى خلقكم) اى انشأكم خلقكم على غير مثال سبق (والذين من قبلكم) اى وخلق الذين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى ترج وهما اى كل منهما من الله واجب (تتقون) اى لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (الذى جعل لكم الارض فراشا) اى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن التقلب عليها والحزن ما غلظ من الارض (والسماء بناء) اى سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيئة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها (وأنزل من السماء) السحاب (ماء) يعنى المطر (فأخرج به) اى بذلك الماء (من الثمرات) يعنى من الوان الثمرات واصنافها النبات (رزقا لكم) اى وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) يعنى امثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى ومعنى قولهم ليس لله ند و لا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وأنتم تعلمون) انها لا تخلق شيأ ولا ترزق والله الخالق الرازق او مفعول تعلمون متروك اى وأنتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك لخلقهم احياء قادرين وخلق الارض التى هى مقرهم ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبنى آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شئ منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم فى ريب مما نزلنا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس الناس والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لان المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لنزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عب آيات على حسب النوازل وعلى ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيأ فشيأ لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى

الله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) امر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) اى مثل القرآن وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن احد ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وانه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق وان أعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) اى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا أنكم مبطلون فى دعواكم أنها آلهة وقيل معناه وادعوا الناس ليشهدون لكم (ان كنتم صادقين) ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه

أنشطه له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل فى نفسه ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل (من مثله) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا اى بسورة كائنة من مثله

من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان واشتمل على اصناف كان أحسن من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة أو بابا

فاتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو اعبدنا اى فاتوا بمن هو على حاله من كونه اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ورد الضمير الى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله لعلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (من دون الله) اى غير الله وهو متعلق بشهداءكم اى ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او من يشهد لكم بانه مثل القرآن (ان كنتم صادقين) ان ذلك مختلق وانه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اى ان كنتم صادقين فى دعواكم فأتوا انتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك

(فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) لما أرشدهم الى الجهة التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام
لهم فاذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة
المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لم
لا تكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجىء بان الذى للشك دون اذا الذى للوقوع
وعبر عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل من لفظ الاتيان
لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وتم
هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا ولان أختان فى نفى المستقبل الا ان فى لن تأكيدا وعن الخليل
أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفى المستقبل وانما علم انه اخبار عن الغيب على
به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشئ لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه وشرط فى اتقاء النار اتقاء اتيانهم
بسورة من مثله لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد
الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان ٣٨ استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك

وهو من باب الكناية وهى من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن والوقود ما ترفع به النار يعنى الحطب وأما المصدر فضمومه وقد جاء فيه الفتح وصلة الذى والتى يجب أن تكون معلوما للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة ثم معرفة هنا لان تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه أولا ومعنى قوله تعالى ما

(فان لم تفعلوا) اى فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقى وهذه الآية دالة على عجزهم وانهم لم يأتوا بما
بمثل شئ منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل الق
أو بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به حيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم
عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال
ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبى الذرارى وأخذ الاموال والقتل
ظهر بعجزهم عن المعارضة صحة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك
وهو قوله تعالى (فاتقوا النار) اى فآمنوا واتقوا بالايمان النار (التى وقودها) اى حطبها (الفجار
والحجارة) قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على
تلك النار وقوتها وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الح
لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم (أعدت
هيئت (للكافرين) قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا) أى أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبى صلى الله عليه
والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور فى بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ
به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن
فى السرور والخير أغلب (وعملوا الصالحات) أى الفعلات الصالحات وهى الطاعات قيل العمل

وقودها الناس والحجارة انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة وهى حجارة الكبريت فهى أشد توقدا وأبعد
وأنتن رائحة والصق بالبدن أو الاصنام المعبودة فهى أشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث عب
وجعلوها لله أندادا ونحوه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى حطبها فقرنهم بها محاة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلا
(أعدت للكافرين) هيئت لهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب
تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم
وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لانه
بان الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا كما يقول يا بنى تميم احذروا
ما جنيتم وبشر يا فلان بنى أسد باحسانى اليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك
يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال
ايكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال أخبرنى مكان
عتقوا جميعا لانهم أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس

الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من يجعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة من آمن وعمل صالحا الان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان ولا نجعل اصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أى بان لهم جنات وموضع أن ومامعمات فيه النصب ببشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير فى التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان على الجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى تاء جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تجرى من تحتها الانهار) الجملة فى موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وأنهار الجنة تجرى فى غير أخدود وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والانهار فى خلالها مطردة والجرى الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار مجازى وانما عرف الانهار لانه يحتمل ان يراد بها انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله ٣٩ تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كلما رزقوا) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد

كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أى خلصوا الاعمال يعنى عن الرياء (أن لهم جنات) جمع جنة وهى البستان الذى فيه أشجار مثمرة سميت الجنة لاجتنانها وسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم (تجرى من تحتها) أى من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى وقيل معناه تجرى بامرهم وفى الحديث ان أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود أى فى غير شق والاخدود الشق (كلما رزقوا) اى اطعموا (منها) أى من الجنة (من ثمرة رزقا) اى طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) اى فى الدنيا وقيل أن ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا انها الاولى (وأتوا به) أى بالرزق (متشابها) قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا

سامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى) اى كلما رزقوا من الجنات اى من اى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره ان تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وانما المراد نوع من أنواع الثمار (رزقنا) اى رزقناه فحذف العائد (من قبل) اى من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بنى والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير فى به يرجع الى الرزق المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين وانما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود مايل واذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا رأى ما عهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة رزقوها دليل على تناهى الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل أوان أو الى كقولك رزق كما أن هذا اشارة اليه والمعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل اقال لهم ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فالاون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد كان بيد الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لما كلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئة العكلا ولى قالوا ذلك وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بقلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا

ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مطهرة) من مس
الاخلاق لاطمعات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والا
ولم تجمع الصفة كالموصوف لانهما الغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة أبلغ لانها تكون للتكثير وفيها اشعار بان م
طهرهن وماذلك الا الله عز وجل ٤٠ (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لا ينقطع وفيه بطلان قول الجه

فانهم يقولون بفناء الجنة
وأهلها لانه تعالى وصف
بانه الاول والآخر وتحقيق
وصف الاولية بسبقه على
الخلق أجمع فيجب تحقيق
وصف الآخرية بالتأخر
عن سائر المخلوقات وذا انما
يتحقق بعد فناء الكل
فوجب القول به ضرورة
ولانه تعالى باق وأوصافه
باقية فلو كانت الجنة
باقية مع أهلها لوقع
التشابه بين الخالق والمخلوق
وذا محال قلنا الاول فى
حقه هو الذى لا ابتداء
لوجوده والآخر هو الذى
لا انتهاء له وفى حقنا الاول
هو الفرد السابق والآخر
هو الفرد اللاحق واتصافه
بهما لبيان صفة الكمال
ونفى النقيصة والزوال
وذا فى تنزيهه عن احتمال
الحدوث والفناء لا فيما
قالوه وأنى يقع التشابه فى
البقاء وهو تعالى باق لذاته
وبقاؤه واجب الوجود
وبقاء الخلق به وهو جائز
الوجود * لما ذكر الله
تعالى الذباب والعنكبوت
فى كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل (ان الله لا يستحيي أن يضرب فما
مثلا ما بعوضة) أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها واصل الحياء تغير وانكسار يعترى الان
من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز ان تقع
العبارة فى كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب
السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدى بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضربا

فى الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخ
ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى ر
ورشحهم المسك (قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس) أى يجرى على ألسنتهم كما يجرى النفس
يشغلهم عن شئ كما ان النفس لا يشغل عن شئ (قوله طعامهم جشاء) يعنى أن فضول طعامهم يخرج
الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى (ولهم فيها) أى فى الجنات (أزواج) أى من الح
العين (مطهرة) يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائز كم الغم
العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل فى الجنة جماع ما
ولا ولد (وهم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذى لا انقطاع له (
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوط
ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق ر
واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى
سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون
بكرة وعشيا (ق) عن أبى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة خ
من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا ي
بعضهم بعضا * عن أبى هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بنا
قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفر
من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذى بزيادة و
ليس اسناده بذلك القوى * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الج
مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الج
الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذى (م) عن أنس
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجو
وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم
لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن على رضى الله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مث
يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كا
وكتاله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله تعالى (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعو

صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وماهذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته عموما كقولك اعطني كتاب ما تريد اى كتاب كان أوصلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كانه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين على ان ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشئ لانه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فما فوقها) فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة أو فما زاد عليها في الحجم كانه أراد بذلك رد ما استنكر ومن ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهو النهاية في الصغر لان جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق) الضمير للمثل اولان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره ٤١ يقال حق الامر اذا ثبت ووجب

(فما فوقها) سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف أن ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشئ الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون أنه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) اى بهذا المثل (يضل به كثيرا) اى من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدي به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون انه حق

(من ربهم) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية واما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت

توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شئ زيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون الذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ووسمهم بالكلمة الحمقاء ماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا لاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الاول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته اى أراد والعائد محذوف وعلى الثاني منصوب المحل بأراد التقدير اى شئ أراد الله والارادة مصدر أردت الشئ اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المقدور ببعض الجائزات لوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان كان فعله فمعناه انه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه أمر به (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به

كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة وأهل الهدى كثير فى أنفس
وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى أهل الضلال ولان القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة
ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا والاضلال خلق فعل الضلال فى العبد والهداية خ
فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من ان تكو
المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وا
المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ألا ترى ان الحق لما
واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا
لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فا
دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على ق
مضر به ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان ال
الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفا
والعجب منهم كيف انكروا ذلك ومازال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش الارض فقالوا أجمع من ذرة وأجر
الذباب وأسمع من قراد وأضعف ٤٢ من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ولكن د
المحجوج والمبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح (وما يضل به الا الفاسقين) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفى الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله تعالى

(وما يضل به الا الفاسقين) يعنى الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة
وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) اى يخالفون ويتركون وأصل النقض الفسخ و
المركب (عهد الله) اى أمر الله وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) اى
بعد عقده وتوكيده وفى معنى هذا العهد أقوال احدها انه الذى أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله
ألست بربكم قالوا بلى الثانى المراد به الذى أخذه على أحبار اليهود فى التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى
عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله
وأحكمه بما أنزل فى كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل
به قطع الارحام التى أمر الله بوصلها (ويفسدون فى الارض) يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايم
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) اى المغبونون وأصل الخسار النقص ثم

ان شاء الله (الذين ينقضون عهد الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله
اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا وعهد الله ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه
او أخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره او أخذ الله العهد عل
لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذى أخذ
جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية وعهد خص به النبيين ان
الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى واذ أخذ الله
الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) أصله من الوثاقة وهى احكام الشئ والضمير للعهد وهو ما
به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد بمعنى الوعد او الله تعالى اى من بعد توثقته
ومن لابتداء الغاية (ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل) هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين او قطعهم ما بين الانبياء من ا
والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة مو
او بمعنى الذى وان يوصل فى موضع جر بدل من الهاء اى بوصله او فى موضع رفع اى هو ان يوصل (ويفسدون فى الارض) بقطع ال
والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدا (هم) فصل والخبر (الخاسرون) اى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء و
بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب

(كيف تكفرون بالله) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وكنتم أمواتا) نطفا فى اصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة اصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فاحياكم) فى الارحام (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف الاول بالفاء والبواقى بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ واما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت ان أريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور وانما انكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر (هو الذى خلق لكم ما فى الارض) اى لاجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الاول فظاهر وأما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة ٤٣ لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها خلقت مباحة فى الاصل (جميعا) نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العودى قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اى قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ ومنه قوله تعالى ثم استوى الى السماء اى اقبل وعمد الى خلق السموات بعد ما خلق ما فى الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق والضمير فى (فسواهن) مبهم يفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمها وخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منها السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق (وهو بكل شئ عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وهو واخواته مدنى غير ورش وابو عمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضدوهم يقولون فى عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض أسكن فيها الجن واسكن فى السماء الملائكة فافسدت الجن فى الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال واقام وامكانهم فامر نبيه عليه السلام ان يذكر قصتهم فقال (واذ قال ربك للملائكة) اذ نصب باضمار اذكر

تعالى لمشركى العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتا) يعنى نطفا فى اصلاب آبائكم (فأحياكم) يعنى فى الارحام والدنيا (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعنى بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) اى ترددون فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم * قوله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا لتنتفعوا به فى مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر فى عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) اى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال الازهرى معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل أيضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه ألم أعطك ألم ارفع قدرك ألم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم (فسواهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات * قوله تعالى (واذ قال ربك) اى واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول أوجه (للملائكة) جمع ملك وأصله مألك من المألكة

والملائكة جمع ملاك كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتأنيث الجمع (انى جاعل) اى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (فى الارض خليفة) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها وذريته ولم يقل خلائف او خلفاء لانه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم او أريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك او خليفة نبى لان آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض وانما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم اولیعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل ان يقدموا عليها وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) تعجب من ان يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يجهل وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى اومن جهة اللوح اوقاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) اى يصب والواو فى (ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا احق منه بالاحسان (بحمدك) فى موضع الحال اى نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر اى دخلوا كافرين (ونقدس لك) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس من تبعيد الله من السوء من سبح فى الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وأبعد (قال انى اعلم مالا تعلمون) اى اعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما بمعنى الذى وهو مفعول اعلم والعائد محذوف اى مالا تعلمونه انى جازى وأبو عمر

والالوكة وهى لفظ البغوى وهى الرسالة وأرادبالملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما أعطانى الله هذا الملك الا لانى أكرم الملائكة عليه فقال الله تعالى لملائكته ولجنده (انى جاعل فى الارض خليفة) اى انى خالق خليفة يعنى بدلا منكم ورافعكم الى فكر هواذا لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وكانوا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمى خليفة لانه خليفة الله فى ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) اى بالمعاصى (ويسفك الدماء) اى بغير حق كما فعل الجن فان قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم اوقاسوا الشاهد على الغائب وقيل انهم لما رأوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحدة والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصانى فلما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا هو ذلك فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بان هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفى عليهم ولهذا اجابهم بقوله انى أعلم مالا تعلمون وقيل ان العبد المخلص حب سيده يكره ان يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة فى اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) اى نقول سبحان الله وبحمده وهى صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبى ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما جاء فى القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدس لك) أصل التقديس التطهير اى نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك (قال انى أعلم مالا تعلمون) قيل انه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة مالا تعلمون وقيل اعلم أن فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

(فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت

ن النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون اطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع
صابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب * وأما
صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض انى
خالق منك خليقة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار
قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة
فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها
قالت أعوذ بعزة الله الذى أرسلك الى أن لا تأخذ منى شيأ فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعاذت بك
منى فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فائتنى بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له
مثل ماقالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ماقالت له فقال لعزرائيل انطلق فائتنى بقبضة من الارض فلما
أتاها قالت له الارض أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن لا تأخذ منى شيأ فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمرا
فقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى
السماء فسأله ربه عزوجل وهو أعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى
وعزتى وجلالى لاخلقن مما جئت به خلقا ولاسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك
القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم أخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا
مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم
لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق
لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا علينا لما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى
نفسه لئن فضل على لا عصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن
تدخل فى جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عزوجل لها
دخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا
فصارت الى أن وصلت الى منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى أول كلمة قالها
فحياه الله تعالى رحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال
الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما
عظاما وعروقا وعصبا واحشاء وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل فى جسده
تسعة أبواب سبعة فى رأسه وهى الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه
لسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين فى أسفل جسده وهما القبل
والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله فى دماغه وفكره وصرامته فى قلبه وشرهه فى كليته
وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم
ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن ابى هريرة رضى الله
عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة
فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه
ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر
ما هو فلما رآه أجوف عرف انه لا يتمالك * عن ابى موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان

(وعلم آدم) هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من أديم الارض أو من الادمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس (الاسماء كلها) اى أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما عليه بذكر الاسماء اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات لقوله تعالى أنبئوني باسماء هؤلاء وقوله باسمائهم ولم يقل انبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات انه تعالى أراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة (ثم عرضهم على الملائكة) اى عرض المسميات ٤٦ وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن

على سبيل التبكيت (فقال أنبئوني) اخبروني (باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) في زعمكم اني أستخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا (قالوا سبحانك) تنزيها لك ان يخفى عليك شئ او عن الاعتراض عليك في تدبيرك وافادتنا الآية ان علم الاسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا (لا علم لنا الا ما علمتنا) وليس فيه علم الاسماء وما بمعنى الذي والعلم بمعنى المعلوم اى لا معلوم لنا الا الذي علمتنا (انك أنت العليم الحكيم) غير المعلم فيما

الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته محمد وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الاشياء كلها وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم علينا ولا أعلم منا وان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهر الله آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغيرهما وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعني تلك الاشياء وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعني تعالى (أنبئوني) اى اخبروني (باسماء هؤلاء) يعني تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) اى اني لم أخلق خلقا كنتم أفضل منه وأعلم (قالوا) يعني الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) اى انك أجل من أن نحيط بشئ من علمك الا ما علمتنا (انك أنت العليم) اى بخلقك وأسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) اى في أمرك وله معنيان أحدهما انه العدل والثاني المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد (قال) يعني الله تعالى (يا آدم أنبئهم باسمائهم) لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها (فلما أنبأهم باسمائهم) يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يعني يا ملائكتي (اني أعلم غيب السموات والارض) يعني ما كان وما يكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم اني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبدون) يعني قول الملائكة أتجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعني قولكم ان يخلق الله تعالى خلقا أكرم منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا في الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا

(فسجدوا) قضيت وقدرت والكاف اسم ان وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبران أو أنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم) سمى كل شئ باسمه (قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) اى اعلم ما غاب فيهما عنكم (وأعلم ما تبدون) تظهرون (وما كنتم تكتمون) تسرون (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) اى اخضعوا له بالفضل له عن ابي بن كعب وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على ان المأمور به الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه ابليس وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين اراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى

(فسجدوا الا ابليس) الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال مامنعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (ابى) امتنع مما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الامر لان ترك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند اهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج او كان من الكافرين في علم الله اى وكان في علم الله انه يكفر بعد ايمانه لانه كان كافرا ابدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) امر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور وللام التعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد (وكلا منها) من ثمارها فحذف المضاف (رغدا) وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما وبابه بغير همز وابو عمرو وحيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) اى الحنطة ولذا قيل كيف لا يعصي الانسان وقوته من شجرة العصيان او الكرمة لانها اصل كل فتنة او التينة

(فسجدوا) يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله والامتثال لامره والقول الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمي به لانه أبلس من رحمة الله اى يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم اصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (أبى) اى امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) اى تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) اى في علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتاه امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار * قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) اى اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فالقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما ذا خلقت قالت لتسكن الي وأسكن اليك واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع (وكلا منها رغدا) اى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعني للاكل قيل انما وقع هذا النهي عن جنس الشجرة وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على

(فتكونا) جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى (من الظالمين) من الذين ظلموا انفسهم اومن الضارين أنفسهم (
الشيطان عنها) اى عن الشجرة اى حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها اوفأزلهما عن الجن
اذهبهما عنها وابعدهما فازالهما ٤٨ حمزة وزلة آدم بالخطا فى التأويل اما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم او

التبيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب
(فتكونا من الظالمين) يعنى ان أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنو
الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا
الظلم على انه فعل ما كان الاولى أن لا يفعله وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل
وصف الانبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله عز
(فازلهما الشيطان) اى استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسيأتى الكلام
الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى فى
طه (عنها) اى الجنة (فاخرجهما مما كانا فيه) يعنى من النعيم وذلك ان ابليس أراد أن يدخل
ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب
أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ان تدخله الجنة فى فيها فادخلته ومرت
الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس
الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم
الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان انه ا
فبكى وناح نياحة آخرتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكى عليكما لانكما موتان فتنغ
ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آد
أدلك على شجرة الخلد فابى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله انى لكما من الناصحين فاغترا وما ظنا ان
يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فاكل منها قال ابراهيم بن أدهم او
تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم الم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة
الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك
الارض ثم لا تنال العيش فيها الا كدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وز
وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ
الجهد وفى رواية أخرى عن ابن عباس ان آدم لما أكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله تعالى يا
ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لى حواء قال فانى أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا
ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما
من الشجرة تناثرت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك * قوله عز وجل (و
اهبطوا) أى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض
على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعض
لبعض عدو) يعنى العداوة التى بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز و
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التى بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال ر
الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرج
داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثأ

اللام على تعريف العهد
و كان الله تعالى أراد
الجنس والاول الوجه
وهذا دليل على انه يجوز
اطلاق اسم الزلة على الانبياء
عليهم السلام كما قال
مشايخ بخارى فان اسم
الفعل يقع على خلاف
الامر من غير قصد الى
الخلاف كزلة الماشى فى
الطين وقال مشايخ
سمرقند لا يطلق اسم الزلة
على افعالهم كما لا تطلق
المعصية وانما يقال
فعلوا الفاضل وتركوا
الافضل فعوتبوا عليه
(فاخرجهما مما كانا فيه)
من النعيم والكرامة اومن
الجنة ان كان الضمير
للشجرة فى عنها وقد توصل
الى ازلالهما بعد ما قيل
له اخرج منها فانك رجيم
لانه منع عن دخولها على
جهة التكرمة كدخول
الملائكة لا عن دخولها
على جهة الوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وروى
انه أراد الدخول فمنعته
الخزنة فدخل فى فم الحية
حتى دخلت به وقيل
قام عند الباب فنادى
(وقلنا اهبطوا) الهبوط
النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما فليس
لانهما لما كانا اصل الانس ومنشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم ويدل عليه قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا (بعضكم لبعض ع
المراد به ما عليه الناس من التباغى والتعادى وتضليل بعضهم لبعض والجملة فى موضع الحال من الواو فى اهبطوا اى اهبطوا منه

(ولكم فى الارض مستقر) موضع استقرار واستقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) الى يوم القيامة اوالى الموت قال ابراهيم ابن ادهم أورثنا تلك الاكلة خمسا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) اى استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها وبنصب آدم ورفع كلمات مكى على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ماقاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يارب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب الم تنفخ فى من روحك الم تسبق رحمتك غضبك الم تسكنى جنتك وهو تعالى يقول بلى بلى قال فلم أخرجتنى من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت اراجعى انت اليها قال نعم (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعاله وقد طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنة لذلك (انه هو التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها

فليس منى وفى رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذى كانه قضيب فضة (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفى رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم فى الارض مستقر) اى موضع قرار (ومتاع) اى بلغة ومستمتع (الى حين) اى الى وقت انقضاء آجالكم * قوله عز وجل (فتلقى آدم) اى فتلقن والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) اى كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل هى لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين وقيل قال آدم يارب أرأيت ما أتيت أشيأ ابتدعته من تلقاء نفسى أم شيأ قدرته على قبل أن تخلقنى قال بل شيأ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى فاوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو ان دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث اخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) اى فتجاوز عنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم فى المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التواب) اى الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عباده (الرحيم) اى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم منى هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتى التى تؤديكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذى لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى ياذرية آدم اما يأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم)

(٧ (خازن) ل)

جميعا) حال اى مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتأكيد اولان الهبوط الاول من الجنة الى السماء الثانى من السماء الى الارض اولما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم منى هدى) اى رسول ابعثه اليكم اوكتاب انزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فى مقابلة قوله (فمن تبع هداى) اى بالقبول والايمان به (فلا خوف عليهم) فى المستقبل

(ولاهم يحزنون) على ماخلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتنى فان قدرت أحسنت اليك فلا خوف با
فى كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدا والخبر (أصحاب النار) اى اهلها ومستحقوها والجملة فى مو
الرفع خبر المبتدا اعنى والذين (هم فيها خالدون يا بنى اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه فى لسانهم صفو
عبد الله فاسرا هو العبد او الصفوة ٠٠ وايل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة (اذكروا نعمتى التى أنعمت ع

ذكرهم النعمة ان لا يخلوا شكرها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به فى التوراة والانجيل (وأوفوا) أدوا وافيا تاما يقال وفيت له بالعهد فانا واف به وأوفيت له بالعهد فانا موف به والاختيار أوفيت وعليه نزل التنزيل (بعهدى) بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى او من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا وعن قتادة هما لئن أقمتم ولأكفرن وقال أهل الاشارة أوفوا فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى أوف فى دار نعمتى على بساط كرامتى بسرور رؤيتى (وايای فارهبون) فلا تنقضوا وسلم عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وايای منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وفارهبوا ايای فارهبون وحذف الاول لان الثانى يدل عليه وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة والنون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيدا فى زيدا فاضربه باضرب الذى هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا) مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا (لما معكم) من التوراة يعنى فى العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه

يعنى فيما يستقبلهم (ولاهم يحزنون) اى على ماخلفوا وقيل لا خوف عليهم ولاهم يحزنون فى الآ
(والذين كفروا) اى جحدوا (وكذبوا بآياتنا) اى بالقرآن (أولئك أصحاب النار) اى يوم القيامة
فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها * قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسـ
على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبـ
وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) اى اشكروا نعمتى وانمـ
عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب و
باللسان ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تسـ
نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد
الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من
فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى أيضا من الله تعالى فانـ
المنعم المطلق فى الحقيقة لان أصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان
اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم وانـ
فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة
قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة
حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان
قد أنعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاـ
بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (وأوفوا بعهدى) اى امتثلوا أمرى (أوف بعهـ
اى بالقبول والثواب وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمى الموثق الذى تلزم مرـ
عهدا وقيل أراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل أـ
ماذكر فى سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى
لأكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطـ
خذوا ما آتيناكم بقوة يعنى شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الـ
وقيل أراد بهذا العهد ما أثبته فى كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوـ
آخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بنى اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام انى باعث
اسمعيل نبيا أميا فمن تبعه وصدق النور الذى يأتى به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أـ
اثنين وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعنى أمر محمد صلى الله عليه
وصفته (وايای فارهبون) اى فخافون فى نقضكم العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعنى بالقرآن (مصدـ
معكم) يعنى ان القرآن موافق لما فى التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبى صلى الله

(ولا تكونوا أول كافر به) اى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به و بصفته والضمير فى به يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بآياتى) بتغييرها وتحريفها (ثمنا قليلا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التى كانت لهم فى ٥١ قومهم خافوا عليها ان اتبعوا رسول الله (وايای فاتقون) فخافونى فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه (وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع اى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران متميزان لان لبس الحق بالباطل ماذكرنا من كتبهم فى التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وأنتم تعلمون) فى حال علمكم انكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) اى صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع فى صلاتهم أى اسلموا واعملوا عمل اهل الاسلام وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة اى صلوها مع المصلين لا منفردين والهمزة فى (أتأمرون الناس) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) اى سعة الخير

وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فى التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا أول كافر به) الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود أول من كفر به فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب ان تكونوا أول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشتروا) اى ولا تستبدلوا (بآياتى) اى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذى لا قيمة له والذى كانوا يأخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم فى كل سنة شيأ معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر (وايای فاتقون) اى فخافون فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس فى وقاية مما تخاف قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) اى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذى أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل اى بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا فى الصورة لكنه عام فى المعنى فعلى كل أحد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (وأقيموا الصلوة) يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها (وآتوا الزكوة) اى ادوا الزكاة المفروضة عليكم فى أموالكم (واركعوا مع الراكعين) اى صلوا مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة فى الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين فى الجماعة * قوله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب

والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه ٥٢ وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليفرقوها

(وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت أى يتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام اوفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلوة) اى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدى جبار السموات والارض او استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه نعى اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء اى استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في

من حالهم والبراسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فانه حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وكانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وأنفسكم) اى وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وأنتم تتلون الكتاب) يعني تقرؤن وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الافعال الحسنة والانتهاء عن الافعال القبيحة والاثم (أفلا تعقلون) يعني أنه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ قبول العلم وهو الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن أبي طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس أولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بشيء متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد أن تنفذ موعظته في القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه (قوله فتندلق) اى تخرج اقتاب بطنه أى أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلوة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم

الضمير للصلاة او للاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الا على الخاشعين) لانهم يتوقعون ما ادخر
برين على متابعتها فتهون عليهم الا ترى الى قوله (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) اى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون
وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون اى يعلمون انه لابد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وأما من لم يوقن بالجزاء
رج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقوا
بمعاينوه بلا كيف (وأنهم اليه راجعون) لايملك امرهم فى الآخرة احد سواه ٥٣ (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى

فبكرة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته
اعلى الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر اى بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى
(فى الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى
يه واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة
بر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصى وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم
فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اى اجمعوا بين الصبر
صلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب
عاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله
ى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة اى اذا أهمه أمر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله
ى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو فى سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما
جود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعنى الصلاة وقيل الاستعانة
كبيرة) اى ثقيلة (الا على الخاشعين) يعنى المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله
حصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل فى
ارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها
عقابا فهى ثقيلة عليه وأما الخاشع الذى يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهى سهلة عليه (الذين
يظنون) اى يستيقنون وقيل يعلمون (أنهم ملاقوا ربهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية
تعالى فى الآخرة (وأنهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزيهم باعمالهم * قوله عز وجل (يابنى
اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) انما اعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا
ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأنى فضلتكم على العالمين) يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل
كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) اى واخشوا عذاب يوم (لا تجزى)
تقضى (نفس عن نفس شيأ) يعنى حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة
عنها شيأ مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه (ولا تقبل منها شفاعة) اى فى ذلك
والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله
ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصى ما كان واجبا عليه
معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) اى فدية وهو مماثلة
الشئ (ولا هم ينصرون) اى لا يمنعون من العذاب * قوله عز وجل (واذ نجيناكم) اى واذكروا اذ
السلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم (من آل فرعون) اى من

انعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأنى فضلتكم) نصب عطف على نعمتى اى اذكروا نعمتى وتفضيلى (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة (واتقوا يوما) اى يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف (لا تجزى نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) اى لا تقضى عنها شيأ من الحقوق التى لزمتها وشيأ مفعول به او مصدر اى قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ولا تقبل بالتاء مكى وبصرى والضمير فى منها يرجع الى النفس المؤمنة اى لا تقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم

سواء فهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتثبت المعتزلة بالآية فى نفى الشفاعة للعصاة مردود لان المنفى شفاعة الكفار وقد قال
السلام شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى من كذب بها لم ينلها (ولا يؤخذ منها عدل) اى فدية لانها معادلة للمفدى (ولا هم ينصرون)
وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد أو الاناسى (واذ نجيناكم من آل فرعون) اصل آل اهل
يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم
العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس

اتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان
الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) اى يكلفونكم ويذيقونكم
(سوء العذاب) اى أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون
جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال أصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمون
ومن لم يكن فى عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافا فى أعمال فرعون فذووا القوة يسلخون
السوارى من الجبال حتى تقرحت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون
الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون
والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس
ان يؤدى ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم
سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء
ان فرعون رأى فى منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى بها
تتعرض لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاك
وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى
فى طلب موسى اثنى عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤساء
على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببنى اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع
علينا فامر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها وولد موسى فى
التى يذبح فيها (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) اى اختبار وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة
المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفى ذلكم بلاء
ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة * قوله عز وجل
فرقنا بكم البحر) اى فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لا

(ذكر سياق القصة)

وذلك انه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يسرى ببنى اسرائيل من
بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا فى بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلى القبط لتبقى
ليتبعوهم لاجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان فى القبط من بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل وكل ولد
كان فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فما
كل بكرى لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك فما
تلك الليلة ديك وخرج موسى فى بنى اسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين
لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل و
فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن
فقالوا ان يوسف لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلما
انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين
يوسف الا اخبرنى به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولى فكان يمر بالرجل وهو ينادى فلا
صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك على قبره اتعطينى كل ما أسألك فابى عليها
حتى أسأل ربى فامره أن يعطيها سؤلها فقالت انى عجوز لا أستطيع المشى فاحملنى معك وأخرجنى من

(يسومونكم) حال من آل فرعون اى يولونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه
يبغونكم (سوء العذاب) ويزيدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة اومطالبة وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سىء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشده وافظعه (يذبحون ابناءكم) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (ويستحيون نساءكم) يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما انذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ما شاء الله (وفى ذلكم بلاء) محنة ان اشير بذلكم الى صنع فرعون ونعمة ان اشير به الى الانجاء (من ربكم) صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية (واذ فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا اى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط (بكم البحر) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم او فرقناه بسببكم او فرقناه ملتبسا بكم فيكون فى موضع الحال روى ان بنى اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام اين اصحابنا هذا
فنحن لا نرضى حتى نراها فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلا

هذا في الدنيا وأما في الآخرة فاسألك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف الف ناشب ومائة الف الف حراب ومائة الف الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخوانا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فانجيناكم) يعني من فرعون (وأغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى ودبق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فامر الله البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله (وأنتم تنظرون) يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى * قوله عز وجل (واذ واعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجيء الميقات (موسى) اسم عبري معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موشى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى (أربعين ليلة) اى انقضاء اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء

(فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وانما قال (واذ واعدنا موسى) لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصري لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا اذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي واربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في اربعين ليلة

* (ذكر القصة في ذلك) *

قال العلماء لما انجى الله بني اسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حي ليذهب بموسى الى

(ثم اتخذتم العجل) اى الها ٥٦ بحذف المفعول الثانى لاتخذتم وبابه بالاظهار مكى وحفص (من بعده) من بعد ذهابه الى

(وأنتم ظالمون) بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال اى عبدتموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا النعمة فى العفو عنكم (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا (واذ قال موسى لقومه) للذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) معبودا (فتوبوا الى بارئكم) هو الذى خلق الخلق برئيا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم برآء من التفاوت الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو الصحيح وقيل معناه قتل بعضهم بعضا

ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان اهل ماحرا وقيل كرمان وقيل من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الايمان وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر الحال فقال فى نفسه ان لهذا الشانا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقى فى روعه انه اذا ألقى فى شئ حى فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقى أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هرون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحفرة أخذها السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال السامرى هذا الهكم والله موسى فنسى أى فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة وقيل كان موعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هرون مع اثنى عشر الف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعنى الها (من بعده) اى من بعد موسى (وأنتم ظالمون) أى وأنتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم) اى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) اى من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) اى لكى تشكروا عفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة أضرب شكر بالقلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى أنعمت على النعم السوابغ وأمرتنى بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذى لا فوقه علم حين علمت من عبدى ان يعلم ان ما به من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال

* قوله عز وجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو أصلية (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعنى الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) يعنى الها تعبدونه فكأنهم قالوا ما نصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) اى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعنى ليقتل البرىء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف

يجوز

قيل أمر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار على المعصية فتاب عليكم انه هو التواب) المتفضل بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) بعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أي ذوى جهرة (فأخذتكم الصاعقة) اى الموت قيل هى نار جاءت من السماء فاحرقتهم روى ان السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لن نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فاباه على فقالوا انك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم انك رأيت الله يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى أن يقتل التائب من الردة اما عاما فى حق الكل أو خاصا فى حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فما يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون الله و بكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل (فتاب عليكم) اى فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه * قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) اى لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا وذلك ان الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال أفعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فأخذتكم الصاعقة) قيل هى الموت وفيه ضعف لان قوله وأنتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هى سبب الموت واختلفوا فى ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جموعا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين (وأنتم تنظرون) اى ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول الهى ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) اى أحييناكم (من بعد موتكم) اى لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) * قوله عز وجل

(٨ (خازن) ل) فان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولانهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) أحييناكم واصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت

(وظللنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس و ينزل بالليل عمودين يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المن) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى) كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقيل (كلوا من طيبات) لذيذات او حلالات (ما رزقناكم وما ظلمونا) يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) انفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان (واذ قلنا) لهم بعد ما خرجوا من التيه (ادخلوا هذه القرية) اى بيت المقدس أو اريحا

والقرية المجتمع من قريت لانها تجمع الخلق امروا بدخولها بعد التيه (فكلوا منها) من طعام القرية وثمارها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية او باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام وانما دخلوا الباب فى حياته ودخلوا بيت المقدس بعده (سجدا) حال وهو جمع ساجد أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا له (وقولوا حطة) فعلة من الحط كالجلسة وهى خبر مبتدا محذوف اى مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات وقيل امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونستقر فيها وعن على رضى الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا اله الا الله (نغفر لكم خطاياكم) جمع خطيئة وهى الذنب يغفر مدنى يغفر شامى (وسنزيد المحسنين) اى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم فبدل يتعدى الى واحد بنفسه والى آخر بالباء فالذى مع الباء متروك والذى بغير باء موجود يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها اى امروا بقولوا التوبة والاستغفار فحالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا امر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالشعير

(وظللنا عليكم الغمام) يعنى فى التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم فى التيه شئ يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما أبيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) اى فى التيه والا كثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شئ كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شئ أنبته الله من غير سعى أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الادوية فينتفع به لا أنه يقطر ماؤها بحتا فى العين وقيل ان تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع فى العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طير يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ (كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) اى حلال (ما رزقناكم) اى ولا تدخروا الغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر (قوله لم يخنز اللحم) لم ينتن ولم يتغير (وما ظلمونا) اى وما بخسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى باخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى العقبى * قوله عز وجل (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى اريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح اريحاء بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية أريحاء قال ادخلوا من اى باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) اى حط عنا خطايانا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) اى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعنى ثوابا (فبدل) اى فغير (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا

الحطة

حطانا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح امرهم وايذان بانزال الرجز عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجزا (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم روى انه مات منهم فى ساعة بالطاعون أربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا (واذ استسقى موسى لقومه) موضع اذ نصب كأنه قيل واذكروا اذ استسقى اى استدعى أن يسقى قومه (فقلنا اضرب ٥٩ بعصاك الحجر) عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو للجنس اى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهذا أظهر فى الحكمة وأبين فى القدرة (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت اى سالت بكثرة اوفان ضربت فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ (منه اثنتا عشرة عينا) على عدد الاسباط وقرئ بكسر السين وفتحها وهما لغتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون

الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطانا سمقاثا اى حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى عذابا من السماء قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا (بما كانوا يفسقون) اى يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل (واذ استسقى موسى لقومه) اى طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال بينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر أربعة وجوه فى كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل فضربه فاتاه جبريل وقال ان الله يأمرك ان ترفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء ويبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعنى على عدد اسباط بنى اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست اى عرقت وانفجرت اى سالت (قد علم كل أناس مشربهم) اى موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) اى وقلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العيث اشد الفساد فى هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجم الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لانه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر * قوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان

(من رزق الله) اى الكل مما رزقكم الله (ولا تعثوا فى الارض) لا تفسدوا فيها والعيث أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة اى لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لايا كل فلان الا طعاما واحدا و يراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف أو أرادوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام أهل التلذذ والترفه وكانوا من أهل الزراعات فاردوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك

(فادع لنا ربك) سله وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الارض من بقلها) هو ما أنبتته الارض من
والمراد به اطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكل الناس (وقثائها) يعني الخيار (وفومها) هو الحنطة أو
لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى) اقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما
قلة المقدار (بالذي هو خير) ارفع واجل (اهبطوا مصرا) من الامصار اى انحدروا اليه من التيه و بلادا بين بيت المقدس
قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ أو مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لارادة
لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف (فان لكم) فيها (ما سألتم) أي فان الذي سألتم يكون في الامصار لا في
(وضربت عليهم الذلة والمسكنة) ٦٠ اى الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في

من ضربت عليه أو الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقرا ما على الحقيقة واما التصاغر هم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة حزة وعلى وكذا كل ما كان قبل الهاء بامساكنة و بكسر الهاء والميم أبو عمرو و بكسر الهاء وضم الميم غيرهم (و باؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له اى صاروا أحقاء بغضبه وعن الكسائي حقوا (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين) بالهمزة نافع وكذا بابه اى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم والنبي من النبأ لانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل أو بمعنى مفعل أو من نبا اى ارتفع والنبوة المرتفع (بغير الحق) عندهم أيضا فانهم لو انصفوا لم يذكروا شيأ يستحقون به القتل عندهم في التوراة وهو في محل النصب على الحال الضمير في يقتلون اى يقتلونهم مبطلين (ذلك) تكرار للاشارة (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شئ مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت و يجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (ان الذين آمنوا) بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نص

يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) اى فاسأل لنا ربك (يخرج
لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس القوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل
الثوم (وعدسها وبصلها) انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة أو لانهم ملوا من البقل الذي
التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة
(قال) يعني موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) اى الذي هو أخس وارد أو هو الذي طلبوه (بالذي هو
خير) يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعني ان أبيتم الا ذلك فاتوا مصرا من
الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط وهود في
هو الاول (فان لكم ما سألتم) يعني من نبات الارض (وضربت عليهم الذلة) اى جعلت الذلة محيطة بهم
مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزى اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم
الجزية بعد (والمسكنة) اى الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه واقعده عن الحركة كما ان
اليهود وان كانوا اغنياء ميا سير كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل المال اذل ولا احرص على المال من
اليهود (و باؤا) اى رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من الله) وغضب الله ارادة الانتقام ممن
(ذلك) اى الغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله) اى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
في التوراة و يكفرون بالانجيل والقرآن (و يقتلون النبيين) النبي معناه المخبر من أنبأ ينبئ وقيل هو
الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) اى بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون
بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة
الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لان حكمه ينقسم الى
وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت الى سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا
ويحيى وشعياء وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) اى ذلك القتل والكفر بما عصوا أمري (و كانوا
يعتدون) اى يتجاوزون أمري و يرتكبون محارمي * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا)
يعني اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اى مِلنا اليك وقيل هادوا اى تابوا عن عبادة العجل وقيل
مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار

امرأة نصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كانى فى احمرى سموا نصارى لانهم نصروا المسيح (والصابئين) الخارجين من دين مشهور الى غيره من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور

الله وقيل لاعتزالهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها (والصابئين) اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرؤن بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيأ والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وأنها هى التى تقرب الى الله تعالى ولهذا كره هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال فى اول الآية ان الذين آمنوا وقال فى آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص آخرا قلت اختلف العلماء فى حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما انه أراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا فى زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحير الراهب وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى فمنهم من أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعنى فى زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان فى أول الآية انما هو على طريق المجازدون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكانه تعالى قال هؤلاء المطلوبون كل من آمن منهم الايمان الحقيقى صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى وثبتوا على ذلك فى المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) أى فى ايمانه (فلهم أجرهم عند ربهم) اى جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى فى الآخرة * قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) اى عهدكم يا معشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعنى الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار يعنى الاثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما فى التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) اى قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) اى ما أعطيناكم (بقوة) اى بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) اى ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) اى اعرضتم (من بعد ذلك) اى من بعد ما قبلتم التوراة

(من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) فى الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومحل من آمن الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم أجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبران فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط

(واذ أخذنا ميثاقكم) بقبول ما فى التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) اى الجبل حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب أى التوراة (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (من بعد ذلك) من بعد القبول

(فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة (لكنتم من الخاسرين) المالكين فى العذاب (ولقد عرفتم فتعدى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم فى السبت) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد ٦٢ للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى نهاهم ان يصيدوا فى السبت ثم

فما كان يبقى حوت فى البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لامنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم (فقلنا لهم كونوا) بتكويننا اياكم (قردة خاسئين) خبر كان اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها (واذ قال موسى لقومه) اى واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف

(فلولا فضل الله عليكم ورحمته) اى بالامهال (لكنتم من الخاسرين) اى المغبونين بذهاب والعذاب فى العقبى * قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) اى جاوزوا الحد (فى السبت سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم واصل السبت القطع

(ذكر الاشارة الى القصة)

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بارض أيلة وحرم الله عليهم السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فتهوا عن اخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فكان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ويقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشبكة يوم السبت والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صاروا اهل ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف لم ينه وصنف انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فقال المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من باب ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميع قردة فلم اذا يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ولم يتوالدوا قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها نكالا) اى عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى كانت عامرة فى الحال وما خلفها اى ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهى الانثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

(ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك)

قال علماء السير والاخبار انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فقتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى والقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى

على نعمتى فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كانه قال اذكروا ذاك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا عليهم فى الظروف التى مضت اى اذكروا نعمتى واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقى ربه لقومه والظروف التى تأتى الى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه (ان الله يأمركم ان) اى بان (تذبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة

في التلاوة وهو قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) اتجعلنا مكان هزء

اواهل هزء أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء هزأ بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص غيرهما بالتثقيل والهمزة (قال اعوذ بالله) العاذ واللياذ من واد واحد (أن أكون من الجاهلين) لان الهزء فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم اى أنتم جاهلون حيث نسبتمونى الى الاستهزاء (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) سؤال عن حالها وصفتها لانهم كانوا عالمين بماهيتها الان ماوان كانت سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ماموقع كيف وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وماهى خبر ومبتدا (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها اى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضى

عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه فى ذلك فامره بذبح بقرة وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) اى نحن نسالك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعنى موسى (اعوذ بالله) اى امتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) اى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اى بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان فى ذلك حكمة لله عزوجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق يحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى أمه ثلثه فقالت له أمه يوما يا بنى ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع الله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بامه اركبنى فانه أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل ان ينقلع من أصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له أمه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا امى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى ورجع الفتى الى أمه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاى فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة على رضاها فقال الملك انى أعطيتك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فقال الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت له أمه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجرب فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك فقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبعها الا بمل مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح البقرة بعينها فجازوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ماسنها (قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عزوجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) اى لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التى لم تلد والبكر الفتية التى لم تلد (عوان) اى نصف (بين ذلك) اى بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) اى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال

يعين فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله

فيها خطوط من سواد وبلق * كانه فى الجلد توليع البهق ان أردت الخطوط فقل كانها وان أردت السواد والبلق فقل كانهما فقال

انما اردت كان ذاك (فافعلوا ما تؤمرون) اى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مامور كم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) موضع ما رفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا اى شئ لونها (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبر اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفى ذكر اللون فائدة التوكيد لان اسم للهيئة وهى الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لذة فى القلب لحصول نفع أو توقعه عن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم (ان البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفى علينا من أمر القاتل وان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اى لو لم يقولوا ان شاء الله (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض) لا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض (ولا تسقى الحرث) ولا هى من النواضح التى يسنى عليها السقى الحروث ولا الاولى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى ٦٤ لان المعنى لا ذلول تثير الارض اى تقلبها للزراعة وتسقى الحرث على ان الفعلين صفتان كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية (مسلمة) عن العيوب وآثار العمل (لا شية فيها) لا لمعة فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشية اذا خالط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى أمرها جئت وبابه بغير همز أبو عمرو (فذبحوها) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة فى ظهور القاتل روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها لابنى حتى يكبر وكان بر بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بمل مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة فان البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) واذكر واخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح اولان الطرح فى نفسه دفع وأصله تدارأتم ثم أرادوا النطق فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التى هى فاء الكلمة ليمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام ان يكون الاول ساكنا ولهذا همزة الوصل لانه لا يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كنتم تكتمون من القتل لا يتركه مكتوما واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا فى وقت التدارئ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و(قلنا) والضمير فى (اضربوه) يرجع الى النفس والتذكير بتأويل الشخص والانسان أو الى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها والمعنى فضربوه فحى فحذف ذلك لدلالة

ل يحيي الله الموتى) عليه روى انهم لما ضربوه قام باذن الله تعالى وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذوا قاتلا ولم
قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى اما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن النبي عليه السلام واما أن يكون خطابا للذين
احياء القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) دلائله على انه قادر على كل شئ (لعلكم تعقلون)
ن على قضية عقولكم وهي ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء ٦٥ جميعها لعدم الاختصاص والحكمة

آن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الآية اضمار تقديره فضربوه ففي
ذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله
وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) اي كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيي
تى) يعني يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان
ه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا
ب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك
د فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان
تصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه
ة لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة
ل الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح أولا ثم عقبه بذكر القتل فان قلت ما فائدة
قتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ قلت الفائدة فيه ان
الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى عليه السلام انما أحياه بضرب
حر والحيلة فاذا أحيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله
بامره كان ذلك فان قلت هلا أمروا بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام
ة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا
كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول
ال العظيم الذي أخذه صاحبها من ثمنها

(فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت)

ه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب
ن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان
يهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم
ن ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع
ن عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن
عى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال
جد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا
م خمسين يمينا فيه قولان أحدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني انه يحلف خمسين
يظا الامر القتيل وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يمين أيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار
خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا والا أخذ الدية

في ذبح البقرة وضربه
ببعضها وان قدر على
احيائه بلا واسطة التقرب
به والاشعار بحسن
تقديم القربة على الطلب
والتعليم لعباده ترك
التشديد في الامور
والمسارعة الى امتثال
اوامر الله من غير تفتيش
وتكثير سؤال وغير ذلك
وقيل انما أمروا بذبح
البقرة دون غيرها من
البهائم لانها أفضل
قرابينهم ولعبادتهم العجل
فاراد الله تعالى ان يهون
معبودهم عندهم وكان
ينبغي ان يقدم ذكر القتيل
والضرب ببعض البقرة
على الامر بذبحها وان يقال
واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها فقلنا اذبحوا بقرة
واضربوه ببعضها ولكنه
تعالى انما قص قصص
بني اسرائيل تعديدا لما
وجد منهم من الجنايات
وتقريعا لهم عليها وهاتان
القصتان وان كانتا
متصلتين فنستقل كل
واحدة منهما بنوع من
التقريع فالاولى لتقريعهم

خازن) ل) على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة
من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد
التقريع ولقد روعيت نكتته بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح
ضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير

الى ان من اراد احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجاهدات ومعنى (ثم قست قلوبكم) استبعاد القسوة (من بعد) ماذ
يوجب لين القلوب ورقتها وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ من بعد (ذلك) اشارة الى احياء القتيل
جميع ما تقدم من الآيات المعدودة ٦٦ (فهى كالحجارة) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها واشد معطوف

من سكانها والدليل على ان البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ما روى عن سهل بن ابى حثمة
انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهى يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله
سهل وهو يتشحط فى دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة بن
مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر
وهو أحدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نحلف
ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبى صلى
عليه وسلم من عنده وفى رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد فى
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه فى الصحيحين وو
الدليل من هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لان
ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل
ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم * قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) اى يبست و
وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك) اى من بعد
الدلالات التى جاء بها موسى وقيل هى اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة (فهى)
القلوب فى الغلظ والشدة (كالحجارة) اى كالشئ الصلب الذى لا تخلخل فيه (أو) قيل او بمعنى بل
بمعنى الواو أى و (أشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من
وأصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست
للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
أراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى ليستقى الاسباط والتفجير
بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعنى العيون الصغار التى هى دون الانهار
منها لما يهبط من خشية الله) اى ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر
لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل و
فكيف يخشى قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها
اهل السنة ان الله تعالى اودع فى الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فله
وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم
وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به وبكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول
الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث وانى لاعرفه الآن عن على قال
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو
السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع فى قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة
وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع
وفى رواية صاحت النخلة صياح الصبى فنزل صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت

الكاف تقديره او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او هى فى أنفسها اشد قسوة يعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة وانما لم يقل اقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم (وان من الحجارة) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لما يتفجر منه الانهار) ما بمعنى الذى فى موضع النصب وهو اسم ان واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق) أصله يتشقق وبه قرأ الاعمش فقلبت التاء شينا وأدغمت (فيخرج منه الماء) يعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لا تندى (وان منها لما يهبط) يتردى من أعلى الجبل (من خشية الله) قيل هو مجاز عن انقياده لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خلق والتمييز فى الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يعنى وقلوبهم

(وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء مكى وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) ان يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى فما آمن له لوط يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) اى التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا) اى المنافقون او اليهود (الذين آمنوا) اى المخلصين من اصحاب محمد عليه السلام (قالوا) اى المنافقون (آمنا) بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الى الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (اتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام (بما فتح الله عليكم) بما بين الله لكم فى التوراة من صفة محمد عليه السلام (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله الا ترى تقول هو فى كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على اضمار المضاف اى عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم فى الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه (افلا تعقلون) ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه (أولا يعلمون أن الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) من ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم) ومن اليهود (أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها

الصبى الذى لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من اعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة * قوله عز وجل (أفتطمعون) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعى الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون (أن يؤمنوا لكم) اى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب فى خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم فى أفتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) اى يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فانهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة (من بعد ما عقلوه) اى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) اى فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقى اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقى اليهود على ذلك و (قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعنى قص الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) اى ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم انه نبى حق فى كتابكم لم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبى حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) اى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من أخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (أفلا تعقلون) اى ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) يعنى اليهود (أن الله يعلم ما يسرون) اى ما يخفون (وما يعلنون) اى ما يبدون وما يظهرون * قوله عز وجل (ومنهم) اى من اليهود (أميون) اى لا يحسنون الكتابة

(لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أماني) الا ما هم عليه من أمانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار الا أياما معدودة
ا كاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت او الا ما يقرؤن من
تمنى كتاب الله اول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر اى لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤن اشياء أخذوها من اح
والاستثناء منقطع (وان هم) ٦٨ وما هم (الا يظنون) لا يدرون ما فيه فيجعدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين

ولا القراءة جمع أمي وهو المنسوب الى أمه كأنه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا
الكتاب الا أماني) جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

اى تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل
الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم واضافوها الى الله
وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا
الا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا
لهم (وان هم الا يظنون) اى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في
وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري
رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بايديهم) تأكيد
لانه يحتمل ان يأمر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب
وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب ما كان لهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عل
المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة فغيروها وكانت صف
حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبا
فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعني هذه الص
كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه و
انه ليس به (ليشتروا به) اى بما كتبوا (ثمنا قليلا) اى المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من
قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) * قوله عز وجل (وقالو
اليهود (لن تمسنا) أي لن تصيبنا (النار الا أياما معدودة) اى قدر ما قدر الله ان يزول عنا العذاب قال ابن
قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سب
وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب
في أمر فاقسم ليعذبنهم أربعين يوما تحلة القسم فقال الله رادا عليهم وتكذيبا لهم (قل) اى يا محمد
(أتخذتم عند الله عهدا) اى موثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) اى وعده (ام تقو
على الله ما لا تعلمون بلى) اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبد
كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قو
عباس (وأحاطت به خطيئته) اى احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يمو
صاحبه وقيل أحاطت به اى اهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب اهل السنة

بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فويل) في الحديث ويل واد في جهنم (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بايديهم) من تلقاء أنفسهم من غير ان يكون منزلا وذكر الايدي للتأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) عوضا يسيرا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) اربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد رضي الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا) اى عهدا اليكم أنه لا يعذبكم الا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهده) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم اما أن تكون معادلة اى أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون أو منقطعة اى بل أتقولون على الله ما لا تعلمون (بلى) اثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار اى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم (وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بان مات على شركه فاما اذا مات مؤمنا فاعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل قول المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة خطياته مدني

تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج
عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان
ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت أجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع
الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من أفعال الايمان فلهذا حسن ان يقول
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل
فكأنه تعالى قال آمنوا الا ثم داوموا عليه آخرا و يدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون) * قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني في التوراة والميثاق العهد
الشديد (لا تعبدون الا الله) اى أمر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو
المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) اى برابهما ورحمة لهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر
الله تعالى و يوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان
اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما
بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب
ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذي خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره
ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية
ايضا فيجب شكرهما ثانيا (وذي القربى) أي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان
اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو
الذي مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور اصغره
وضعفه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين
وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه
و ينتفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شأن محمد صلى
الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه و بينوا صفته ولا تكتموها قاله ابن عباس الوجه الثاني ان
المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى
الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا
لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول
والعشرة وحسن الخلق (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية
كان لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) اى اعرضتم
عن العهد (الا قليلا منكم) يعني من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد
(وأنتم معرضون) اى كاعراض آبائكم * قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لا تسفكون
دماءكم) اى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك
دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) اى لا يخرج بعضكم بعضا

ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) اى لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه

فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل)
الميثاق العهد المؤكد بغاية التأكيد (لا تعبدون الا الله) اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد

الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه وتنصره قراءة أبي لا تعبدوا وقوله وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلى لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه أن لا يعبدوا فلما حذفت أن رفع (وبالوالدين احسانا) اى وأحسنوا اليلتئم عطف الامر وهو قوله وقولوا عليه (وذي القربى) القرابة (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي فقد أباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي أسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا جزة وعلى (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم) عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) أنتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (واذ أخذنا

(ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وأنتم ثم
اليوم يا معشر اليهود على اقراركم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعادا لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان
الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وتخ
فريقا منكم من ديارهم) غير مراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفى اى تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف
حذف احدى التاءين ثم قيل هى ٧٠ الثانية لان النقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بالاثم والعد

بالمعصية والظلم (وان
يأتوكم أسارى تفادوهم)
تفدوهم ابو عمرو وأسرى
تفدوهم مكى وشامى
أسرى تفدوهم حمزة أسارى
تفادوهم على فدى وفادى
بمعنى وأسارى حال وهو
جمع أسير وكذلك أسرى
والضمير فى (وهو محرم
عليكم) للشأن او هو ضمير
مبهم تفسيره (اخراجهم
أفتؤمنون ببعض الكتاب)
بفداء الاسرى (وتكفرون
ببعض) بالقتال والاجلاء
قال السدى أخذ الله
عليهم أربعة عهود ترك
القتل وترك الاخراج وترك
المظاهرة وفداء الاسير
فاعرضوا عن كل ما امروا
به الا الفداء (فما جزاء
من يفعل ذلك) هو
اشارة الى الايمان ببعض
والكفر ببعض (منكم
الا خزى) فضيحة وهوان
(فى الحيوة الدنيا ويوم
القيامة يردون الى أشد
العذاب) وهو الذى

من داره وقيل لا تفعلوا شيأ فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) اى بهذا العهد انه حق (وأنتم تشهد
يعنى أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعنى يا هؤلاء اليهود (تقتلون انفسك
يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظا
عليهم بالاثم والعدوان) اى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) جمع اسير (تفد
اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآ
الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديا
وأيما عبد أو أمة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الا
والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم
قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا اسر
من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا ام
نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحى ان تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم
تقتلون أنفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون
بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم أسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ
اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع أعدائهم وفك أسراهم فاعرضوا عن الك
الفداء قال الله عز وجل (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه ان وجدتموهم فى يد
فديتموهم وأنتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على م
افعالهم لا على الفداء لانهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك
يعنى يا معشر اليهود (الا خزى فى الحيوة الدنيا) اى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل و
وخزى بنى النضير الاجلاء والنفى من منازلهم الى أريحاء واذرعات من أرض الشام (ويوم القيامة يرد
اشد العذاب) يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (أولئك الذين ا
اى استبدلوا (الحيوة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن
بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) اى فلا يهون عليهم (ولا هم ينص
اى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى * قوله عز وجل (ولقد آتينا) اى أعطينا (موسى الكتاب)
التوراة جملة واحدة (وقفينا) اى واتبعنا من التقفية وهو ان يقفو اثر الآخر (من بعده بالرسل
رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم
بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا و
والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى أن بعث الله تعالى

لا روح فيه ولا فرح أو الى أشد من عذاب الدنيا (وما الله بغافل عما تعملون)
عليه
بالياء مكى ونافع وابو بكر (أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) اختاروها على الآخرة اختيار المشترى (فلا يخفف عنهم
ولا هم ينصرون) ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة آتاه جملة (وقفينا من بعده بالرسل) بنا
اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعنى وارسلنا على اثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون
وسليمان وشعياء وارمياء وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم

(وآتينا عيسى بن مريم البينات) هى بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم يثبت فى الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (وايدناه بروح القدس) اى الطهارة وبالسكون حيث كان مكى اى بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب او بجبريل عليه السلام لانه يأتى بما فيه حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله او بالانجيل كما قال فى القرآن روحا من أمرنا او باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى

ذكره (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى) تحب (انفسكم استكبرتم) تعظمتم عن قبوله ٧١ (ففريقا كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد وفريقا تقتلونه بعد لانكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا انى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يا بنى اسرائيل انبياء كما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف اى هى خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم) فرد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما طردهم بكفرهم

عليه السلام جاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) اى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وأيدناه) اى وقويناه (بروح القدس) قيل اراد بالروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لانه تعالى قال وأيدناه اى قويناه بجبريل وذلك انه امر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من أخبار الانبياء فعلت فائتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا فقال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) اى تعظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع اغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا أوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل أوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) اى طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) اى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم * قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) اى يستنصرون به (على الذين كفروا) يعنى مشركى العرب وذلك أنهم كانوا اذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم

وزيفهم (فقليلا ما يؤمنون) فقليلا صفة مصدر محذوف اى فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره او اوعية للعلوم فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا (ولما جاءهم) اى اليهود (كتاب من عند الله) اى القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يعنى القرآن (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم

(فلما جاءهم ما عرفوا) ماموصولة اى ما عرفوه وهو فاعل جاء (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة
على الكافرين) اى عليهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ودخولها
اولياء وجواب لما الاولى مضمر وهو نحو كذبوا به او انكروه او كفروا وجواب الاولى والثانية لان مقتضاهما واحد وما فى (بئ
نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس اى بئس شيأ (اشتروا به انفسهم) اى باعوه والمخصوص بالذم (ان يكفروا بما انزل الله
القرآن (بغيا) مفعول له اى حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (ان ينزل الله) لان ينزل أو على ان ينزل اى حسدوه على ان ينز
(من فضله) الذى هو الوحى (على من يشاء من عباده) وهو محمد عليه السلام (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا احقاء بغضب
لانهم كفروا ابنبي الحق و بغوا عليه او كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير
(وللكافرين عذاب مهين) مذل ٧٢ بئسما و بابه غير مهموز ابو عمرو و ينزل بالتخفيف مكى و بصرى (واذا قيل لهم) لهؤلا

معه قتل عادوارم (فلما جاءهم ما عرفوا) اى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته و
وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به) اى جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئ
اشتروا به انفسهم) اى بئس شيأ اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا يعنى باعوا و
بئس ما باعوا به حظ انفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعنى القرآن (بغيا) اى حسدا (أن ينزل الله
فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) اى فر
(بغضب على غضب) اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها و
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عل
والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين)
الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) اى يهانون فيه (واذا قيل لهم
بما أنزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعنى التوراة وما أنز
أنبيائهم (ويكفرون بما وراءه) اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن (وهو
يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) انما أضاف
للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن
وأنكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها (ان كنتم مؤمنين) اى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الا
قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم ا
من بعده) اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وأنتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة
(واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) اى استجيبوا و أطيعوا اى
أمرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك (وعصينا) يعنى امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما س
وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) اى تداخل حبه فى قل
والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى أمر أن يبرد العجل و يدرى فى

(آمنوا بما أنزل الله) يعنى القرآن او هو مطلق يتناول كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) اى التوراة (ويكفرون بما وراءه) اى قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة (قل فلم تقتلون أنبياء الله) اى فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضى و يدل عليه قوله (من قبل ان كنتم مؤمنين) اى من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا فى يوم واحد ثلثمائة نبى فى بيت المقدس (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالآيات التسع وادغم الدال فى الجيم كان ابو عمرو و حمزة وعلى (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وانتم ظالمون) هو عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم (واذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم خذوا ما آتيناكم بقوة) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى (واسمعوا) ما امرتم به فى التوراة (قالوا سمعنا وعصينا) امرك وطابق قوله جوابهم من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا طاعة (واشربوا فى قلوبهم العجل) اى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله فى قلوبهم بيان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه

(قل بئسما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس فى التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم (ان كنتم مؤمنين) تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة دعواهم له (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة (عند الله) ظرف ولكم خبر كان (خالصة) حال من الدار الآخرة اى سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فيما تقولون لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه (ولن يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف اى لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت ايديهم) بما اسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ٧٣ (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم

وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) اى بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله واحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعنى الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) اى فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه الارض يهودى الا مات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا) اى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعنى من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان أعم وكانوا اولى به (ولتجدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود (احرص الناس على حياة) اى حياة متطاولة والحرص أشد الطلب (ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر قلت أفردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس (يود أحدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود أى يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) اى يعمر ألف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال اى عش الف سنة او ألف نيروز أو الف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) اى بمباعده (من العذاب) اى النار (أن يعمر) اى لو عمر طول عمره

(ولتجدنهم احرص الناس) مفعولا وجدهم وأحرص (على حياة) التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابى على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان معنى احرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة او اريد وأحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا

١٠ (خازن) ل) الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين اشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك قوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو قول الاعاجم ذى هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اى ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين أشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير فى (وما هو بمزحزحه من العذاب) لاحدهم وقوله (ان يعمر) فاعل بمزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء قال فى جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر فلو هنا نائبة عن ان وان مع الفعل فى تأويل المصدر وهو مفعول يود اى يود احدهم تعمير ألف سنة

(والله بصير بما يعملون) اى بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه و بالتاء يعقوب (قل من كان عدوا لجبريل) بفتح الجيم
الراء بلا همز مكى و بفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفى غير حفص و بكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف فيه للعلم
والعجمة ومعناه عبد الله لان جبر هو العبد بالسريانية وايل اسم الله روى ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبى عليه السلام
عمن يهبط عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخرب به بختنصر فبعثنا من يقتله ٧٤ فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطه
عليه وان لم يكن اياه فعلى اى ذنب تقتلونه (فانه نزله) فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه و يكتفى عن اسمه الصريح بذكر شئ من صفاته (على قلبك) اى حفظه اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وكان حق الكلام ان يقال على قلبى ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وانما استقام ان يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ما ينفعهم و يصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحى على قلبك (باذن الله) باره (مصدقا لما بين يديه وهدى لاوليائه و بشرى للمؤمنين) ردا على اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فانه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (من كان عدوا لله وملائكته ورسله و جبريل وميكال) بصرى وحفص وميكائل باختلاس الهمزة مكيا على مدنى وميكائيل بالمد وكسر الهمزة شامى غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر اذ التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات (فان الله عدو للكافرين) اى لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه

لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) اى لا يخفى عليه خافية من احوالهم * قوله عز وجل
من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبر من
اليهود قال للنبى صلى الله عليه وسلم اى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدونا ولو
ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا
انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله
ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه
لم يكن هو فعلى اى حق تقتلونه فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا تتجنبه
فانزل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا وفى
عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهود
كلامهم فقالوا يوما ما فى اصحاب محمد أحب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم
أسألكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آ
كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على
وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجىء بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون
وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبرونى عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر أشهد أن من كان عدوا لا
كان عدوا للآخرين ومن كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجد
قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر
والله لقد رأيتنى بعد ذلك فى دينى أصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل
ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (قل
يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص القلب بالذ
محل الحفظ (باذن الله) اى باره (مصدقا) اى موافقا (لما بين يديه) اى لما قبله من الكتب (و
و بشرى للمؤمنين) اى فى القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى يترتب عليها الثواب و
لهم بثوابها اذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) لما بين فى الآ
ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون
لله لان الله تعالى هو الذى نزله على محمد بين فى هذه الآية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فا
لجميعهم و بين ان الله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لا تضره
وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذى لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله ع

(ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في (اوكلما) للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات ٧٥ البينات وكلما (عاهدوا عهدا نبذه)

لاوليائه وأهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين فى جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها) اى وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) اى الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به (أوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم وأن يؤمنوا به قال مالك ابن الصيف والله ما عهد الينا فى محمد عهد فانزل الله هذه الآية أوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد أظل زمان نبي مبعوث وانه فى كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) اى طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعنى مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن أصلا نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم أدرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لا يعلمون) يعنى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان أولئك النفر قليلا * قوله عز وجل (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اى على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر فى زمانه فمنعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعلمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى أن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه

نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) اى التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعنى التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها او كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) اى نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها (على ملك سليمان) اى على

عهد ملكه وفى زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلقونها الى الكهنة وقد دونوها فى كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح

السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعنى بالسحر يعمل به وفيه تنزيه سليمان من السحر وذلك ان اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم أخذوا السحر من سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أحبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعنى ان سليمان كونه نبيا ينافى كونه ساحرا كما بين الله تعالى ان الذى برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعنى ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعنى ما كتبت الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعنى اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا السحر سحر الخفاء سببه فلا يفعل الا فى خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشئ عن وجهه فى العرب ما سحرك عن كذا اى ما صرفك عنه فكان الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق فقد سحر عن وجهه اى صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هى التى فى قلب الاعيان وروى عن الشافعى انه قال السحر يخبل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر فى قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار وغيره على صورة الكلاب وقد يطير الساحر فى الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لانهم يقولون ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخبل ويؤثر فى الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للسحر تأثيرا فى الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة الادوية فى الابدان وأما حكمه فانه من الكبائر التى نهى عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه فى الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناء بالله وأمرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعنى المهلكات والسحر على قسمين أحدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد أن القدرة لنفسه فى ذلك وهو المؤثر أو يعتقد ان الكواكب هى المؤثرة الفعالة فاذا انتهى السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف أخرجه الترمذى والقسم الثانى من السحر وهو التخييل الذى يفعل النير نجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هى المؤثرة و يعتقد ان الله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر و يحرم فعله فان ترتب على سحره قتل قصاصا لما روى عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قتلت جارية سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت أخرجه فى الموطأ قوله عز وجل (وما أنزل على الملكين) يعنى ويعلمون الذى أنزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اى ما ألهما وعلما وقرئ فى الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه أن الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملكين وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبرى ان الله تعالى عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به و ينهون عنه ولو كان الامر على غير

(وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامى وحمزة وعلى (يعلمون الناس السحر) فى موضع الحال اى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به اغواءهم واضلالهم (وما أنزل على الملكين) الجمهور على ان ما بمعنى الذى وهو نصب عطف على السحر اى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين او على ما تتلوا اى واتبعوا ما أنزل على الملكين

لما كان للامر والنهى معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بنى آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما فى تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما أخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعليم منهما ويجرى للكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكان فى تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كان قد اديا ما أمرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقى من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما فى ذلك الزمان فالشقى من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بنى اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى (ببابل) قيل هى بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح واشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان * وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة فى زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم فى الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فلم يزالا كذلك ما شاء الله حتى افتتنا وقيل بل افتتنا فى أول يوم وذلك أنه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى فقعلا مثل ذلك فابت وقالت لا والله حتى تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر وقد أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جامعتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال هل لك ان تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لى على زوجى فقضيا ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لى صنما أعبده ان أنتما صليتما معى عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا

منكوسين فى جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الالسن بها

اسم الله الاكبر قالت فما أنتما بمدركى حتى تعلمانى اياه فقال احدهما اللا آخر علمها فقال انى ا
فقال الا آخر فاين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوك
بعضهم الى انها هى الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة ال
أقسم الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى فتنت هاروت وماروت كانت ا
الزهرة بجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بم
الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس ال
السلام وأخبراه بامرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبا
ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا
الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما
الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما لتعلم السحر فر
معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع
وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من
رجل من الناس فقالا من اى امة انت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد صلى
وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشارك فقالا انه نبى الساعة
انقضاء عذابنا

(فصل فى القول بعصمة الملائكة)

اجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من
حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء
الملائكة وانهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء مع أممهم ثم اختلفوا فى غير المرسلين من
فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى
على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين
على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على ومانقله أهل الاخبار والت
ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ
عن على بن ابى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى والربيع ومجاهد وأجاب من ذ
عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان مانقله المفسرون وأهل الاخبار فى ذلك لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على
والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذ
هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه
واتبعتهم فى ذلك اليهود فاخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا ايضا فى الجواب عن هذه القصة او
وجوها الاول ان فى القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونى
سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا
قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثانى أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك
الله تعالى لا يخير من أشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث ان
فجرت فكيف يعقل أنها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها فى
أقسم بالخنس الجوارى الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه

وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملكان احدا (حتى يقولا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (انما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر اى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا و يعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من الخبر اى فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) اى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين بان يحدث عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند أهل السنة كفرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه (وما هم بضارين به) بالسحر (من احد الا باذن الله) بعلمه ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) فى الآخرة وفيه دليل على انه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التى تجر الى الغواية (ولقد علموا) اى اليهود (لمن اشتراه) اى استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله (ما له فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به أنفسهم) باعوها وانما نفى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع اثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم لا يعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيبوا من عند الله خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان فى شئ من الثواب خيرا لهم وقيل لو بمعنى التمنى كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا حتى نحفظه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره

عزوجل الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا) يعنى وما يعلمان احدا حتى ينصحاه أولا و يقولا (انما نحن فتنة) اى ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) اى لا تتعلم السحر لتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع فى السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شئ أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعنى من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) اى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين بالتمويه والتخييل والنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا أن السحر له تأثير فى نفسه بدليل قوله (وما هم) يعنى السحرة (بضارين به) بالسحر (من أحد) اى احد (الا باذن الله) اى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) اى باعوا حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف أثبت الله لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم آخرا فى قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكانهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو أنهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) ما هم عليه من اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لمثوبة من عند الله) اى لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعنى هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك * قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب نزول هذه الآية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اى ارعنا سمعك وفرغ لكلامنا وكانت هذه كلمة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة اذا أرادوا أن يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعنى أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فالآن نسبه جهرا فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه فقطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا اى كى لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) اى انظر الينا وقيل

(واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية وأذهان خالية لا يحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) ولليهود الذين ٨٠ سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحى وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى أنهم يرون أنفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحى والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (ماننسخ من آية أو ننسها) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى اوهامنا استمراره بطريق التراخى فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منكروه اعنى اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق النسخ من توقيت أو تأبيد نصا أو دلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وقد النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالخ

معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) اى ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد الى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يخاطبوه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ أحسنها ومن المعانى ادقها وان سألوه يسألوه بتبجيل وتعظيم ويخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب أليم) اى مؤلم (مايود) اى مايحب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود (ولا المشركين) يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبد واغير الله (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) يعنى ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحى والنبوة كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان اليهود لما لقيهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا اما هذا الذى تدعونا اليه بخير مما نحن فيه فلو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى انه تعالى يخص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه (والله ذو الفضل العظيم) يعنى ان كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم لا استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه * قوله عز وجل (ماننسخ من آية أو ننسها) الآية وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه اليوم قولا ويرجع عنه غدا مايقول الا من تلقاء نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فانزل ماننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى ذلك وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل كنسخ الكتاب وهو أن ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى مثله فى كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ وأثبت فى واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

* (فصل فى حكم النسخ) *

هو فى اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه والنسخ جائز وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من فانكرت النسخ اجتمع الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل فى يوم السبت ولم يحرمه على قبلهم ومنها انه قد جاء فى التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من

جعلت كل دابة مأكولا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثانى المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا * (مسئلة) * قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لا ينسخ السنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد انه تعالى هو الآتى والمأتى به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعى رضى الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى أصول الفقه * ثم النسخ فى القرآن على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن ابى امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثانى ما رفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخارى نحوه * الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت آية اربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن وأما معنى الآية قوله ما ننسخ من آية اى نرفعها او نرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على البناء للمفعول وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم لا اقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة معناها نؤخرها فلا ننزلها او نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ما نسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننسأها اى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلا ننزلها (نأت بخير منها) اى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) اى فى المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان أسهل فى العمل كالذى كان

الزيادة على النص فانه نسخ عندنا خلافا للشافعى رحمه الله والانساء ان يذهب بحفظها عن القلوب أو ننساها مكى وأبو عمرو اى نؤخرها من نسأت اى اخرت (نأت بخير منها) اى نأت بآية خير منها للعباد اى بآية العمل بها اكثر للثواب (او مثلها) فى ذلك اذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض

(ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) اى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ او منسوخ (وما لكم من دون الله من ولى) يلى أمركم (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب (أم تريدون) ام منقطعة وتقديره بل اتريدون (أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) روى ان قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا ان يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا الها (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم) اى يردوكم (من بعد ايمانكم كفارا) حال من كم اى يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة احد ألم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له اى لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير

على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة وما نسخ الى الاشق كان أكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من أيام معدودات فكان ثوابه أكمل وأكثر أما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى الكعبة الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث أمره الله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) اى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامه وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأنفع لهم عاجلا وآجلا (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخطاب كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا النسخ وجحدوا نبوة محمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وهو يتصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعنى يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) اى مما سوى الله (من ولى) اى قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور (ولا نصير) اى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم يأمركم وينهاكم ويؤيدكم ويقويكم على اعدائكم * قوله عز وجل (أم تريدون أن تسئلوا رسولكم) نزلت فى ذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا أرنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة ففى الآية تحذير ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) اى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اى أخطأ الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين أعلمهم ان اليهود أهل غش وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به فى الظاهر وان من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل * قوله عز وجل (ود كثير من أهل الكتاب) نزلت الآية فى نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال انى عاهدت أن لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود أما هذا فنعم وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال أصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اى تمنى كثير من اهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردونكم) اى يا معشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) اى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) اى يحسدونكم حسدا وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لما روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا بحرام

لانه

من عند أنفسهم) يتعلق بودّ أى ودّوا من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) اى من بعد علمهم بانكم على الحق او بحسدا أى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتى الله باموه) بالقتال (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير) من حسنة صلاة اوصدقة اوغيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير فى

(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى)

لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله (من عند أنفسهم) اى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) اى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله باموه) اى بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو أمر الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير) اى من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل احد (ان الله بما تعملون بصير) اى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصى * قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد (او نصارى) وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله (تلك امانيهم) اى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) اى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من اسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص فى دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن اسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
واسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعته من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اى فى عمله لله (فله أجره عند ربه) اى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) اى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) اى على ما فاتهم من الدنيا * قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود

أمانيهم والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه لله لا يشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدا متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) اى على شئ يصح ويعتد به والواو فى

(وهم يتلون الكتاب) للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة وآمن به أن لا يكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذى سمعت به (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) اى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) اى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) موضع من الابتداء وهو استفهام واظلم خبره والمعنى أى احد أظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات ومامنع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن اى من أن يذكروان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكروهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه اومنع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع عن مسجد واحد وهو بيت المقدس اوالمسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق (وسعى فى خرابها) بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما أريد العموم بمساجد الله (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) اى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (الا خائفين) حال من الضمير فى يدخلوها اى على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم روى انه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا ان يقتل وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا بولغ ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار وقيل الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من ذكر الله تعالى وصلاته فيه فقد سعوا فى خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى

وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ من الدين وكفروا بالانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى تدين بصحته النصارى يحقق ما فى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصحتها اليهود تبشر بنبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين بما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل قال من قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى أنبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) اى يقضى (بينهم يوم القيامة) يعنى بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من أمر الدين * قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب فانزل الله ومن أظلم اى ومن اكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاربيه أن يذكر فيها اسمه يعبد ويصلى له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل ان بختنصر المجوسى من اهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لا يدخلها بعد عمارتها روى اونصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية للذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار وقيل الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من ذكر الله تعالى وصلاته فيه فقد سعوا فى خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى

ومتوليها (فاينما) شرط (تولوا) مجزوم به اى ففى اى مكان فعلتم التولية يعنى توليه وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب (فثم وجه الله) اى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام او فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة فى كل مكان (ان الله واسع عليم) اى هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على الشافعى رحمه الله فيما اذا استدبر وقيل فاينما تولوا للدعاء والذكر (وقالوا اتخذ الله ولدا) يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قالوا شامى فاثبات الواو باعتبار انه قصة معطوفة على ما قبلها وحذفه باعتبار انه استئناف قصة أخرى

قول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة الا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان ذلك خوفهم وثبت فى الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام قلت يجوز ان يجىء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين فان قلت فى القولين أرجح قلت رجح الطبرى القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس ودليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم ذكر ابن العربى فى أحكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة تجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال * قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفى رواية لمسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الآية وقيل انها نزلت فى تخيير النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحى ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب لكتفاء بهما عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فحيثما أمرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اى فهنالك قبلة الله التى وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله اى يريدون بالتوجه اليه شيئا (ان الله واسع) من السعة وهو الغنى اى يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) اى باعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شئ * (مسئلة تتعلق بالآية) * وهى ان المسافر اذا كان فى مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد فى طلبها بالنظر فى الدلائل ويصلى الى الجهة التى ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة اجتهاده قبلته وكذا الغريق فى البحر اذا بقى على اللوح فانه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال * قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت فى يهود المدينة

(سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) اى هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والملائكة الملك (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اى كل من في السموات والارض او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا اليهم وجاء لغير اولى العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا (بديع السموات والارض) اى مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق من فعل ما لم يسبق اليه يقال له ٨٦ ابدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لانه يأتي في دين الاسلام ما لم يأت به الصحابة والتابعون رضى الله عنهم (واذا قضى أمرا) اى حكم او قدر (فانما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف ٣ كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه اباء واكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فانى يتصور التوالد ثم والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف اى فهو يكون او على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه أمر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق بين ان يقال واذا قضى أمرا فانما يكونه فيكون وبين ان يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لانه لو كان أمرا فاما ان يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن او المعدوم والمعدوم لا يسمع (وقال الذين لا يعلمون) من المشركين او من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها

حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) اى تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لي ولد فانا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد (بل له ما في السموات والارض) يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه ما هو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير والولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعني ان أهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون اى مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في ذلك طريقين أحدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل للشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل بانها للشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك * قوله عز وجل (بديع السموات والارض) اى خالقهما ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشياء اى يحدثها مما لم يكن (واذا قضى أمرا) اى قدره وأراده وقيل اذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) اى اذا أحكم أمرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما أراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء وان لم تكن كانها كائنة لعلمه بها فجاز ان يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فانما يقول لاجل تكوينه وايجاده كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب * قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس هم كفار العرب الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب (لولا) اى هلا (يكلمنا الله) اى عيانا بانك رسوله (او تأتينا آية) اى دلالة وعلامة على ما

٣ قوله كما ان المأمور الخ عبارة الكشاف والخطيب كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الخ وهي

كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) اى
يتصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والا كتفاء بها عن غيرها (انا أرسلناك بالحق بشيرا) للمؤمنين
بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت

وبلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كنذيرا و بشيرا وبالحق اى وغير مسؤل او مستأنف قراءة نافع ولا تسئل على النهى ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن احوال الكفرة حين قال ليت شعرى ما فعل ابواى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قل ان هدى الله) الذى رضى لعباده (هو الهدى) اى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون الى اتباعه ما هو هدى انما هو هوى الا ترى الى قوله (ولئن اتبعت اهواءهم) اى اقوالهم التى هى اهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) اى من العلم

(كذلك قال الذين من قبلهم) اى كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعنى ان آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص أهل الايقان بالذكر لانهم أهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين * قوله عز وجل (انا أرسلناك بالحق) اى بالصدق قال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل أرسلناك بالحق (بشيرا) اى لاوليائى وأهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لاعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الاليم (ولا تسئل) قرئ بفتح التاء على النهى قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت هذه الآية والمعنى انا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به ولا تسئل عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفى والمعنى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فبلغ ما أرسلت به فانما عليك البلاغ واست مسؤلا عمن كفر (عن أصحاب الجحيم) اى عن اهل النار يقال لمن دخل النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار * قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسئلون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان أمهلهم اسلموا فانزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى أمر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون ان يصلى النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه أن يتابعهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيآن فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم دينهم وطريقتهم (قل) اى يا محمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى) اى الذى يسمى هدى (ولئن اتبعت) يا محمد (أهواءهم) يعنى اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك (بعد الذى جاءك من العلم) اى البيان بان دين الله هو الاسلام والقبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى) يعنى يلى أمرك ويقوم بك (ولا نصير) اى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت أهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى اياكم اخاطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا أنتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولى ولا نصير * قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحير الراهب وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه

حق تلاوته) اى يقرؤنه حق قراءته ويتبعونه حق اتباعه وقيل يعملون بما فيه من وعد ووعيد فيرجون الوعد ويخافون الوعيد وقيل يتلونه يتبعونه فى احلال حلاله وتحريم حرامه والعمل بمحكمه والايمان بمتشابهه وتفويض علمه الى الله تعالى (اولئك يؤمنون به) اى بالكتاب وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم (ومن يكفر به) اى بالكتاب وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم (فاولئك هم الخاسرون) * قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى بالهداية والتوفيق وقيل بالنعم الظاهرة من المن والسلوى وانفجار العيون وغير ذلك (وانى فضلتكم على العالمين) اى عالمى زمانكم وقيل على عالمى زمانهم بما خصهم به من الآيات العظام والمعجزات الباهرات (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) اى لا تقضى نفس عن نفس شيئا من الحقوق التى كانت عليها فى الدنيا (ولا يقبل منها شفاعة) اى فى الكافرة (ولا يؤخذ منها عدل) اى فداء (ولا هم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله * قوله عز وجل (واذ ابتلى ابراهيم ربه) اى اختبره وامتحنه والابتلاء من الله تعالى بمعنى الاختبار ليظهر للناس صبره وطاعته وقيل بمعنى التكليف (بكلمات) اى بخصال وقيل بأوامر ونواه وقيل بمناسك الحج وقيل بالطهارة خمس فى الرأس وهى قص الشارب والمضمضة والسواك وفرق الرأس والاستنجاء وخمس فى البدن وهى تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط والاغتسال يوم الجمعة وقيل بالكوكب والقمر والشمس والختان وقيل بالاسلام وقيل بالمناسك والختان وقيل بالاسلام وقيل بالمناسك والختان وقيل بالاسلام وقيل بالمناسك

(حق تلاوته) اى يقرؤنه حق قراءته فى الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر او يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا
مافيه من نعت النبى صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدا خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين ويجوز ان يكون يتلونه خبرا ثا
آخر (ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) اى
عليكم (وانى فضلتكم على العالمين) وتفضيلى اياكم على عالمى زمانكم (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) ٨٨ هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما اى واتقوا يوما لا تج

حق تلاوته) اى يقرؤنه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون مافيه من نعت رسول الله ص
عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه و
بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا فى
وحقائقه وأسراره (أولئك) يعنى الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) اى يصدقون به فان
الآية فى أهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد
الله عليه وسلم لان فى التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر
يجحد مافيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فاولئك هم الخاسرون) اى خسرو
حيث استبدلوا الكفر بالايمان * قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عل
أيادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى اياكم من ايدى عدوكم فى نعم كثيرة انعمت بها عليكم (وانى
على العالمين) اى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها فى أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما
نفس عن نفس شيأ) وفى هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بنى اسرائيل المبدلين كتابى المحرفين
عذاب يوم لا تجزى فيه نفس عن نفس شيأ (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) اى لا يقبل منها
ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود
ان آباءنا يشفعون لنا (ولا هم ينصرون) اى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم * قوله
(واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ابراهيم اسم أعجمى ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ
ابن ناخور بن شاروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام
مولد ابراهيم بالسوس من أرض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهى قرية من سواد الكوفة
بحران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهى أرض نمروذ الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله
الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه و
اولاده وأما العرب فى الجاهلية فانهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم بانهم من أولا
ساكنى حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امور
على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقيا
لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك
اليهود والنصارى ومشركى العرب فى وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وف
واصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه يشق على

أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى ومعناه فى قراءة ابى حنيفة رحمه الله فاعطاه وقبل
ماطلبه لم ينقص منه شيأ والكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم
ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى
الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من الشرائع عشر
التائبون الآية وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هى

ل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين احدهما تعرف حاله والوقوف على
هل من أمره والثانى ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس لبعلم أحوالهم والوقوف على مايجهل
لانه عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد
لهم من ظهور جودته ورداءته وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا فى تلك
لمات التى ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هى ثلاثون سهما هن شرائع الاسلام لم يبتل
حد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل
قبل ابراهيم فاما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ما أمروا به من الدين خصوصا نبينا محمد اصلى الله عليه
فقد اتى بجميع ما أمر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براءة فى قوله التائبون العابدون الآية وعشرة
رة الاحزاب فى قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سورة المؤمنين فى قوله قد افلح المؤمنون
هم فى صلاتهم خاشعون الآيات وهى مذكورة ايضا فى سورة سأل سائل وعن ابن عباس ايضا قال
ه الله بعشرة اشياء هن الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق
س وخمس فى الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن ابى
رة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفى رواية خمس من الفطرة الختان
حداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
لم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل
جم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن
ن المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل
يقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا
لناسنة واتفقت العلماء على انها من الملة وأما معانيها فقد قيل اما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة
جم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة
السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الاظفار
مال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهى العقد التى فى
ر الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع
وسخ فى الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع
ن البول واختلف العلماء فى وجوبه فذهب الشافعى الى ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة
اح ذلك الا فى الواجب وذهب غيره الى انه سنة وأول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم
خفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى انه اسم للآلة التى يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن
ن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول
س قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ماهذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال
يا زدنى وقارا أخرجه مالك فى الموطأ وقيل فى الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء
وكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل
ه اختبر ابراهيم بكلمات أوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اى أداهن حق التأدية وقام بوجوبهن
لقيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيأ واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل
رة او بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله فى سياق الآية انى جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم

(قال انى جاعلك للناس اماما) هو اسم من يؤتم به اى يأتمون بك فى دينهم (قال ومن ذريتى) اى واجعل من ذريتى اماما يقتدى به
الرجل اولاده ذكورهم وانا ثهم فيه سواء فعيلة من الذرء اى الخلق فابدلت الهمزة ياء (قال لا ينال عهدى الظالمين) بسكون الياء
وحفص اى لا تصيب الامامة ٩٠ اهل الظلم من ولدك اى اهل الكفر أخبر ان امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من ا

المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق ليس بأهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل ان يكون ولده نبيا كما كان هو فاخبر ان الظالم لا يكون نبيا (واذ جعلنا البيت) اى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وامنا) وموضع امن فان الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا فى الملتجئ الى الحرم (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه

على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحى الالهى وقد
بعد النبوة والصواب انه فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر
وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) اى يقتد
بك فى الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذى يؤتم به (قال ومن ذريتى) اى قال ابراهيم واجعل
من ذريتى وأولادى أئمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) اى لا يصيب (عهدى) اى نبوتى وقيل الامامة
(الظالمين) يعنى من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك
وولدك * قوله عز وجل (واذ جعلنا البيت) يعنى البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم
الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) اى مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع
والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وأمنا) اى موضع اذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين
فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات
والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة
نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها
يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا
لاحد أن ينصب القتال والحرب فى الحرم وانما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
ولا يحل لاحد بعده (قوله لا يعضد شوكه) اى لا يقطع شوك الحرم وأراد به ما لا يؤذى منه أما ما يؤذى
منه كالعوسج فلا بأس بقطعه (قوله ولا ينفر صيده) اى لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج (قوله
يلتقط لقطته الا من عرفها) اى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة فى جميع الارض لا
الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة
يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة (قوله ولا يختلى خلاه) الخلى مقصور الرطب
من النبات الذى يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله
(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج
عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك
هو الذى قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرس
بكثرة المسح بالايدى وقيل انما امروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك
قال عمر وافقت ربى فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال
ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها
اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ
أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته
أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ فقالت

عنه عليه السلام انه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم أومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واتخذوا
ونافع بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون

ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق
ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه
وقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى اوقال
يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت
سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت
على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت يا من قد اسمعت ان كان
عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه اوقال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه
وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبى
صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم اوقال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا
قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان
الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم اواهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل
مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا او
جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا ان نتزل عندك
قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم
اسمعيل وهى تحب الانس فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وآنسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء
ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية
ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا
جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيأ فقال هل جاءكم
من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا فى جهد وشدة
فقال هل اوصاك بشئ قالت نعم امرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك ابى وقد
امرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم اتاهم
بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم
فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الماء
قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا
لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفى رواية فجاء فقال اين اسمعيل فقالت امرأته قد
ذهب يصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم
وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء
زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من احد قالت نعم
اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألنى عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك
بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك فقال ذاك ابى وأنت العتبة امرنى ان

امسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما
قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرنى بامر قال فاسمع ما امرك ربك
قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرنى ان أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند
ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا
الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا
انك أنت السميع العليم وفى رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر
فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم
انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه
الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه * عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة
طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال هذا حديث
عن ابن عمر موقوفا واختلفوا فى قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة
التى هى الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة أمروا بالصلاة اليه
وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود
ولان مصلى الرجل هو الموضع الذى يصلى فيه (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) اى امرناهما والزمناهما
وأوجبنا عليهما قيل انما سمى اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا و يقول فى دعائه
يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن طهرا بيتى) يعنى الكعبة أضافه اليه
تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اى ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس
وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعنى الدائرين حوله (والعاكفين) يعنى
المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين هم
الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعنى أهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل
والصلاة لاهل مكة بمكة افضل * قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) اشارة الى
وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) اى ذا أمن يأمن فيه أهله وانما دعا ابراهيم له بالامن لانه بلد ليس
زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شئ من النواحى فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاءه
وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان
قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا اخراب الكعبة وانما
قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فى
وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى أهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام
حرمت بدعوته على قولين أحدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان
حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع
عند بيتك المحرم فهذا يقتضى ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثانى انها انما حرمت
بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وهذا يقتضى ان
كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين
وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله حرمها
يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وانما

(وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) امرناهما (أن طهرا بيتى) بفتح الياء مدنى وحفص اى بأن طهرا او أى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والخبائث والانجاس كلها (للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون او المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع اليهم من البلاد والعاكفين والمقيمين من اهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمعا راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) اى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كعيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول اول و بلدا مفعول ثان وآمنا صفة له

تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى لابراهيم واسكن بها أهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم (وارزق أهله من الثمرات) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعنى أرزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة فى ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدى الظالمين صار ذلك تأديبا له فى المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه ان الرزق فى الدنيا يستوى فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتعه) اى سأرزق الكافر ايضا (قليلا) اى فى الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم أضطره الى عذاب النار) اى ألجئه واكرهه وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه (وبئس المصير) اى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء وأصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الارض بالفى عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرذ أخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له برحج يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح هجوج لها رأسان تشبه الحية والهجوج من الرياح هى الشديدة السريعة الهبوب وقيل هى المتلوية فى هبوبها وأمر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سحابة وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى فى ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودى منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهى اس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتنى باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا أحسن

(وارزق أهله من الثمرات) لانه لم يكن لهم ثمرة ثم ابدل (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من اهله بدل البعض من الكل اى وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) اى وارزق من كفر (فامتعه قليلا) تمتيعا قليلا او زمانا قليلا الى حين أجله فامتعه شامى (ثم اضطره) الجئه (الى عذاب النار وبئس المصير) المرجع الذى يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (واذ يرفع) حكاية حال ماضية (ابراهيم القواعد) هى جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (من البيت) بيت الله وهو الكعبة (واسمعيل) هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة

منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم
مكانه وقيل ان الله تعالى أمدّ ابراهيم واسمعيل بسبعة أملاك يعينونهما فى بناء البيت فلما
بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفى الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اى ما عملنا لك وتقبل
اياك وعبادتنا لك (انك أنت السميع) اى لدعائنا (العليم) يعنى بنياتنا * قوله عز وجل (ربنا و
مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما أن يكون المراد منه
والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت
وجهان أحدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى فى المـ
وذلك لا ينافى حصوله فى الحال الوجه الثانى يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فـ
طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافى حصوله فى الحال (ومن ذريتنا) اى من أولادنا (أ
جماعة (مسلمة) أى خاضعة منقادة (لك) وانما أدخل من التى هى للتبعيض لان الله تعالى أعلمهما
لا ينال عهدى الظالمين ان فى ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء فان قلت لم خص ذر
بالدعاء قلت لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا ولان أولاد الا
صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يشـ
لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسو
(وأرنا) اى علمنا وبصرنا (مناسكنا) اى شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا و
الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث
فاراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك
عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) اى تجاوز عنا (انك أنت التواب) اى المتجاوز عن عباده (ا
بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لا تطلب من الله الا
تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد فى
ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير فى بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل
هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما أعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سأ
التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون
الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك
احرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما فى ذلك
لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى * قوله عز
(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث فى الامة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن
عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسو
يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره وأجمع المفـ
على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو
ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم و
البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب
النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم باول امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى
حين وضعتنى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل فى طينته معناه انه مطـ
على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسو

(ربنا) اى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين
(تقبل منا) تقربنا اليك ببناء هذا البيت (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا وفى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشأن المبين (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض او للتبيين وقيل أراد بالامة أمة محمد عليه السلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم اولى بالشفقة كقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وأرنا مناسكنا) منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج او عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكى قاسه على فخذ فى فخذ وابو عمرو يشم الكسرة (وتب علينا) ما فرط منا من التقصير او استتابا لذريتهما (انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) فى الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام أنا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى

فاستجاب

فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم واراد بشارة عيسى عليه السلام قوله فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (يتلوا عليهم) اى يقرأ عليهم (آياتك) يعنى ماتوحيه اليه وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم مافى القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره (والحكمة) اى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هى العلم باحكام الله تعالى التى لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم مافى القرآن من الاحكام والحكمة وهى مافيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) اى ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية اى يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله الايدى وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم أرض عزاز اى صلبة قوية (الحكيم) اى العالم الذى لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام * قوله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه الى الاسلام مهاجر وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشئ اذا أراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف أعرف نفسى وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) اى اخترناه (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى الفائزين وقيل مع الانبياء فى الجنة

الصالحين) بيان لخطا راى من يرغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن احد أولى بالرغبة فى طريقته منه

(القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس (انك انت العزيز) الغالب الذى لا يغلب (الحكيم) فيما أوليت (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استفهام بمعنى الجحد وانكار ان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (الا من) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد والمعنى ومايرغب عن ملة ابراهيم الا من (سفه نفسه) اى جهل نفسه اى لم يفكر فى نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدى كما عدى اومعناه سفه فى نفسه فحذف فى كما حذف من فى قوله واختار موسى قومه اى من قومه وعلى فى قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن

(اذ قال) ظرف لاصطفيناه وانتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن
(له ربه اسلم) اذعن واطع واخلص دينك لله (قال اسلمت لرب العالمين) اى اخلصت وانقدت (ووصى) واوصى مدنى وشامى
بالهاء او بالكلمة وهى اسلمت لرب ٩٦ العالمين (ابراهيم بنيه ويعقوب) هو معطوف على ابراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى
يعقوب بنيه أيضا (يا بنى) على اضمار القول (ان الله اصطفى لكم الدين) اى اعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) فليكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى او متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبى الا على اليهودية كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (اذ قال) بدل من اذ الاولى (قالوا) والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لبنيه ما تعبدون) ما استفهام فى محل النصب بتعبدون اى اى شئ تعبدون وما عام فى كل سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد فقيه ام طبيب (من بعدى) من بعد موتى

(اذ قال له ربه اسلم) اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكوكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال أسلم (قال اسلمت لرب العالمين) اى قال ابراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سلمة وقيل الايمان من صفات القلوب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه معناه أسلم نفسك الى الله تعالى وفوض أمرك اليه قال اسلمت اى فوضت أمرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين ألقى فى النار * قوله عز وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الحنيفية وكان له ثمانية اولاد اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشيزن وأمهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه وانما يقال أمرهم قلت لان لفظ الوصية أوكد من لفظ الأمر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خصهم بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) اى ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب والعيص كانا توأمين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن أمه وخرج على أثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد وآشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب بنيه فقال (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) اى اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لانه لا يعلم فى اى وقت الموت على الانسان وقيل فى معنى وأنتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بربه أخرجاه فى الصحيحين * قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود وذلك لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فانى ما ابتعثت خليلى ابراهيم وولده وأولادهم الا بدين الاسلام ووصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعنى يعقوب (لبنيه) لاولاده الاثنى عشر (ما تعبدون) اى اى شئ تعبدون (من بعدى) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى خيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال حتى أسأل ولدى وأوصيهم فامهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلى ما تعبدون من

قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان أكبر من اسحق وأدخله فى
لة الآباء وان كان عما لهم لان العرب تسمى العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل
بنو أبيه وقال فى عمه العباس ردوا على أبى (الها واحدا ونحن له مسلمون) اى مخلصون العبودية (تلك)
ارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (أمة قد خلت) اى مضت
بيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من أولادهم ولا
ولوا عليهم ماليس فيهم (لها ما كسبت) يعنى من العمل (ولكم) يعنى يامعشر اليهود والنصارى
ما كسبتم) اى من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل
ره * قوله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت فى رؤساء اليهود كعب
الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبى ياسر بن اخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب
صحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم انه أحق بدين الله فقالت اليهود
نا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل
مد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا
ك فانزل الله عز وجل (قل) يعنى يا محمد (بل ملة ابراهيم) يعنى اذا كان لابد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم
ه مجمع على فضله (حنيفا) اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم قال ابن عباس الحنيف
ائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

عرب تسمى كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة
اسك مسلما يعنى ان الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين)
ى ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم
منين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعنى قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى
ين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا آمنا بالله اى صدقنا بالله (وما أنزل الينا) يعنى القرآن (وما
ل الى ابراهيم) يعنى وآمنا بما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب
سباط) وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو
افد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل
عرب من بنى اسمعيل وكان فى الاسباط انبياء (وما أوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل
ما أوتى النبيون من ربهم) والمعنى آمنا أيضا بالتوراة والانجيل والكتب التى أوتى جميع النبيين
دقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ماذكر الله من أنبيائه كانوا
هدى وحق (لا نفرق بين أحد منهم) اى لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود
عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله

الوا نعبد الهك واله آبائك) اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان
آبائك وجعل اسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لان العم اب قال عليه السلام فى العباس هذا بقية آبائى (الها واحدا) بدل من اله
ئك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص اى تريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد
جملة معطوفة على نعبد او جملة اعتراضية مؤكدة (تلك) اشار الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما
الموحدون (أمة قد خلت) مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) اى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وقالوا كونوا هودا او نصارى) اى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لانه جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) بل نتبع ملة ابراهيم (حنيفا) حال من المضاف اليه نحو رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق (وما كان من المشركين) تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) هذا خطاب للمؤمنين او للكافرين اى قولوا
لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل (آمنا بالله وما أنزل الينا) اى القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل
حق ويعقوب والاسباط) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى
الاثنى عشر ويعدى انزل بالى وعلى فلذا ورد هنا بالى وفى آل عمران بعلى (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم
رق بين احد منهم) اى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه

(خازن) ل

(ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لانه يوجب ان يكون لله تعالى
وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز
وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية
و جزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة اى فان آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بما آمنتم به وما يعني
بدليل قراءة أبي بالذى آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم اى فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آ
(وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا او ان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فانما هم في شقاق) اى في خلاف
وعداوة وليسوا من طلب الحق ٩٨ في شئ (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله عليهم وقد انجز وعده بقتل

واجلاء بعضهم ومعنى
السين ان ذلك كائن لا محالة
وان تأخر الى حين (وهو
السميع) لما ينطقون به
(العليم) بما يضمرون
من الحسد والغل وهو
معاقبهم عليه فهو وعيد
لهم او وعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اى
يسمع ما تدعو به و يعلم
نيتك وما تريده من
اظهار دين الحق وهو
مستجيب لك وموصلك
الى مرادك (صبغة الله)
دين الله وهو مصدر مؤكد
منتصب عن قوله آمنا
بالله وهى فعلة من صبغ
كالجلسة من جلس وهى
الحالة التي يقع عليها
الصبغ والمعنى تطهير الله
لان الايمان يطهر النفوس
والاصل فيه ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه

عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل تؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (و
مسلمون) اى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن ابى هريرة
اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله
عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية * قوله عز
(فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) اى بما آمنتم به ومثل صلة فهو
ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ وقيل فان أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد
والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال
دين آخر يساوى هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على
والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (و
اى اعرضوا (فانما هم في شقاق) اى في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلا
من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما
على ما يشق على صاحبه و يؤذيه (فسيكفيكهم الله) اى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى
ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ أنجزه وهو اخبار
ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير
الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به
جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه * قوله عز و جل (صبغة الله
ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على
وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان لانه يصبغ الختنين بالدم قال ابن عباس ان النص
ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به
به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله أن دينه الاسلام لا
النصارى (ومن أحسن من الله صبغة) اى دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر
عابدون) اى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم
باتباعهم (اتحاجوننا في الله) اى أتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذى أمرنا أن نتدين به والمحاجة

المعمودية و يقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون لاظهار
بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم و جيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس
اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام (ومن احسن من الله صبغة) تمييز اى لا صبغة احسن من صبغته ير
او التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا آمنا اى
وهذا ونحن له عابدون و يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء يعنى عليكم صبغة الله لما في
النظم واخراج الكلام عن التئامه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام (قل أتحا
في الله) اى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل علينا وترونكم أحق

وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان العمل هو اساس الامر وكما ان لكم اعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) اى نحن له موحدون نخلصه بالايمان وانتم به تشركون والمخلص احرى بالكرامة واولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالتاء شامى وكوفى غير ابى بكر وام على هذا معادلة للهمزة فى تحاجوننا يعنى اى الامرين تأتون المحاجة فى حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء او منقطعة اى بل أيقولون غيرهم انبياء وعلى هذا لا تكون الهمزة الا منقطعة (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى)

اظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا أقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فرد الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا فى الله (وهو ربنا وربكم) اى ونحن وأنتم فى الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان لكل احد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) اى مخلصو الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون والاخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف * قوله عز وجل (أم تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) يعنى أتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على ملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (أأنتم أعلم) يعنى بدينهم (أم الله) اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه كانوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعنى أخفى (شهادة عنده من الله) وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا أحق بنعته وصفته وجد واذلك فى كتبهم فكتموه وجحدوه والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها وأخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمانكم الحق فيما ألزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان دينهم هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم (تلك أمة قد خلت) يعنى ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) اى جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) اى جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى ان كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء فيهم اى لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بآبائهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) اى الجهال من الناس والسفه خفة فى العقل لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك فى باب الدين اعظم لان العادل عن الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ويمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية فى اليهود وذلك انهم لما فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت فى مشركى مكة انهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم نزلت فى المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه

ثم أمر نبيه عليه السلام ان يقول مستفهما رادا عليهم بقوله (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) اى كتم شهادة الله التى عنده انه شهد بها وهى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والمعنى ان أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها او انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا تكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له فى انها صفة لها (وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة

خلت قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كررت للتأكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم وبالثانى اسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الاحلام فاصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ او المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء او المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع ليرجعن الى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذا فاجأه المكروه أشد واعداد الجواب قبل الحاجة اليه

فيهم فقيل الرمى يراش السهم

(ماولاهم) ماصرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التى يستقبلها الانسان فى الصلاة لان المصلى
(قل لله المشرق والمغرب) اى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له (يهدى من يشاء) من اهلها (الى صراط مستقيم) طريق مستقيم
يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهى الكعبة التى أمرنا بالتوجه اليها اوالاماكن كلها لله فيأمر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الشام
وطورا الى البيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالك وحده (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف
وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب (امة
خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف ١٠٠ يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية اى كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلت

جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة فى التخصيص
الاعداء يبالغون فى الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا او مجالا جالوا (ماولاهم) يعنى اى شئ
(عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت
لان المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله
والمغرب) يعنى ان له قطرى المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شئ أن يكون لذاته قبلة
الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وله
(يهدى من يشاء) يعنى من عباده (الى صراط مستقيم) يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابراهيم
السلام * قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه ما
وفيه وجوه أحدها انه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا و
جعلناكم أمة وسطا الثانى انه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك ه
وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلنا
وسطا يعنى عدولا خيارا وخير الامور أوسطها قال زهير

هموا وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى اللمالى بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى امر الدين لا كغلوك
فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية ان رؤسا
قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمدا انا أعدل الناس
معاذا نا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عل
قال ألا وان هذه الامة توفى سبعين أمة هى آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى وقوله
(لتكونوا شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقبل
محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعنى محمد
عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعنى عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى
واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء
فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى
محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما
فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت

الامم او عدولا لان
الوسط عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها اقرب
من بعض اى كما جعلنا
قبلتكم متوسطة بين
المشرق والمغرب جعلناكم
امة وسطا بين الغلو
والتقصير فانكم لم تغلوا
غلو النصارى حيث وصفوا
المسيح بالالوهية ولم تقصروا
تقصير اليهود حيث وصفوا
مريم بالزنا وعيسى بانه ولد
الزنا (لتكونوا شهداء)
غير منصرف لمكان الف
التأنيث (على الناس)
صلة شهداء (ويكون
الرسول عليكم شهيدا)
عطف على لتكونوا وروى
ان الامم يوم القيامة
يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالب الله الانبياء بالبينة
على انهم قد بلغوا وهو
أعلم فيؤتى بامة محمد عليه
السلام فيشهدون فيقول
الامم من أين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله تعالى

فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيما
فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع فى الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب
بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة
الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا أنه يعلم بعدالتكم واستدل الشيخ ابو منصور رحمه الله بالآية على ان الاجماع حجة
تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجمعوا على شئ وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلة
أولا وقدمت آخرا لان المراد فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم

(وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) اى وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتي كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) اى وما جعلنا القبلة التي تحب ان نستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على

فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اى رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا عدولا * قوله عز وجل (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) اى وما جعلناك صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلي وحزبي وأوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن أمره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا أنتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده الخاطبين وقيل معناه لنعلمنا لانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول اى يطيعه في أمر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) اى يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) اى وقد كانت (لكبيرة) يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل لتأنيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعني الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعني صلاتكم الى بيت المقدس وذلك أن حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله

ينكص على عقبيه لقلقلته يرجع فيرتد عن الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم اى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل بكل ما أراد وجوده انه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلي فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لان العلم به يقع التميز اولنعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة

الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فليلقه في النار لنعلم اينوب (وان كانت) اى التحويلة او الجعلة او القبلة وان هي المخففة واللام في (لكبيرة) اى ثقيلة شاقة وهي خبر كان فارقة (الا على الذين هدى الله) اى هداهم الله فحذف العائد اى الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اى صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على أهل الايمان وقبولها من أهل الايمان وأداؤها في الجماعة دليل الايمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال

(ان الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا

ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى لا يضيع اجر
والرأفة أخص من الرحمة وأرق وقيل الرأفة أشد من الرحمة وقيل فى الفرق بين
والرحمة ان الرأفة مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرر وأما الرحمة فانها اسم جامع يد
ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا يعنى انه لا يضيع أعمالهم
الرحمة ثانيا لانها أعم وأشمل * قوله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) سبب نزول هذه
ان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب أن
بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود
صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته فى التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة
سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك
أجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
لوحولنى الله الى الكعبة فانها قبلة أبى ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك
كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى
وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى
وجهك فى السماء يعنى تردد وجهك وتصرف نظرك فى السماء اى الى جهة السماء وهذه الآ
كانت متأخرة فى التلاوة فهى متقدمة فى المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الش
القبلة (فلنولينك) اى فلنجعلنك ولنصرفنك (قبلة) اى ولنصرفنك عن بيت المقدس
(ترضاها) اى تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة
عن ابن عباس قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خ
ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعنى ان أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا
بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهى قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه
كان أول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة
او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة
وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد
صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد
ذلك انه يصلى قبل بيت المقدس وهى قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك
فى حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى
الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء فى وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان فى يوم الاثنين بعد
للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل
الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسو
صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة نحو
الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين وو
الى أهل قباء فى صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت
النبى صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجو
الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى (وحيثما كنتم) اى من بر او بحر مشرق او مغرب
وجوهكم شطره) اى نحو البيت وتلقاءه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بين

أجورهم والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما فى الرحمن الرحيم (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك ولته كذا اذا جعلته والياً له أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى نحوه وشطر نصب على الظرف اى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اى فى جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائى وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين روى انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة (وحيثما كنتم) من الارض وأردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره

والمغرب

ان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق) اى التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ه يصلى الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) بالياء مكى وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين
العقاب على الجحود والاباء والثانى وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب) أراد ذوى العناد منهم
بكل آية) برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) لان تركهم ١٠٣ اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد

والمغرب قبلة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء فى أقصر يوم
من السنة وبالمغرب مغرب الصيف فى أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف فى هذا الوقت عن
يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا فى حق أهل المشرق لان المشرق الشتوى
جنوبى متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفى شمالى متباعد عن خط الاستواء والذى
بينهما فقوسها مكة والفرض لمن بمكة فى القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف
ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا
شئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره فانزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى
(ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعنى أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله
بغافل عما يعملون) يعنى وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فانا أجازيهم عليه فى الدنيا والآخرة وقرئ
يعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتى وما أنا بغافل عن ثوابكم
وجزائكم فانا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء * قوله عز وجل (ولئن
أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (بكل آية) اى بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان
وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية على ما تقول فانزل الله تعالى هذه الآية (ما تبعوا قبلتك) يعنى الكعبة (وما
أنت بتابع قبلتهم) يعنى ان اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يا محمد تصلى الى
الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التى امرت
بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة
اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت اهواءهم) يعنى مرادهم ورضاهم لو
رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) اى فى أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم
بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعنى انك ان فعلت ذلك كنت
بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم
لا يتبع اهواءهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه * قوله عز وجل
(الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واصحابه (يعرفونه) اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذى يجدونه
عندهم (كما يعرفون أبناءهم) اى لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء
غيرهم روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد
عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف
ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا أدرى ما تصنع النساء فقبل عمر رأس

الحجة انما هو عن مكابرة
وعناد مع علمهم بما فى
كتبهم من نعتك انك على
الحق وجواب القسم
المحذوف سد مسد جواب
الشرط (وما أنت بتابع
قبلتهم) حسم لاطماعهم
اذ كانوا اضطربوا فى ذلك
وقالوا لو ثبت على قبلتنا
لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذى ننتظره
وطمعوا فى رجوعه الى
قبلتهم ووحدت القبلة وان
كان لهم قبلتان فلليهود قبلة
وللنصارى قبلة لاتحادهم
فى البطلان (وما بعضهم
بتابع قبلة بعض) يعنى
انهم مع اتفاقهم على
مخالفتك مختلفون فى شأن
القبلة لا يرجى اتفاقهم
كما لا ترجى موافقتهم لك
فاليهود تستقبل بيت
المقدس والنصارى مطلع
الشمس (ولئن اتبعت
أهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم) اى من بعد
وضوح البرهان والاحاطة
بان القبلة هى الكعبة وان
دين الله هو الاسلام (انك
اذا لمن الظالمين) لمن

لمرتكبين الظلم الفاحش وفى ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل
الخطاب فى الظاهر للنبى عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار (الذين آتيناهم الكتاب) صفة للظالمين
وهو مبتدأ والخبر (يعرفونه) اى محمدا عليه السلام او القرآن او تحويل القبلة والاول اظهر لقوله (كما يعرفون ابناءهم) قال عبد الله بن
سلام انا أعلم به منى بابنى فقال له عمر ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه

(وان فريقا منهم) اى الذين لم يسلموا (ليكتمون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون) ان الله تعالى بينه فى كتابهم (الحق) مبتدا خ
(من ربك) واللام للجنس اى الحق من الله لا من غيره يعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه وما لم يثبت انه من الله كا
عليه اهل الكتاب فهو الباطل اوللعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او خبر مبتدا محذوف اى هو الح
ومن ربك خبر بعد خبر او حال (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى انه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) هو
وقرئ بها والضمير فى (هو) لكل ١٠٤ وفى (موليها) للوجهة اى هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او هو لله تعالى اى

موليها اياه هو مولاها شامى اى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) فاستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره (أينما تكونوا) أنتم واعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل اوولكل منكم يا أمة محمد وجهة جهة يصلى اليها جنوبية اوشمالية اوشرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهة المساوية للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا و يجمعكم ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (ان الله على كل شئ قدير) ومن حيث خرجت) ومن اى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) و بالياء ابو عمرو قريش

عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير فى يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى ان
اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التى صرفتك اليها هى قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون
ابناءهم لا يشكون فى ذلك (وان فريقا منهم) اى من علماء اهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعنى صفة
صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعنى ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة
صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) اى الذى يكتم
هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين) اى من الشاكين فى ان الذين تقدم ذكرهم علموا
نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى ان بعضهم عاندوا كتم الحق فلا تشكن فى ذلك فان قلت النبى
الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهى قلت هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه
ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عز وجل (ولكل وج
اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة فى التوجه الى القبلة
فى قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين اى ولكل اهل جهة من الآفاق وجهة من الس
يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع س
للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) اى مستقبلها والله
لكل اهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها اى مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله
والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها اى مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) اى بادروا بالطاعات
الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشاف
ان الصلاة فى أول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوج
فلا أقل من الندب (أينما تكونوا) يعنى انتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعنى يوم القيامة فيج
لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) اى على الاعادة بعد
والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة * قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك
المسجد الحرام) اى من اى موضع خرجت فى سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام
(وانه) يعنى التوجه اليه (للحق من ربك) اى الحق الذى لا شك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل
تعملون) اى ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل فى هذا التكرار
فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى ان هذه الواقعة اول الوقائع التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا
الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لتغ
جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم و

(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه نمط بكل واحد مما ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لئلا يكون
عليكم حجة) اى قد عرفكم الله جل ذكره امر الاحتجاج فى القبلة بما قدبين فى قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس
حجة فى خلاف ما فى التوراة من تحويل القبلة واطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة

الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس اى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة
يلا الى دين قومه وحب البلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام او معناه لئلا يكون للعرب عليكم

يش واليهود فاما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى
نا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه
ى هذا يكون الاستثناء فى قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو
يش واليهود فانهم يحاجونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه
غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم
ل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب بغة

لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل فى معنى الآية ان اليهود عرفوا أن الكعبة قبلة ابراهيم
جدوا فى التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذى نجده فى كتابنا
حول الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) اى الا أن
لوا فيكتموا ما عرفوا من الحق (فلا تخافوهم) اى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم
كم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشونى) اى احذروا عقابى
انتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم (ولأتم نعمتى عليكم) اى ولكى أتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم
قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله
ى (ولعلكم تهتدون) اى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب * قوله عز وجل (كما
لنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولأتم نعمتى عليكم
رسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ينا أمة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية
يجعل فى ذريته أمة مسلمة والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان أهديكم
نه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها
وقوله فاذكرونى أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر
ية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى أمر
لة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة
عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان
الرسول منهم وفيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب (رسولا
كم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة
ة على الدهر (ويزكيكم) اى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم
كيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى احكام الكتاب وهو القرآن
ل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم مالم
ونوا تعلمون) يعنى يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن
وادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل
كر يكون باللسان وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو أن يتفكر
عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو أن تكون مستغرقة فى

حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسمعيل ابى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بداله فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم ثم استأنف منبها بقوله (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشونى) فلا تخالفوا امرى (ولأتم نعمتى عليكم) اى عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى الكعبة (ولعلكم تهتدون) ولكى تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف فى (كما ارسلنا فيكم) اما ان يتعلق بما قبله اى ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الاول لا (رسولا منكم) من العرب (يتلوا عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب) القرآن

(والحكمة) السنة والفقه (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مالا سبيل الى معرفته الا بالوحى (فاذكرونى) بالمعذرة (أذكركم)

الاعمال التى أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (أذكركم) اى بالثواب
عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في
والبلاء وقال أهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذ
بالاخلاص أذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعاء
بالعطاء (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في
منه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي
هرولة (قوله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي) قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة
وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح (قوله وانا
ذكرني) يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الخ
اللغة لهما معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان
خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد (قوله وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه)
اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على
الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم (قوله وان تقرب
تقربت اليه ذراعا الخ) وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التأويل فيه
يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله
القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه وألطافه وبره
واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وا
يمشي في طاعتي أتيته هرولة اى صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفت
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذ
كمثل الحي والميت (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق ال
قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب الغر
كانوا فيه ويقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشك
يعني بالطاعة (ولا تكفرون) اى بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره * قوله
(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادا
الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادا
الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به وم
حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلانها تجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل
والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في موا
تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) اى بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحرث
المطلب وعمير بن ابي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقا
الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن
من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحرث

بالمغفرة او بالثناء والعطاء
او بالسؤال والنوال او
بالتوبة وعفو الحوبة او
بالاخلاص والخلاص
او بالمناجاة والنجاة
(واشكروا لي) ما انعمت
به عليكم (ولا تكفرون)
ولا تجحدوا نعمائي (يا أيها
الذين آمنوا استعينوا
بالصبر) فيه تنال كل
فضيلة (والصلوة) فانها
تنهى عن كل رذيلة (ان
الله مع الصابرين) بالنصر
والمعونة (ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله) نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر رجلا (اموات)
اى هم اموات

ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهى أمهما كان الناس يقولون لمن قتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم ظلما لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبران من قتل فى سبيل الله فانه حى بقوله تعالى (بل أحياء) وانما أحياهم الله عز وجل فى الوقت لايصال الثواب اليهم * وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم فى قبورهم فى البرزخ وكذا العصاة يعذبون فى قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهى فى قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما وردان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب آخر وهو انهم أحياء عند الله تعالى فى عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) اى لا ترونهم احياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخبارى اياكم به فان قلت ألبس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة فى قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل فى سبيل الله قدمات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم فى نعيم دائم * قوله عز وجل (ولنبلونكم) اى ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصى لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها (بشئ) انما قال بشئ ولم يقل باشياء لئلا يوهم ان أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقى فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الخوف وبشئ من الجوع وقيل معناه بشئ قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعنى خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم فى القلب (والجوع) يعنى القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعنى بالهلاك والخسران (والانفس) اى ونقص من الانفس بالموت او القتل (والثمرات) يعنى الجوائح فى الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة فى الاشجار وحكى عن الشافعى رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنى اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والثمرات يعنى موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا احمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة فى تقديم تعريف هذا الابتلاء فى قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشئ وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما أظهروا الايمان طمعا فى المال

لان حياة الشهيد لا يعلم حسا عن الحسن رضى الله عنه ان الشهداء أحياء عند الله تعرض ارزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ما انتم عليه من الطاعة أم لا (بشئ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقال ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وأن جل فوقه ما يقل اليه ويريهم ان رحمته معهم فى كل حال وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) اى القحط او صوم شهر رمضان (ونقص من الاموال) بموت المواشى او الزكاة وهو عطف على شئ او على الخوف اى وشئ من نقص الاموال (والانفس) بالقتل والموت او بالمرض والشيب (والثمرات)

ثمرات الحرث او موت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد

وسعة الرزق من الغنائم فلما اخبر الله انه مبتلى عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق الكاذب ومنها ان الانسان فى حال الابتلاء أشد اخلاصا لله منه فى حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دا التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (و بشر الصابرين) عند نزول البلاء والمعنى و بشر يا محمد الصابرين على امتحانى بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين اذا اصابتهم مصيبة) اى نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) اى عبيدا وملكا (وانا اليه راجعون) يعنى فى الآخرة (م) عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطى احدا ما أعطيت هذه الامة يعنى الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها احد لاعطيها يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا أسفا على يوسف وقيل فى قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس اى مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أوفى اى اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتأكيد اى عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

(فصل) فى ذكر أحاديث وردت فى ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعنى يبتليه بالمصائب حتى يأجره على (ق) عن ابى سعيد وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء والمنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف فى العراق بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة فى الارض *عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه حتى يوافى يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض وله عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة *عن سعد بن أبى وقاص قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء

عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولكل من يتأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده بيان للصابرين (اذا أصابتهم مصيبة) مكروه اسم فاعل من اصابته شدة اى لحقته ولا وقف على مصيبة لان (قالوا) جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين (انا لله) اقرار له بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على نفوسنا بالهلك (أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها و بين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون)

لطريق الصواب حيث استرجعوا واذعنوا لامر الله قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أى الصلاة والرحمة والا

ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان فى
رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذى
حديث حسن * قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهى الصخرة
الملساء وقيل هى الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذان أصلهما فى
وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة فى طرفى المسعى ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر
اعلام دينه وأصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به
الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال
شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التى جعلها الله اعلاما لطاعته
الصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) اى قصد البيت هذا أصله فى اللغة وفى الشرع عبارة
عن أفعال مخصوصة لاقامة المناسك (أو اعتمر) اى زار البيت والعمرة الزيارة ففى الحج والعمرة المشروعين
قصد وزيارة (فلا جناح عليه) اى فلا اثم عليه وأصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف
بهما) اى يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال
لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة
تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة فانزل
الله هذه الآية وأذن فى السعى بينهما وأخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال
قلت لانس أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل
الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما وفى رواية قال
كانت الانصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

(فصل) * اختلف العلماء فى حكم السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى
وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى انه
تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وأبو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى
من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شئ عليه واختلفت الرواية عن أحمد
فى ذلك فروى عنه ان من ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه انه لا شئ فى تركه عمدا
ولا سهوا ولا ينبغى أن يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح
عليه يصدق عليه انه لا اثم عليه فى فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية
لا يدل على أن السعى بين الصفا والمروة واجب أو ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين
الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدهما فاذا لا بد من دليل خارج يدل على أن السعى واجب او
غير واجب فحجة الشافعى ومن وافقه فى أن السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى
الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى بنت أبى تجزأة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد
الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبى حسين ننظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسعى
بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعى حتى لأقول انى لارى ركبته وسمعته
يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه الدارقطنى (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة
زوج النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا
جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيأ ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول
كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة

(ان الصفا والمروة) هما علمان للجبلين (من شعائر الله) من اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت) قصد الكعبة (أو اعتمر) زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان (فلا جناح عليه) فلا اثم عليه (أن يطوف بهما) اى يتطوف فادغم التاء فى الطاء وأصل الطوف المشى حول الشئ والمراد هنا السعى بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على انه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى وكذا قوله

حذوقديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى
عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر فى حديثه الطويل
صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر
أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا
لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب ومن القائلين
السعى أشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف
واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا الا
الواجبات ثم انه تعالى أكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين انه تطوع وليس بواجب وأ
عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الو
وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى
تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضى أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور
يجوز أن يكون المقصود منه شيأ آخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا
الطاعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة
وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من
الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب والقول الاول
للعموم (فان الله شاكر) اى مجاز على الطاعة (عليم) اى بنيته وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر
عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار
فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به أريد به أنه المجازى على الطاعة بالثواب الا أن اللفظ خرج
التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم * قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و
نزلت فى علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التى
فى التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعمو
لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لان
صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره
شيأ من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبى هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ما
شيأ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض
خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما و
سئل العالم عن شئ يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بيناه للناس فى الكتا
فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بنى اسرائيل ومن
المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك
الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) اى يبعدهم من رحمته وأصل اللعن
الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك أن
تقول انما منعنا القطر بمعاصى بنى آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف
يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد
الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) اى ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكت

(ومن تطوع خيرا) اى الطواف بهما مشعر بانه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى اى يتطوع فادغم التاء فى الطاء (فان الله شاكر) مجاز على القليل كثيرا (عليم) بالاشياء صغيرا او كبيرا (ان الذين يكتمون) من أحبار اليهود (ما أنزلنا) فى التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (والهدى) الهداية الى الاسلام بوصفه عليه السلام (من بعد ما بيناه) أوضحناه (للناس) فى الكتاب) فى التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وترك الايمان

(وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) واظهروا ما كتموا (فاولئك أتوب عليهم) اقبل توبتهم (وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ١١١ ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين)

الاسلام (وأصلحوا) يعنى الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعنى ما كتموا من العلم (فاولئك أتوب عليهم) اى أتجاوز عنهم واقبل توبتهم (وانا التواب) اى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عنى الى (الرحيم) يعنى بهم بعد اقبالهم على قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين قلت فيه اوجه أحدها انه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثانى ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث أنهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) اى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما أضمرت لعظم شأنها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) اى لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

(فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم)

قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله فى هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه فى الصحيح * قوله عز وجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد فى الوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعنى لا شريك له فى الوهيته ولا نظير له فى الربوبية والتوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد فى أفعاله لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا يشبهه شئ من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعنى انه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم * عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فانزل الله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر فى آياته والنظر فى عجائب مصنوعاته واتقان أفعاله ففى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع فى أفعالهما التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها

نعمة واما منعم عليه على انه خبر مبتدا او على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما عجب المشركون من اله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (ان فى خلق السموات والارض

قوله ان فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس
جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية فى السماء هى سمكها وارتفاعها
عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها على الماء و
فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثانى قوله
(واختلاف الليل والنهار) اى تعاقبهما فى المجىء والذهاب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر و
والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم والآية فى الليل والنهار ان
احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختا
الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التى تجرى فى البحر
السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية فى الفلك تسخيرها وجريانها
وجه الماء وهى موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل
مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الن
يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات لطلب الارباح والآية فى ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من ير
هذه السفن لمآتم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار الا
معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار فى الاسفار من ركوب
وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس
تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعنى المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمى سماء لان كل
فاظلك فهو سماء خلق الله الماء فى السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل أراد السماء بعينها خلق الماء
فى السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فاحيا به) اى بالماء (الارض بعد موتها) اى
وجد بها سماء موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيأ ولم يصبها المطر فهى كالميتة والآية فى انزال المطر و
الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه
المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله تعالى (وبث) اى
(فيها) اى فى الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل مادب على وجه الارض من جميع الحيو
الناس وغيرهم والآية فى ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاخ
فى الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس ع
آدم سائر الحيوان النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعنى فى مهابها قبولا ودبورا و
وجنوبا ونكباء وهى الريح التى تأتى من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء و
تصريفها فى احوال مهابها اللينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اختلا
الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم اوضده وقيل البشارة فى ثلاث رياح الصبا والشمال و
والدبور هى الريح العقيم التى اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية فى الريح انها جسم لطيف لا يم
يرى وهى مع ذلك فى غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوج
أمسكت طرفة عين لمات كل ذى روح وأنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى (و
المسخر بين السماء والارض) اى الغيم المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والآية فى
السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والار
هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الو

(واختلاف الليل والنهار) فى اللون والطول والقصر وتعاقبهما فى الذهاب والمجىء (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس ومن فى (وما أنزل الله من السماء) لابتداء الغاية وفى (من ماء) مطر لبيان الجنس لان ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على انزل (فاحيا به) بالماء (الارض بعد موتها) يبسها ثم عطف على فاحيا (وبث) وفرق (فيها) فى الارض (من كل دابة) هى كل ما يدب (وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى اى وتقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب (والسحاب المسخر) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بين السماء والارض) فى الهواء

(لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها وفي الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومن الناس) اى ومع هذا البرهان النير من الناس (من يتخذ من دون الله أندادا) أمثالا من الاصنام (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له اى يحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه

ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله (لآيات) اى فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) اى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) يعني أصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام أندادا بعضها البعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله ان يكون له نداوله مثل منازع وقيل الاندادالا كفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) اى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلانا اى جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة (كحب الله) اى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنين ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له في الحب (والذين آمنوا أشد حبا لله) اى اثبت وأدوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم أولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني أشركوا في شدة العذاب لرأيت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وأن الله شديد العذاب) * قوله عز وجل (اذ تبرأ) اى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) اى القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الاسباب) يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به

(١٥ (خازن) ل) جاء فيما يشوق اليه او يخوف منه فلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي وكذا اذ وضعها التدل على الماضي وانما دخلتا على المستقبل ههنا لان أخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي (اذ تبرأ) مدغمة الذال في التاء حيث وقعت عراقي غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب (الذين اتبعوا) اى المتبوعون وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع (ورأوا العذاب) الواو فيه للحال اى تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم الاسباب) الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب

وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له (ولو يرى) ترى نافع وشامي على خطاب الرسول او كل مخاطب اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما (الذين ظلموا) اشارة الى متخذي الانداد (اذ يرون) يرون شامي (العذاب أن القوة لله جميعا) حال (وان الله شديد العذاب) شديد عذابه اى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله تعالى على كل شئ من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا

(وقال الذين اتبعوا) اى الاتباع (لوان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ) نصب على جواب التمنى لان لو فى معنى التمنى والمعنى ليت لنا
فنتبرأ (منهم كما تبرؤا منا) الآن (كذلك) مثل ذلك الايراء الفظيع (يريهم الله اعمالهم) اى عبادتهم الاوثان (حسرات عليهم) اى
وهى مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون الاحسرات مكان أعمالهم (وماهم بخارجين من
بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا ١١٤ على انفسهم البحائر ونحوها (يا أيها الناس كلوا) اباحة (مما فى الارض) من

النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذى يصعد به
الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لوان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) اى من المتبوعين (كما
منا) اليوم (كذلك يريهم الله) اى كما أراهم العذاب يريهم الله (أعمالهم حسرات عليهم) لانهم
بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما
والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل
ماتركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم فى الجنة فيقال لهم تلك منا
لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (و
بخارجين من النار) * قوله عز وجل (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا) نزلت فى
وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة وال
والوصيلة والحام والحلال المباح الذى أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحل الذ
نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاه
النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا
به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا أن تتعدوا ما أحل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان فى
النذور فى المعاصى وقيل هى المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عد
اى ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هى فقال تعالى
يأمركم بالسوء) يعنى بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويخزيه (والفحشاء) يعنى بها المعاصى وما قبح من
فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل
تقولوا على الله ما لا تعلمون) يعنى من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة
يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن
الخواطر التى يجدها الانسان فى قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الت
فى الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها فى باطن الانسان وانما الش
كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الش
يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان
عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير فى لهم يعود الى غير مذكور
عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل
ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منا فانزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة
والضمير فى لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركو العرب قالوا بل
ما ألفينا عليه آباءنا يعنى من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير فى لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا
الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعنى فى تحليل ما حرموا على أنفسهم (قالوا بل نتبع ما

لان كل ما فى الارض ليس
بمأكول (حلالا) مفعول
كلوا او حال مما فى الارض
(طيبا) طاهرا من كل
شبهة (ولا تتبعوا خطوات
الشيطان) طرقه التى
يدعوكم اليها بسكون الطاء
ابو عمر وغير عباس ونافع
وحمزة وابو بكر والخطوة
فى الاصل ما بين قدمى
الخاطى يقال اتبع خطواته
اذا اقتدى به واستن بسنته
(انه لكم عدو مبين) ظاهر
العداوة لاخفاء به وابان
متعد ولازم ولا يناقض
هذه الآية قوله تعالى
والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت اى الشيطان
لانه عدو للناس حقيقة
ووليهم ظاهرا فانه يريهم
فى الظاهر الموالاة ويزين
لهم اعمالهم ويريد بذلك
هلاكهم فى الباطن (انما
يأمركم) بيان لوجوب
الانتهاء عن اتباعه وظهور
عداوته اى لا يأمركم بخير
قط انما يأمركم (بالسوء)
بالقبيح (والفحشاء) وما
يتجاوز الحد فى القبح من
العظائم وقيل السوء
ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد (وان تقولوا) فى موضع الجر بالعطف على بالسوء اى وبان تقولوا
(على الله ما لا تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (واذا قيل لهم
ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم
صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا

(عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا واعلم فرد الله عليهم بقوله (اولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم
ولو كان آباؤهم (لا يعقلون شيأ) من الدين (ولا يهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف
اى ومثل داعى الذين كفروا (كمثل الذى ينعق) يصيح والمراد (بما لا يسمع الا دعاء ١١٥ ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم

يعنى وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) يعنى الذين يتبعونهم
(لا يعقلون شيأ) يعنى لا يعلمون شيأ من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا
(ولا يهتدون) اى الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما
لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعى بالغنم ولا يقال نعق الا للراعى بالغنم وحدها ومعنى الآية
ومثلك يا محمد ومثل الكفار فى وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تسمع الا
صوتا فصار الداعى الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعى وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق
بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله
عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله
كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفهم من الامر والنهى الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به
خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق
بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشئ غير انه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام
وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذى قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهى
الاصنام وفى القول الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمى) لما شبههم
بالبهائم زاد فى تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذى
لا يسمع يقال لمن يسمع ولا يعقل كأنه أصم بكم اى عن النطق بالحق عمى اى عن طريق الهدى (فهم
لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبى لان العقل الطبيعى كان حاصلا فيهم * قوله عز وجل (يا أيها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ
النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه
العوارض والطيب هو الحلال (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر
يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك
(قوله أشعث أغبر) هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل
قوما تنزهوا عن أكل المستلذ من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعنى على نعمه (ان كنتم
اياه تعبدون) اى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه المنعم لا غيره
وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها * قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير) لما أمرنا الله تعالى فى الآية التى تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الآية
انواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجارى وكانت
العرب تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فانه أراد بلحمه جميع اجزائه
وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما أهل به لغير الله) يعنى وما ذبح للاصنام
والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها

الى الايمان فى انهم
لا يسمعون من الدعاء
الا جرس النغمة ودوى
الصوت من غير القاء اذهان
ولا استبصار كمثل الناعق
بالبهائم التى لا تسمع الا دعاء
الناعق ونداءه الذى هو
تصويت بها وزجرلها
ولا تفقه شيأ آخر كما تفهم
العقلاء والنعيق التصويت
يقال نعق المؤذن ونعق
الراعى بالضان والنداء
ما يسمع والدعاء قد يسمع
وقد لا يسمع (صم) خبر
مبتدا مضمر اى هم صم
(بكم) خبر ثان (عمى)
عن الحق خبر ثالث (فهم
لا يعقلون) الموعظة ثم بين
ان ما حرمه المشركون حلال
بقوله (يا ايها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم)
من مستلذاته او من حلالاته
(واشكروا لله) الذى
رزقكموها (ان كنتم اياه
تعبدون) ان صح انكم
تخصونه بالعبادة وتقرون
انه معطى النعم ثم بين المحرم
فقال (انما حرم عليكم
الميتة) وهى كل ما فارقه
الروح من غير ذكاة مما
يذبح وانما لاثبات المذكور
ونفى ما عداه اى ما حرم عليكم

الا الميتة (والدم) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر او دما مسفوحا وقد حلت لنا ميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك
والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعنى الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل (وما أهل به لغير الله) اى
رفع للاصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الاهلال رفع الصوت اى رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى

فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعنى الى الميتة وأحوج اليها (غير باغ) اصل البغى الفساد (ولا عاد) أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) اى فاكل فلا اثم عليه اى فلا حرج فى أكلها (ان الله غفور) اى لما أكله فى حال الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك

(فمن اضطر) اى ألجئ بكسر النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غير) حال اى فاكل غير (باغ) للذة وشهوة (ولا عاد) متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد فى سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر يبيح بلا سفر ولان بغيه لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فيقدر بقدر ما تندفع الضرورة (فلا اثم عليه) فى الاكل (ان الله غفور) للذنوب الكثير فانى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رحيم) حيث رخص ونزل فى رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبى عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا

*(فصل) فى حكم هذه الآية وفيه مسائل (الاولى) فى حكم الميتة أجمعت الامة على تحريم أكل وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح وأما فلما روى عن ابن ابى اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجاه فى الصحيحين واختلف فى السمك الميت الطافى على الماء فقال مالك لا بأس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حى انه مكروه وروى عن على بن أبى طالب قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن ابى بكر الصديق وابى أيوب اباحته واختلف فى الجراد فقال الشافعى وابو حنيفة لا بأس باكل الجراد كله ما اخذ منه وجد ته ميتا وروى مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما أخذ حيا يذكى ذكاة مثله بان يقطع رأسه ويرمى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل *(المسئلة الثانية فى حكم الدم) * اتفق العلماء على ان الدم حرام لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعى تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطنى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا الدم ودمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفى لفظ آخر أحلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلى بن المدينى عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوى ثقة وقد أخرج الدارقطنى هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف أبو بكر بن العربى هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقى يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف فى تخصيص هذا العموم فى الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذى لا يفتقر الى برهان وقال الشافعى هما دمان ويشهد الحديث فهو تخصيص من العموم *(المسئلة الثالثة فى الخنزير) * أجمعت الامة على ان الخنزير بجميع أجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا فى نجاسته فقال العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هى الحياة وله قولان فى ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفى فى ولوغه غسلة واحدة والفرق بينه وبين التغليظ فى الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ فى الكلب تعبد لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره *(المسئلة الرابعة فى حكم قوله وما أهل به لغير الله) * من الناس من ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التى كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى اذا سمعوا باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبى وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعى وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروى عن على بن أبى طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون

* (المسئلة الخامسة فى حكم المضطر) * المضطر هو المكلف بالشئ الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر فى قوله فمن اضطر اى خاف التلف حتى قيل من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام اما با كراه أو بجوع فى مخمصة او بفقر لا يجد شيأ البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء فى قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلوان كانت دائمة فلا خلاف فى جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعى قولان أحدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثانى يأكل قدر الشبع وبه قال مالك * (المسئلة السادسة فى قوله غير باغ ولا عاد) * قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اى معتد يعنى العاصى بسفره بان يخرج لقطع الطريق او أبق من مولاه فلا يجوز للعاصى بسفره أن يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعى لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغى والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح أكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل فى معنى قوله غير باغ اى غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اى غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها * قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما أنزل الله من الكتاب (ويشترون به) اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما أنزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) يعنى ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام لما كان يفضى بهم ذلك الى النار فكأنهم أكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) اى وجيع يصل ألمه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما أصبرهم على النار) اى ما الذى صبرهم وأى شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار (ذلك بان الله نزل الكتاب) يعنى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) يعنى اختلفوا

(أولئك ما يأكلون فى بطونهم) مل ء بطونهم تقول أكل فلان فى بطنه وأكل فى بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التى هى بدل منه قال * يأكن كل ليلة اكافا * اى ثمن اكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يزكيهم) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم او ولا يثنى عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم فحرف النفى مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبران والجمل الثلاث معطوفة على خبران فقد صار لان أربعة أخبار من الجمل (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فما أصبرهم على النار) فاى شئ اصبرهم على عمل يؤدى الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق) اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من

(في شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) اى ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى

بيت المقدس وقبلة اليهود مغرب

في معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق) اى خلاف ومنازعة (بعيد) يعني عن الحق * قوله عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام اذا أتى بالشهادتين وصلى الى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم اى في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البر) يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الخير وأعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى (من آمن بالله) اى ولكن البر بر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) اى والايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعني أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لان يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها (وآتى المال على حبه) اى أعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال غير المال (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة اجر قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (قوله حتى اذا بلغت الحلقوم) يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى اى وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعني اهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائى (ق) ان ميمونة رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله اعتقت وليدتى قال أوقد فعلت قالت نعم قال أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك (واليتامى) اليتيم هو الذى لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن أهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول أشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) الطالبين المستطعمين * عن على بن أبى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس اخرجه أبو داود وعن زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك في الموطا عن أم بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فلم أجد

عليه فانه منسوخ (ولكن البر) بر (من آمن بالله) اوذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والاول اجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضى وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه ان تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامى وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرئ ولكن البار (واليوم الآخر) اى يوم البعث (والملائكة والكتاب) اى جنس كتب الله او القرآن (والنبيين وآتى المال على حبه) اى على حب الله او حب المال او حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه (ذوى القربى) اى القرابة وقدمهم لانهم احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة (واليتامى) والمراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وانما أطلق لعدم الالباس (والمساكين) المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكين (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له او الضيف (والسائلين) الذين

(وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او فى فك الاسارى (وأقام الصلوة) المكتوبة (وآتى الزكوة) المفروضة قيل هو تأكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم اذا عاهدوا) الله او الناس (والصابرين) نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال (فى البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) وقت القتال (اولئك الذين صدقوا) اى أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا فى الدين (واولئك هم المتقون) روى انه كان بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم القصاص) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص اثره واقتصه اذا اتبعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار والاخبار (فى القتلى) جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الحر بالحر) مبتدا وخبر اى الحر مأخوذ او مقتول بالحر

أعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده اخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق (قوله ردوا المسكين) لم يرد به رد الحرمان وانما أراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى (وأقام الصلوة) يعنى المفروضة فى أوقاتها (وآتى الزكوة) يعنى الواجبة (والموفون بعهدهم) يعنى ما أخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا أوفوا واذا حلفوا برواذا أيمانهم واذا قالوا صدقوا فى أقوالهم واذا ائتمنوا أدوا (والصابرين فى الباساء) اى فى الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعنى المرض والزمانة (وحين البأس) يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب باسما لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (قوله احمر البأس) اى اشتد الحرب ونتقى به اى نجعله وقاية لنا من العدو (أولئك الذين صدقوا) اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم (واولئك هم المتقون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) نزلت فى حيين من أحياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر وأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم اى فرض عليكم القصاص فى القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم القصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل الفاعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة والرواية الثانية عن احمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين والعبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعى وأحمد ويدل عليه ما روى البخارى فى صحيحه عن ابى جحيفة

بالعبد والانثى بالانثى) وقال الشافعى رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى النفس بالنفس كما بين الذكر والانثى وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبان تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا

(فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه واعـ
عن ان تعاقبه وهو يتعدى بعن الى الجانى والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفوا عن السيآت واذا اجتمعا عدى الى الاول باللام
عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفى له اى من ترك له القتل بالدية
الازهرى العفو فى اللغة الفضل ١٢٠ ومنه يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمال اذا أفضلت له وا

وعفوت له عما لى عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شئ من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والاخ ولى المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه وقيل أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه لمن وفى اليه للاخ او للمتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بان يطالبه مطالبة جميلة وليؤد اليه المطلوب اى القاتل بدل الدم أداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شئ من العفو ليعلم انه اذا عفا عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفى بترك جعل شئ مفعولا به وكذا من فسره باعطى يعنى ان الولى اذا اعطى له شئ من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بانه خبر مبتدا مضمر اى فالواجب اتباع (ذلك) الحكم المذكور من العفو واخذ الدية (تخفيف من ربكم ور
كان فى التوراة القتل لا غير وفى الانجيل العفو بغير بدل لا غير وابيح لنا القصاص والعفو واخذ المال بطريق الصلح توسعة
والآية تدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف

قال سألت عليا هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن قال لا والذى فلق الحبة
النسمة الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل
الاسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن على نحو هذا من غير رواية ابى جحيفة العقل
الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون * عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صـ
عليه وسلم يقول لا تقام الحدود فى المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذى وذهب اصحاب الرأ
ان المسلم يقتل بالذمى والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه و
هى مفسرة لما ابهم فى قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بنى اسرائيل فى
وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الرأى الى أن هذه منسوخة بقوله
بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل غيـ
عمر لو اشترك فيه اهل صنعاء لقتلتهم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان أربعة قتلوا صـ
عمر مثله وروى مالك فى الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة
تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به
لو تمالأ اى تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى (فمن عفى له من اخيه شئ) اى ترك له وصفح
الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية فى قتل العـ
أخيه اى من دم اخيه وأراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولى الدم و
به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية
الاسلام وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شـ
قد بطل (فاتباع بالمعروف) اى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا
(وأداء اليه باحسان) اى على القاتل أداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالا
فيما له وعليه وقيل فى تقدير الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القـ
فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غـ
ولا مدافعة وفى الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من
الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا أيها الذين آمنوا كتب
القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور
منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجـ
انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عفى له من أخيه شئ واراد بالاخوة اخوة
فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن
والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعنى الـ
من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ور

(فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية (فله عذاب اليم) نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة (ولكم في القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة واي حياة اونوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (يا أولى الالباب) ياذوي العقول (لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى اذا دنا منه فظهرت امارته (ان ترك) مالا كثيرا لما روى عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب (الوصية للوالدين والاقربين) وكانت الوصية للوارث في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لانها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديثي عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابواه وقرائبه والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الايراد يكتب فرض

لان العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية (فله عذاب أليم) وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة * قوله عز وجل (ولكم في القصاص حيوة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا أولى الالباب) اى ياذوي العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص * قوله عز وجل (كتب) اى فرض واوجب (عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعني مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال * روي ان رجلا قال لعائشة اني أريد أن أوصي فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك (الوصية) اى الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه النسائي والترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب أن تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث

(بالمعروف) بالعدل وهوان لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد اى حق ذلك

(على المتقين) على الذين يتقون الشرك (فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) اى الايصاء (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فانما اثم التبديل الاعلى مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريئان من الحيف (ان الله سميع) لقول الموصى (عليم) بجور المبدل (فمن خاف) علم وهذا شائع فى كلامهم يقولون اخاف ان لا ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجارى مجرى العلم (من موص) موص كوفى غير حفص (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو اثما) تعمد الحيف (فاصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا فى حال حياة الموصى اى فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصى بما قال اولا (ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب)

و يدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به أن يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندى أخرجه الجماعة (قوله ما حق امرئ) الحق بمعناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث فى الوصية لانه لا يدرى متى يأتيه الموت فيفاجئه اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) اى بالعدل الذى لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت يا رسول الله انى قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى أفأتصدق بثلثى مالى قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال والثلث كبير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كأنه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال فى الوصية لو أن الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال والثلث كثير وقال على بن ابى طالب لأن أوصى بالخمس أحب الى من أن أوصى بالربع ولان أوصى بالربع احب الى من أن اوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس او بالخمس او الربع اى ثابتا بثبوت ندب لا بثبوت فرض و وجوب (على المتقين) اى على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) اى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما فى الكتابة او فى قسمة الحق او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية والايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما أوصى به (بعد ما سمعه) من الموصى وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) اى ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدلين والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما اوصى به الموصى (عليم) يعنى بتبديل المبدل (فمن خاف) اى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق وهو الميل (أو اثما) اى ظلما (فاصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصيته اما بتقصير أو اسراف او وضع الوصية فى غير موضعها فلا حرج عليه أن يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه اراد به انا اذا رأينا الميت فى وصيته اوخاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او ولى أمور المسلمين أن يصلح بينهم وبين ورثته وبين الموصى لهم و يرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) اى فلا حرج عليه فى الصلح (ان الله غفور رحيم) اى لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم رواه ابو داود والترمذى (قوله فيضاران) المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية أن يزيد أو ينقص بعضها او يوصى لغير أهلها او يحيف فى الوصية ونحو ذلك * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام مقام الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس

اى فرض (عليكم الصيام) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان

الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة اى فى الزمن الاول ما اخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى اسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فيه فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه أن يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان وولى ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة ايام أتموه خمسين يوما فاتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (أياما معدودات) اى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انها اكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت فى السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا او على سفر) اى فافطر (فعليه (عدة من أيام أخر) يعنى فعليه صيام عدة ما افطر من أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) اى يطيقون الصوم واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك أنهم كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا فاما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد ان يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التى بعدها فنسختها وفى رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هى خاصة فى حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا فى المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض

عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل احد له صوم ايام اى انتم متعبدون بالصيام فى ايام كما تعبد من كان قبلكم (لعلكم تتقون) المعاصى بالصيام لان الصيام اظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء او لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين اذا الصوم شعارهم وانتصاب (أياما) بالصيام اى كتب عليكم ان تصوموا أياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم اى قلائل واصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فمن كان منكم مريضا) يخاف من الصوم زيادة المرض (او على سفر) او راكب سفر (فعدة) فعليه عدة اى فافطر فعليه صيام عدد ايام فطره والعدة بمعنى المعدود اى امر ان يصوم اياما معدودة مكانها (من ايام اخر) سوى ايام مرضه وسفره واخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل فى فعلى صفة ان تستعمل فى الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا

(قدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مسكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع او الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلي (وان تصوموا) ايها المطيقون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وان تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه اشق عليكم (ان كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب (شهر رمضان) مبتدا خبره (الذي انزل فيه القرآن) اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر او انزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام او هو بدل من الصيام او خبر مبتدا محذوف اي هو شهر والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت ما وجه ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا ان التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف لامن الالباس القران حيث كان غير مهموز مكي

الباء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية مسكين قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبدله الانسان بتي به من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر أو مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعني زاد على مسكين واحد أو عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وان تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيقون وتحتملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى (ان كنتم تعلمون) يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما في الصوم من المثوبة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا أفطروا فعليهم القضاء بلا كفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة والثالث الشافعي وذهب أهل الرأي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل (شهر رمضان) يعني وقت صيام رمضان سمي الشهر شهر الشهرته يقال للسراج اذا أظهر شهره وسمي الهلال شهر الشهرته وبيانه سمي الشهر شهرا باسم الهلال وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحماة في الشمس انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي أنزل فيه القرآن) لما خص شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض في الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم كان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل الانجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون

نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وأبى سليمان الدمشقى وقيل فى معنى الآية شهر رمضان الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية فى الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض روى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن ابن الفضل (هدى للناس) يعنى من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكأنه قال هو هدى فى نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى فى نفسه فكأنه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هى الدلالات الواضحات التى تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل * قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) اى فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته أخرجاه فى الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء فى وجه الخبر عنه منهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة فى سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أجرى أوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل فى آخره أقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط فى أمر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

(فصل) * فى حكم الآية وفيه مسائل * (الاولى) * اختلفوا فى المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال أحدها وهو قول أهل الظاهر اى مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثانى وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على أكمل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس او زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا جهده الصوم أفطر والا فهو كالصحيح * (المسئلة الثانية) * الفطر فى السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام فى السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم فى السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام فى السفر أخرجه البخارى ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر فى السفر ما روى عن أنس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم أخرجاه فى الصحيحين * (المسئلة الثالثة) * اختلف العلماء فى قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهرى اى سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعى السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعى واحمد ومالك أقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة وأصحابه اقله مسيرة

(هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال اى انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا اى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء فى ليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) فعدة مبتدا والخبر محذوف اى فعليه عدة اى صوم عدة

ثلاثة أيام * (المسئلة الرابعة) * اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر فى أثنائه جاز له أن يفطر ويجوز له أن يصوم فى بعض السفر وان يفطر فى بعضه ان أحب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر والناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة * (المسئلة الخامسة) * اختلفوا فى الافضل فذهب الشافعى الى ان الصوم افضل من الفطر فى السفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم فى السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وأفضل الامرين أيسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * (المسئلة السادسة) * يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية والمعاصى بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام أخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام أخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع أولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تراخ لزمن القضاء فيدل على جواز التراخى فى القضاء ويدل عليه ايضا ما روى عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما استطيع أن أقضى الا فى شعبان ذاك من الشغل بالنبى صلى الله عليه وسلم أخرجاه فى الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض (يريد بكم العسر) اى وقد نفى عنكم الحرج فى امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحب الى الله تعالى (ولتكملوا العدة) اى عدد الايام التى أفطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل أراد عدد ايام الشهر (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعى وأحب اظهار التكبير فى العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر فى عيد الفطر ويكبر فى عيد الاضحى حجة الشافعى وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم الى آخره هذه العبادة القول الثانى فى معنى قوله ولتكبروا الله اى وتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على ما هداكم) اى ارشدكم الى طاعته والعمل به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

* (فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه) * (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اى شدت بالاغلال (ق) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله ايمانا واحتسابا) اى طلبا لوجه الله وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يجزم التصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك زاد فى رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه احد او قاتله فليقل انى صائم (قوله كل عمل ابن آدم له) معناه ان له فيه حظا والخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى وان كانت جميع

(يريد الله بكم اليسر) حيث اباح الفطر بالسفر والمرض (ولا يريد بكم العسر) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما يجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا (ولتكملوا العدة) عدة ما أفطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة (ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا الله اى لتعظموه حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد ابو بكر ولما قال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه نزل

الحمله وهو يجزى عليها لان الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما أتولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه اى بما يرى من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم لاجل الخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند أحدكم (قوله الصيام جنة) اى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى (قوله فلا يرفث) كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه احد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن أبى امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بامر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفى رواية اى العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النسائى * قوله عز وجل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى اى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن أفعاله اما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن افعاله تعالى فهو ان يكون السائل سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فانى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من سأله (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم (قوله اربعوا على انفسكم) اى ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) اى أسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا أنت فقوله يا الله فيه دعاء وقوله لا اله الا انت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعاه وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الآية مطلقة وقد وردت آية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا (اجيب دعوة الداع اذا دعان) الداعى دعانى فى الحال ابن سهل ويعقوب ووافقهما ابو عمرو ونافع غير قالون فى الوصل غيرهم بغير ياء فى الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة الدعوة ان يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد تكون الخيرة له فى غيره

فيكون معناه اجيب دعوة الداع اذا وافق القضاء أواجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه اذا لم اتمما ومحالا ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الآية واما اعطاء الا فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخلا للدعاء آدابا وشرائط وهى اسباب الاجابة فمن استكملها وأتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخ كان من أهل الاعتداء فى الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم وقوله تعالى (فليستجيبوا لى) ب دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجبتهم اذ دعونى فى حوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) اى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم ود

(فصل فى فضل الدعاء وآدابه) (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ر ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعط يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء احد مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على مايليق به ونكل علم تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله ع صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من انها تؤول على مايليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب الصفر الخالى بفتح صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماعلى الارض يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها اوصرف عنه من الشر مثلها مالم يدع باثم او قطيعة رحم فقال من القوم اذا نكثر قال الله أكثر اخرجه الترمذى (قوله الله أكثر) معناه الله أكثر اجابة هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يست دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وله عن أنس ان النبى صلى الله عليه قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتح أبواب الرحمة ومأسئل الله شيأ أحب اليه من أن يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وله هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن ابى هريرة ان ر صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم مالم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لى ولمسلم قال لا يزال للعبد مالم يدع باثم او قطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء (قوله يستحسر) اى يستكف عن السؤال وأم حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا أحد يقل اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخارى ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل مايشاء لا مكره له (قوله ليعزم المسئلة) اى لا تكن فى دعائك متردد ابل اعزم وجد فى المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له اذا صلى

(فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى فى حوائجهم (وليؤمنوا بى) واللام فيهما للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغى كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها اورقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل

أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح * قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول هذه الآية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخيرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعتذر الى الله والبك من هذه الخطيئة اني رجعت الى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم اى أبيح لكم ليلة أراد بالليلة الليالي الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) اى سكن لكم (وانتم لباس لهن) اى سكن لهن قيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون احد الزوجين الى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما ستر الصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنتكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شئ فلا يؤدي فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) اى فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم (وعفا عنكم) اى محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فانزل الله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر (فالآن باشروهن) اى جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) اى ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في الليل وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى اهله فصلى ثم قال لاهله قدموا الطعام فارادت المرأة أن تطعمه شيأ سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغت فاذا هو قد نام وكان قد أعيا من التعب فايقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحا اى مهزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال أعندك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله

يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) وقيل لباس اى ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن (علم الله أنكم كنتم تختانون انفسكم) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن في ليالي الصوم وهو امر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لا لتصادق بشرتيهما (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اى لا تباشروا لقضاء الشهوة

(١٧ (خازن) ل)

وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل او وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود (من الخيط الاسود) وهو ما يمتد من سواد الليل شبها بخيطين ابيض واسود لامتدادهما

عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا الى الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسماهما لان كل واحد منهما يبدو في الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر أضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل (من الفجر) فعلموا انه انما يعني الليل والنهار (ق) عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت * واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط ليس من الصبح الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو أول الصبح يكون رقيقا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو ثم يغيب فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا (م) عن ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يباح له ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيأ فيه وجهان أحدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذا في ان الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا الان قوله تعالى (ثم أتموا الصيام الى الليل) أمر وهو للوجوب فيتناول كل الصيام أجاب اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شئ قلنا لا قال فاني اذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله أهدي لنا حيس قال أريه فلقد أصبحت صائما فاكل أخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقيل عوض الاقط دقيق اوفتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف * قوله تعالى (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشئ والملازمة له على التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة

للآخر اومن للتبعيض لانه بعض الفجر وأوله وقوله الفجر اخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدي بن حاتم قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود فاخبرت النبي عليه السلام بذلك فقال انك لعريض القفا اى سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفي قوله (ثم أتموا الصيام الى الليل) اى الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة في الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي الصوم (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) معتكفون فيها بين ان الجماع يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد

خرج اليها وخلابها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

(فصل فى حكم الاعتكاف) الاعتكاف سنة ولا يجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن على انه لا يجوز الا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصح الا فى الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعى ومالك واحد يجوز فى سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون فى المساجد الا ان المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان *(فروع)* الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل أن يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط فى الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعى ما روى عن ابن عمر قال يا رسول الله انى نذرت فى الجاهلية ان اعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فاوف بنذرك أخرجاه فى الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم فى الليل *(الفرع الثانى)* لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى وأقله لحظة ولا حد لا كثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى وأحب أن يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان أقل زمن الاعتكاف عند مالك وابى حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس *(الفرع الثالث)* الجماع حرام فى حال الاعتكاف ويفسده وأما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فكرهوه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابى حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت ترجل النبى صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف فى المسجد وهى فى حجرتها تناولها رأسه وفى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان أخرجاه فى الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد منها ههنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله فى المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى تلك الاحكام التى ذكرت فى الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد فى اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) اى فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت فى الآية اشكالان احدهما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال فى الجميع فلا تقربوها الاشكال الثانى هو انه تعالى قال فى هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال فى اية أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال فى آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال

(تلك) الاحكام التى ذكرت (حدود الله) احكامه المحدودة (فلا تقربوها) بالمخالفة والتغيير

الاول فجوابه ان الاحكام التى تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان أقربها الى هذه الآية
تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع فى حال الاعتكاف
قبلها ثم أتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب فى النهار فلما كان الاقرب
هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثانى ان من
فى طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف فى حيز الحق فنهى ان يتعداه فيقع فى حيز الباطل
بولغ فى ذلك فنهى ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فيقع
فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا
ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ونحو هذا من التحريم فهى حدود لا
(كذلك) اى كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته) اى معالم دينه وأحكام شر
(للناس) مثل هذا البيان الشافى الوافى (لعلهم يتقون) اى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من
* قوله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نزلت فى امرئ القيس بن عابس الكندى
عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال رسول الله صلى الله
وسلم للحضرمى ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل
مال بعض بالباطل اى من غير الوجه الذى أباحه الله له وأصل الباطل الشئ الذاهب
(فصل) اما حكم الآية فاكل المال بالباطل على وجوه الاول ان يأكله بطريق التعدى
والغصب الثانى ان يأكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك
ان يأكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة ونحو
وانما عبر عن أخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان يأكل أموال
بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) اى وتلقوا أمور تلك الاموال التى فيها الحكومة
الحكام قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام
يعلم ان الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل
ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم
ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول انى لاقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكن لا
الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان قضائى لا يحل لك حراما (ق) عن أم سلمة ان رسول الله
الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وانه يأتينى الخصم فلعل
ان يكون أبلغ من بعض وفى رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له فمن قضيت
بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها او يذرها * قولها سمع جلبة خصم يعنى أصوات خصم
الحن بحجته) يقال فلان الحن بحجته من فلان اى اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو
(لتأكلوا فريقا) اى طائفة وقطعة (من أموال الناس بالاثم) يعنى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة
وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) يعنى انكم على الباطل * قوله عز وجل (يسئلونك) اى
(عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو
ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فانزل
يسئلونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال

(كذلك يبين الله آياته) شرائعه (للناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) اى لا يأكل
مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكام) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل فى حكم النهى يعنى ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور او بالايمان الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضى له ظالم وقال عليه السلام للخصمين انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذن منه شيأ فان ما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه اى القاه فى البئر للاستقاء (وأنتم تعلمون) انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يسئلونك عن الاهلة) جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته

الزيادة

(قل هى مواقيت للناس والحج) اى معالم يؤقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا أحرموا لم يدخل أحدهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) اى ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف فى رفع البر هنا لان الآية

الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر (قل هى مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم وأجائرهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه و بين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) اى وللحج وانما أفرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الاشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسيء (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) (ق) عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وفى رواية كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فانزل الله هذه الآية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا احمس لتشديدهم فى دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا بالبتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحمسى فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانا أحمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم و بين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب ان يحول بينه و بين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على أثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى احمسى فقال الانصارى وانا احمسى يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) يعنى فى حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وطلب رضوانه (ق)

ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس (ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله البيوت وبابه مدنى وبصرى وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلكان الباء بعدها ولكن هى توجب الخروج من كسر الى ضم وكانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا فى خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر فى شئ وأنتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل ان يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل ان يكون هذا تنبيها لتعكيسهم فى سؤالهم

ان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغى ان تكونوا عليه بان تعكسوا فى مسائلكم (لكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) وباشروا الامور من وجوهها التى يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بان جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير احتلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى يسئل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) تفوزوا بالنعيم السرمد (وقاتلوا فى سبيل الله) المقاتلة فى سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين

(الذين يقاتلونكم) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هي أول آية نزلت في القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من لا يناصبكم أهل المناصبة من الشيوخ ١٣٤ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم

(ولا تعتدوا) في ابتداء القتال او بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما او بالمثلة (ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) اى من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) اى شركهم بالله اعظم من القتل الذى يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان فيعذب به اشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من اصل من الفتن التى يتمنى عندها الموت (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اى ولا تبدؤا بقتالهم في الحرم حتى يبدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم لا في الحرم الا أن يبدؤا بالقتال معنا (كذلك جزاء الكافرين) فحينئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الاعند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات

عن ابى موسى الاشعرى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس اول آية نزلت في القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعنى هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والمرأة والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع عامه فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا أن لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي البلد الحرام فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي البلد الحرام ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) قوله عز وجل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول في هذا ان الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من ديارهم (والفتنة أشد من القتل) يعنى ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يؤدى الى القتل فلهذا جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك لانه يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة أشد من القتل (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل أن يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) وثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في المسجد الحرام الا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون

(كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم (حتى يقتلوكم) حجة وعلى (فان انتهوا) عن الشرك والقتال (فان الله غفور) لما سلف من طغيانهم (رحيم) بقبول توبتهم وايمانهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كى أو الى أن (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب اى لا يعبد دونه شئ (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فان امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبق واظالمين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين

(كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعنى لما سلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) اى وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) اى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثنى الا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما ان أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر باقرارهم واخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام أو القتل (ويكون الدين لله) اى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) اى فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لما وضعه العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) اى بالقتال (فاعتدوا عليه) اى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) * قوله عز وجل (وأنفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس

كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشهر الحرام) مبتدأ خبره (بالشهر الحرام) اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) اى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم او زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم (واتقوا الله) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وانفقوا فى سبيل الله) تصدقوا فى رضا الله وهو عام فى الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) اى انفسكم والباء زائدة او ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد

والمعنى ولا تلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على أصلها وفى الكلام
تقديره ولا تلقوا أنفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها
التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الا
عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق فى
الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيأ السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص
فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما أن ينقطع بهم واما أن يكونوا
فامرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا
لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك
(ق) عن أبى عمران واسمه أسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا لنا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم
المسلمين مثلهم او أكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من
على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو أيوب الا
فقال ايها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار
الله الاسلام و كثرناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد
وان الله قد أعز الاسلام و كثرناصروه فلو أقمنا فى أموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه
الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكانت التهلكة
على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو أيوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم
حديث غريب صحيح مات ابو أيوب فى آخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن فى اصل سوره
يتبركون بقبره و يستسقون به (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على
النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب
فيقول قد هلكت ليس لى توبة فييأس من رحمة الله و ينهمك على المعاصى فهو القنوط فنهى
ذلك وقيل فى معنى الآية أنفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان أنفقنا فنهلك فنهوا أن
انفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال أنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال
فى النفقة (وأحسنوا) اى بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا فى الانفاق ولا تس
تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه وأحسنوا فى أداء فرائض الله تعالى (
يحب المحسنين) اى يثيبهم على احسانهم * قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس
يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو
لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان يكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل
ان تخرج من أهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام
(فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا) (م) عن ابى هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفى كل عام
الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم
وجوب العمرة قولان للشافعى أصحهما انها واجبة وهو قول على وابن عمر وابن عباس والحسن
سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير و مجاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثانى انها تطوع
ذلك عن ابن مسعود و جابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وأبو حنيفة حجة من اوجب العمرة

(وأحسنوا) الظن بالله فى الاخلاف (ان الله يحب المحسنين) الى المحتاجين (وأتموا الحج والعمرة لله) وادوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعى رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لانه أمر باتمامها وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع اواتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك اوأن تفرد لكل واحد منهما سفرا اوان تنفق فيهما حلالا اوان لا تتجر معهما

فى حديث الصبى بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على وانى أهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه ابو داود والنسائى باطول من هذا وجه الدليل انه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رآه فى وجوبهما عليه لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انهما مقرينان فى كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة أخرجه النسائى والترمذى وزاد وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل انه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هى قال لا وأن تعتمروا خير لكم أخرجه الترمذى وأجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الامة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج فى تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ويأتى باعمالها فاذا فرغ من اعمالها أحرم بالحج من مكة فى تلك السنة وانما سمى تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا فى اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة فى اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا فى الافضل فذهب مالك والشافعى الى ان الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال أهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك أتم لحج احدكم وأتم لعمرته أن يعتمر فى غير أشهر الحج أخرجه مالك فى الموطا وذهب الثورى وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ما روى عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أخرجاه فى الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى ان التمتع أفضل يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنها معاوية أخرجه الترمذى (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض

وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى ف
الهدى من الناس * اختلفت الروايات فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا اومتمتعا او
وهى ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة و رجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبى صلى
عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم فى حجته صلى الله عليه وسلم انه كان
مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مف
فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامرومن روى التمتع اراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والار
وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا أمكن الجمع بين الاحا
المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى
فقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر
ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه و يجوز فى لغة العرب اضافة
الى الآمر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره وأراد به انه امر ببنائها وكما روى ان
صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بانه صح ذلك
رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو اح
الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدين
آخرها فهو اضبط لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبى صلى الله عليه و
حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج وأما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة تحد
احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معر
واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الرا
افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف
والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس او التقصير فى اصح القولين وأركان العمرة اربعة الا
والطواف والسعى والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة * قوله تعالى (فان أحصرتم) ا
الحصر فى اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا ارد الرجل
وجه يريده فقد أحصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من الس
حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذى يمنعه الح
المرض أحصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة فى قوله فان أحصرتم هو أن يعرض للرجل ما يحو
و بين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس فى دار أو سجن قيل حصر فهو مح
وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن أحصرك وقال ا
يحيى أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس أقوى من احصر وقيل الاحصار يقال فى
الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا فى المنع الباطن وأما قوله فان أحصرتم فمح
على الامرين و بحسب اختلاف اهل اللغة فى معناها اختلف الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى ان ك
من عدو أو مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو
ابى حنيفة و يدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثنى الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
من كسر أو عرض فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابى هريرة وابن عباس فقالا
أخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بالا
العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه قال مالك والليث والشافعى وأحمد وقالوا

(فان أحصر تم) يقال احصر فلان اذا منعه أمر من خوف او مرض او عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضى وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض او غيرهما الظاهر النص وقد جاء فى الحديث من كسر او عرج فقد حل اى جاز له ان يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعى رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان الاحصار يتحقق فى العمرة أيضا لانه ذكر عقيبهما

والاحصار

الاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان فى قصة الحديبية فى سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبى صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الآية وهو قوله فاذا أمنتم والأمن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط فى الاحرام ما روى عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولى لبيك اللهم لبيك محلى من الارض حيث تحبسنى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فذهب الشافعى واحمد واسحق اذا اشترط فى الحج فعرض له مرض اوعذر أن يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومعنى الآية فان أحصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى الى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدى المحصر حيث أحصر واليه ذهب الشافعى لان النبى صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل فى ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) اى مكانه الذى يجب أن يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابى حنيفة والقول الثانى محل ذبحه حيث أحصر سواء كان فى الحل او فى الحرم ومعنى محله يعنى حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعى واحمد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخارى * قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم فى حال الاحرام الا أن تضطروا الى حلقه لمرض او أذى وهو القمل او الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية فى كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لى والقمل يتناثر على وجهى فقال أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادرى باى ذلك بدأ وفى رواية قال فى نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفى أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره وفى أخرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى او ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) اى صوم ثلاثة ايام (أو صدقة) يعنى اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (او نسك) واحدتها نسيكة اى ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدى او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله تعالى (فاذا أمنتم) يعنى من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا أمنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير معناه

فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وأنتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة فما رفع بالابتداء اى فعليكم ما استيسر او نصب اى فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) الخطاب للمحصرين اى لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا فى ان دم الاحصار لا يذبح الا فى الحرم على الشافعى رحمه الله اذ عنده يجوز فى غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الحلق (او به اذى من رأسه) وهو القمل او الجراحة (ففدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (او صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (او نسك) شاة وهو مصدر او جمع نسيكة (فاذا أمنتم) الاحصار اى فاذا لم تحصروا وكنتم فى حال امن وسعة (فمن تمتع) استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى

الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج

فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون معتقا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل فاذا أمنتم وقد أحللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى الحج ثم أحللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق فى أشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالا حتى أنشأ منها من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند أبى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس أحدها أن يقدم العمرة على الحج الثانى أن يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث أن يحج بعد العمرة فى هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجو التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز أن يأكل منه حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويو وقيل بل المستحب أن يصوم فى أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر يصوم أيام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو أحد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد أيام التش وهو رواية عن احمد والقول الآخر للشافعى (وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة أيام اذا رج اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عند المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه ان يصوم الس بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى أهله وبه قال ابو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام فاعلم الله ان العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول القرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك القذلك الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيا ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اى ا ولا تنقصوها (ذلك) اى هذا الحكم الذى يتقدم (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) قيل المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسا فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضرو المسجد الحر الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواق دونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضرو المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدى او بدله على التمتع

(فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج (وسبعة اذا رجعتم) اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج (تلك عشرة كاملة) فى وقوعها بدلا عن الهدى او فى الثواب او المراد رفع الايهام فلا يتوهم فى الواو انها بمعنى الاباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما او احدا منهما كان ممتثلا (ذلك) اشارة الى التمتع اذ لا تمتع ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندنا وعند الشافعى رحمه الله الى الحكم الذى هو وجوب الهدى او الصيام ولم يوجب عليهم شيأ (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) هم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة

(واتقوا الله) فيما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه (الحج) اى وقت الحج كقولك البرد شهران (اشهر معلومات) معروفات عند الناس لا يشكان عليهم وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعى رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت اى الاشهر لبعض الثالث اولان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما (فمن فرض) الزم على نفسه بالاحرام (فيهن الحج) فى هذه الاشهر

فى فاما المكى اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدل لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه
تمتع لا يوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرجه البخارى تعليقا من
عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم
عمرة الا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى
يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية الترويه ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا
البيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد
ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج
والعمرة فان الله أنزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى
لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال ابو مسعود الدمشقى
هذا حديث غريب ولم أجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من أجل عكرمة فانه لم يروعنه
فى صحيحه وعندى ان البخارى انما أخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) اى فيما فرضه عليكم ونهاكم
عنه فى الحج وفى غيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف امره ونهاه ون بحدوده وارتكب مناهيه
قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) يعنى اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات
هى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود
وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى
والثورى وابى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة
تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل
على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذى
الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعى وقتادة ومكحول
والضحاك والسدى وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم
النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال
وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهرى وهى الرواية الاخرى عن مالك وحجة
هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من
اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسئلونك عن
الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هى مواقيت للناس
فى الحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان
الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى
اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابى حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه
ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك
سنة كذا وانما رآه فى ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث
شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعنى فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج
والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى ينعقد الاحرام
بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية
كافية فى انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية او سوق

(فلا رفث) هو الجماع او ذكره عند النساء او الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصي او السباب لقوله عليه

الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شئ الى النية كتكبيرة الاحرام النية في الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس ذهب الشافعي واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع السنة ووجهه ان الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رفث) عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لها من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا ✽ ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت ارفث وانت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يصخب (ولا فسوق) اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال من قتل الصيد وتقليم الاظافر وأخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب (قوله ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم أمه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويحاول يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله في الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسي وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهي عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال واجبا الا ان الرفث والفسوق والجدال في الحج أسمج وافظع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) لا يخفى عليه شئ من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهي انه تعالى العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فليكن في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت في الذين

سباب المؤمن فسوق او التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال في الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرأ ابو عمرو ومكي الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اعلم بانه عالم به يجازيكم عليه و رد قول من نفى علمه بالجزئيات كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزودوا) اي تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم (فان خير الزاد التقوى) اي الاتقاء عن الابرام والتثقيل عليهم او تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فان خير

الذين كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال الى النهب والغصب فانزل الله وتزودوا اى ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر فى الدنيا ولابد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة وفى هذا المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

(واتقون) اى وخافوا عقابى وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا أولى الالباب) ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق الامور * قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) اى حرج (أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعنى رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تأثموا ان يتجروا فى المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية ان تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقى هى باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذى القعدة وثمانية ايام من اول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن ابى امامة التيمى قال كنت رجلا اكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا اباعبد الرحمن انى رجل اكرى فى هذا الوجه وان اناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا فى اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة افضل واكمل وقوله تعالى (فاذا أفضتم) اى دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان ابراهيم لما أذن فى الناس بالحج واجابوه بالتلبية وابى من ابى امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسمى ذا المجاز ثم

(واتقون) وخافوا عقابى وهو مثل دعان (يا أولى الالباب) ياذوى العقول يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا اب له ونزل فى قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجروا وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج (ليس عليكم جناح ان تبتغوا) فى ان تبتغوا فى مواسم الحج (فضلا من ربكم) عطاء وتفضيلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فاذا افضتم) دفعتم بكثرة من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هى علم للموقف سمى بجمع كأذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده

انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى از
الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم راى ليلة التروية فى م
يؤمر بذبح ولده فلما اصبح تروى يومه أجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من الشيطان
يوم التروية ثم راى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل
بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت
يمنى فيها من الدماء اى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة غير
هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركنا من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف فى
فقد فاته الحج و يدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة و يمتد الى طلوع الفجر الثانى
يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نه
حصل له الوقوف و يتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يو
و وقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغ
حتى يجمع بينها و بين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه و
عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال ال
امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم
انسان بعيره فى منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيأ وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الح
سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه
يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلى المزدلفة من مازمى عرفة الى وادى محسر وليس المازمان
وادى محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت
والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول أصح
المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها
وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر
المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتى المغرب والعشاء هناك و يدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر
للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذى عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء
والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان رديف النبى ص
عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبى ص
عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة
بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر
تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره
و وحده ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا ودفع قبل أن تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوى بغير
أجده فى الاصول قال طاوس كانوا فى الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة
طلوعها وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة
ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى ما قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم
ثبير أدخل ايها الجبل فى الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير أى ندفع للنحر يقال اغار اذا اسر
ودفع فى عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى
الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس

(فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات او بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) هو قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه المقبدة والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اى دنا منها اولانه يجمع فيها بين الصلاتين اولان الناس يزدلفون الى الله تعالى اى يتقربون بالوقوف فيها

تعالى (واذكروه كما هداكم) اى اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسككم (وان كنتم من قبله لمن الضالين) اى لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين * قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) اى لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفى المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله أن يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتى عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث افاض الناس * قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع احمس وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثانى انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله أن يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث افاض الناسى بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسى ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وماسواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى والنحر وارادبالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله فاذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضى ذلك لان قوله فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فكأنه قال فاذا أفضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت أجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم فى قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو اى وافيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام ابن عروة عن أبيه قال سئل اسامة بن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو أشد من المشى والفجوة الفرجة وهو المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى (واستغفروا الله) اى من مخالفتكم فى الموقف وجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعنى ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته

(واذكروه كما هداكم) ما مصدرية او كافة اى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ثم لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا امر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات و يقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهى الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الحمس و يكون الخطاب للمؤمنين (واستغفروا الله) من مخالفتكم فى الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم اومن تقصيركم فى اعمال الحج (ان الله غفور رحيم) بكم

(فاذا قضيتم مناسككم) فاذا فرغتم من عباداتكم التى أمرتم بها فى الحج ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) اى فاذكروا الله ذكركم آباءكم والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا اذا فرغوا من مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (او اشد ذكرا) اى أكثر وهو فى موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر فى قوله كذكركم كما تقولون كذكر قريش آباءهم او قوم أشد منهم ذكرا وذكرا تمييز (فمن الناس من يقول) فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (ربنا آتنا فى الدنيا) اجعل اتياننا اى اعطاءنا فى الدنيا خاصة يعنى الجاه والغنى (وماله فى الآخرة من خلاق) نصيب لان همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه لان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اى من الذين قيل فيهم (ومنهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) نعمة وعافية او علما وعبادة (وفى الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة او المال والجنة او ثناء الخلق ورضا الحق او الايمان والامان او الاخلاص والخلاص او السنة والجنة او القناعة والشفاعة او المرأة الصالحة والحور العين او العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب جهنم او عذاب النار او

والغفور يفيد المبالغة فى الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده ان يغفر لهم لانه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه * قوله عز وجل (فاذا قضيتم مناسككم) اى فرغتم من حجكم وعباداتكم وذبحتم نسائككم اى ذبائحكم وذلك بعد رمى جمرة العقبة والاستقرار (فاذكروا الله) يعنى بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال اهل المعانى كانت العرب فى الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند الجمرة فيذكرون مفاخر آبائهم وما آثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان أبى كبير الشأن رحب الفناء يقرى الضيف وكان كذا وكذا يعدد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مآثر سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فانى فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الآباء وذلك ان الصبى أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فامرهم أن يذكروه كما يذكر الصبيان الصغار الآباء (أو أشد ذكرا) اى بل أشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو أى واشد ذكرا اى وذكر الآباء لانه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن الآية قيل له قد يأتى على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك ولكن أن تغضب لله عز وجل اذا عصى أشد من غضبك لوالديك اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) يعنى ان المشركين كانوا يسألون الله فى حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا وامائا احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابى كان عظيم الفئة كبير الجفنة كثير المال فاعطنى مثل ما اعطيته قال فهذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان أعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش (قوله تعس عبد الدينار) هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز او صوف معلم (قوله وانتكس) هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على رأسه او فى امره فقد شقى وخسر (قوله واذا شيك) هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت فى جسمه والآلة اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وماله فى الآخرة من خلاق) اى وماله فى الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعنى المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا فى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثانى هم المؤمنون الذين جمعوا فى الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له أن يستعيذ بالله من شرها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه اشوش عليه حياته فى الدنيا وتعطل عن الاشتغال بامور الآخرة فثبت الله تعالى بذلك ان طلب الدنيا فى الدعاء من امر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة قيل ان الحسنة فى الدنيا عبارة عن العافية والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن

الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله اياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه ابو داود (أولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال ومالهم في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا اي لكل فريق من هؤلاء (نصيب) اي حظ (مما كسبوا) يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكر وافي معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير مالهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم ومالهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر وصف الله تعالى نفسه بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شيء من ذلك لانه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لامحالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة * قوله عز وجل (واذكروا الله) يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (في أيام معدودات) يعني أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب ويروى عن ابن عمر أيضا وهو مذهب ابي حنيفة (م) عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق

(أولئك) اي الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز ان يكون أولئك للفريقين او ان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروى انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار لمحة (واذكروا الله في ايام معدودات) هي ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار

حتى ترتحل منى اخرجه البخارى بغير اسناد واجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى
وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير فى عيد الا
وفى هذه الايام فى أدبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل يبتدأ به من صلاة الظهر يو
الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قو
عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى أصح أقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر
قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من
المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون
على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يو
ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين
وهو قول على بن ابى طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح
عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه
حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يو
وآخرها صلاة العصر من آخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة اولها الفج
يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله أكبر الله أ
اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعى وما زاد من ذكر الله
ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى
تعجل فى يومين) اى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من أيام التشريق (فلا اثم عليه) اى لا
عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى ايام التشريق ليرمى كل
بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى
ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين
عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن
النفر الثانى وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه فى تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن
الزوال من اليوم الثانى من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت
الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى واكثر الفقهاء وقال ابو
يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاية العبا
المبيت بمنى ليالى منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى أتى بأفعال
كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه
أجوبة أحدها انه تعالى لما أذن فى التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم أن
على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه فى الامرين
عجل وان شاء أخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق
فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لا
الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة
ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه قيل
فتعجلوا أو تأخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التأخير (لمن اتقى) اى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج انما
لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيأ مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل

(فمن تعجل) فمن عجل فى النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل بمعنى مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الامر واستعجل ومتعدين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق بقوله ومن تأخر (فى يومين) من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث او كتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة (فلا اثم عليه) فلا يأثم بهذا التعجيل (ومن تأخر) حتى رمى فى اليوم الثالث (فلا اثم عليه لمن اتقى) الصيد او الرفث والفسوق او هو مخير فى التعجيل والتأخر وان كان التأخر افضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل وقيل كان اهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المأثم عنهما

(واتقوا الله) فى جميع الامور (واعلموا أنكم اليه تحشرون) حين يبعثكم من القبور كان الاخنس بن شريق حلو المنطق اذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله انى صادق فنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم فى قلبك ومنه الشئ العجيب الذى يعظم فى النفس (فى الحيوة الدنيا) فى يتعلق بالقول اى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة او يعجبك اى يعجبك حلو كلامه فى الدنيا لا فى الآخرة ١٤٩ لما يرهقه فى الموقف من الحبسة واللكنة (ويشهد الله على ما فى قلبه) اى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام الخاصمة والاضافة بمعنى فى لان أفعل يضاف الى ما هو بعضه تقول زيد افضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد فى الخصومة او الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الانة القول واحلاه المنطق (سعى فى الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف فانه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (ويهلك الحرث والنسل) اى الزرع والحيوان او اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله) للاخنس (اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة بالاثم) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه والزمته ارتكابه او الباء للسبب اى اخذته العزة من اجل الاثم الذى فى قلبه وهو الكفر (فحسبه جهنم) اى كافيه (ولبئس المهاد) اى الفراش جهنم ونزل فى صهيب حين أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم واتى المدينة او فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل

ذهب اثمه ان اتقى فيما بقى من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله (واتقوا الله) اى فى المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا أنكم اليه تحشرون) اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا) نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه ابى وانما سمى الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن أختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال انى سأخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك وتستحسنه ويعظم فى قلبك فى الحياة الدنيا يعنى أن حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا (ويشهد الله على ما فى قلبه) يعنى قوله والله انى لك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) اى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم يعنى الشديد فى الخصومة (واذا تولى) اى ادبر واعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق (سعى فى الارض) اى سار ومشى فى الارض (ليفسد فيها) يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له أتانا وقيل معناه اذا تولى اى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع أن تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة وأجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيأ ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) اى خف الله فى سرك وعلانيتك (أخذته العزة بالاثم) اى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وأصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) اى كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم أعجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) اى الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار

يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول
بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى * قوله عز وجل
الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع
بعد أحد (خ) عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت
جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال
لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر
من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجؤا الى
وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما
انزل فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل
خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما
منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا أول الغدر فابى أن يصحبهم
وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى
بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا
اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن
فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال
منى أن اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت اسيرا قط خيرا من خبيب
رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ تمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله
فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى أصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ترو
ما بى جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست أبالى حين أقتل مسلما * على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده يعدمونه وكان
عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه
زاد فى رواية وأخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم * الفدفد الموضع
غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اى مارسوه وأراد به انهم يخدعونه ليتبعهم فابى وقوله ليستحد الا
حلق العانة والقطف العنقود من العنب (قوله على أوصال شلو) الشلو العضو من أعضاء الا
والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير وقال
التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا
من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن
الانصارى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن
وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن ابى افلح الانصارى وذكر نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا انصلب
حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لى أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فابلغه سلامى فقام اليه أبو سروعة
ابن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين
خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق
اخذته العزة بالاثم يعنى سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بابيه أمية بن

(ومن الناس من يشرى نفسه) يبيعها (ابتغاء) لابتغاء (مرضات الله

فبعثه

فبعثه مع مولى له يسمى بنسطاس الى التنعيم ليقتله فى الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابوسفيان بن
حرب فقال له أبوسفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد أتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه
وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا
جالس فى اهلى فقال ابوسفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ
النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول
الله وصاحبى المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة
اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب يثنى ولم يتغير منه شئ بعد
اربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه
وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف
الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما أجرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع
العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود
اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا
الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان
الملائكة لتباهى بهذين من اصحابك ونزل فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات
الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت فى صهيب بن سنان الرومى
وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام
صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب
مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركى قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان فى كنانته
وقال والله لا تصلوا الى واحد منكم حتى أرمى بكل سهم معى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى وان شئتم دللتكم على مال
دفنته بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من
يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه
الآية وقال الحسن اتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت فى المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله
فيأبى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسى لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه
الآية فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما اترى من يشرى نفسه ابتغاء
مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال وأنا اشرى نفسى لله فقاتله وكان
على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن
الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى
عن المنكر فقتل عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند
سلطان جائر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد
بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن اى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى فى الدار
الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه فى طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهى عن
منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشترى والثمن هو ثواب الله تعالى
فى الآخرة ابتغاء مرضات الله اى طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد) اى من رأفته الله بعباده ان جعل
النعيم الدائم فى الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته انه يقبل توبة عبده ومن رأفته ان
نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشترى ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا * قوله عز وجل

(والله رؤف بالعباد) حيث أثابهم على ذلك

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) وبفتح السين حجازى وعلى وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله وأطيعوه او الاسلام والخ
لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم (كافة) لايخرج أحد منكم يده عن طا

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصح
وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها وق
ان ترك هذه الاشياء مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة وقالوا ايضا يا رسول الله ان التوراة كت
الله دعنا فلنقم به فى صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الآية وأمرهم ان يدخلوا فى السلم اى فى شر
الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل
خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بمو
وعيسى ادخلوا فى السلم كافة اى فى الاسلام وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم حين أت
فقال انا نسمع احاديث من يهود ويعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم أتهوكون
تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو ان موسى حى ما وسعه الا اتباعى (قوله أتهوكون
اى تحيرون أنتم فى دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعنى بالملة الحنـ
بيضاء نقية اى لاتحتاج الى شئ وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذ
آمنوا بألسنتهم ادخلوا فى السلم اى الانقياد والطاعة لان أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة
باجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا فى أحكام الاسلام وشرائعه
وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لانهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية نزلت
ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن
قال وقد خاب من لا سهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السـ
ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والدا
المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت ع
بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد فان الله هو الفاعل لجميع الاشياء
انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم لي
المعاصى والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان فى مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فه
اعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله تعال
عداوته ماهى فكانه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) اى ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم (من
ماجاءتكم البينات) اى الدلالات الواضحات (فاعلموا أن الله عزيز) اى فى نقمته ممن خالفه غالب لا
شئ (حكيم) يعنى انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة فى الامور كلها وفى الآية وعيد قوى لمن
قلبه شك ونفاق او عنده شبهة فى الدين * قوله عز وجل (هل ينظرون) اى ينتظرون التاركون الد
فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا أن يأتيهم الله فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى الـ
الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى
وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) اى وتأتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره بسنده
عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتى الله عز وجل فيها
وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر فالله
والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآ

حال من الضمير فى ادخلوا
اى جميعا او من السلم
لانها تؤنث كأنهم أمروا
ان يدخلوا فى الطاعات
كلها او فى شعب الاسلام
وشرائعه كلها وكافة من
الكف كانهم كفوا أن
يخرج منهم احد باجتماعهم
(ولا تتبعوا خطوات
الشيطان) وساوسه (انه
لكم عدو مبين) ظاهر
العداوة (فان زللتم) ملتم
عن الدخول فى السلم (من
بعد ماجاءتكم البينات)
اى الحجج الواضحة والشواهد
اللائحة على ان ما دعيتم
الى الدخول فيه هو الحق
(فاعلموا أن الله عزيز)
غالب لا يمنعه شئ من
عذابكم (حكيم) لا يعذب
الا بحق وروى أن قارئا قرأ
غفور رحيم فسمعه اعرابى
لم يقرأ القرآن فانكره وقال
ليس هذا من كلام الله
اذ الحكيم لا يذكر الغفران
عند الزلل والعصيان
لانه اغراء عليه (هل
ينظرون) ما ينتظرون
(الا أن يأتيهم الله) اى
امر الله وبأسه كقوله او
يأتى أمر ربك فجاءها
بأسنا أو المأتى به محذوف
بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز (فى ظلل)
جمع ظلة وهى ما أظلك (من الغمام) السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا أنزل منه العذاب كان الامر فظيعا
(والملائكة) اى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم او المراد حضورهم يوم القيامة

آيات

آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات واحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات باسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فسره في آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة او يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتي به كان اسهل عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل ان تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان أعظم وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها (وقضي الامر) اي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) اي الى الله تصير امور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا أضافوا أفعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما أضافوه الى غيره في الدنيا * قوله عز وجل (سل بني اسرائيل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) اي من دلالة

(وقضي الامر) اي وتم امرهلاكهم وفرغ منه (والى الله ترجع الامور) اي انه ملك العباد بعض الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامي وحمزة وعلي (سل) اصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغني عن همزة الوصل فصار سل وهو امر للرسول او لكل احد وهو سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة (بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية او خبرية

(ومن يبدل نعمة الله) هى آياته وهى أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها أن الله أظهر
واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل
نعمة الله من بعد ما جاءته) يعنى بغير الآيات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلا
وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم أنكروها وبدلوها وقيل المرا
الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعنى لمن بدل نعمة الله * قوله عزوجل (ز
للذين كفروا الحيوة الدنيا) نزلت فى مشركى العرب ابى جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط
فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت فى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه وقيل نزلت
رؤساء اليهود ويحتمل أنها نزلت فى الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الز
وذلك انه لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب
وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار
وامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذى لا يتم
تركه بل على سبيل التحبيب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا أكثر
قدرها فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهل
فى الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وجن
الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وز
اوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان
تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم
لهم وهذا المزين لابد وأن يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آ
يعنى ان الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن
وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم (وال
اتقوا) يعنى الفقراء من المؤمنين (فوقهم) اى فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء فى عليين وال
والمنافقين فى أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا
باهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لابره الا أخبركم باهل النار كل عتل جواظ جع
مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد فى الخصومة الذى لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال فى
وقيل هو القصير البطين والجعظرى الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بما ليس فيه او عنده (ق)
اسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها الم
وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من د
النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن
يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده
يرزقه فى الدنيا ولا يحاسبه فى الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معنا
يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما فى خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج
لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله غنى عالم بما يعطى ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكا
والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطى كل واحد على
حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له فى حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال
اعطيت هذا وحرمت هذا ولم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له فى ملكه ينازعه ولا يع
عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطى الله المتقين فى الآخرة من الثواب والكرامة بغير حس

(ومن يبدل نعمة الله) لتكون أسباب هداهم فعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم اى وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعد ما جاءته) من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فان الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها او الله تعالى بخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا (ويسخرون من الذين آمنوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم اى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم فى جنة عالية وهم فى نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقتير يعنى انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله محكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون احق بها منكم

منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطى اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) اى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحى وقيل كان الناس امة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهر والى الوجود اختلفوا بسبب البغى والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعنى اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب فى ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم فى القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعنى بالثواب لمن آمن واطاع (ومنذرين) يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجرى مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم (وأنزل معهم الكتاب) اى الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) اى بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسون وعلى ادريس ثلاثون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعنى الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبى مجاز والله هو الحاكم فى الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين أوتوه) اى أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) اى انهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) اى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغد لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون

فاختلفوا (فبعث الله النبيين) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا او كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) اى مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله او الكتاب او النبى المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) فى دين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) فى الحق (الا الذين أوتوه) اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اى ازدادوا فى الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له اى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) اى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه

(باذنه) بعلمه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم) ام منقطعة لان شرطها ان يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك اعندك زيد أم عمرو أى ايهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد أو عمرو ان كان عنده عمرو وأما ام المنقطعة فتقدر بل والهمزة بعد الخبر وتكون بمعنى الاستفهام و بعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريق الالتفات التى هى أبلغ ام حسبتم (ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم) اى ولم يأتكم وفى لما معنى التوقع يعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا اى حالهم التى هى مثل فى الشدة (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (البأساء) اى البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بانواع البلايا وأزعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) الى الغاية التى قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) اى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اجابة لهم الى طلبهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية نحو شربت الابل حتى يجىء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان لم له * ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل

بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا والنصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم عليه السلام فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعنى بعلمه وأمره وارادته (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فى عز وجل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان الله تعالى اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة فى أول الهجرة اشتد عليهم البلاء لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم النفاق فانزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الهمزة فى أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم تمتحنوا بمثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار بضروب المكاره (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) اى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من الشدائد ومثل محنتهم (مستهم البأساء) اى اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) اى وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباعهم من الانبياء والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى فى الشدة فظن الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم فى طلبهم هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

عز وجل (يسئلونك ماذا ينفقون) نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) اى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل او كثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والاقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم (والمساكين) وانما أخرهم لان حاجتهم أقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول * (بقى فى الآية سؤال) * وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ما ينفق فاجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان او فاجرا أخرجه ابو داود وبزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا اولم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية على ثلاثة أقوال أحدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله تعالى (وهو كره لكم) اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ

(يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها عن الحسن هى فى التطوع (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) فيجزى عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار (وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولهم * فانما هى اقبال وادبار * كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له او هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى وهو مكروه لكم

هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل أن
عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذى تكرهون من القتال هو
من تركه لئلا يكرهونه بعد أن فرض عليهم (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) لفظة عسى توهم
مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لا تدل على حصول الشك للقائل ولكن
حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة
ربما كان الشئ شاقا فى الحال وهو سبب المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه يتنفر
الطبع فى الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل (وعسى أن
تحبوا شيأ) يعنى القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو
لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وقوة
على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعنى ما فى الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وأنتم لا تعلمون) يعنى
والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة
فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس فى الحال * قوله عز وجل (يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله
جحش وهو ابن عمته فى سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له
وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على اصحابك
امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب
فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة
بها عير القريش لعلك تأتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان أستكره
احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه
ثمانية رهط ولم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له
أضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله فى
أصحابه حتى نزل فى بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل
أدما وتجارة من تجارة الطائف وفى العير عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله
المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد
قربوا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم ولبنعم
لهم فاذا رأوه محلوقا أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار
فلا بأس علينا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاوروا وقالوا
وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا أمرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد
ابن عبد الله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسر الحكم بن
كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين
حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك فيه الدم
وأخذ الحرائب يعنى المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما أمرتكم
بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون احمد
السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا

(وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) فانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيأ) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر (والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم ونزل فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف (يسئلونك عن الشهر الحرام) اى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم

قتال فيه كبير) اى اثم كبير قتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانها قد وصفت بفيه واكثر الاقاويل على انها منسوخة
قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصدّ عن سبيل الله) اى منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن
البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وكفر به) اى بالله عطف عليه (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله اى وصدّ عن سبيل
الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء انه معطوف على الهاء فى به اى كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام (واخراج اهله) اى اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهو عطف عليه ايضا (منه) من المسجد الحرام وخبر الاسماء الثلاثة (اكبر عند الله) اى مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج او الشرك (أكبر من القتل) فى الشهر الحرام وتعذيب الكفار المسلمين أشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين فى الشهر الحرام (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم) اى الى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردّوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اى يقاتلونكم كى يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك ان ظفرت بى فلا تبق على وانت واثق بانه لا يظفر بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن دينه الى دينهم (فيمت وهو كافر) اى يمت على الردة (فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين فى الدنيا من

فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندرى أفى رجب
اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
فنزل منها الخمس وكان أول خمس فى الاسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقى على اصحاب السرية وبعث
اهل مكة فى فداء أسيرهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما
فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة
شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم
الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وأما تفسير الآية فقوله تعالى
يسئلونك يعنى يا محمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفى السائلين رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما انهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤا أم أصابوا
وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال فى الحرم وفى الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثانى ان السائلين
هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الشهر الحرام
قتال فيه (قل) اى قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) اى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم هذه الآية
على قولين أحدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل
الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الشهر الحرام ولا أن يقاتلوا فيه وما
نسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسلمان
ابن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها (وصدّ عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام
والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام)
اى وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج أهله منه) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين
آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله أهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام
دون المشركين (أكبر عند الله) اى اعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام (والفتنة) اى الشرك
الذى أنتم عليه (أكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب
عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام
فعيروهم أنتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت
(ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (يقاتلونكم) يعنى يا معشر المؤمنين (حتى يردّوكم عن دينكم) يعنى الى
دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل
لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق أنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر)
يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب (فاولئك حبطت أعمالهم)
اى بطلت أعمالهم (فى الدنيا والآخرة) وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من

على ان الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل عندنا ان المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة وعشائرهم (وجاهدوا فى سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لان (أولئك يرجون رحمت الله) خبر ان قبل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل فى الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسئلونك عن الخمر والميسر) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن ابن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا

اقار به المؤمنين ولا ينصران استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيأ للمسلمين هذا فى الذى يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تترتب عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر أما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من أحكام الردة وهو قول للشافعى ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعندنا بى حنيفة ان الردة تحبط العمل اسلم (وأولئك أصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار (هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) نزلت فى عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان أصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون غزوا فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش واصحابه يوم الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه أجر فانزل الله الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أى فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا المشركين فى أمصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا المشركين فى سبيل الله اى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمت الله اى يطمعون فى نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى أصل اللغة وانما دخل الظن فى كمته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) اى لعباده (رحيم) بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يعلموا به * قوله عز وجل (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله تعالى هذه الآية وأصل الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل فى الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها فى أول الاسلام لهم حلال ثم نزل بالمدينة فى جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى آخره فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر فى أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى طعاما ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن أبى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى انتشى منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يتمثل ببيتين لابن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرحى مثلنا فى المعاشر
فاحيائنا من خير احياء من مضى * وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شئ أشد من الخمر (ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم وانى لقائم اسقى أبا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل * الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهى الجرة الكبيرة

* (فصل فى تحريم الخمر ووعيد من شربها) * اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها فى الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يارسول الله قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال صديد اهل النار أخرجه ابو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها فى بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شئ من الفرائض وفى رواية عن القرآن لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائى عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائى موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها واكل ثمنها اخرجه الترمذى

* (فصل فى احكام تتعلق بالخمر) * وفيه مسائل * (الاولى فى ماهيتها) * قال الشافعى الخمرة عبارة عن عصير العنب الذى اشتد الذى قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه وفى رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا أخرجه النسائى الطلاء بكسر

امكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب او من اليسار كانه سلب يساره وصفة الميسر انه كانت لهم عشرة اقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة اغشال لا نصيب لها وهى المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح فى خريطة ويضعونها على يدعدل ثم يجللها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا فدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون

(٢١ (خازن) ل) من لم يدخل فيه وفى حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسئلونك عما فى تعاطيهما بدليل

الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذى ذهب ثلثاه و بقى ثلثه واحتج أيضا بما روى عن
عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها و كثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائى واستدل أيضا على
السكر حرام لما روى عن ابى الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابى بردة ان النبى صلى
عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه أخرجه النسائى وقال هذا حديث غير ثابت واستدل
الشافعى على ان الخمر من عدة أشياء بما روى عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه
اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير و
ماخامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه
والكلالة وابواب من ابواب الربا أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه
سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه
النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من
خمرا وان من التمر خمرا أخرجه أبو داود وزاد فى رواية والذرة وانى انهاكم عن كل مسكر وللترمذى نحوه
وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد الباذق فما اسكر
حرام على لسان محمد والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب
الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية
عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير فى
الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية اى لم يكن فى زمانه او سبق قوله فيها وفى غيرها
جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام * عن أم سلمة قالت نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه
وضعف وانكسار واستدل الشافعى على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذى وابو داود * عن عائشة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه ابو
والنسائى وفى رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادى وا
عن حديث عمر فى الطلاء بانه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان
شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له انه يسكر فجلده
الحد تاما اخرجه مالك فى الموطا وأما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى
وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الا
و يقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال عبد
هرون وهو الصواب وأما حديث ابى الاحوص ففيه وهمان احدهما فى سنده حيث قال عن
وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابى بريدة عن ابيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا
وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم فى صحيحه عن محارب بن د
ابى بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف
فاشربوا فى كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث ابى الاحوص هذا حديث منكر
فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك وأما حديث عائشة فهو
غير ثابت كما تقدم فى قول النسائى * (المسئلة الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر) * الخمر وما يلحق به
العين و يدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان

تنبوه والرجس فى اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة
وايضا يدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغى أن يحكم
بنجاستها تأكيدا للزجر عنها * (المسئلة الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع بها) * اجمعت الامة على تحريم
الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام أخرجاه فى
الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى
الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها * عن المغيرة بن شعبة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه ابوداود وقوله فليشقص
الخنازير اى فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير
وهما فى التحريم سواء عن ابى طلحة قال يانبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى فقال أهرق الخمر
واكسر الدنان أخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان اباطلحة كان عنده خمر لايتام وهو أصح فان
قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها
وما كانوا يصيبون من الربح فى ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله
(فصل) * وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكد قال ابن
عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله
هذه الآية وأصل الميسر ان اهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها
ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام وأسماؤها الفذ والتوأم
والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء
للفذ سهما وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة
وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح انما سهمى وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح فى خريطة يسمونها الربابة او يضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل
والمفيض فيجيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر
ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لا انصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل
لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيأ
وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لا يخرج شيأ بين الاصحاب
لبخله وأما حكم الآية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين
ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعنى الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما
النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابى موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد أو نرد شير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابوداود وعن على بن ابى طالب
قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا فى الشطرنج فمذهب ابى حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن او
بغير رهن ومذهب الشافعى انه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان
عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر

(قل فيهما اثم كبير) بسبب المخاصم والشاتم وقول الفحش والزور كثير جزة وعلى (ومنافع للناس) بالتجارة في الخمر والبشر بها وفي الميسر بارتفاق الفقراء ونيل المال بلا كد (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) لان اصحاب الخمر والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) اى الفضل اى انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل في اول

الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل

كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدا وخبره ذا بمعنى الذي وينفقون صلته اى ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو اى هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اى تبينا مثل هذا التبيين (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا) اى في امر الدنيا (والآخرة) وفي يتعلق بتتفكرون اى تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق ببين اى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم بمجانبوهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه (والله يعلم المفسد) لاموالهم (من المصلح) لها فيجازيه بحسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح

يقصد

ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعني في الخمر والميسر (اثم كبير) اى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله وأما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما أكبر من نفعهما) يعني اثمهما بعد التحريم من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كثيرة بسبب الخمر والميسر * قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعني الفضل والعفو ما فضل عن الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط من الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبينه الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى يبين لكم الامور التي سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها * قوله عز وجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) اى اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ أجرة ولا عوض خير لكم اى اجر او قيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعني في السكنى والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اى شاركوهم في اموالهم واخلطوها باموالكم وتنفقوا ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم باموالهم او تكافؤهم على ما تصيبون من اموالهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم

قصد بالمخالطة الخيانة وا كل مال اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لاعنتكم) اى
ضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل شئ ما يشق عليكم
ان الله عزيز حكيم) اى غالب يقدر أن يشق على عباده و يعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع
طاقتهم * قوله عز وجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت فى ابى مرثد بن ابى مرثد الغنوى
اسم ابى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا
فاقدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فاتته فقالت ألا تخلو فقال
ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني و بين ذلك فقالت له هل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت أبى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله
فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من امره وأمر عناق وما لقى
منها وقال يا رسول الله أيحل لى أن أتزوجها فانزل الله تعالى هذه الآية وأصل النكاح فى اللغة الوطء ثم
كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اى يصدقن بالله
ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها
تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اى اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية
والنصرانية وغيرهن من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن
عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ
ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب
اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه و بيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من
العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك
عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم و يدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه
الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله
تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد
زعم ان ما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا
يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا
عبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات
تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن
تكون الآية محكمة فى حق الوثنيات منسوخة فى حق الكتابيات وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير)
يعنى انفع واصلح وافضل (من مشركة) يعنى حرة (ولو أعجبتكم) يعنى بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة
خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت فى خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد
ذكرت فى الملا الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت فى عبد الله بن رواحة
كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هى
يا عبد الله قال هى تشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال هذه

(ولو شاء الله) اعنتكم
(لأعنتكم) لحملكم على
العنت وهو المشقة وأحرجكم
فلم يطلق لكم مداخلتهم
(ان الله عزيز) غالب
يقدر على أن يعنت عباده
و يحرجهم (حكيم)
لا يكلف الا وسعهم
وطاقتهم ولما سأل مرثد
النبى صلى الله عليه وسلم
عن ان يتزوج عناق
وكانت مشركة نزل (ولا
تنكحوا المشركات حتى
يؤمن) اى لا تتزوجوهن
يقال نكح اذا تزوج
وأنكح غيره زوجه
(ولأمة مؤمنة خير من
مشركة ولو أعجبتكم) ولو
كان الحال ان المشركة
تعجبكم وتحبونها

(ولا تنكحوا المشركين) ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف احد المفعولين والتقدير ولا تنكحوا المشركين (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو اشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) الى الكفر الذى هو عمل اهل النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا (والله يدعوا الى الجنة والمغفرة) اى والله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تحب موالاتهم ومصاهرتهم (باذنه) بعلمه او بامره (ويبين للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون

كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل المجوس فسأل ابو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل (ويسئلونك عن المحيض) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا (قل هو أذى) اى المحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه (فاعتزلوا النساء فى المحيض) فاجتنبوهن اى فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شئ فامر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عند ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضى الله عنها يجتنب شعار الدم وله ماسوى ذلك (ولا تقربوهن) مجامعين او ولا تقربوا مجامعتهن (حتى يطهرن) بالتشديد كوفى غير حفص اى يغتسلن واصله يتطهرن فادغم التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن اى ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها فى اكثر الحيض بانقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفى أقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد على هذا أولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحداهما لما عرف وعند الشافعى رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتغتسل لقوله تعالى (فاذا تطهرن فاتوهن) فجامعوهن فجمع بينهما (من حيث أمركم الله) من المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم وهو

أمة مؤمنة قال عبد الله فوالذى بعثك بالحق لاعتقنها ولا تزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة اى لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعنى حرا (ولو أعجبكم) بحسبه وماله وجماله (أولئك يدعون الى النار) يعنى يدعون الى الذى يؤدى الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعنى انه تعالى بين هذه الاحكام واباح بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) اى يوضح ادلته وحججه فى أوامره ونواهيه (لعلهم يتذكرون) اى فيتعظون * قوله عز وجل (ويسئلونك عن المحيض) (م) عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل فى آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاضت الشجرة اذا سال وفاض ماؤه (قل هو أذى) اى هو شئ قذر والاذى فى اللغة ما يكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء فى المحيض) اى فاجتنبوا مجامعتهن (ولا تقربوهن) يعنى بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء فى المحيض (حتى يطهرن) يعنى من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) اى اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث أمركم الله) قال ابن عباس طؤهن فى الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذى أمر الله به ولا تأتوهن فى المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذى امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

* (فصل فى حكم هذه الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * أجمع المسلمون على تحريم الجماع فى زمن الحيض ومستحله كافر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا او امرأة فى دبرها او كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذى وقال انما معنى هذا عند أهل العلم على ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفى وجوب الكفارة قولان أحدهما انه يستغفر الله ولا

(ان الله يحب التوابين) من ارتكاب مانهوا عنه او العوادين الى الله تعالى وان زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس (ويحب المتطهرين) بالماء او المتنزهين من ادبار النساء اومن الجماع فى الحيض اومن الفواحش كان اليهود يقولون اذا أتى الرجل أهله باركة اتى الولد احول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فأتوهن من حيث امركم الله اى ان المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها على ان المطلوب الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى نيط به هذا المطلوب

له ولا كفارة عليه وهو قول ابى حنيفة والشافعى فى الجديد والقول الثانى انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعى وبه قال احمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرجل يقع على امرأته وهى حائض قال يتصدق بنصف دينار وفى رواية قال اذا كان دما أحمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار أخرجه الترمذى وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم * (المسئلة الثانية) * أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كنت احدانا اذا كانت حائضا وارادرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازار فى فور حيضها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفى رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فاتزر فيباشرنى وانا حائض أخرجاه فى الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ اوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت انا حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل او غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعنى ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة وهى حائض * (المسئلة الثالثة) * يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو امنت الحائض من التلويث فى عبور المسجد جاز فى احد الوجهين قياسا على الجنب والثانى لا لان حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكنى اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه فى الصحيحين * (المسئلة الرابعة) * لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت فى النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعى وغيره من العلماء أنه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثانى الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعنى من الحيض فاذا تطهرن يعنى اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعنى من الذنوب والتواب الذى كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذى لا يعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعنى من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب * قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفى رواية للترمذى كانت اليهود تقول من أتى المرأة فى قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلى الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وادبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (قوله حولت رحلى) هو كناية عن الاتيان فى غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها فى المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحى من الانصار وهم

(فأتوا حرثكم أنى شئتم) جامعوهن متى شئتم او كيف شئتم باركة اومستلقية اومضطجعة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل اى فأتوهن كما تأتون اراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها فى المحاورات والمكاتبات (وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه او هو طلب الولد او التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترؤا على المناهى (واعلموا أنكم ملاقوه) صائرون اليه فاستعدوا للقائه (وبشر المؤمنين) بالثواب يا محمد وانما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كانه وقع فى احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسألوا عن الحوادث الاخر فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهى اسم لما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه يقول فلان عرضة دون الخير

اهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن اهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب أن يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبنى حتى يسرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجنة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ طبقه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سرى امرهما اى ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لمع فى اللمعان عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم فى صمام واحد ويروى سمام بالباء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج (فأتوا حرثكم أنى شئتم) اى كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان فى القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان فى الفرج وفى الآية دليل على تحريم اتيان النساء فى ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة فى دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا فى العزل يعنى ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو ويروى عنه انه قال تستأمر الحرة فى العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفى وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت فى رجل اتى امرأته فى دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه لقى سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء فى ادبارهن قال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون فى فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وان اصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء فى ادبارهن وقالوا الان الله حرم الفرج فى حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى أن يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ان الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) اى الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد أن يأتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم (قوله الا تحلة القسم) يعنى قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه فيه وقدموا لانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) اى احذروا أن تأتوا ما نهاكم الله عنه (واعلموا أنكم ملاقوه) اى صائرون اليه فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم (وبشر المؤمنين) يعنى بالكرامة من الله تعالى * قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت فى عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح

وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله أن لا افعل فلا يحل لى الا أن تبر يمينى فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض فى حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحالف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه فى ترك البر والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) اى لحلفكم (عليم) يعنى بنياتكم * قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام ومالا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر واللغو فى اليمين هو الذى لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعى ويعضده ما روى عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخارى موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل فى بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل فى معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك فى الموطا احسن ما سمعت فى ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذى يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضى به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من أن تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذى بين الشافعى وابى حنيفة فى لغو اليمين ان الشافعى لا يوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعى هو قول عائشة والشعبى وعكرمة ومذهب ابى حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل فى معنى اللغو انه اليمين فى الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم اى لا يعاتبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعنى لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

(فصل فى بيان حكم الآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* * لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذى نفسى بيده والذى أعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة *(المسئلة الثانية)* * لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وأبى ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه فى الصحيحين *(المسئلة الثالثة)* * اذا حلف على امر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل

أحنث فى يمينى فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم اى للايمان المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل او بالعرضة اى ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الايمان وهو أن يحلف على شئ يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه احدكم وعند الشافعى رحمه الله هو ما يجرى على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب

الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ومن في (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور اي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني معونة اي للمؤلين من نسائهم (تربص اربعة اشهر) اي استقر للمؤلين تربص اربعة اشهر لا يؤلون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك ان تقول عدى بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فان فاؤا) في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاؤا فيهن اي رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه (فان الله غفور رحيم) حيث شرع الكفارة

اولقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين (والله غفور) يعني لعباده فيما تلغو من ايمانهم التي اخبر انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل (حليم) يعني في ترك معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو متمكن من معاصيه كما يبقي البر المتقي ويديمه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوه كما يفعل الناسك الذي يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون اي يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الألا يا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا اجامعك اولا أباضعك اولا أقربك وكان ابن عباس يقول كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيئا فابت أن تعطيه حلف لا يقربها السنتين والثلاث فيدعها لا أيما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر ونزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرارا لاهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها ابدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة اربعة اشهر وانزل هذه الآية (للذين يؤلون من نسائهم (تربص) اي انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) اي رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين * (فروع) * تتعلق بحكم الآية * (الفرع الاول) * اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة هي اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفيء وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه او بالقول مع العجز عنه فان لم يفيء ولم يطلق طلق عليه الحاكم وهو قول عمر وعثمان وابي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولي وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر بقي طلقة بائنة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية * (الفرع الثاني) * لو حلف أن لا يطأها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها لزمه كفارة يمين * (الفرع الثالث) * لو حلف أن لا يطأها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفيء او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة * (الفرع الرابع) * مدة الايلاء اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وابي حنيفة تنتصف مدة الايلاء بالرق غيران عند ابي حنيفة تنتصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما في الطلاق * (الفرع الخامس) *

(وان عزموا الطلاق) بترك الفيء فتربصوا الى مضى المدة (فان الله سميع) لايلائه (عليم) بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضى المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان أحدثتكم اقمت عندكم الى آخره والالم أقم الا ريثما أتحول (والمطلقات) اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (يتربصن بانفسهن) خبر في معنى الامر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة ١٧١ الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا بما زاده ايضا فضل تأكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفي ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن أن يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويحبسنها على التربص (ثلاثة قروء) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار

خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة * قوله تعالى (وان عزموا الطلاق) اى تحققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعني لاقولهم (عليم) يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها وجهالانه تعالى شرط فيها العزم * قوله عز وجل (والمطلقات) اى المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي اوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بانفسهن) اى ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرأ اى جمع لان في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اى لوقته الذي كان فيه لان الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما ان الاقراء هي الحيض روى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء هي الاطهار وانا اليوم أذهب الى انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان الاقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة أيام اقرائك يعني ايام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

في كل عام انت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقراؤهن وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره أطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت اقراء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لانه اذا طلقها الآخر الطهر فذاك محسوب من العدة عنده واذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلاثة على انه مفعول به اى يتربصن مضي ثلاثة قروء او على الظرف اى يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل

(ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الولد او من دم الحيض او منهما وذلك اذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم (وبعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) اى ازواجهن اولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (في ذلك) في مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل ان أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لان لها حقا في الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذي عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الامر والنهي (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب في كونه حسنة

فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم (وبعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) اى ازواجهن اولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (في ذلك) في مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل ان أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لان لها حقا في الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذي عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الامر والنهي (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب في كونه حسنة

أعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة الامر وأصل الكلام وليتربص المطلقات فاخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

(فصل في احكام العدة) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء كانت مطلقة او متوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والامة *(المسئلة الثانية)* عدة المتوفى عنها زوجها الحامل اربعة اشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسواء في ذلك الحائض والامة والآيسة *(المسئلة الثالثة)* عدة المطلقة المدخول بها وهي ذات الاقراء ثلاثة اقراء الضرب الثاني الآيسات من المحيض اما الكبيرة او تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها *(المسئلة الرابعة)* عدة الامة نصف عدة الحرة لان له نصف وفي الاقراء قرآن لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين وقوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد تأكيد لتحريم الكتمان وايجاب اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيهن فهو كقولك ان كنت مؤمنا يعني ان أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذي يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني انه لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت في زوجها تقول اني حائض وان كانت قد طهرت لير اجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بادا الامانة (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) يعني أزواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اى في حال العدة فاذا انقضت فلا عدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان أرادوا اصلاحا) يعني ان أراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله تعالى المؤمنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعني وللنساء على الازواج (من الذي عليهن) يعني للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يؤدي حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية اني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي فذلك قوله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا

لانى جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (وللرجال

ضرباغير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف (قوله فاتقوا الله فى النساء) فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف (قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله) ويروى بامانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هى قوله فامساك بمعروف أوتسريح باحسان وقيل الكلمة هى كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعنى بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) اى منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك ويبدالرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها (والله عزيز) اى غالب لا يمتنع عليه شئ (حكيم) اى فى جميع أفعاله وأحكامه روى البغوى بسنده عن ابى ظبيان ان معاذ بن جبل خرج فى غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها * قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الى ولا تحلين أبدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف اوتسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق اولم يطلق أخرجه الترمذى وله عن عائشة قالت كان الناس الرجل يطلق امرأته ماشاء الله ان يطلقها وهى امرأته اذا ارتجعها وهى فى العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبينى منى ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما هممت عدتك ان تنقضى راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف أوتسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعى مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث فى دفعة واحدة وهو الشافعى وقيل فى معنى الآية ان التطليق الشرعى يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا ان أبا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذى يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذى تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذى لكم فيه رجعة على أزواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعنى بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف فى الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن العشرة (أوتسريح باحسان) يعنى انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضى عدتها من غير مضارة وقيل هو انه

لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بان لا يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث ونزل فى جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه

يقابله بما يليق بالرجال (وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا فى اللذة والاستمتاع او بالانفاق وملك النكاح (والله عزيز) لا يعترض عليه فى أموره (حكيم) لا يأمر الا بما هو صواب وحسن (الطلاق مرتان) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا فى ان الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة فى طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا يؤدى الى الخلف فى خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجى قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان اى الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثالث (فامساك بمعروف) برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف (أوتسريح باحسان) بان

اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها * (فروع تتعلق باحكام الطلاق) * (الفرع الاول) * صريح اللفظ الذى يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابى حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط * (الفرع الثانى) * الحر اذا زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت فى العدة فاذا لم يراجعها انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها او زوج * (الفرع الثالث) * العبد يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات واختلف فيما اذا كان احد الزوجين فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بالزوج فى عدد الطلاق وبه قال الشافعى ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالحر يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن) يعنى أعطيتموهن (شيأ) يعنى من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله) نزلت فى جميلة بنت عبد الله بن أبى ويقال حبيبة بنت سهل الانصارى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو زوجها وقالت انه يسب ابى ويضربنى فقال ارجعى الى زوجك فانى أكره للمرأة أن لا تزال راغبة تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رأى ثابت لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال يا رسول الله بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكنى خشيت ان يهلكنى فاغيرة وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلترددها على وأخلى سبيلها فقال لها عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت الله ان ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا مال ولكنى أكره الكفر فى الاسلام قال ابو عبد الله تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما أعتب عليه يعنى ما أجد عليه والعتبى الموجدة والبستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا أن يخافا اى يعلما الزوجان من ان لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصى الله فى امور زوجها ويخاف الزوج انه اذا يعتدى عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيأ مما أعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وتقول لا اطيع لك أمرا ولا اطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من يعنى يعلم القاضى والوالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (أن لا يقيما حدود الله) يعنى ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) اى لا جناح على المرأة فى النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت من لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال اذا أعطته المرأة طائعة * (فصل فى حكم الخلع) * وفيه مسائل * (الاولى) * قال الزهرى والنخعى وداود لا يباح الخلع

وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان فى الاسلام (ولا يحل لكم) ايها الازواج او الحكام لانهم الآمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) مما اعطيتموهن من المهور (الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله) الا ان يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية مما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فان خفتم) ايها الولاة وجاز ان يكون أول الخطاب للازواج وآخره للحكام (أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر الا أن يخافا جزة على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة حدود الله

الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وجه هذا القول ان الآية صريحة فى انه لا يجوز للزوج ان يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا أن لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة فى انه لا يجوز الاخذ فى غير حالة الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه ابو داود والترمذى * عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق أخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شئ فاذا بذلت كان ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة امر نفسها اولى وأجيب عن الاستثناء المذكور فى هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع * (المسئلة الثانية) * الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول على وبه قال الزهرى والشعبى والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب أن لا يقيد بمقدار معين كما ان للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته * (المسئلة الثالثة) * اختلف العلماء فى الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعى فى القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعى فى الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود والحسن والشعبى والنخعى وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثورى وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة فى البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) اى فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) اى يجاوزها (فاولئك هم الظالمون) * قوله عز وجل (فان طلقها) يعنى الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) اى لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعنى حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت فى تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن ابن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته قولها فبت طلاقى اى قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر (قوله حتى يذوق عسيلتك) بضم العين تصغير العسل

(تلك حدود الله) اى ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) الضارون انفسهم (فان طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعى رحمه الله فى قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك اى فان طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرط بحديث العسيلة كما عرف فى اصول الفقه والفقه فيه انه لما اقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول محل عليها ليمتنع عن ارتكابه

(فان طلقها) الزوج الثانى بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (ان يتراجعا) ان يرجع كل واحد

شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انث
على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاى وكس
مشددة (٣) وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك فى الآخر فلبثت
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ار
زوجى الاول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله
وسلم حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لا
فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الزوج الثانى بعد وطئها (فلا
عليهما) يعنى على المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعنى بنكاح جديد (ان ظنا) اى علما وايقنا
ان رجوا لان أحدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (أن يقيما حدود الله) يعنى يقيما بينهما الصلاح
العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل
* الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط
تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد
للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح
العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت
الثانى اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد
عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذى وقال حديث
صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط فى النكاح انه يفارقها فالنكاح
ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان فى عزمهما ذلك وبه قال الشافعى
حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب
القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق اخ
مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله
وسلم وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما
العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت فى ثابت بن
رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها
اجلهن) اى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها
للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قارب به وشارفه فهذا من
الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى
زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا
الى المجاز (فامسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها
لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن انفسهن (ولا تمسكوهن
ضرارا) اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارون لتعتدى المرأة
(لتعتدوا) اى لتظلموهن بمجاوزتكم فى امورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن
قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها

الى صاحبه بالزواج (ان ظنا ان يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل (فامسكوهن بمعروف اوسرحوهن بمعروف) اى فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) مفعول له اوحال اى مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن اولتجؤهن الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) يعنى الامساك للضرار (فقد ظلم نفسه) بتعريضها العقاب

(ولا

(٣) قوله مشددة كذا فى معظم النسخ بايدينا والصواب سقوطه اه مصحح

(ولا تتخذوا آيات الله هزوا) اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا يقال ان لم يجد فى الامر انك لاعب وهازئ (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم وهو ١٧٧ حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به

(ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعنى بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه فى وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التى تقدم ذكرها فى العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه ابو داود والترمذى وقوله تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم) يعنى بالايمان الذى انعم به الله عليكم فهدا كم له وسائر نعمه التى انعم بها عليكم (وما أنزل عليكم) اى واذكروا نعمته فيما انزله عليكم (من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة التى علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) اى بالكتاب الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) نزلت فى معقل بن يسار المزنى فى عضل اخته جميلة وكانت تحت ابى القداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لى اخت تخطب الى وامنعها من الناس فاتانى ابن عم لى فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتيتنى تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتكها أبدا ففى نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يمينى وانكحتها اياه اخرجه البخارى وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يراجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريدان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية وأراد ببلوغ الاجل فى قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التى قبل هذه قال الشافعى دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أيها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد يتبغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائى اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

يعنى اذا ضاق الامر وفى الآية دليل للشافعى ومن وافقه فى ان المرأة لا تلى عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا انهى الولى عن العضل معنى وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعنى اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك)

(واعلموا أن الله بكل شئ عليم) من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو ابلغ وعد ووعيد (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) اى انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفى الاولى الرجعة وذا يكون فى العدة (فلا تعضلوهن) فلا تمنعوهن العضل المنع والتضييق (ان ينكحن) من ان ينكحن (أزواجهن) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج سموا أزواجا باسم ما يؤل اليه او للاولياء فى عضلهن ان يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس اى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (اذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط او بمهر المثل والكفء لان عند عدم احدهما للاولياء ان يتعرضوا والخطاب فى (ذلك) للنبى صلى الله عليه وسلم اولكل واحد

(يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالمواعظ انما تنجع فيهم (ذلكم) اى ترك العضل والضرار (أزكى لكم وأطهر) اى لكم من ادناس الآثام أوازكى واطهر افضل واطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ذلك (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر فى معنى

الامر المؤكد كيتربص وهذا الامر على وجه الندب اوعلى وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى ثدى أمه أولم توجد له ظئر أوكان الاب عاجزا عن الاستئجار أوأراد الوالدات المطلقات ايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (حولين) ظرف (كاملين) تامين وهو تأكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول أقمت عندفلان حولين ولم تستكملهما (لمن أراد ان يتم الرضاعة) بيان لمن توجه اليه الحكم اى هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام مادامت زوجة اومعتدة (وعلى المولود له) الهاء يعود الى اللام الذى بمعنى الذى والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية كعليهم فى المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيأ (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضار (لا تكلف نفس الا وسعها) وجدها اوقدر امكانها والتكليف الزام ما يؤثره فى الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على انه مفعول له ودخلت الا بين المفعولين (لا تضار) مكى وبصرى بالرفع على الاخبار ومعناه النهى وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول فان

اى ذلك الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان المؤمن هو ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم ازكى لكم واطهر) يعنى انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله (والله يعلم) يعنى ما فى ذلك من الزكاة والتطهير (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك * قوله عزوجل (والوالدات المطلقات اللاتى لهن اولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات اومتزوجات و يدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن فى حكم الله أوجبه وهذا الامر ليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من غيرها ولكمال شفقتها عليه و يدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله تعالى فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى هذا نص صريح فى ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أولم يقبل غير لبن أمه وجب عليها الرضاع يجب على كل احد مواساة المضطر فان رغبت الام فى ارضاع ولدها فهى اولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه أقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا بالحولين ليس تحديد ايجاب و يدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما علق بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين مقدار زمن الرضاعة فقد رالله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس فى عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر أرضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر أرضعته ثلاثا وعشرين وان وضعته لتسعة أشهر أرضعته احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال فى رواية الوالبى عنه هو حد لكل مولود فى أى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين باتفاق من الابوين فايهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف لمن اراد أن يتم الرضاعة اى هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد وانما هو على مقدار اصلاح الطفل ومايعيش به (وعلى المولود له) يعنى الاب وانما عبر عنه بهذه العبارة لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولد الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) اى طعامهن (وكسوتهن) لباسهن (بالمعروف) اى على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعها) يعنى طاقتها والمعنى ان لا يكلف فى الانفاق عليه وعلى أمه الا قدر ما يتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة

الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهى والاصل تضارر فسكنت الراء الاولى وادغمت فى الثانية
لتقاء الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (والدة بولدها) اى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطالب
بما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وان تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك
(ولا مولود له بولده) اى ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها او يأخذه منها وهى
مرضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب
ولده أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته اى لا تضر والدة ولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به
بان ينتزعه من يدها او يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة
أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد

(والدة بولدها) يعنى لا ينزع الولد من أمه بعد أن رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام
على ارضاع الولد اذا قبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعنى لا تلقى
المرأة الولد الى ابيه وقد ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب أن يعطى أم الولد اكثر مما يجب عليه
اذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهما
صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد
بترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب او ينتزعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون
الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعنى وعلى وارث ابى الولد اذا
مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه فى القيام بحق الولد وقيل
المراد بالوارث وارث الصبي الذى لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابى الصبي فى حال
حياته واختلف فى أى وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من
الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم
منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي فى ماله فان لم
يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعى وقيل معناه وعلى الوارث
ترك المضارة (فان أرادا) يعنى الوالدين (فصالا) يعنى فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) اى على
التفاق من الوالدين فى ذلك (وتشاور) اى يشاورون اهل العلم فى ذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل
الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأى بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) اى فلا حرج ولا اثم على
الوالدين فى الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) اى لاولادكم مراضع
غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن او غير ذلك أو أردن التزويج
(فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعنى الى المراضع (ما آتيتم) يعنى لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى
أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن (بالمعروف) اى بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند
تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من
تغريرهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب
عليكم لاولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) يعنى لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها

(فان أرادا) يعنى الابوين (فصالا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما)
فى ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون
التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة
والعناية (وان أردتم أن تسترضعوا اولادكم) اى لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أرضع يقال ارضعت المرأة الصبي
واسترضعتها الصبي معدى الى مفعولين اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين يعنى غير الام عند ابائها او عجزها
(فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما اردتم ايتاءه من الاجرة آتيتم مكى من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان
وعده مأتيا اى مفعولا والتسليم ندب لا شرط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم اى سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور (واتقوا
الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه اعمالكم فهو يجازيكم عليها

وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها * قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعنى يموتون (منكم) و
التوفى أخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض وأخذ (ويذر
اى ويتركون (أزواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل و
(يتربصن) اى ينتظرن (بانفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأ
لان العرب اذا أبهمت فى العدد من الليالى والايام غلبوا الليالى حتى ان أحدهم ليقول صمت عشر
الشهر لكثرة تغليبهم الليالى على الايام فاذا أظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام
حزن ولبس احداد فشبهها بالليالى على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العد
القدر لان الولد يركض فى بطن أمه لنصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح ينفخ فى الولد فى
العشرة ايام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصا
المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن أمه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخر
الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع فى مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه
الروح فيه فى هذه الايام الزائدة

* (فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * عدة
عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جم
العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع
سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما رو
سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى
حجة الوداع وهى حامل فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فد
عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال مالى أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النك
وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على
حين امسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتانى بانى قد حللت حين وض
حملى وأمرنى بالتزويج ان بدا لى أخرجاه فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج
وضعت وان كانت فى دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام فى كل من تو
زوجها بان تعتد أربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الاحمال بهذا الحديث و
تعالى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن * (المسئلة الثانية) * يجب على من توفى عنها زو
الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى
زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعى تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن
قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا
فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه
ولا تمتشطى بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باى شئ أمتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به
أخرجه ابو داود وللنسائى نحوه (قوله فانه يشب الوجه) اى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا أو
(قوله تغلفين به رأسك) اى تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذ
بشئ فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر و
لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والحب

(والذين يتوفون منكم) تقول توفيت الشئ واستوفيته اذا اخذته وافيا تاما اى تستوفى ارواحهم (ويذرون) ويتركون (ازواجا يتربصن بانفسهن) اى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن اى يعتددن اومعناه يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لابد من عائد يرجع الى المبتدا فى الجملة التى وقعت خبرا يتوفون المفضل اى يستوفون آجالهم (اربعة اشهر وعشرا) اى وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم

والوبر (ق) عن زينب بنت ابى سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابوسفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق اوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا (م) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا (ق) عن أم عطية قالت كنا نهى أن نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها فى نبذة من كست أظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهو شئ معروف يتبخر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب أخرجه ابوداود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك فى الموطا *(المسئلة الثالثة)* اختلفوا فى ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم مالم تعلم بوفاة زوجها لاتعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لايحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الامع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد مما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لاعلم لها يكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة *(المسئلة الرابعة)* أجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم وقوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والتقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا واجيب عن قوله تعالى فيما فعلن فى انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى انه تعالى لايخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله * قوله عز وجل (ولا جناح) اى لاحرج (عليكم فيما عرضتم به) اى لو حتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه مايصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وأرجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من

(فاذا بلغن اجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) ايها الائمة والحكام (فيما فعلن فى انفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذى لاينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالبواطن (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به

من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض أن تقول لها انك لجميلة اوصالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك من الكلام
الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريد أن اتزوجك والفرق بين الكناية
والتعريض ان الكناية أن تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيأ تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمسافر
اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى ١٨٢ وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * فكانه امالة الكلام
الى غرض يدل على الغرض (أوا كننتم فى انفسكم) اوسترتم واضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لامحالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لاتواعدوهن سرا) جماعا لانه مما يسر أى لاتقولوا فى العدة انى قادر على هذا العمل (الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والامتعلق بلاتواعدوهن اى لاتواعدوهن مواعدة قط الامواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح اوولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام اى ولا تعزموا على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب اجله) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها اجله اى غايته (واعلموا أن الله يعلم مافى انفسكم) من العزم على مالايجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حليم) لايعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها

الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو أن يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول انى أريد أن انكحك اوأتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول انى أريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسر لى امراة صالحة اخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبنى فى العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها ابى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (أوأكننتم) يعنى اضمرتم (فى انفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لاحرج عليكم التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله أنكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لايخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق اسقط عنه الحرج (ولكن لاتواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لاتفوتينى نفسك فانى ناكحك وقيل هو أن يأخذ عليها العهد والميثاق لاتتزوج غيره وقيل هو أن يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس وقال الكلبى لاتصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

ألا زعمت بسباسة القوم اننى * كبرت وان لايحسن السر امثالى

بسباسة اسم امراة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن الجماع الصريح ومعنى الآية لاتواعدوهن مواعدة سرية اولا تواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى أذن فى أول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة (الا أن تقولوا قولا معروفا) يعنى هو ماذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المرأة راغب فى نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) اى لاتحققوا العزم على عقد النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا أن الله يعلم مافى انفسكم فاحذروه) اى فخافوه (واعلموا أن الله غفور حليم) لايعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر

(لاجناح عليكم) لاتبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء) شرط ويدل على جوابه لاجناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم (مالم تمسوهن) مالم تجامعوهن وماشرطية اى ان لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أوتفرضوالهن فريضة) الاان تفرضوالهن فريضة اوحتى تفرضوا وفرض الفريضة

تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير

* قوله عز وجل (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن اوتفرضوالهن فريضة) اى ولم تمسوهن ولم تفرضوالهن فريضة يعنى ولم تعينوالهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امراة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفى الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وماجاء فى الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لاحرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى اى وقت شئتم حائضا كانت المرأة اوطاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) اى اعطوهن من مالكم مايتمتعن به والمتعة والمتاع مايتبلغ به من الزاد (على الموسع) اى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) اى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولا حيف (حقا) اى ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن

* (فصل فى بيان حكم الآية) * وفيه فروع * (الفرع الاول) * اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه * (الفرع الثانى) * المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لامتعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها المهر ولم يدخل بها فحسبها نصف المهر * (الفرع الثالث فى قدر المتعة) * قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار وأقلها دون ذلك وقايه اومقنعة اوشئ من الورق وهو مذهب الشافعى لانه قال اعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب واقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته وجمها يعنى متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن على زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع قليل من حبيب مفارق * وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لايجاوز وقال احمد فى احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال فى الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج فى اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التى اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر فى ذلك * (الفرع الرابع) * ومن حكم الآية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عز وجل (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) يعنى تجامعوهن وهذا فى المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة)

الموطوءة لها نصف المسمى ان سمى لها مهرا وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى ثمة (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (على الموسع) الذى له سعة (قدره) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير ابى بكر وهما لغتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولاتجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) تأكيد لمتعوهن اى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم اوحق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين اوعلى الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل

الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التى سمى لها مهرا فى الطلاق قبل المس فقال (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أن مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر اى من قبل مسكم اياهن (وقد فرضتم) فى موضع الحال (لهن فريضة) مهرا

اى سميتم لهن مهرا (فنصف مافرضتم) اى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعى ان الخلوة من مسيس لاتوجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة فى المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة التى يتمكن بها وليس هناك مانع حسى ولا شرعى فالحسى نحو الرتق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعى كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا او نفلا والآية حجة للشافعى قال شريح لم اسمع الله ذكر فى كتابه بابا ولا ستارا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر * (فرع) * لو مات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فالمهر كامل وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله تعالى (الا أن يعفون) يعنى النساء المطلقات قبل الدخول الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) فيه قولان أحدهما انه الولى وهو قول ابن عباس فى رواية عنه والحسن وعلقمة ومسروق والشعبى والنخعى والزهرى والسدى وبه قال الشافعى فى القديم ومالك والقول الثانى انه الزوج وهو قول على وابن عباس فى الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظى وهو قول ابى حنيفة والشافعى فى الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا أن تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها عن نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولى بشروط وهى ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولى ابا او جدا لا غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثانى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبرى والواحدى فيكون معنى الآية او يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج فيعطى الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفى لها المهر وروى ان جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال أنا احق بالعفو ولان المهر حق المرأة فليس لوليها ان يهب من مالها شيأ فكذلك المهر لانه مال لها (وان تعفوا أقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا وتترك المرأة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق (ان الله بما تعملون بصير) من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) اى لا يخفى عليه شئ من ذلك فيجازيكم عليه وجل (حافظوا) اى داوموا واظبوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام أركانها وفعلها فى الاوقات المختصة بها (والصلوة الوسطى) تأنيث الاوسط ووسط كل شئ خيره واعدله وقيل الوسطى بمعنى الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت بذلك لانها اوسط الصلوات محلا

* (فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى) * قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن

ما فرضتم فى جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو فى الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبنى لا أثر فى لفظه للعامل (او يعفو) عطف على محله (الذى بيده عقدة النكاح) هو الزوج كذا فسره على رضى الله عنه وهو قول سعيد ابن جبير وشريح ومجاهد وابى حنيفة والشافعى على الجديد رضى الله عنهم وهذا لان الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا ان تسقط هى الكل او يعطى هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعى فى القديم هو الولى قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه (وان تعفوا) مبتدا خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج اى عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة باسقاط كله خير لها او للازواج (ولا تنسوا الفضل) التفضل (بينكم) اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفضلكم (حافظوا على الصلوات) داوموا عليها بمواقيتها واركانها وشرائطها (والصلوة الوسطى)

ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عائشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ماروي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي أيوب وابي هريرة وابن عمر وابن عباس وابي سعيد الخدري وعائشة وهو قول ابي عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من اصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ماروي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن ابي يونس مولى عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تأتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ماروي عن ابي الملیح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري (قوله بكروا بصلاة العصر) اي قدموها في أول وقتها

بين الصلوات اي الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند ابي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور وانما قوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولانها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار او صلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل او صلاة المغرب لانها بين الاربع والمثنى ولانها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر او صلاة العشاء لانها بين وترين او هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل

(ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر اهله
(قوله وتر) اى نقص وسلب اهله وماله فبقى فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت
العصر كحذره من ذهاب اهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وجما
المذهب ان صلاة المغرب تأتى بين بياض النهار وسواد الليل ولانها أزيد من ركعتين كما فى الصبح
من اربع ولا تقصر فى السفر وهى وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كا
واذا كانت الظهر اولى الصلوات كانت المغرب هى الوسطى * المذهب الخامس انها صلاة الغدا
ينقل عن أحد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين وحجة هذا المذهب انها متوسط
صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان
الوسطى هى احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم
عليها بالصلاة الوسطى وليس فى الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك أمكن أن يقال فى كل واحد
الصلوات الخمس انها هى الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم
المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القد
شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم فى جميع أسمائه ليحافظوا على
كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن
الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال
الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها
محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت
الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها
واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم وقوله تعالى (و
لله قانتين) اى طائعين فهو عبارة عن اكمل الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فى ار
وسننها قيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله فى صلاتكم طائعين
القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن هو قانت ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يح
هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل ان
القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الص
ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو
فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه فى الصحيحين
القنوت هو طول القيام فى الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر
فى الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت
يقلب الحصى او يعبث بشئ او يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا الا ناسيا * قوله عز وجل (فان
خفتم فرجالا) اى رجالة (او ركبانا) يعنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين مو
حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشا
ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلى القبلة وغير مستقبليها وهذا فى حال المقاتلة والمسايفة فى وقت
وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون فى حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم فى غير حال
وهو المذكور فى سورة النساء فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسيأتى الكلام

(وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) حال اى مطيعين خاشعين اوذاكرين الله فى قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما او مطلقا بين القيام (فان خفتم) فان كان بكم خوف من عدو او غيره (فرجالا) حال اى فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (او ركبانا) وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة

شاء الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية واجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب أن يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه أن يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى (فاذا أمنتم) يعني من خوفكم (فاذكروا الله) اي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة بأركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك * قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني يا معشر الرجال (ويذرون ازواجا) يعني زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا الى الحول) اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامرأته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل أن يوصي بذلك فدلت هذه الآية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متأخرة في التلاوة متأخرة في التنزيل كقوله تعالى

(فاذا امنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الامن (كما علمكم) اي ذكرا مثل ما علمكم (مالم تكونوا تعلمون) من صلاة الامن (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم) بالنصب شامي وابو عمر ووحمزة وحفص اي فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع اي فعليهم وصية (متاعا) نصب بالوصية لانها مصدر او تقديره متعوهن متاعا (الى الحول) صفة لمتاعا (غير اخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله اربعة اشهر وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء

سيقول السفهاء من الناس مع قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء وقوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعنى يا معشر اولياء الميت (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) يعنى التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم فى قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثانى لا جناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لان مقامها فى بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم فى بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشرا (والله عزيز) اى غالب قوى فى انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان فى تلك الآية بيان حكم غير الممسوسة وفى هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم أرد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وكما عرفتكم احكامى والحق الذى يجب لبعضكم على بعض فى هذه الآيات كذلك أبين لكم سائر أحكامى فى آياتى التى انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) اى لكى تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اه * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقى بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا رأيا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه أن موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر انه خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل امرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التى تأتيها بها وباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية فى انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فما اتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم تر أى ألم تعلم يا محمد باعلامى اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعانى هو تعجيب له يقول هل رايت مثل هؤلاء كما تقول ألم تر الى صنيع فلان وكل ما فى القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبى صلى الله عليه وسلم فهذا معناه * قوله تعالى (وهم ألوف) قيل هو من العدد واختلفوا فى مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع ألف والاول أصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم

(فان خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (والله عزيز حكيم) فيما حكم (وللمطلقات متاع) اى نفقة العدة (بالمعروف حقا) نصب على المصدر (على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) هو فى موضع الرفع لانه خبر لعل وان أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهى على سبيل الندب (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم (وهم ألوف) فى موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهى جمع ألف لا آلف

(حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) اى فاماتهم الله وانما جىء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وان الموت اذا لم ١٨٩ يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى أن يكون فى سبيل الله (ثم احياهم) ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم احياهم أو لما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فاماتهم كان عطفا عليه معنى (ان الله لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث احيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم النشور (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) ذلك والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال فى سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا فى سبيل الله) فرض على الجهاد بعد الاعلام لان الفرار من الموت لا يغنى وهذا الخطاب لامة محمد عليه السلام اولمن احياهم (واعلموا أن الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه (من) استفهام فى موضع رفع بالابتداء

عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل و يقال له ذو الكفل سمى به لانه تكفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه أتريد أن اريك آية قال نعم يارب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا به حزقيل ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا الاقوم لى فاوحى الله اليه انى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح فى ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فان قلت كيف أميت هؤلاء مرتين فى الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبى ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء اى الا الموتة الاولى التى ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفى هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكرى البعث ايضا اذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق فى خبره انه أماتهم ثم احياهم فى الدنيا فهو تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة وقوله تعالى (حذر الموت) اى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم أحياهم) يعنى بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ان الله تعالى تفضل على أولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق فى الدنيا و يخص المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) يعنى ان اكثر من انعم الله عليه لا يشكره أما الكافر فانه لم يشكره اصلا وأما المؤمنون فلم يبالغوا غاية شكره * قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) قيل هو خطاب للذين أحيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا أن الله سميع) يعنى لما يقوله المتعللون عن القتال (عليم) بما يضمره * قوله عز وجل (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيئ قال أمية بن ابى الصلت

(ذا) خبره (الذى) نعت لذا او بدل منه (يقرض الله) صلة الذى سمى ما ينفق فى سبيل الله قرضا لان القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد سمى به لان المقرض يقطعه من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانقراض فنبههم بذلك على انه لا يضيع عنده وانه يجزيهم عليه لا محالة (قرضا حسنا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة فى الجهاد لانه لما امر بالقتال فى سبيل الله

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * اوسيأ ومدينا كالذى دانا

واصل القرض فى اللغة القطع سمى به لان المقرض يقطع من ماله شيأ فيعطيه ليرجع اليه مثله وسمى الآية من ذا الذى يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى فى استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل فى الآية اختصار تقديره من ذا الذى يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اى يؤذون عباد الله وكما جاء فى الحديث الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى الحديث واختلفوا فى المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق فى سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا وما روى الطبرى بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناولنى يدك فناوله يده قال فانى قد اقرضت ربى حائطى حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشى حتى اتى الحائط وأم الدحداح فيه فى عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى من الحائط فانى قد اقرضته لربى زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابى الدحداح وقيل فى معنى يقرض الله اى ينفق فى طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعنى ثواب ما انفق (اضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدى هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم فى باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امر بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بمنع القلوب حتى لا تقدر على الانفاق فى الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق فى البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التى يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعنى فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم * قوله عز وجل (ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل) الملا اشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) اى من بعد موت موسى او من بعد زمنه (اذ قالوا) يعنى أولئك الملا (لنبى لهم) اختلفوا فى ذلك النبى فقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمى شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائى وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن يال وقيل هو ابن هلقانى قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبى بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب فى الجهاد وذلك حاصل

ويحتاج فيه الى المال حث على الصدقة لتهيأ اسباب الجهاد (فيضاعفه له) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع ابو عمرو ونافع وحمزة وعلى عطفا على يقرض او هو مستأنف اى فهو يضاعفه فيضعفه شامى فيضعفه مكى (اضعافا) فى موضع المصدر (كثيرة) لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة (والله يقبض ويبسط) يقتر الرزق على عباد ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة ويبسط حجازى وعاصم وعلى (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (ألم تر الى الملا) الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة (من بنى اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبى لهم) هو شمعون او يوشع او اشمويل

كان سبب مسئلة أولئك الملا لذلك النبى انه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده فى بنى اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلناثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابنائهم لوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائى فلما كبر الغلام اسلمته لتعليم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك تدعونى فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتنى فقال نم فان دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تتملك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام امر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى هو الذى يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبى لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) اى فرض (عليكم القتال) يعنى مع ذلك الملك (ان لا تقاتلوا) يعنى لا تقولوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا فى أن لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل فى سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) اى اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا فى ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين فى بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا فى جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) فى الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبى فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) اى أعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله (الا قليلا منهم) يعنى لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتى فى قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعنى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف

الحرب عن رأيه وننتهى الى امره (نقاتل) بالنون والجزم على الجواب (فى سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبى (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (ان لا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعنى هل الامر كما أتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب فى توقعه (قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله) اى داع لنا الى ترك القتال واى غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو فى وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فاسروا من ابنائهم لوكهم اربعمائة واربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) اى اجيبوا الى ملتمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الا قليلا منهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال (قالوا
يكون له الملك علينا) اى كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن أحق بالملك منه) الواو
(ولم يؤت سعة من المال) اى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك فى سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا قاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) الظاء فى اصطفاه بدل من التاء لما كان الصاد الساكنة اى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) مفعول ثان (فى العلم والجسم) قالوا كان اعلم بنى اسرائيل بالحرب والديانات فى وقته وأطول من كل انسان برأسه ومنكبيه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد ان يكون من أهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه اعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب (والله يؤتى ملكه من يشاء) اى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس ذلك بالوراثة (والله واسع) اى واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك فمحة طالوت من نبيهم آية على اصطفائه

امر ربه ولم يف بما قال * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك
اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبك
الذى يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل
فنش الدهن فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية
ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمى طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه
ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقى الماء على حمارته
حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابى طالوت فارسله أبوه ومعه غلام فى طلبها فمر على
اشمويل النبى فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن امر الحمر ليرشدنا او يدعو لنا فدخلا
عليه فبينما هما عنده يذكر ان له حاجتهما اذ نش الدهن فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت به
فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقرب اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك
اسرائيل الذى امرنى الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطى من ادنى اسباط
اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال
اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملكه عليكم
فاتت عظماء بنى اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت الملك
ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة فى سبط لاوى بن يعقوب والمملكة فى سبط يهوذا بن يعقوب فقال
نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا انى يكون له الملك علينا) اى من اين يكون له الملك
وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة
مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة
يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من
بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم أكدوا
بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعنى انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبى
اصطفاه عليكم) اى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من
ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت الملك
الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) اى فضله
(فى العلم) وذلك انه كان من اعلم بنى اسرائيل وقيل انه اوحى اليه حين أوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب
(والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه كان اطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان
من اجمل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ الملك
(والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد فى فعله فيخص بملكه من
عباده (والله واسع) يعنى ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ ووسع
ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم فى طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه
فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى
يعنى انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه فى تدبير نفسه وملكه والعليم هو

يكون وبما كان * قوله عزوجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) وذلك انهم سألوا اشمويل النبى فقالوا اما آية ملكه فقال ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت * وكانت قصة التابوت على ماذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع فى عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان أكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فى التابوت ماذكره الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا فى تلك السكينة ماهى فقال على بن ابى طالب هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته يتقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار سار واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان مايريدون وقال عطاء بن ابى رباح هى مايعرفون من الآيات التى يسكنون اليها وقال قتادة والكلبى هى فعيلة من السكون اى طمانينة من ربكم ففى اى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شئ كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ماقيل فيه لان كل شئ يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى وهرون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا فى تلك البقية التى ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشئ من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل فكان التابوت عند بنى اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عزوجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب فى ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذى ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلى حبر بنى اسرائيل وصاحب قربانهم فى زمنه فاحدث ابناه فى القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذى ينوطونه به كلابين فلما أخرجا كانا للكاهن الذى كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فتشبثان بهن فاوحى الى اشمويل ان انطلق الى عيلى وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا فى قربانى وقدسى شيأ وان يعصيانى فلا تنزع الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وساء اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل فى التابوت قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فخرج امر بنى اسرائيل وتفرقوا الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل ان آية ملكه يعنى علامة ملكه التى تدل على صحته أن يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ماذكره اصحاب الاخبار ان الذين أخذوا التابوت

(وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) اى صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون (فيه سكينة من ربكم) سكون وطمانينة (وبقية) هى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشئ من التوراة ونعلا موسى وعمامة هرون عليهما السلام (مما ترك آل موسى وآل هرون) اى مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما

(تحمله الملائكة) يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة وبما ترك نعت لبقية (ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين (فلما فصل طالوت) خرج (بالجنود) عن بلده الى جهاد العدو و بالجنود في موضع الحال اى مختلطا بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجري الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم) مختبركم اى يعاملكم معاملة المختبر (بنهر) وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق في الجهاد من المعذر (فمن شرب منه) كرعا (فليس مني) فليس من أتباعي واشياعي (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه (فانه مني) و بفتح الياء مدني وابو عمر واستثنى (الا من اغترف) من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة عن الاستثناء الا انها قدمت للعناية (غرفة بيده) غرفة حجازي وابو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فشربوا منه) اى فكرعوا (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا

من بني اسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه في مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها في ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة أملاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم ير ع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فلما رأوه حمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في النهر على عهد موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في بيته فاقروا بملكه (ان في ذلك لآية لكم) يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان في مجيء التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدق فيما أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا الطاعة وخرجوا معه وذلك قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) اى خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الفا من وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذر وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد وقلة الى طالوت قلة الماء بينهم و بين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله أي يجري لنا نهرا فقال (ان الله مبتليكم بنهر) اى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس مني) اى فليس من اهل ديني وطاعتي (ومن لم يطعمه) اى لم يذقه يعني الماء (فانه مني) يعني من اهل طاعتي (الا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وضمها الغتان وقيل الغرفة بالضم التي تحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالفتح مصدر والضم اسم (فشربوا منه) يعني من النهر (الا قليلا منهم) قيل هم اربعة آلاف لم يشربوا منه وهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوز وامعه النهر وما جاوز معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة اخرجه البخاري قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر اشتد عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما أمره الله تعالى اشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا و جبنوا و بقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه

ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعني جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعني أولئك القليل (قالوا) يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله تعالى وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصي فلما رأوا العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل أن يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده (قال الذين يظنون) اى يستيقنون ويعلمون (أنهم ملاقوا الله) اى ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) اى بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة * قوله عز وجل (ولما برزوا) يعني طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعني الكافرين ومعنى برزوا صاروا وابالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعني المؤمنين اصحاب طالوت (ربنا أفرغ) اى اصبب (علينا صبرا وثبت اقدامنا) اى قوّ قلوبنا لنثبت اقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله أن ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اى كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ما ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابوداود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيأ الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا ربضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما آخر فقال له يا ابتاه اني لأمشي بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير أعطاكه الله تعالى فلما ارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل أن ابرز الي وأبرز اليك او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوّجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله في ذلك فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيأ فقال لايشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت أن يراه الناس لقصر

فاوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوّجه طالوت بنته ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائبا

(فلما جاوزه) اى النهر (هو) طالوت (والذين آمنوا معه) اى القليل (قالوا لا طاقة لنا اليوم) اى لا قوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه وروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وأداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة باذن الله) بنصره (والله مع الصابرين) بالنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) خرجوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) اصبب (علينا صبرا) على القتال (وثبت اقدامنا) بتقوية قلوبنا والقاء الرعب في صدور عدونا (وانصرنا على القوم الكافرين) أعنا عليهم (فهزموهم) اى طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده (باذن الله) بقضائه (وقتل داود جالوت) كان بنيشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم

قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مزر
أزرق أمعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يجر
شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التى يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل
المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنفر
وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك ابنتى وأجرى خاتمك فى ملكى قال نعم فقال له هل
آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجىء الاسد او النمر او الذئب فيأخذ
من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه فاخذ طالوت داود وورده الى العسكر فمر داود عليه السلام
فى طريقه بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملنى فانى حجر
موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملنى فانى حجر الذى تقتل به جالوت فحمله فوضع السلاح
فى مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب
داود عليه السلام فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع
الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شأنك فقال له داود عليه السلام
لم ينصرنى ربى لم يغن هذا السلاح عنى شيأ وان نصرنى فلا حاجة لى به فدعنى أقاتل كما أريد قال نعم فنزع
داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس وأقواهم وكان
يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب
فى قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لى قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال أنت
بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع
الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم الله ابراهيم وأخرج حجرا
ثم قال باسم الله اسحق واخرج حجرا ثم قال باسم الله يعقوب واخرج حجرا ووضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة
حجرا واحدا وأدار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة
فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود
حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت
بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز
ما وعدتنى به فقال له أتريد ابنتى الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت على صداقا وليس لى شىء
لأكافئك الا ما تطيق انت رجل جرىء وفى حيائنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى
بغلفهم زوجتك ابنتى فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته فى خيط حتى نظم مائتى غلفة فجاء
بها الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى
داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت وارادقتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال
له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت ابى قال وهل أجنى
جرما يوجب القتل قالت حدثنى بذلك من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك
فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتينى برق خمر فاتته به فوضعه فى مضجعه على سريره
وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك قالت هو نائم على سريره
فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج حتى
اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق أن لا يدعنى حتى يدرك ثاره منى فاتخذ
حجابا وحراسة واغلق دونه ابوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب

الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عنى ولو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما أنا بالذى آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذى يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك ساط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشى فى البرية فقال اليوم أقتله وركض فى اثره فاشتد داود فى عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسيج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود بفعل طالوت لاينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع فى قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الا اخبرنى بها فلما كثر ذلك منه ناداه منادٍ من القبور يا طالوت أما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا اموتانا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فاخبره وقال هل تعلم لى توبة او تعلم فى الارض عالما أسأله عن توبتى فقال له الخباز أيها الملك ان دللتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بى اليها لاسألها عن توبتى قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز أيها الملك انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفى فلما دخلا عليها قال لها الخباز ياهذه ألست تعلمين حتى علينا قالت بلى قال فان لى اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسألك هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشى عليها فلما أفاقت قالت والله ما اعلم له توبة ولكن دلونى على قبر نبى فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال مالكم اقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم ادع من الشر شيأ الا فعلته وجئت أطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنقذونى منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا اما آمركم به قالوا اعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهزوا وولده وخرج طالوت مجاهدا فى سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما أنت بياق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى أن قتل مدة أربعين سنة فاتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبى والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة فى سبط والملك فى

(وآتاه الله الملك) فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة

(وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) هو مفعول به (بعضهم) بدل من الناس
دفاع مدني مصدر دفع او دافع (ببعض لفسدت الارض) اى ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف

سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) اى وعلم الله داود صنعة الدروع ف
يصنعها وبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الص
الطيب والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور يتدنو منه الوحو
حتى يأخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته وقيل
سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله
أعطاه سلسلة موصولة بالجوهر ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مف
مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة
داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى
صاحبه او أنكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا
فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المنكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثم
طالبه بالوديعة أنكره اياها فقال كما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقر
الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه
لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم انت أيضا
فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان
تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فعجب القوم من
وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعني ولا
الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الايمان والطاعة بعضا وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس
دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل
ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار (لفسدت الارض) يعني لهلكت بمن فيها ولكن
يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله ص
الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله ال
بعضهم ببعض لفسدت الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق
وافضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف وا
واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يدي صبي (نتلوها
بالحق) اى باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعني حيث
بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك
انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى * قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة
الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن ا
التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم
من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا
للناس بشيرا ونذيرا (منهم) اى من الرسل (من كلم الله) اى كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع
درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله

فسادهم لغلب المفسدون
وفسدت الارض وبطلت
منافعها من الحرث والنسل
اوولولا ان الله تعالى ينصر
المسلمين على الكافرين
لفسدت الارض بغلبة
الكفار وقتل الابرار
وتخريب البلاد وتعذيب
العباد (ولكن الله ذو
فضل على العالمين) بازالة
الفساد عنهم وهو دليل
على المعتزلة في مسئلة
الاصلح (تلك) مبتدا
خبره (آيات الله) يعني
القصص التي اقتصها من
حديث الالوف واماتتهم
واحيائهم وتمليك طالوت
واظهاره على الجبابرة على
يدي صبي (نتلوها) حال
من آيات الله والعامل فيه
معنى الاشارة او آيات الله
بدل من تلك ونتلوها الخبر
(عليك بالحق) باليقين
الذي لا يشك فيه أهل
الكتاب لانه في كتبهم كذلك
(وانك لمن المرسلين) حيث
تخبر بها من غير ان تعرف
بقراءة كتاب او سماع من
أهله (تلك الرسل) اشارة
الى جماعة الرسل التي
ذكرت قصصها في هذه
السورة من آدم الى داود
او التي ثبت علمها عند

رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين الآيات
يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلم الله) اى كلمه الله حذف العائد
يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول اول (درجات) مفعول ثان اى

الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما أوتى نبي من الانبياء آية او معجزة الا وأوتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذى حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التى لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذى عجز أهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجو ان أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلائق كافة وختم بى النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت فى هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذى لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم او أحدكم ويريد نفسه فيكون أفخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من أشعر الناس قال زهير والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه وقوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعنى الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وأيدناه بروح القدس) اى وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما أوتيا من الآيات العظمة والمعجزات الباهرة وتقدير الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظمة أيضا فلما أوتى موسى وعيسى من الآيات العظمة خصا بالذكر فى باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق فى الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ولو شاء الله) اى ولو أراد الله واصل المشيئة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) اى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) اى ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) اى ولو أراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه فى ملكه وفعله * سأل رجل على بن ابى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر

اولى درجات يعنى ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم بارساله الى الكافة وبانه اوتى ما لم يؤته أحد من الانبياء المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر وأكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفى هذا الابهام تفخيم وبيان انه العلم الذى لا يشتبه على احد والمتميز الذى لا يلتبس وقيل اريد به محمد وابراهيم وغيرهما من اولى العزم من الرسل (وآتينا عيسى بن مريم البينات) كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل او بالانجيل (ولو شاء الله ما اقتتل) اى ما اختلف لانه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتى ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتى يقول الله أجريت امور رسلى على هذا اى لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع امته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد اى لو شئت ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجرى فى ملكى الا ما يوافق مشيئتى وهذا يبطل قول المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا فاقتتلوا (ولكن الله يفعل ما يريد) اثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب اهل السنة

عميق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آ
أنفقوا مما رزقناكم) قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق في وجو
(من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) اى لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الم
والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من أموالكم من قبل ان يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما ينق
من العذاب (ولا خلة) اى ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة
دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون
الظالمون) لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو الحي القيوم)
* (فصل في فضل هذه الآية الكريمة) * عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل
سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي (و
لكل شئ سناما) سنام كل شئ أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الم
في قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن اى افضله (م
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم
الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان
صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان اى آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى
عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها
آية في القرآن لما جمعت من أصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقدرة
والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى أعظم مذكور فما كان
اله من توحيد وتعظيم كان أعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القر
على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جم
منهم أبو الحسن الاشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفض
وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من اطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآ
او السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا
التفضيل راجع الى عظم أجر القارئ او جزيل ثوابه وقول ان هذه الآية او هذه السورة أعظم وافض
بمعنى ان الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم * عن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من
العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وأما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية عن كل ما سواه واثبا
الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه أبلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي
الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له
بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وج
سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجاده
وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقي
هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لا تأخذه
ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النو
واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنو

(يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) في الجهاد في سبيل الله او هو عام في كل صدقة واجبة (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) اى من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم به (ولا شفاعة) اى للكافرين فاما المؤمنون فلهم شفاعة او الا باذنه (والكافرون هم الظالمون) انفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجاتهم او الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكي و بصري (الله لا اله الا هو) لا مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع خبر المبتدا وهو الله (الحي) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لا تأخذه سنة) نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور (ولا نوم) عن المفضل السنة ثقل في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما وقد اوحى الى موسى عليه السلام قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا

القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه اي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد في الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل (قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمي ذلك الشيء المانع نورا أو نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فاوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما في يديه في كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم قوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض) يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) اي بامره وهذا استفهام انكاري والمعنى لا يشفع عنده أحد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين

(له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ليس لاحد ان يشفع عنده الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم

(يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشئ من علمه) من معلومه يقال فى الدعاء اللهم اغفر فينا علمك اى معلومك (الا بما شاء) الا بما علم (وسع كرسيه السموات والارض) اى ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما او ملكه تسمية بمكانه ٢٠٢ الذى هو كرسى الملك او عرشه كذا عن الحسن او هو سرير دون العرش فى الحجم

بعضهم لبعض (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) يعنى ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال أحاط بالشئ اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء) يعنى يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دلالة على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال وسع الشئ سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسى فى اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسى فى العرف اسم لما يقعد عليه سمى لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا فى المراد بالكرسى هنا على أربعة أقوال أحدها الكرسى هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسى اسم للسرير الذى يصح التمكن عليه الثانى ان الكرسى غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى السموات والارض فى جوف الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة والكرسى فى جنب العرش كحلقة فى فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع فى الكرسى كدراهم سبعة ألقيت فى ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والارض وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك اربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة بنى آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبنى آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولو لا احترقت حملة الكرسى من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسى هو الاسم الاعظم لان العلم عليه كما ان الكرسى يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسى الملك والسلطان والقدرة لان الكرسى موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز (ولا يؤوده) اى لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) اى حفظ السموات والارض (وهو العلى) اى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيما يجب له أن يوصف به من معانى الجلال والكبرياء فهو العلى بالاطلاق المتعالى عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر والغلبة منه احد وقيل معنى العلو فى صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح من كل وجه وقيل معناه انه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعنى انه ذو العظمة والكبرياء

ما السموات السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة او قدرته بدليل قوله (ولا يؤوده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلى) فى ملكه وسلطانه (العظيم) فى عزه وجلاله او العلى المتعالى عن الصفات التى لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد منه ما روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وقال ما قرئت هذه الآية

في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث اليه ملك يحرسه حتى يصبح وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وان قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي آية الكرسي وأول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكره كان افضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد

(لا اكراه في الدين) اى لا اجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل هو اخبار في معنى النهى وروى انه كان لانصاري ابنان فتنصرا فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي في النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما فقال ابن مسعود وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال (قد تبين الرشد من الغي) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان او الاصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة) اى المعتصم والمتعلق (الوثقى) تأنيث الاوثق اى الاشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لا انفصام لها) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة (والله سميع) لاقواره (عليم) باعتقاده (الله ولي الذين آمنوا) اراد وا أن يؤمنوا اى ناصرهم ومتولي أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان

الذي لا شئ اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام * قوله عز وجل (لا اكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرا صحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اى دين الاسلام ليس فيما اكراه عليه (قد تبين الرشد من الغي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) اى ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى انه لابد للكافر أن يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) اى لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وآمن بالشهادتين (عليم) بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم * قوله عز وجل (الله ولي الذين آمنوا) اى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما

(والذين كفروا) مبتدأ والجملة وهي (أولياؤهم الطاغوت) خبره (يخرجونهم من النور الى الظلمات) وجمع لان الطاغ

سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان أدلته (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) اى من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار سمي منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه أخرجتني عن مالك اذا أوصى به لغير حباته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله لم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم * قوله عز وجل (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) لان آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار سأله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا احيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل أعفر فاخذ منه تطيبا لقلوب اهله ودخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام ما رآه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهد أهله بعيد عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك أن آمن بي وأترك ملكك قال وهل من الهي غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك لاجمع جموعي فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود لا ينظر ولم يصبه شئ من ذلك ثم بعث الله تعالى بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في رأسه اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب اربعمائة سنة مدة ملكه حتى اهلكه الله عز وجل (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود بن ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت (قال) يعني قال نمرود (انا أحيي وأميت) قال اكثر المفسرين ان نمرود بن كنعان دعا برجلين فقتل احدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم عليه السلام الى حجة أخرى لا عجز عن نصرة حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لازما عن القتل واقتل فانقطع اللعين بهذا عن المخاصمة فزاد ابراهيم عليه السلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث

في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم لها من حالها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشيطان يخرجهم من نور البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم اعجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي الربوبية بقوله (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) في معارضته ربوبية ربه والهاء في ربه يرجع الى ابراهيم او الى الذي حاج فهو ربهما (أن آتاه الله الملك) لان آتاه الله يعني ان ايتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة في الاصلح او حاج وقت أن آتاه الله الملك (اذ قال) نصب بحاج او بدل من أن آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (ابراهيم ربي) حمزة (الذي يحيي ويميت) كانه قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت (قال) نمرود (أنا أحيي وأميت) يريد أعفو عن القتل واقتل

(قال ابراهيم) عليه السلام (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب) وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلهم من وجه لا يعاند وكانوا اهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربى يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فبهت الذى كفر) تحير ودهش (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لا يوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فلياْت ربك بالشمس من ٢٠٥ المغرب لان الله تعالى صرفه عنه

أن يقول لنمرود فاحى من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة أخرى اوضح من الاولى لما رأى من تصورهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض الفعل بمثله ونسى اختلاف الفعلين (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب فبهت الذى كفر) يعنى تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه أن يقول لابراهيم سل انت ربك حتى يأتى بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى لا يرشدهم الى حجة يحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود * قوله عز وجل (أو كالذى مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التى قبلها والمعنى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو كالذى مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو الى الذى مر على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد انه كان كافرا شك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب ابن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز أن يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارميا وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو أمى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هى دير سابر آباد وقيل سلماباد وقيل هى دير هرقل وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى دير سابر آباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة او قرية من نواحى جرجان وقيل ايضا من نواحى همدان ودير هرقل بكسر اوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عندها احيا الله حمار عزير (وهى خاوية على عروشها) اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (انى يحيى هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا

وقيل انه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيى وأميت ان الذى ينسب اليه الاحياء والاماتة أنا لا غيرى والآية تدل على اباحة التكلم فى علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا أمرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لا بد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا بعد المناظرة كذا فى شرح التأويلات (أو كالذى مر) معناه أو أرأيت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب او هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذى حاج ابراهيم او كالذى مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذى عطف على قوله الى الذى حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود فى سلك ولكلمة الاستبعاد التى هى أنى يحيى والا كثر انه عزير اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وانى يحيى اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيى (على قرية) هى بيت المقدس حين خربه بختنصر وهى التى خرج منها الالوف (وهى خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها وسقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيى) اى كيف (هذه) اى أهل هذه (الله بعد موتها

حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى لو كا
المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى وه
أنى يحيى هذه الله من اين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية فى نفسه
احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ما روى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ملك
ابن اموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائ
وركبوا المعاصى فاوحى الله تعالى الى أرميا ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الى تو
ارميا يارب انى ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك
ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعق
المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل انى احلف بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولا
عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله
اليه انى مهلك بنى اسرائيل ببابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا
صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما راى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا أرميا أشق عل
ما اوحيت اليك قال نعم يارب اهلكنى قبل ان أرى فى بنى اسرائيل مالا اسر به فقال الله عز وجل وع
وجلالى لا اهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وق
والذى بعث موسى بالحق لا رضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا
فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا بنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحى
سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر فقال الوحى وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التو
فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر البابلى فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما
سائر اوتى الخبر الى ملك بنى اسرائيل قال لارميا اين ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان
لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى أرميا ملكا قد تمثل له فى صورة رج
من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل أتيتك استفتيك فى أهل
وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا سخطا الى فافتنى فيهم فقال أرميا
فيما بينك وبين الله وصالهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه فى صورة ذلك الر
فقعد بين يديه فقال له أرميا من انت قال انا الرجل الذى اتيتك استفتيك فى شأن اهلى فقال له ارميا
طهرت اخلاقهم بعدك فيهم فقال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس
الى رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالح
ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فق
ملكهم لارميا يا نبى الله اين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد
جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قا
الذى جئتك فى شأن اهلى مرتين فقال ارميا اما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله
كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له ار
على اى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانا
بالله الذى بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا اللهم مالك السموات والارض يا ذا الجلا
والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فما خرجت الكلمة
فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت

فاماته الله مائة عام ثم بعثه)

ابواب من ابوابه فلما رأى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بقضائك ودعائك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقى فى بادان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان فى اولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل أقبل ارميا على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايلياء وهى أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسبايا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا فى البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقى عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونه واهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يأمرك ان تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يأمرك ان تحيى فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يدور فى الفلوات فذلك قوله تعالى (فاماته الله مائة عام) اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم فى جميع بروجها (ثم بعثه) اى ثم أحياه واصله من بعثت الناقة اذا أثرتها من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل ان أبعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى فى اول النهار واحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (او بعض يوم قال) يعنى قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين الذى كان معه قبل موته (وشرابك) يعنى العصير (لم يتسنه) يعنى لم تغيره السنون التى أتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) اى وانظر الى احياء حمارك فنظر

اى احياه (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك) روى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا ولبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية اوهاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا اى عاملته سنة اوواو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء فى الوصل واثباتها فى الوقف حمزة وعلى (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه او وانظر اليه سالما مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات ان يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير

فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر
(ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعد
والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال
أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب اسود الرأس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ
وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) قرئ بالراء وبالزاى
كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعنى أحياه وقرئ بالزاى ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها
الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ رفعه واتزعاجه يقال نشزته فنشز اى رفعته
فارتفع واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى أحيا عزيرا
أرميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا
فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من الفخار
رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كساه الله تلك العظام اللحم
والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشى حتى أخذ
الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه
وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا على
هيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام
كيف ننشرها وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير
تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من
المفسرين لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى الى محلته فانكره الناس وانكروا
هو الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون
سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها يا
عزير ياهذه هذا منزل عزير فقالت نعم و بكت وقالت ما رأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا سنة
انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال انى عزير ان الله
أماتنى مائة سنة ثم أحيانى فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب
البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح
على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت
اليه وقالت أشهد انك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير يومئذ
مائة سنة وثمانية عشر سنة و بنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا
مولاتكم فدعا الى عزير ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم ان الله تعالى قد اماته مائة سنة ثم بعثه
فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر
فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من
بين الخلائق يبكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة فى صدره
فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة و بعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال انى عزير الذى
بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة
فى قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة التوبة ان شاء الله
تعالى وقوله تعالى (فلما تبين له) يعنى فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احياء القرية وزاده

(ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ مامعه وقيل الواو عطف على محذوف اى لتعتبر ولنجعلك قيل أتى الى قومه راكبا حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب (وانظر الى العظام) اى عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازى و بصرى نحييها (ثم نكسوها) اى العظام (لحما) جعل اللحم كاللباس مجازا (فلما تبين له) فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير

نفسه (قال اعلم) قرئ مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له اعلم وقرئ أعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذى قال انى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال اعلم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى الاماتة والاحياء * قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى) اختلفوا فى سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب انى قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارنى كيف تحييها الاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال اولم تؤمن) يعنى اولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) اى ليسكن قلبى عند المعاينة أراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا فى احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه أحب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى فى الجنة ويطلبونها ويسألونه فى دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت فقال نمرود انا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتى فاذا قيل أنت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان ابراهيم من أغير الناس وكان اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد فى الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من اذن لك ان تدخل دارى فقال اذن لى رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من أنت قال انا ملك الموت جئت أبشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتنى خليلا وتجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سألتك (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعى * القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها وأصحها ما نقل المزنى وغيره من العلماء ان الشك مستحيل فى حق ابراهيم فان الشك فى احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت أنا احق به من ابراهيم ولقد علمتم انى لم أشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابى ليس فى قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول اذا لم اشك أنا فى قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف

(قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى أمر احياء الموتى قال أعلم على لفظ الامر حجة وعلى اى قال الله له اعلم اوهو خاطب نفسه (واذ قال ابراهيم رب أرنى) بصرنى (كيف تحيي الموتى) موضع كيف نصب بتحيي (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وانما قال له أولم تؤمن وقد علم انه أثبت الناس ايمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن لازيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضرورى واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب

(قال فخذ أربعة من الطير) طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن اليك) و بكسر الصاد حمزة اى أملهن واضممهن

(ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك وفى ارضك وكانت اربعة اجبل اوسبعة جزؤا بضمتين وهمز ابو بكر (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) مصدر فى موضع الحال اى ساعيات مسرعات فى طيرانهن اوفى مشيهن على ارجلهن وانما امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ليتأملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وروى انه أمر بان يذبحها و ينتف ريشها ويقطعها و يفرق اجزاءها و يخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضم كل جثة الى رأسها (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما برهن على قدرته على الاحياء حث على الانفاق فى سبيل الله وأعلم ان من انفق فى سبيله فله فى نفقته اجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون

لاجبت الداعى وفيه الاعلام بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذى تظنونه شكا أنا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين ورجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وأدبا أو قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اى واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم انه معطوف على قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والتقدير ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال يعنى قال الله لابراهيم أولم تؤمن الالف فى أولم تؤمن اثبات والايجاب كقول جرير * ألستم خير من ركب المطايا * اى ألستم كذلك والمعنى أولست قد آمنت وصدقت انى أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعنى سألتك ذلك لتطمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لأرى من آياتك واعلم اذا اجبتنى (قال فخذ أربعة من الطير) قيل أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسر بدل الحمامة قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى الملكوت فكانت مناسبة مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة فى الطاووس اشارة الى مافى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفى الديك الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص ففى هذه الطيور مشابهة لما فى الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات الجنة وفاز بنيل السعادات (فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضمها ومعناه أملهن (اليك) ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالاماله والضم اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره أن يجعل على كل جبل منهن جزأ واختلفوا فى الاجزاء والجبال فقال ابن عباس رضى الله عنهما أمر أن يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا فى السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كل طائر قال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ادعهن يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعى الاسراع والعدو وقيل المشى والحكمة فى سعى الطيور والطيران لان ذلك أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور أو ان ارجلها غير فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل المراد بالسعى المشى والمراد بالمشى الطيران وفيه لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعى هو الحركة الشديدة (واعلم أن الله عزيز) يعنى انه غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شئ (حكيم) يعنى فى جميع أموره * قوله عز وجل (مثل الذين ينفقون

اموالهم فى سبيل الله) لابد من حذف مضاف اى مثل نفقتهم (كمثل حبة) اومثلهم كمثل باذر حبة (انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عينى الناظر والممثل به موجود فى الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة فى الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء (والله يضاعف لمن يشاء) اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامى ومكى (والله واسع) واسع الفضل والجود (عليم) بنيات المنفقين (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا) هو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه وأوجب عليه حقاله وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها (ولا أذى) هو أن يتطاول عليه بسبب ما اعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا

اموالهم فى سبيل الله) قيل اراد به الانفاق فى الجهاد وقيل هو الانفاق فى جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله (كمثل حبة) اى كمثل زارع حبة (أنبتت) يعنى اخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) فان قلت فهل رايت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود فى الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغى له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغى لمن طلب الاجر عند الله فى الآخرة أن لا يترك الانفاق فى سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعنى انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله (والله واسع) اى غنى يعطى الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال (عليم) يعنى بنية من ينفق فى سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قيل نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله وأما عبد الرحمن فجاء باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندى ثمانية آلاف فامسكت لنفسى ولعيالى اربعة آلاف واربعة آلاف اخرجتها لربى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) اى لا يتبع نفقته التى انفقها عليهم بالمن والاذى وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل وانت فقير أبدا وقد بليت بك واراحنى الله منك وأمثال ذلك والمن فى اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

فمنى علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن يزيد كان ابى يقول اذا اعطيت رجلا شيأ ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم فى المدح بترك المن

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته * وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

اتيت قليلا ثم اسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو أن يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن

(لهم اجرهم عند ربهم) اى ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته اولا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم اجرهم وفيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدا ٢١٢ النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غنى) لا حاجة له الى منفق يمن ويؤذى (حليم) عن معاجلة بالعقوبة وهذا وعيد له ثم اكد ذلك بقوله (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) اى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بحجر أملس كان عليه تراب (فاصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) لا يجدون ثواب شئ مما انفقوا او الكاف فى محل نصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق لانه اراد بالذى ينفق الجنس او الفريق الذى ينفق (والله لا يهدى القوم الكافرين) ما داموا مختارين الكفر (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم) وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له اى للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها

بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم فجميع ما هم فيه منة منه تعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعنى ثوابهم (عند ربهم) يعنى فى الآخرة (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) اى كلام حسن وردجميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعده بها وقيل دعاء صالح له بظهر الغيب (ومغفرة) اى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن القدر الذى استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تتبعها أذى الفقير (يتبعها أذى) وهو أن يعطى الفقير الصدقة ويمن عليه بها او يعيره بقول او يؤذيه بفعل (والله غنى) اى مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله (حليم) يعنى انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذى بصدقته * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعنى أجورصدقاتكم (بالمن والاذى) يعنى على السائل وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس) اى كابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس) اى مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخى كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمن لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) اى مثل هذا المرائى بصدقته وسائر اعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال هو جمع صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى (عليه تراب) اى على ذلك الصفوان تراب (فاصابه وابل) المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعنى ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لا شئ عليه من التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائى والمؤمن المنان بصدقته يؤذى الناس يرى ان لهؤلاء اعمالا فى الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذهبه وازاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) اى لا يقدرون على ثواب شئ مما عملوا فى الدنيا (والله لا يهدى القوم الكافرين) يعنى الذين سبق فى علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوى بسنده عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه * قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) اى طلب رضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) يعنى الانفاق فى طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله بالخلف

انفقت

(كمثل جنة) بستان (بربوة) مكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى (اصابها وابل فآتت اكلها) ثمرتها اكلها نافع ومكى وابو عمرو (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل) فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل

وكما ان كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده (والله بما تعملون بصير) يرى اعمالكم على اكثار واقلال ويعلم نياتكم فيها من رياء واخلاص الهمزة فى (ايود احدكم) للانكار (ان تكون له جنة) بستان (من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له) لصاحب البستان (فيها) فى الجنة (من كل الثمرات) يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات (واصابه الكبر) الواو للحال ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر والواو فى (وله ذرية ضعفاء) اولاد صغار للحال ايضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى اصابه (فاصابها اعصار) ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) فى الاعصار (نار) بالظرف اذ جرى الظرف وصفا للاعصار (فاحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة

انفقت وقيل احسانا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم فى سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين بإخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك او رياء امسك (كمثل جنة) اى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها (اصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت أكلها ضعفين) اى فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت فى سنة من الريع ما يحمله غيرها فى سنتين وقيل أضعفت حملت فى السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فى انفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تريع وتزكو فى كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته او كثرت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لا يمن بها ولا يؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى * قوله عز وجل (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى أيود يعنى أيحب أحدكم أن تكون له جنة اى بستان من نخيل وأعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجرى من تحتها الانهار) يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (واصابه الكبر) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما ان يكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكانه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعنى له اولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فأصابها) يعنى أصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف أصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود

به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك
من أتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة اليه
حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم
ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاي
عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله كلها (كذلك
يبين الله لكم الآيات) يعني كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم
من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) اى فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال
الدنيا واقبال الآخرة * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) اى من خيار
ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه
ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
هذا المال خضر حلو من اصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله
ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض
الانسان في الماء يمينا وشمالا (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على
الناس زمان لا يبالي المرء ما اخذ منه امن حلال ام من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من
عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما اكلتم من كسبكم وان أولادكم من
كسبكم اخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة
لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه
يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم
قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا
الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل * (المسئلة الاولى) * ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في
كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه
مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة
بحكم التجارة في العروض الا أن ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذي يعد للبيع اخرجه ابو داود وروى
ابي عمرو بن حماس ان أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة أحملها فقال عمر الا تؤدي زكاتها
يا حماس فقلت ما لي غير هذا وأهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة
فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرون دينارا او مائتا درهم اخرج منه ربع العشر
* (المسئلة الثانية) * في قوله تعالى (ومما أخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب
الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا
العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة
في كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحوها
دليل الجمهور ما روى عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البقول
فقال ليس فيها شئ أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه

(كذلك) كهذا البيان الذي بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) في التوحيد والدين (لعلكم تتفكرون) فتنتبهوا (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في اموال التجارة (ومما أخرجنا لكم من الارض) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات

وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى فى أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة ان يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو أقوى للراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب فى الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية *(المسئلة الثالثة)* يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح اوسانية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمران النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون اوكان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر أخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون اوكان بعلا العشر وما سقى بالسوانى والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل ماشرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه وقال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء (قوله اوكان عثريا) أراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يسقى عليها سواء كانت من الابل اوالبقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر فى كل قليل اوكثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بما روى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفى رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر اوحب صدقة أخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا اويزرع زرعا فيأكل منه طير اوانسان اوبهيمة الا كان له به صدقة أخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) اى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردى من أموالكم (منه تنفقون) اى من الخبيث عن البراء بن عازب فى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر أوالتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب فى الخير يأتى بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه قال لو ان أحدكم أهدى اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتى أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعنى الردى منه تنفقون يعنى تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعنى ذلك الشئ الخبيث الردى (الا ان تغمضوا فيه) الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو أهدى ذلك ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ

(ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردى (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال اى ولا تيمموا الخبيث منفقين اى مقدرين النفقة (ولستم بآخذيه) وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم (الا ان تغمضوا فيه) الا بان تتسامحوا فى اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اى لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه

فكيف ترضون لي مالا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردىء لان اهل السهمان شركاء له فيما عنده وان كان كله رديئا فلا باس باعطاء الردىء (واعلموا ان الله غنى) يغنى عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) اى محمود فى أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد اى اجر على ما تفعلونه من الخير * قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) اى يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال فى الخير وعدته وفى الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقيل ذهاب اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعنى يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبى كل فحشاء فى القرآن فهى الزنا الا هذا الموضع وفى هذه الآية لطيفة وهى ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يأمره بالفحشاء وهى البخل وذلك لان البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهى التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعنى مغفرة لذنوبكم وستر لكم (وفضلا) يعنى رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب (قوله ان للشيطان لمة بابن آدم) اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشئ والمراد بهذه اللمة التى تقع فى القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) اى غنى قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه (عليم) يعنى بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك وفى رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما فى يمينه وفى رواية فانه لم يغض ما فى يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفى رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقى ولا تحصى فيحصى عليك ولا توعى فيوعى عليك (قوله ولا توعى) اى لا تمسكى فيمسك الله عليك اى فيجازيك بالتقتير فى رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعى وتمنعى بل أنفقى ولا تعدى ولا تحصى * قوله عز وجل (يؤتى الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هى علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كاهل النهروان يعنى الخوارج تأولوا آيات من القرآن فى أهل القبلة وانما نزلت فى أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف فى شئ منه وقيل هى القرآن والعلم والفقه وقيل هى الاصابة فى القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر

(واعلموا ان الله غنى) عن صدقاتكم (حميد) مستحق للحمد او محمود (الشيطان يعدكم) فى الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل فى الخير والشر (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) فى الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه فى الآخرة (والله واسع) يوسع على من يشاء (عليم) بافعالكم ونياتكم (يؤتى الحكمة من يشاء) علم القرآن والسنة او العلم النافع الموصل الى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل

اى خير كثير (وما يذكر الا اولوا الالباب) وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة او العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآية فى معنى الانفاق (وما انفقتم من نفقة) فى سبيل الله او فى سبيل الشيطان (او نذرتم من نذر) فى طاعة الله او فى معصيته (فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم فى المعاصى او ينذرون فى المعاصى اولا يفون بالنذور (من انصار) ممن ينصرهم من الله و يمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعما هى) فنعم شيأ ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعماهى بكسر النون واسكان العين ابو عمرو ومدنى غير ورش و بفتح النون و كسر العين شامى وحمزة وعلى و بكسر النون والعين غيرهم (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر فى الفرائض افضل لنفى التهمة حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل

ه أبى حنيفة أحكموا سفهاءكم * اى امنعوا سفهاءكم وقال السدى الحكمة النبوة لان النبى يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع فى دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع فى الحرام او ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعنى ومن يؤته الله الحكمة (فقد اوتى خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد اوتى اى خير كثير (وما يذكر الا اولوا الالباب) اى وما يتعظ بمواعظه الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه * قوله عز وجل (وما أنفقتم من نفقة) يعنى فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (أو نذرتم من نذر) يعنى به ما اوجبتموه على أنفسكم فى طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير فى الامر المهم والنذر فى الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لأفعلن كذا ثم يفعله او يقول لله على نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فأطاقه فليف به أخرجه ابو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب النهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا يأتى به تكلفا من غير نشاط او يكون سببه كونه يأتى به على سبيل المعاوضة عن الامر الذى طلبه فينقص اجره وشأن العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهى لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله فى بعض روايات الحديث انه لا يأتى بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا يأتى بهذه القربة تطوعا محضا مبتدئا وانما يأتى بها فى مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضى فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم وقوله تعالى (فان الله يعلمه) اى يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما فى قوله وما أنفقتم لانها اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعنى الواضعين الصدقة فى غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من أنصار) اى من اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى فقيه وعيد عظيم لكل ظالم * قوله عز وجل (ان تبدوا الصدقات) اى تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعما هى) اى فنعمت الخصلة هى وقيل فنعم الشئ هى وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات (وان تخفوها) اى تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) اى وتعطوها الفقراء فى السر (فهو خير لكم) يعنى اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا فى المراد

بالصدقة المذكورة فى الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك أبعد من الرياء واقرب الى الاخلاص وفيه بعد اعما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفى صدقة السر أيضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ انه اذا أعطى فى السر زال عنده الذل والانكسار واذا اعطى فى العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر أفضل ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجاه فى الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن أمن على نفسه من مداخلة الرياء فى عمله او يكون ممن يقتدى به فى أفعاله فاذا اظهر الصدقة ليقتدى به غيره على ذلك واما الزكاة فاظهارا خراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة فى الجماعة أفضل من التطوع فى البيت أفضل ولكن فى اظهار الزكاة نفى التهمة عن المزكى وقيل ان الآية واردة فى زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد منع الزكاة فاما اليوم فى زماننا فاظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة فى جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء افضل فى كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس رضى الله عنه سيئاتكم وقيل أدخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم بعض الصغائر من سيئاتكم واصل التكفير فى اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعنى اظهار الصدقات واخفائها * قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار فى اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما اسلموا كرهوا أن ينفعوهم واراد وا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة الى الدخول فى الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم وسئل ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا فى الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدى من يشاء) يعنى ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) اى من مال (فلانفسكم) اى ما تفعلوا تنفعوا به انفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهى اى ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله انه قد علم ان مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه واستم فى صدقاتكم انما تقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم لا تبتغون بذلك وجه الله فى صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون فى سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء فى ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى أن تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء

(وتكفر) بالنون وجزم الراء مدنى وحمزة وعلى وبالياء ورفع الراء شامى وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيئاتكم) والنون على معنى نحن نكفر (والله بما تعملون) من الابداء والاخفاء (خبير) عالم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهى فحسب (ولكن الله يهدى من يشاء) اوليس عليك التوفيق على الهدى او خلق الهدى وانما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله اى رضا الله وطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله او هذا نفى معناه النهى اى ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله

وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه وأجلها (وأنتم لا تظلمون) ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيأ اى لم تنقص الجار فى (للفقراء) متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او هو خبر مبتدا محذوف اى هذه الصدقات للفقراء (الذين أحصروا فى سبيل الله) هم الذين احصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى (يحسبهم الجاهل) بحالهم يحسبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أغنياء من التعفف) مستغنين من اجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لا يسئلون الناس الحافا) الحاحا قيل هو نفى السؤال والالحاح جميعا كقوله

* على لاحب لا يهتدى بمناره

يريد نفى المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطاه وفى الحديث ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا

(وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) لا يضيع عنده (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) هما حالان اى سرين ومعلنين يعنى يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا فاضلا

اخرجه النسائى (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازى عليها ففيه حث على الصدقة والانفاق فى الطاعة * قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس فى رواية عنه نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفى رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث على بن ابى طالب فى الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعنى بنفقة الليل نفقة على وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفى الآية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وفى نزلت الآية فى الذين يربطون الخيل للجهاد فى سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفى السر والعلانية (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات وفى ان الآية عامة فى الذين ينفقون اموالهم فى جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات (فلهم أجرهم عند ربهم) اى جزاء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (الذين يأكلون الربوا) اى يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف فى المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف فى الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا فى اللغة الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال (لا يقومون) يعنى من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) اى يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا فى طعامه حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء فانطلق بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم قام احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مثل الهيم المصروعين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس (قوله بطنه مثل البيت الضخم) اى

يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بار بعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية او فى على رضى الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) اى المصروع لانه تخبط فى المعاملة فجوزى على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء (من المس) من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع او

بيقوم اى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون و يسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فاربا الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض

العظيم

العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اى موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنومة النهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا) اى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى أزيدك فى المال ففعلا ان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى وردعليهم ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) يعنى وأحل الله لكم الارباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد أن يعترض عليه فى شئ مما احل اوحرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيأ بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال فى مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

* (فصل فى حكم الربا) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * ذكروا فى سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثانى انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة فى ذلك * (المسئلة الثانية) * اعلم ان الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفى رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد اربى وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة أشياء وهى النقدان واربعة أصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى ان حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى فى جميعها

(ذلك) العقاب (بانهم) بسبب انهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) ولم يقل انما الربا مثل البيع مع ان الكلام فى الربا لانه جىء به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يماثلان ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه

هو واحد وهو النقع فاثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأى الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب اصحاب الرأى الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا فى جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان اوغير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل اوموزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت اوموزونة لما روى عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فباع صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا خبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرد وتأخذن الا مثلا بمثل فانى كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا اومطعوما * (المسئلة الثالثة) * الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه كالذهب او الفضة بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالذهب والدنانير فيشترط فيه المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط فى بيعه بجنسه المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باع بما يوافقه فى الوصف لا فى الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ولا يثبت فيه ربا النسيئة فيشترط بيعه التقابض فى المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء فقيه اشتراط التقابض فى المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض فى المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله أعلم * (المسئلة الرابعة) * فى القرض وهو من أقرض شيأ وشرط عليه ان يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك انه بلغنى ان رجلا أتى ابن عمر فقال انى أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال ابن عمر فذلك الربا أخرجه مالك فى الموطا قال فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان يأخذها وقال هذه خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة أخرجه مالك فى الموطا وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيثه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانتهى) اى عن أكل الربا (فله ما سلف) اى ما مضى من ذنبه قبل النهى مغفور له (وأمره الى الله) يعنى بعد النهى ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم

(فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فانتهى) فتبع النهى وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شئ فلا تطالبوه به

عليه وليس اليه من أمر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم أكل الربا ثم يأكله فامره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعنى الى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله عز وجل (يمحق الله الربوا) اى ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربى الصدقات) اى يزيدها ويثمرها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف أجرها فى الآخرة (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم والبخارى من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعنى كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا (أثيم) يعنى متماديا فى الاثم وفيه نهى عنه وان من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعنى صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعنى التى أمرهم الله بها (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة باركانها وحدودها فى اوقاتها (وآتوا الزكوة) يعنى المفروضة عليهم فى أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) اى لهم ثواب أعمالهم فى الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى يوم القيامة * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا) قيل نزلت فى العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا فى التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان أنتما أخذتما حقكما لم يبق لى ما يكفى عيالى فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا واخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت فى العباس وخالد ابن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت فى أربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطى الربا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله اى خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا أى واتركوا ما بقى من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقى لكم ما فضل على رؤس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) اى لم تتركوا ما بقى من الربا بعد تحريمه (فاذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب الله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا فى معنى هذه المحاربة

صاروا كافرين لان من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخليد الفساق (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) ينميها ويزيدها اى يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب كل كفار) عظيم الكفر باستحلال الربا (أثيم) متماد فى الاثم باكله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا (ان كنتم مؤمنين) كاملى الايمان فان دليل كماله امتثال المأمور به (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فاذنوا حمزة وابو بكر غير ابن غالب

فاعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار (فنظرة) فالحكم او فالامر نظرة اى انظار (الى ميسرة) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وان تصدقوا) بالتخفيف عاصم اى تتصدقوا برؤس أموالكم او ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف احدى التاءين والتشديد على الادغام (خير لكم) فى القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه

فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من أصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه (وان تبتم) اى ان تركتم أكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية على بنو عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعنى لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل (وان كان ذو عسرة) يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه فى دينه (فنظرة) اى فامهال وتأخير (الى ميسرة) اى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى يؤدى به دينه واختلفوا فى حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا ام هو عام فى كل دين على قولين القول الاول قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدى ان الآية فى الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا فقضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذاك فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام فى كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما فى جميع المعسرين (وان تصدقوا خير لكم) يعنى وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس أموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر راس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعنى ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

(فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه) (م) عن أبى قتادة ان طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال آلله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه (م) عن ابى اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه أبو داود (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن أخذ أموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم زاد فى رواية واذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابى حدرد دينا كان له فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن ابى هريرة قال كان لرجل

رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية انه استسلف من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم أمر له بافضل من سنه (م) عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت ان قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله ماهذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه أخرجه النسائي * قوله عز وجل (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي ترجعون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير او شر (وهم لا يظلمون) اي في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم للليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال شهدان السلف المضمون الى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين وداين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيد (الى أجل مسمى) يعني الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند أكثر اهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من أسلف في تمر ففي كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم وقوله تعالى (فاكتبوه) اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم

الى اجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم (وليكتب بينكم) بين المتداينين (كاتب بالعدل) هو متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد

على مايجب ان يكتب ولا ينقص وفيه دليل ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخيير الكاتب وان لا يستكتبوا ٢٢٦ الا فقيها دينا حتى يكتب ماهو متفق عليه (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع واحد من الكتاب

(ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب (فليكتب) تلك الكتابة لا يعدل عنها (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه (ولا يبخس منه شيأ) ولا ينقص من الحق الذى عليه شيأ فى الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) اى مجنونا لان السفه خفة فى العقل او محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا (أو لا يستطيع أن يمل هو) لعى به او خرس او جهل باللغة (فليملل وليه) الذى يلى امره ويقوم به (بالعدل) بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فان لم يكونا) ان فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص

اجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هى حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة امر الله تعالى بها (ولا يأب) اى ولا يمتنع (كاتب ان يكتب) واختلفوا فى وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلهما وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبى فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضى حاجة أخيه المسلم و يشكر تلك النعمة التى أنعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) اى كما شرعه الله وأمر به (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص و يكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحسان له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التى يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا من هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذى عليه الحق) يعنى ان المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره و جنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعنى المملى (ولا يبخس) اى ولا ينقص (منه) اى من الحق الذى وجب (شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها) اى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعى السفيه هو المبذر لماله ودينه (او ضعيفا) يعنى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعنى لخرس اوعى او عجمة فى كلامه اوحبس اوغيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل بماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلابد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعنى ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه فى صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولى صاحب الدين يعنى ان عجز الذى عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه أعلم بحقه (بالعدل) اى بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعنى واشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعنى من اهل ملتكم يعنى من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر أهل العلم وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وجعلهم هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضى ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك لان حق السيد اذا لم يأذن له فى ذلك حرم عليه الذهاب الى أداء الشهادة فوجب أن لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) اى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة فى الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا فى غير الاموال فذهب سفيان الثورى واصحاب الرأى الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال فى سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى

(ممن ترضون من الشهداء) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضى شاهد (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) لاجل ان تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر مكى وبصرى من الذكر لا من الذكر (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة او للتحمل لئلا تنوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالاول للفرض والثانى للندب (ولا تسأموا) ولا تملوا قال الشاعر

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

والضمير فى (أن تكتبوه) للدين او الحق (صغيرا أو كبيرا) على اى حال كان الحق من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم فى الثياب لان ما يكال او يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال فى الذرعى ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا (الى أجله) الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اى ذلك الكتب (أقسط) اعدل من القسط وهو العدل (عند الله) ظرف لاقسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة

ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة فى العقوبات والحدود وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعنى من كان مرضيا عندكم فى دينه وأمانته والشرائط المعتبرة فى العدالة وقبول الشهادة عشرة وهى الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وأن لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وأن لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذى يكذب على الله أولى بان ترد شهادته وجوز بعض اهل الرأى شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قبول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهى ما تتصل باكتساب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهى حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر فى نفسه شيأ مما يستحى امثاله من اظهاره فى الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم فى حق عدوه لا فى حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين فى ولاء ولا قرابة قال الفزارى القانع التابع اخرجه الترمذى (قوله لا تجوز شهادة خائن) اراد بالخيانة الخيانة فى الدين والمال والامانة فان من ضيع شيأ من أوامر الله او ارتكب شيأ مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة فى جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم (١) والظنين بكسر الظاء المتهم وقوله تعالى (أن تضل احداهما) اى تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر أى تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعنى اذا دعوا للتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير فى جميع الاحوال وقال بعضهم هذا فى اقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التى تحملوها وقيل الآية فى الامرين جميعا يعنى فى التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء (ولا تسأموا) اى ولا تملوا ولا تضجروا (أن تكتبوه) الضمير راجع الى الحق او الدين (صغيرا) كان (أو كبيرا) يعنى قليلا كان الحق او الدين او كثيرا (الى أجله) يعنى الى محل الحق والدين (ذلكم) يعنى ذلك الكتاب (أقسط عند الله) يعنى أعدل عند الله لانه أمر به واتباع امره أعدل من تركه (وأقوم للشهادة) يعنى ان الكتابة تذكر الشهود (وأدنى ألا ترتابوا) يعنى

الشهادة وبنى فعلا التفضيل اى أقسط وأقوم من أقسط واقام على مذهب سيبويه (وأدنى ان لا ترتابوا) واقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك فى المقدار والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك والف أدنى منقلبة من واو لانه من الدنو

(١) قوله بكسر الظاء كذا فى النسخ بايدينا والصواب بفتح الظاء اه

(الا أن تكون تجارة حاضرة) عاصم اى الا أن تكون التجارة تجارة او الا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غير تجارة حاضرة على التامة اى الا أن تقع تجارة حاضرة او هى ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم) ظرف لتديرونها ومعنى ادارتها بينهم تعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) يعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوها لانه لا يفضى فيه ما يتوهم فى التداين (وأشهدوا ٢٢٨ اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كائنا لانه أحوط وابعد من

الاختلاف او اريد به وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولا يضارر والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهى عن الضرار بهما بان يجلا عن مهم ويلزما اولا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وان تفعلوا) وان تضاروا (فانه) فان الضرار (فسوق بكم) مأثم (واتقوا الله) فى مخالفة اوامره (ويعلمكم الله) شرائع دينه (والله بكل شئ عليم) لا يلحقه سهو ولا قصور (وان كنتم) ايها المتداينون (على سفر) مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهن) فرهان مكى وابو عمرو أى فالذى يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف

وأحرى واقرب الى أن لا تشكوا فى الشهادة (الا أن تكون تجارة حاضرة) اى الا أن تقع تجارة حاضرة بيد (تديرونها بينكم) اى فيما بينكم ليس فيها اجل (فليس عليكم جناح) اى لا ضرر عليكم (الا تكتبوها) يعنى التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء او الزيادة بالاصل وانما رخص الله تعالى فى الكتابة والاشهاد فى هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجرى بين الناس فلو امروا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه فى المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعنى فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا فى هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد فى صغير الحق وكبيره ونسيئته وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى ائتمن أمانته وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهى عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص او يحرف ما املى عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل لا يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله أمركما أن تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وأمر أن يطلب غيرهما (وان تفعلوا) يعنى ما نهيتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) اى معصية وخروج عن الامر (واتقوا الله) اى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعنى ما يكون ارشادا لكم فى امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم فى الدين (والله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو عز وجل (وان كنتم على سفر) اى فى سفر (ولم تجدوا كاتبا) يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهان) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعنى فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة باموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما يثبت مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان فى السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون الحضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبى الشحم اليهودى على طعام اخذه لاهله ولم يكن ذلك فى سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا الا ان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو

وبغل وبغال ورهن فى الاصل مصدر سمى به ثم كسر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لان السفر شرط تجويز الارتهان وقوله (مقبوضة) يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب والقبول بدون القبض

أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فليؤد الذى
ن أمانته) دينه واثتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه واثتمانه له وان يؤدى اليه
ق الذى اثتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لاثتمانه عليه بترك الارتهان منه (وليتق الله ربه) فى انكار حقه
ا تكتموا الشهادة) هذا خطاب للشهود (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم

قلبه أو بالابتداء وآثم
خبر مقدم والجملة خبر ان
وانما أسند الى القلب
وحده والجملة هى الآثمة
لا القلب وحده لان كتمان
الشهادة ان يضمرها فى
القلب ولا يتكلم بها فلما
كان آثما مقترفا مكتسبا
بالقلب أسند اليه لان
اسناد الفعل الى الجارحة
التى يعمل بها أبلغ كما تقول
هذا مما أبصرته عينى
ومما سمعته أذنى ومما
عرفه قلبى ولان القلب
رئيس الاعضاء والمضغة
التى ان صلحت صلح الجسد
كله وان فسدت فسد
الجسد كله فكانه قيل
فقد تمكن الاثم فى أصل
نفسه وملاك أشرف مكان
منه ولان أفعال القلوب
أعظم من أفعال سائر
الجوارح ألا ترى ان أصل
الحسنات والسيئات الايمان
والكفر وهما من أفعال
القلوب واذا جعل كتمان
الشهادة من آثام القلوب
فقد شهد له بانه من معاظم
الذنوب وعن ابن عباس

لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له أن يسترجعه مادام شئ من
ق باقيا * قوله تعالى (فان أمن بعضكم بعضا) يعنى فان كان الذى عليه الحق أمينا عند صاحب الحق
يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى اثتمن أمانته) يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى
ن أمينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق امانته يعنى حقه سمى الدين أمانة وان كان مضمونا لاثتمانه
ه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على أن يكون عند ظن
ائن الذى اثتمنه وأن يؤدى اليه حقه الذى اثتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله
وليتق الله ربه) اى المديون فى أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة
حسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعنى اذا
تصديتم الى اقامتها وأدائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك
حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ فى الوعيد عليه فقال تعالى (ومن
يكتمها) يعنى الشهادة (فانه آثم قلبه) اى فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب
لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث فى القلب فلما كان الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب
لسبب ما أوعد الله على شئ كما يعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ
القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير
على كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل (لله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا واهلها له عبيد وهو
يعلمكم (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة
التى ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق وأجيب عن
هذا بان الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى
الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثانى ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه
ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا فى وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة
بالآية التى قبلها وانما نزلت فى كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم أيها الشهود من
كتمان الشهادة أو تخفوه اى تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا
على سبب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى
وان تبدوا اى تظهروا ما فى أنفسكم يعنى من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب
اكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها ويدل عليه
ما روى عن ابى هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات وما فى الارض
وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول

رضى الله عنهما أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واظهارها (عليم) لا يخفى
عليه شئ (لله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه) يعنى من السوء (يحاسبكم به الله) يكافئكم
بجزائه يكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه
والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم
بشئ وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بما ليس باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله اى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة

الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون أن تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى أثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا به وفى رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهى ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا فى تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد أسر عملا او أعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبر به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون فى معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما أخفوه أخف مما يعاقبهم عليه وهو ما يحدث لهم فى الدنيا من النوائب والمصائب والامور التى يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أنها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها فى يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وان أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم فى معنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم يعنى مما عزمتم عليه او تخفوه اى ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما فى الضمائر والسرائر مما ظهر او خفى ومعنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم فتعملوا به او تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اى يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه أيضا ما روى عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن اخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين اخرجاه فى الصحيحين

الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل او تتكلم به والجمهور على ان الحديث فى الخطرة دون العزم وان المؤاخذة فى العزم ثابتة واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلوانى رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضى الله عنها ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا وفى اكثر التفاسير انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفى بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون فى الاحكام لا فى الاخبار

(فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) برفعهما شامي وعاصم اى فهو يغفر و يعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط و بالادغام لابي عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف مكرر فصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس في العربية ما يؤذن بجهل عظيم (والله على كل شئ) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قدير) قادر (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه في (كل) راجعا الى الرسول والمؤمنون اى كلهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ووقف عليه وان كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلى يعنى القرآن أو الجنس (لانفرق) اى يقولون لانفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد من رسله) أحد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين زيد وعمرو ولا تقول المال بين زيد (وقالوا سمعنا) أجبنا قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك) اى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (ربنا واليك المصير) المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء في الايمان وعلى بقاء الايمان مع ارتكاب الكبائر (لا يكلف الله نفسا) محكى عنهم او مستأنف (الا وسعها) الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر

وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم و يعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا و يعذب الكافرين عدلا * قوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما في أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الانبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) اى وصدق المؤمنون بذلك أيضا (كل) اى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه أربع مراتب من أصول الايمان وضروراته فاما الايمان بالله فهو ان يؤمن بان الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ وأما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى و بين رسله وأما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وأمناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم أفضل الخلق وان بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى و ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار تقديره وقالوا يعنى المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) يعنى سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به واطعناه فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه (غفرانك ربنا) اى نسألك غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (واليك المصير) يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير * قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن

اى لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان فى طاقة الانسان ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الافتعال للاعتمال والنفس تنكمش فى الشر وتتكلف للخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) تركنا امرا من اوامرك سهوا (أو أخطأنا) ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطا خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما فى الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ ياصر حامله اى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكاليف الشاقة من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك (كما حملته على الذين من قبلنا) كاليهود

المؤمنين وفيه اضمار كانه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعنى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس فى رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعنى للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعنى من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره * قوله عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا اى لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسيء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه أعدل عليه بمعاقبته بذنبه ويأخذه به (ان نسينا او اخطأنا) ٢ فيه وجهان أحدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت أليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * اما الاول فما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فاخر ازالته عمدا ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذلك ترك ما أمر بفعله على وجه السهو او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه الثانى فى الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى وأما الخطأ فى قوله او أخطأنا فعلى وجهين أيضا أحدهما ان يأتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو بما أخود فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه الوجه الثانى ان يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود

(٣) قوله فيه وجهان لم يذكر الا وجها واحدا ولعله اكتفى عن الثانى بما ذكره فى الجواب عن الايراد الذى اورده ومع ذلك فيه ما فيه اه من

من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين * أحدهما ما ليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لا يكاف الله به عبده محال * الوجه الثانى من تكليف ما لا يطاق هو ما فى قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان فى ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذى سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل فى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) اى تجاوز عن ذنوبنا واصفح عنا (واغفر لنا) اى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) اى تعمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك العفو واذا عفوت عنى فاسترنى على فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التى هى الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب (أنت مولانا) اى ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعنى الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال فقد غفرت لكم وفى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا أحمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات المقحمات الذنوب العظام التى توبق مرتكبها النار واصل الاقتحام الولوج (ق) عن أبى مسعود الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم

(ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا (واعف عنا) امح سيآتنا (واغفر لنا) واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالاول للكبائر والثانى للصغائر (وارحمنا) بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا والاول من المسخ والثانى من الخسف والثالث من الغرق (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فمن حق المولى ان ينصر عبيده فى الحديث من قرأ آمن الرسول الى آخره فى ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة لما روى عن على رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة والله أعلم

قال ان الله كتب لنا كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة آل عمران)

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليه يؤول أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بمالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وحارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية يقول رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم لا قال ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد ألست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله رادا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني ان كانت منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله الذي لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم أما الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بنفسه والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعني القرآن (بالحق) اي بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) اي من قبل القرآن فان قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما

(سورة آل عمران) اعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة لم تكسر لالتياه وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح ان يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز واسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدا (لا اله الا هو) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الحي القيوم) خبر مبتدا محذوف اي هو الحي او بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت (نزل) اي هو نزل (عليك الكتاب) القرآن (بالحق) حال اي نزله حقا ثابتا (مصدقا لما بين يديه) لما قبله (وأنزل التوراة والانجيل) هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (من قبل)

يفرق بين الحق والباطل
او الزبور او كر ذكر القرآن
بما هو نعت له تفخيما
لشأنه (ان الذين كفروا
با ٓيات الله) من كتبه
المنزلة وغيرها (لهم عذاب
شديد والله عزيز ذو
انتقام) ذو عقوبة شديدة
لا يقدر على مثلها منتقم
(ان الله لا يخفى عليه شئ
فى الارض ولا فى السماء)
اى فى العالم فعبر عنه
بالسماء والارض اى هو
مطلع على كفر من كفر
وايمان من آمن وهو
مجازيهم عليه (هو الذى
يصوركم فى الارحام كيف
يشاء) من الصور المختلفة
(لا اله الا هو العزيز) فى
سلطانه (الحكيم) فى تدبيره
روى انه قدم وفد بنى
نجران وهم ستون راكبا
أميرهم العاقب وعمدتهم
السيد واسقفهم وحبرهم
ابو حارثة خاصموا فى ان
عيسى ان لم يكن ولد الله
فمن ابوه فقال عليه السلام
الستم تعلمون انه لا يكون
ولدا الا وهو يشبه اباه قالوا
بلى قال الم تعلموا ان الله
تعالى حى لا يموت وعيسى
يموت وان ربنا قيم على
العباد يحفظهم ويرزقهم
وعيسى لا يقدر على ذلك
وانه لا يخفى عليه شئ فى

مجملا مفصلا فى اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعنى
ان نزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن فى أول البقرة
بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القرآن بانه
هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان
النظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى
للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل
وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وأنزل الفرقان) يعنى الفارق
بين الحق والباطل قيل اراد به القرآن وانما اعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق
والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه
اليهود والنصارى فى أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة
بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل
والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا با ٓيات الله) يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى
وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو
يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) اى غالب لا يغلب
(ذو انتقام) يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة فى العقوبة * قوله عز وجل (ان الله لا يخفى عليه شئ فى
الارض ولا فى السماء) اى لا يخفى عليه شئ من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه
شئ فى الارض ولا فى السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذى يصوركم فى الارحام)
التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف
يشاء) يعنى الصور المختلفة المتفاوتة فى الخلقة ذكرا او أنثى ابيض او أسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا
والمعنى انه الذى يصوركم فى ظلمات الارحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة
(ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق
احدكم يجمع فى بطن أمه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه
الملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لا اله غيره ان
احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا
فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا اراد الله أن يقضى خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى
أشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب له ذلك فى بطن أمه وقيل ان الآية واردة فى الرد على
النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت فى دارك كذا صنعت كذا
وانه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر
على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذى لا يخفى عليه شئ
فى الارض ولا فى السماء وانه المصور فى الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره فى الرحم
فليس بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (لا اله الا
هو العزيز الحكيم) وهذا ايضا فى الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا

الارض ولا فى السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته
وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فانزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية

له وقد صوره الله في الرحم * قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آ
محكمات) يعني مبينات مفصلات أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت مح
من الاحكام كأنه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (
ام الكتاب) يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والح
فان قلت كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب قلت لان الآيات في اجتما
وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل ان كل آية منهن أم الكتاب ك
وجعلنا ابن مريم وأمه آية يعني ان كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى (متشابهات) يعني
لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله
موضع آخر كله محكما فقال في أول هود الر كتاب أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها
تعالى في الزمر الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت ح
جعله كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بع
يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختل
عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الانعام وهي قوله ت
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الآيات وعن
الآيات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والس
وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا وبع
بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاح
معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلو
الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحت
من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل أوجها وروى ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم
القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي
اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك أنزل عل
الم فانشدك الله أانزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك أمتك هي اح
وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذا اكثر هي احد وستون ومائة فهل أنز
عليك غيرها قال نعم الر قال هذا اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر
هذا اكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا فلا ندري أيكثيره نأخذ أم بقليله ونحن
لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل
المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيا
والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القص
والامثال فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهداياتهم فما فائدة المتشابه وهلا كا
كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القرآن أنزل بالفاظ العرب وفي
وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غ
ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات وانما ي
بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القرآن
هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه باي الضربين شئتم ولو نزل كله محك

(هو الذي أنزل عليك الكتاب) القرآن (منه) من الكتاب (آيات محكمات) أحكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شئ او المحكم ما امر الله به في كل كتاب أنزله نحو قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الآيات والمتشابه ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل أوجها او ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله او الناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما في المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تفاوت العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى

واضحا

فاما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق وهم اهل البدع (فيتبعون ما تشابه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق (منه ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله) اى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله (والراسخون فى العلم) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آمنا به) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة أبى ويقول الراسخون وعبد الله ان تأويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بان الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اى بالمتشابه او بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه (من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذى

فيما قالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثانى ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة هى أن يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن ذلك اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى التفكر والحيلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون فى كلامهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده وقوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) اى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى اوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا ادرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى (ابتغاء الفتنة) اى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) اى تفسيره وأصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله اى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وأبى بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل (والراسخون فى العلم) اى الثابتون فى العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم ونحن معتمدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى

وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على
اوجه فمنه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا
الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله و
الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان
انا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل
لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون فى القرآن شئ لا يعرفه أحد من الامة وفى المراد بالراسخين فى
قولان أحدهما انهم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخ
فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل انس بن مالك عن الراسخ
فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة أشياء التو
فيما بينه و بين الله تعالى والتواضع فيما بينه و بين الناس والزهد فيما بينه و بين الدنيا والمجاهدة
بينه و بين النفس (وما يذكر الا أولوا الالباب) اى وما يتعظ بما فى القرآن الا ذوو العقول وهذا ثنا
الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا * قوله عز وجل (ربنا لا تزغ قلوبنا) اى و
الراسخون فى العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اى لا تمالها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين فى قلوبهم
(بعد اذ هديتنا) اى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة)
اعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك
الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه تعالى يعطى
احد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول
صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات والله
فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاءت من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة مع
بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذ
أهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب ما يلي
وأن ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى ك
يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لا أنه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلو
عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما أراد منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين أصبع
فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه و يعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبع
والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية
الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى
ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوار
تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله أعلم * قوله عز وجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب
اى ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى فى اى فى يوم لا ريب فيه اى لا شك فيه انه كائن وهو يوم القيامة
الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى ان يعصم
قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقو
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم
وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن منحت عليه بالهداية والرحمة فهو

لا يتناقض كلامه (وما يذكر) وما يتعظ واصله يتذكر (الا اولوا الالباب) اصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (ربنا لا تزغ قلوبنا) لا تمالها عن الحق بخلق الميل فى القلوب (بعد اذ هديتنا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (انك انت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف اى قولوها وكذلك التى بعدها وهى (ربنا انك جامع الناس ليوم) اى تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم (لا ريب فيه) لا شك فى وقوعه (ان الله لا يخلف الميعاد) الموعد والمعنى ان الالهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله اى لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب

عذاب سعيد * قوله عزوجل (ان الذين كفروا) يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
ريظة والنضير (لن تغني) اى لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) اى من
ب الله شيأ وقيل من بمعنى عند اى عند الله شيأ (وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن
س كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون
ى ان عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون
م كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم
كذبوا بآياتنا) يعني لما جاءتهم بها الرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) اى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم
ه شديد العقاب) وقيل فى معنى الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول
ة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم
قوله عزوجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء واليا فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة
ن فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون و يحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون
شرون (الى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركى قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر
تحشرون فى الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله
كم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه
ية وقيل ان هذه الآية نزلت فى اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله
ى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذى بشر به موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه ثم
ن بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر واقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله
ه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى
دة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة ليستفزهم فاجمعوا أمرهم على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يا معشر اليهود
حذروا من الله مثل ما أنزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبي مرسل
جدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم
رصة واما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عزوجل قل للذين كفروا يعني اليهود
ستغلبون اى ستهزمون وتحشرون يعني فى الآخرة الى جهنم (وبئس المهاد) اى الفراش والمعنى بئس
مهدهم فى النار * قوله عزوجل (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن
ن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله ٣ فيخرج على قول ابن
باس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان
الآية مؤنثة قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان
ذكر بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث
ذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية اى عبرة ودلالة على صدق
ما قول انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين وأصلها فى الحرب لان بعضهم ينئ الى بعض اى يرجع
التقتا يعني يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا

من عذابه (شيأ) من الاشياء (واولئك هم وقود النار) حطبها (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم او منصوب المحل بلن تغني اى لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك كدأب بلا هم زحيث كان ابو عمرو (كذبوا بآياتنا) تفسير لدابهم مما فعلوا او فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز ان يكون حالا اى قد كذبوا (فاخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال اخذته بكذا اى جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالاضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يوم بدر (وتحشرون الى جهنم) من الجهنام وهى بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلى (وبئس المهاد) المستقر جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركى قريش (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) وهم المؤمنون

(٣) قوله فيخرج على قول ابن عباس ليس بظاهر لان قولى ابن عباس فى الآية التى قبل هذه انها فى اليهود ولم يتقدم له قول انها فى كفار قريش حتى يخرج هذا عليه اه

من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكا
فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وقوله تعالى (واخرى
كافرة) اى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان راسه
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرئ بالتاء يعنى ترون اهل مكة ضعفى المسلمين بامعا
اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولان الن
فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلف
فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثلي
كلهم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة أمثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم
محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان يكون الله تعا
اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وه
التأويل الثانى هو الاصح قال الله المشركين فى أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجم
بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعي
وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تناو
استقلال احداهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائ
هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ماهم عليه ثم قال الله المشركين فى أع
المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأي
يضعفون علينا ثم نظرناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية أخرى عنه قال اقل
فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم
قالوا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى ر
المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى اعين المشركين فى أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينهز
فلما أخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى أعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سببا لخذلانهم وقدر
ان المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا
المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان فى وقعة بدر أحوال فى التكثير والتقليل وه
الاظهار للقدرة التامة وقوله تعالى (رأى العين) اى فى رأى العين (والله يؤيد) اى يق
(بنصره من يشاء ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة)
لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها من العبور كأنه طريق يعبر
فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لأ
الابصار) لذوى العقول والبصائر * قوله عز وجل (زين للناس) قال اهل السنة المزين هو الله
لانه تعالى خالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده وأباح لهم
تزيين لهما قال الله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى
لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما
الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح
على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك
تعالى زهد فى هذه الاشياء بان أعلم عباده زوالها ولان الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل

دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان

الشهوات

الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء فى معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابى على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ماذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له فى ملكه وقوله تعالى (حب الشهوات) يعنى المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن حبائل الشيطان وأقرب الى الافتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى فى قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا فى القنطار هل هو محدود أو غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا فى حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه انه اثنا عشر الف درهم او ألف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد ابن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدى هو اربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن ابى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبو والحياة تشبيها بعبو رالقنطرة المقنطرة اى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدأ بهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهى صفة كمال وهى محبوبة وقيل سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اى تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها فى مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد فى نفسه مختيلة يعنى عجبا واختلفوا فى معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثانى انها من السمة وهى العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فى تلك العلامة فقيل هى الغرة والتحجيل التى تكون فى الخيل وقيل هى الخيل الباق وقيل هى المعلمة بالكى والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعنى الزرع (ذلك) يعنى ذلك الذى ذكر من هذه الاصناف (متاع الحيوة الدنيا) اى الذى يستمتع به فى الحياة الدنيا وهى زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) اى المرجع فيه اشارة الى التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه فى الآخرة لانها السعادة القصوى ثم قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) اى أخبركم (بخير من ذلكم) يعنى الذى ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس فى رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل فى هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير

شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة كانه اراد تخصيصها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (من النساء) والاماء داخلة فيها (والبنين) جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون فى الطباع والمعدون للدفاع (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور او مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (المقنطرة) المضعفة او المدفونة (من الذهب والفضة) سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق (والخيل) سميت به لاختيالها فى مشيها (المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من أسام الدابة وسومها (والانعام) هى الازواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحيوة الدنيا) يتمتع بها فى الدنيا (والله عنده حسن المآب) المرجع ثم زهدهم فى الدنيا فقال (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) من الذى تقدم (للذين اتقوا عند ربهم

جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ماهو خير من ذلكم لجنات مبتدا والذين اتقوا خبره (تجرى من تحتها الانهار

مما كان فى الدنيا وان كان محبوبا لحثهم على ترك مايحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة و رضوان من الله) (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون وأى شئ افضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضى عنه كان أتم السرور واعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعنى ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازى كلا على عمله فيثيب و يعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعدلهم الجنات * قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) اى صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) اى استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * قوله عز وجل (الصابرين) يعنى على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفى البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما اصابهم (والصادقين) يعنى فى ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم فى السر والعلانية والصدق يكون فى القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق فى الفعل هو عند الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق فى النية العزم على الفعل حتى يبلغه (والقانتين) يعنى المطيعين وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعنى اموالهم فى طاعة الله تعالى و يدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة فى جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعنى المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم فى ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر و يدعو حتى يصلى الصبح (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وفى لفظ مسلم فيقول أنا الملك انا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وله فى رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى يتفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية عنه والمذهب الثانى هو مذهب من يتأول احاديث الصفات كما قال ابو سليمان الخطابى انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذى هو نقلة من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا تستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابة دعائهم ومغفرته لهم يفعل مايشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم وجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يا بنى لا تكن اقل من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل (شهد الله انه لا اله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم التى

جنات) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير وخص المتقين لانهم هم المنتفعون به وير تفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) اى رضا الله (والله بصير بالعباد) عالم باعمالهم فيجازيهم عليها او بصير بالذين اتقوا و باحوالهم فلذا أعدلهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح اورفع اوجر صفة للمتقين اوللعباد (ربنا اننا آمنا) اجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) انجاز الوعدك (وقنا عذاب النار) بفضلك (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم (والقانتين) الداعين او المطيعين (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين بالاسحار) المصلين او طالبين المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء ولانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك أكيس منك ينادى بالاسحار وانت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها وللاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح (شهد الله) اى حكم اوقال (انه) اى بانه (لا اله الا هو

يخرج

يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وأنت احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شئ فان انت أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألانى قالا فاخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت فى نصارى نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو (والملائكة) اى وشهد الملائكة بمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولوا العلم) اى وشهد أولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا فى أولى العلم فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) اى بالعدل نصب على الحال والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعنى انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان اى انه مجازله فالله مدبر أمر خلقه وقائم برزاقهم ومجازلهم باعمالهم (لا اله الا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثانى تعليم اى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام وأشرفه فيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات (العزيز) اى الغالب الذى لا يقهر (الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين أفضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ أن الدين بفتح الهمزة رد على أن الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام وأصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للطاعة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى بسنده الثعلبى عن غالب القطان قال أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت ان اخرج الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام فالهما مرارا قلت سمعت فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك تردد هاتين الكلمتين فما بلغك فيهما قال والله لاحدثنك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله

(والملائكة) بما عاينوا من عظيم قدرته (وأولوا العلم) اى الانبياء والعلماء (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله تعالى او من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح وكرر (لا اله الا هو) للتأكيد (العزيز الحكيم) رفع على الاستئناف اى هو العزيز وليس بوصف لهو لان الضمير لا يوصف يعنى انه العزيز الذى لا يغالب الحكيم الذى لا يعدل عن الحق (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة أن الدين على البدل من قوله انه لا اله الا هو اى شهد الله ان الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة ان لعبدى عندى عهدا وأنا احق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة

(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) اى اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد فقالت النصارى وقالت اليهود عزير بن الله (الا من بعد ما جاءهم العلم) انه الحق الذى لا محيد عنه (بغيا بينهم) اى ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لاشبهة فى الاسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ٢٤٤ ودلائله (فان الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فان حاجوك) فان جادلوك فى دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند المجهور (فقل أسلمت وجهى لله) اى اخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم اجعل فيها لغيره شريكا بان أعبده وأدعو الها معه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت اى أسلمت أنا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق ابو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والاعشى والبرجمى (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعنى من اليهود والنصارى (والامين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفى يعنى انه قد أتاكم من البينات ما يقتضى حصول الاسلام فهل أسلمتم ام انتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر اى أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون اى انتهوا (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وان تولوا فانما عليك البلاغ) اى لم يضرك فانك رسول منبه فما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم (ان الذين يكفرون بآيات الله

عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة * قوله عز وجل (ومن اختلف الذين اوتوا الكتاب) قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى بيان نبوته وصفته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار اسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع القتال والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التوراة من الاحكام (بغيا بينهم) اى طلبا بينهم للرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحد أحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى المعاداة والمنافسة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (فان حاجوك) اى خاصموك بالباطل فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا السنا على ما سمتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل اسلمت وجهى لله) اى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اى أخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله (ومن اتبعن) يعنى ومن أسلم كما اسلمت انا (وقل للذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والامين) يعنى مشركى العرب (أأسلمتم) استفهام ومعناه امر اى أسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على اهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان موسى كلم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن * قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات الله

يقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مؤكدة لان قتل النبي لا يكون حقا

يعني يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بني اسرائيل يأتيهم الوحي ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين بحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء والتقدير من يكفر فبشره بعذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام البشرى للمحسنين بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (اولئك الذين حبطت) اي بطلت (اعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (وما لهم من ناصرين) يعني يمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) انزلت في اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعني القرآن وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا ان رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال أنت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما بينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عز وجل ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم)

(ويقتلون الذين يأمرون) ويقاتلون حزة (بالقسط) بالعدل (من الناس) اي سوى الانبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا واقتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم (فبشرهم بعذاب أليم) دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب اليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لان ان لا تغير معنى الابتداء فهي للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع دخول الفاء (أولئك الذين حبطت أعمالهم) اي ضاعت (في الدنيا والآخرة) فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (وما لهم من ناصرين) جمع لوقف رؤس الآي والافالواحد النكرة في النفي يعم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض

او للبيان (يدعون) حال من الذين (الى كتاب الله) اي التوراة او القرآن (ليحكم بينهم) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم او ليحكم النبي روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم

قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم
الرجوع الى كتاب الله واجب ٢٤٦ (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم (ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا

اى ليقضى بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) ا
الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعنى عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين اعرضوا
الاتباع (ذلك بانهم) يعنى ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا
معدودات) تقدم تفسيره فى سورة البقرة (وغرهم) اى واطمعهم (فى دينهم ما كانوا يفترون) اى يختل
ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغ
غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل (فكيف اذا جمعناهم) اى فكيف يكون حالهم اذا جمعنا
(ليوم) اى فى يوم (لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) اى لا شك فيه انه كائن وواقع وهو
القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعدلهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما
به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموق
من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون)
لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم * قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك
قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل
هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم
المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وأمنع من ذلك الم يكف
مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لان
رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حر
النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير اى اقصدنا مالك الملك اى م
العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه
الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك أحد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليه
عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو الق
والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك
جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانها أعظم مراتب الملك وذلك
النبى صلى الله عليه وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر
الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك
النبوة من بنى اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته
وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من ابى
وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء
فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده
الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة
(وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار
وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا وأصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين

(تؤتى الملك من تشاء) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) اى تنزعه عليها
فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى انه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال
اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك (وتعز من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) بنزعه

ك الخير) اى الخير والشرفا كتفى بذكر احد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو
ى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من أعدائك (انك على كل شئ قدير) ولا يقدر على شئ أحد غيرك الا
ك وقيل المراد بالملك ملك العافية اوملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يوما فيوما اوملك قيام
ل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة او بالاستغناء بالمكون او بالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته
بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج أحدهما من ٢٤٧ الآخر وعطف عليه رزقه بغير

ل وتذل من تشاء يعنى ابا جهل واضرابه حين قتلوا واقوافى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء
عة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء
اعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف
لام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان
كلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى أنكرته اليهود والمنافقون
بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافى ان يكون بيده غيره
ون المعنى بيدك الخير و بيدك ماسواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه (انك
كل شئ قدير) يعنى من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله تعالى (تولج الليل
نهار) الآية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار فى المعاقبة
بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفى ذلك دلالة على ان من
قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم
ويؤتيه العرب ويعزهم بقوله تعالى تولج الليل فى النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو
ان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول
النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس
عشرة ساعة وذلك غاية طوله و يكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى يأتى بسواد
الليل عقيب ضوء النهار و يأتى بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الآية لانه
اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة فى النهار و بالعكس وهو معنى الولوج (وتخرج الحى من الميت
وتخرج الميت من الحى) وهو انه تعالى يخرج الانسان الحى من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من
الانسان ويخرج الفرخ وهو حى من البيضة وهى ميتة و بالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج
سنبل الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة و بالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج
المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حى الفؤاد والكافر ميته (وترزق من تشاء بغير
حساب) يعنى من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه * قوله عز وجل
(لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبى
الحقيق وقيس بن زيد يطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله
بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا
ما هم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة للكفار
وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون

ى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى
فيهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى
غير ابى بكر (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او اصداقة قبل الاسلام او غير ذلك وقد كرر
فى القرآن والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم فى الايمان (من دون المؤمنين) يعنى ان لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن
موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم

حساب بقوله (توليج الليل فى النهار وتوليج النهار فى الليل) فالايلاج ادخال الشئ فى الشئ وهو مجاز هنا اى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل (وتخرج الحى من الميت) الحيوان من النطفة او الفرخ من البيضة او المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان او البيض من الدجاج او الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عنده ليدل على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم

(ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ) اى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شئ لان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان
(الا ان تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه اى الا ان يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك
فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وابطال المعاداة (ويحذركم الله نفسه) اى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا

وعيد شديد (والى الله المصير) اى مصيركم اليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر (قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه) من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو ابلغ وعيد (ويعلم ما في السموات وما في الارض) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط اى هو الذى يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا اى مسافة بعيدة او باذكر ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اى والذى عملته من سوء تود هى

ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك
وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معى خمسمائة من
اليهود وقد رأيت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
يعنى أنصارا واعوانا من دون المؤمنين يعنى من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن
نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في
الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان (ومن يفعل ذلك) يعنى موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم
واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم (فليس من الله في شئ) اى فليس من دين الله في شئ وقيل معناه
فليس من ولاية الله في شئ وهذا أمر معقول من ان ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار
ضدان لا يجتمعان (الا ان تتقوا منهم تقاة) اى الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية انهى الله المؤمنين
عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن في قوم
كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما ونحو
ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة القلب
قال الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل
كان له بذلك أجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام
الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم
يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان
فقال سعيد ليس في الامان تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر
لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) اى ويخوفكم الله ان تعصوه
ترتكبوا المنهى او تخالفوا المأمور به او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى الله المصير) يعنى
ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الآخرة * قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما في صدوركم) يعنى من
قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب (او تبدوه) يعنى تبدوا موالاة
الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه
اى تظهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) اى يحفظه عليكم ويجازيكم به (ويعلم ما في السموات وما في
الارض) يعنى انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شئ في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه ما
وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا) يعنى تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ (وما عملت من
سوء) اى تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) اى تتمنى (لو أن بينها وبينه) اى
و بين ما عملت من السوء (أمدا بعيدا) اى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والأمد الاجل والغاية
وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد
(والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل

لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود ونعم الرفع جائزا اذا كان الشرط يهمل
ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف
بالعباد) ومن رأفته بهم ان حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذرا لكمال قدرته مرجو للمغفرة
كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله واحباؤه

ل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال
حذركم الله نفسه وهو وعيد أتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته و وعده
ت وعيده وسخطه * قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود
صارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام
ت صبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال
معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله لتقربنا الى
زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبا لله وتعظيما له
رسول الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم
صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله تعالى
وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع أمره و مجانبة نهيه
ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه و رضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (و يغفر لكم ذنوبكم) يعنى
ان من غفر له فقد أزال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من أحبه و يرحمه بفضله
وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابى بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته
كطاعة الله و يأمرنا ان نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله
والرسول) يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر او نهى ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به فى كتابه او نهى عنه وقال ابن عباس رضى
الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى و تعصوا محمدا فان أقبل منكم
فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله و رسوله (فان الله لا يحب الكافرين) اى لا يرضى فعلهم ولا يغفر
لهم (خ) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون
الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (ق) عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى
ومن يعص الامير فقد عصانى * قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود
نحن من أبناء ابراهيم واسحق و يعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء
بالاسلام وأنتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل
شئ آدم هو أبو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح بن لامك ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه
السلام وحكى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى سليمان الدمشقى ان اسم نوح السكن وانما سمى نوحا
لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابراهيم) قيل أراد بآل ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل
واسحق و يعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم اصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام
اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل فى هذا الاصطفاء وجعل اسحق اصلا لبنى اسرائيل
وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم
القيامة وقيل أراد بآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا فى عمران هذا فقيل هو عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون او

فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به و بذكره ودوام الانس به وقيل هى اتباع النبى عليه السلام فى أقواله وأفعاله وأحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة ان يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودى ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجوه (و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول) قيل هى علامة المحبة (فان تولوا) اعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل ان يكون مضارعا اى فان تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) اى لا يحبهم (ان الله اصطفى) اختار (آدم) أبا البشر (ونوحا) شيخ المرسلين (وآل ابراهيم) اسمعيل واسحق واولادهما (وآل عمران) موسى وهرون هما ابنا عمران بن يصهر

وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان و بين العمرانين الف وثمانمائة سنة

(على العالمين) على عالمى زمانهم (ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) مبتدأ وخبره فى موضع النصب صفة لذرية يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى ٢٥٠ من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل فى آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض فى الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (اذ قالت) واذ منصوب به او باضمار اذكر (امرأة عمران) هى امرأة عمران بن ماثان ام مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا (رب انى نذرت لك) اوجبت (ما فى بطنى محررا) هو حال من ما وهى بمعنى الذى اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا استخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم او مخلصا للعبادة يقال طين حراى خالص (فتقبل منى) مدنى وابو عمرو والتقبل اخذ الشئ على الرضا به (انك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما فى بطنى وانما أنث على تأويل الحبلة او النفس او النسمة (قالت رب انى وضعتها أنثى) أنثى حال من الضمير فى وضعتها اى وضعت الحبلة او النفس او النسمة أنثى وانما قالت هذا القول لان التحريم لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها فتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عزائم الامور وضعت شامى وابو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون ذلك فى القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى

نفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) اى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) اى اصطفى ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمى الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذرأه الله تعالى اى خلقه (بعضها من بعض) اى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعنى ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا * قوله عز وجل (اذ قالت امرأة عمران) هى حنة بنت فاقوذا ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان بينهما الفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) اى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا اى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا أشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان أحب أقام فيها وان أحب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بنى اسرائيل ومن علمائهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره أصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهى ام مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما فى بطنك انثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل أخذ الشئ على الرضا وأصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعباداته (انك انت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم) يعنى بنيتى وما فى ضميرى * قوله عز وجل (فلما وضعتها) اى ولدت حملها وقال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها انثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قبل ان تضعه (والله اعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء

(وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لها واللام فيهما للعهد (وانى سميتها مريم) معطوف على انى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وانما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لان مريم فى لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف أتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وانى) مدنى (أعيذها بك) اجيرها (وذريتها) اولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون فى الحديث ٢٥١ مامن مولود يولد الا والشيطان

التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله أعلم بالشئ الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب انى وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كأنها قالت كان الذكر مطلوبا لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة الله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة الله تعالى وكانت مريم من أجل النساء وأفضلهن فى وقتها (وانى سميتها مريم) يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا (وانى اعيذها بك وذريتها) اى امنعها واجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هى انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب * قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم يسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشئ ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وانبتها نباتا حسنا) معناه وانبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اى سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام (وكفلها زكريا) قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا أقلامهم فى الماء على ان من ثبت

يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها (فتقبلها ربها) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك او بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى اختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا

وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف اى فتقبلها بذى قبول حسن اى بامر ذى قبول حسن وهو الاختصاص (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذلك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر والتقدير فنبتت نباتا (وكفلها) تبناها وضمن القيام بامرها وكفلها كوفى اى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفى غير ابى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح

(كلما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد اى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (ان الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم او من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أمها حنة فى الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلى

قلمه فى الماء وصعد فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا أقلامهم التى كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسيت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعنى فاكهة فى غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال) يعنى زكريا (يا مريم أنى لك هذا) اى من اين لك هذه الفاكهة (قالت) يعنى مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهى صغيرة فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى المهد وقال محمد بن اسحق اصابت بنى اسرائيل ازمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها فى المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفى هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر أن يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه مع الكبر وطمع فى الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعنى انه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) يعنى انه قال يا رب اعطنى من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) اى سامعه ومجيبه * قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه

رئيس

وهو قائم يصلى فى المحراب) وفيه دليل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات
ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (ان الله) بكسر الالف شامى وحمزة على اضمار القول اولان النداء قول الباقون بالفتح اى بان الله (يبشرك) يبشرك ومابعده حمزة وعلى من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بيحيى) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) اى مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة الله لان تكونه بكن بلا أب او مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وسيدا) هو الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذى لا يقرب النساء مع القدرة حصر النفسه اى منعالها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين (قال رب انى يكون لى غلام) استبعاد من حيث العادة واستعظام من قدرة لا تشكك (وقد بلغنى الكبر) كقولهم أدركته السن العالية اى اثر فى الكبر وأضعفنى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون

فرس الملائكة وقل أن يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلى فى المحراب) اى فى المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح لهم الباب ولا يدخلون حتى يأذن لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن لهم فى الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يازكريا (ان الله يبشرك بيحيى) اى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمى يحيى لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقيل لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعنى عيسى بن مريم وانما سمى عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب فكان كلمة الله على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمى كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمى كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء من قبله فى كتبه المنزلة عليهم أنه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعنى الوعد الذى وعدانه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابنى خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لام عيسى يامريم أشعرت انى حامل فقالت مريم وأنا ايضا حامل فقالت أم يحيى يامريم انى لأجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى ان يحيى آمن بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لا يغضبه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يابنى سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال وأى داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذى لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك لغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من أن يضاف الى احد منهم نقص او آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعنى انه من اولاد الانبياء الصالحين * قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب) اى يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربى اى ياسيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (أنى يكون لى غلام) يعنى من اين يكون وكيف يكون لى غلام (وقد بلغنى الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالنى الكبر وأدركنى الضعف فان قلت كيف أنكر زكريا الولد

(وامرأتي عاقر) لم تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لي) مدني وابو عمرو (آية) اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت (قال آيتك ألا تكلم الناس) اى لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام الا رمزا) الا اشارة بيد او رأس او عين او حاجب واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما وهو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) اى في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى (واذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران او التقدير واذكر اذ (قالت الملائكة يا مريم) روى انهم كلموها شفاها (ان الله اصطفاك) اولا حين تقبلك من أمك وربأك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال (واصطفاك) آخرا (على نساء

مع تبشير الملائكة اياه وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به أكان شاكا الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على الاستفهام والاستعلام والمعنى من أي جهة يكون لي الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتي وردشبابها او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز أن يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي وأجيب عن هذا الاعتراض بان دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الشبهة فسأل زكريا ذلك لنزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن تسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتي عاقر) اى عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء * قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب اجعل لي آية) اى علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فازيد في العبادة والشكر (قال آيتك) اى علامتك على الذي طلبت معرفة علمه (أن لا تكلم الناس) اى لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة أيام) اى مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل بشيء آخر فوفر امنه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من ان يكون ذلك دليلا له على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام لما سأله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام (الا رمزا) الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول أصح لموافقة اهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وفي منعه الله من الكلام في تلك المدة أمره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحبسك عنه (وسبح) اى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لما فيها من تنزيه الرب سبحانه وتعالى (بالعشي والابكار) فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها وسميت صلاتا الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعني جبريل عليه السلام (يا مريم ان الله اصطفاك) اى اختارك (وطهرك) من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) واختارك (على نساء العالمين) اى عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق

لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء (يا مريم اقنتى لربك) أديمى الطاعة أو أطيلى قيام الصلاة (واسجدى) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعى مع الراكعين) اى ولتكن صلاتك مع المصلين اى فى الجماعة أو وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم (ذلك) اشارة الى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) ازلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين او هى الاقلام التى كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم او ليعلموا او يقولون (وما كنت لديهم اذ يختصمون) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها (اذ قالت الملائكة) اى اذكر (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة) اى بعيسى (منه) فى موضع جر صفة لكلمة (اسمه) مبتدا وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر

الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان ت اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير سمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن ابى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسائها ومعناه خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيى الدين النواوى والاظهر ان معناه ان كل واحدة خير نساء الارض فى عصرها وأما التفضيل بينهما فسكوت عنه (ق) عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل الفرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقه من غير ثريد وفضل على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون اخرجه الترمذى قوله عز وجل (يا مريم اقنتى لربك) اى قالت الملائكة لها شفاها أطيعى ربك وقيل معناه أطيلى فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت فيها وحكى عن مجاهد نحوه (واسجدى واركعى مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضى الترتيب انما هى للجمع كانه قيل لها افعلى الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى أمرها أمرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه استعمل السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالامر من اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل وأتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة اى صلى مع المصلين فى جماعة * قوله عز وجل (ذلك من أنباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب (نوحيه اليك) اى نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحى منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يا محمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون اقلامهم) يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع (ايهم يكفل مريم) يعنى يربيها ويقوم بمصالحها ٣ قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة وخدمة المسجد وكان أبوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) فى كفالتها وتربيتها * قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخير من عنده فهو كقول القائل التى الى فلان كلمة سرنى بها وأخبرنى خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك بشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه

(٣) قوله قيل سبب منازعتهم الخ تقدم قول ثالث وهو حصول الازمة لهم اه

المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التى هى كن كما يقال ما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاه الله يعنى ان هذا الامر عن قدر الله وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد عن الكلمة التى هى كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير فى قوله اسمه عائد الى الكلمة وهى مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم واحد وهو عيسى وأما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير فى قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسيح علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال الذى يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمى عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب وأصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او منشى وهو الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمى عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح فى الارض ولا يقيم بمكان فكانه يمسح الارض اى يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا أخمص له وسمى الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمى عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى (وجيها) اى شريفا فبعذا وقدر (فى الدنيا والآخرة) اما وجاهته فى الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى وأما وجاهته فى الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس فى المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو فى المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به هو ماذكره الله عنه فى سورة مريم وهو قوله انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح وهو فى بطنى وأنا اسمع وهو يتكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ الغلمان (وكهلا) يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى خالط الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو فى المهد ببراءة أمه وهى معجزة عظيمة ويكلم الناس فى حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بانه يعيش حتى يكتهل وقيل فيه أخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه

والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وقيل سمى مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ أو لانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدا محذوف اى هو ابن مريم ولا يجوز ان يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه (وجيها) ذا جاه وقدر (فى الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة والشفاعة (ومن المقربين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين اى وثابتا من المقربين وكذا (ويكلم الناس) اى ومكلما الناس (فى المهد) حال من الضمير فى يكلم اى ثابتا فى المهد وهو ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر (وكهلا) عطف عليه اى ويكلم الناس طفلا وكهلا اى يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء

التغيير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ٣ ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات وأشرف المقامات * قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل (أنى يكون لى ولد) اى من اين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) اى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لاشكالها فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير أب (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد (ويعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة وأحكام الشرائع (والتوراة) يعنى التى أنزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى أنزل عليه وهذا أخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل) اى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان اول أنبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (أنى أخلق) اى اصور واقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته وأصلحته (فانفخ فيه) اى فى الطين المهيا المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائرا او ما أخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من أكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى أعمل هذا التصوير أنا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وأبرئ الاكمه والابرص) اى واشفى الاكمه والابرص واصحهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد اعمى وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فمن

الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اى اذا قدر تكون شئ كونه من غير تأخير كنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء بتكوينه (و يعلمه) مدنى وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدا (الكتاب) اى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام او الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتوراة والانجيل ورسولا) اى ونجعله رسولا او يكون فى موضع الحال اى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا (الى بنى اسرائيل انى) بانى (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدقى فيما ادعيه من النبوة (انى أخلق لكم) نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هى انى أخلق لكم انى نافع على الاستئناف (من الطين كهيئة الطير) اى اقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (باذن الله) بامره قيل لم يخلق شيأ غير الخفاش

(وأبرئ الاكمه) الذى ولد أعمى (والأبرص)

٣ قوله ويقتل الدجال هذا الاستفاد من نص عبارة الحسن اه

أطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (وأحيي الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيى أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فاتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على نعش عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بعد ثلاثة أيام فعاشت وولد لها وأما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل (وانبئكم) يعني وأخبركم (بما تأكلون) اى مما لم أعاينه (وما تدخرون في بيوتكم) اى وما ترفعونه فتخبؤنه في بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يعلم الرجل بما أكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي فيخبر أهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تقعدوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فيهم به فخافت عليه امه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهي اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجها او بواسطة حساب الرمل او نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به وأما الكاهن فانه يستعين برئيه الجن وقد يخطئ أيضا في كثير مما يخبر به وأما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) اى لعبرة ودلالة على صدق اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم وللمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا اذ كل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه

(وأحيي الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه الالوهية روى انه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا ساحر مبين فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وهو قوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وما فيهما بمعنى الذي او مصدرية (ان في ذلك) فيما سبق (لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة) اى قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم اى جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والعمل وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك

ن عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبنى اسرائيل
لم أدعكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الا لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم واضع عنكم الآصار
ولك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات
ل تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبقى ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى
ن جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التى كانت عليهم وقال قتادة كان الذى جاء به عيسى
ين من الذى جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء
من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه
لام رفع كثيرا من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك
سخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) اى بحجة واضحة
شاهدة على صحة رسالتى ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعنى يا معشر بنى اسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه
(واطيعون) يعنى فيما أدعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قولى (ان
الله ربى وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا فى الله تعالى
وفى هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى
عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك
بقوله (هذا صراط مستقيم) يعنى التوحيد * قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر) اى وجد
وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر
فاحس ذلك عيسى منهم وعرف أصرارهم عليه وعزمهم على قتله

(وجئتكم بآية من ربكم) كرر للتأكيد (فاتقوا الله) فى تكذيبى وخلافى (واطيعون) فى أمرى (ان الله ربى وربكم) اقرار بالعبودية ونفى للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فاعبدوه) دونى (هذا صراط مستقيم) يؤدى صاحبه الى النعيم المقيم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس

(ذكر سبب القصة)

قال أهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بنى اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه تقوه
واخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فنزل فى قرية على رجل فاضافهم وأحسن اليهم
وكان لذلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل فى بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم
عند امرأته فقالت مريم ما شأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسألينى فقالت مريم أخبرينى لعل الله
ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده
ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولى له لا يهتم
لذلك فانا آمر ابنى ان يدعوله فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر
فقالت مريم لا تبالى فانه قد احسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك
وحوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء
الحوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك
هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هى
من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندى غلاما لا يسأل الله
شيئا الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فى ملكه وقد
مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا
بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع
شر فقال الملك لا أبالى أليس اراه فقال عيسى ان أنا احييته تتركنى انا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم
فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا

هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فما كلمنا كما كنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا فى اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من أنصارى الى الله) اى مع الله وقيل معناه ان أبين امر الله وأظهر دينه وقيل الى بمعنى فى اى فى ذات الله وسبيله وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لى (قال الحواريون نحن أنصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح فى الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف فى الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده تلاميذ وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج الى السفر ولا أرجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فأريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما أريد منك ثم قدم الحوارى والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى ما فعلت فى قد فرغت منها قال واين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التى يريد الحوارى فجعل الحوارى يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزرائه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذى يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعنى انصار دين الله ورسوله واعوانه (آمنا بالله) اى صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعنى انت يا عيسى (بانا مسلمون) قبل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما انزلت) يعنى قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما انزلت يعنى بكتابك الذى انزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعنى عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى الذين شهدوا للانبياء بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضى أن يكون للشاهدين الذين سأل الحواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال بن

(قال من انصارى) مدنى وهو جمع ناصر كاصحاب او جمع نصير كاشراف (الى الله) يتعلق بمحذوف حال من الياء اى من أنصارى ذاهبا الى الله ملتجأ اليه (قال الحواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته (نحن انصار الله) اعوان دينه (آمنا بالله واشهد) يا عيسى (بانا مسلمون) انما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول) اى رسولك عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لامهم او مع الذين يشهدون لك بالوحدانية او مع أمة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس

عباس فى قوله فاكتبنا مع الشاهدين اى مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعنى النبيين لان كل نبى شاهد على أمته قوله عز وجل (ومكروا) يعنى كفار بنى اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعى بالفساد فى الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا فى قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد أن اخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة (ومكر الله) اى جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه فى مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله فى هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذى دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة فى سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى فى بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بى احدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذى دل عليه فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذى القى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لهما فابرأهما الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فنهاهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعنى ولم يصبنى الاخير وهذا شبهه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبق عليك احد بكاها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة فى الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعنى وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدى ان اليهود حبست عيسى عليه السلام فى بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبى الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض أورى سلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر

(ومكروا) اى كفار بنى اسرائيل الذين أحس منهم الكفر حين ارادوا قتله وصلبه (ومكر الله) اى جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات (والله خير الماكرين) اقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب

من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست

* قوله عز وجل (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك و رافعك الى) اختلفوا فى معنى التوفى هنا على طر
فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا فى معناها وجوها الاول
انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وقبضته تاما والتو
منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه
عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فر
الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى منيمك و رافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حق
الموت قال ابن عباس معناه انى ممتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أح
ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه
الرابع ان الواو فى قوله ورافعك الى لا تفيد الترتيب والآية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر
كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت فى الحديث ان عيسى سينزل و يقت
الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطى معناه انى متوفيك عن شهوا
وعن حفاظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته
الملائكة فى زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان
الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح
لاهوته يعنى روحه و بقى فى الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله انى متوفيك ورافعك
فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه و جسده جميعا الطريق الثانى ان فى الآية تقديما
وتأخيرا تقديره انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعض
هل تجد نزول عيسى الى الارض فى القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل فى الدنيا و
معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذ
نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يض
الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله احد زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا و
فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفى رواية كيف
اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذؤيب تدرى ما أمكم منكم قل
فاخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل و بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفى افراد مسلم من حد
النواس بن سمعان قال فبينما هما كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنا
البيضاء شرقى دمشق من ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى و بينه يعنى عيسى
وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يق
وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية و يهلك
الملل فى زمانه كلها الا الاسلام و يهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى و يصلى عل
المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وس
فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام * قوله عز وجل (ومطهرك
الذين كفروا) يعنى مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يو
القيامة) يعنى و جاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعو

(اذ قال الله) ظرف لمكر الله
(ياعيسى انى متوفيك)
اى مستوفى اجلك ومعناه
انى عاصمك من أن تقتلك
الكفار وممتك حتف
انفك لا قتلا بايديهم
(ورافعك الى) الى سمائى
ومقر ملائكتى (ومطهرك
من الذين كفروا) من سوء
جوارهم وخبث صحبتهم
وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت
مالى على فلان اذا
استوفيته اوممتك فى
وقتك بعد النزول من
السماء ورافعك الآن
اذ الواو لا يوجب الترتيب
قال النبى عليه السلام ينزل
عيسى خليفة على أمتى
يدق الصليب و يقتل
الخنازير ويلبث اربعين
سنة و يتزوج و يولد له
ثم يتوفى وكيف تهلك أمة
أنا فى اولها وعيسى فى
آخرها والمهدى من اهل
بيتى فى وسطها اومتوفى
نفسك بالنوم ورافعك
وانت نائم حتى لا يلحقك
خوف وتستيقظ وانت
فى السماء آمن مقرب
(وجاعل الذين اتبعوك)
اى المسلمين لانهم متبعوه
فى اصل الاسلام وان
اختلفت الشرائع دون
الذين كذبوه وكذبوا عليه
من اليهود والنصارى
(فوق الذين كفروا) بك
(الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفى اكثر الاحوال بها وبالسيف

ثم الى مرجعكم) فى الآخرة (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حقص (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدا (نتلوه عليك) خبره (من الآيات) خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعنى المحكم او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) اى ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها اى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا ام فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن) اى انشاه بشرا

عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان ظهر وامتابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى من الحق فى أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فأما الذين كفروا) يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى (فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى والذلة وأخذ الجزية منهم (والآخرة) اى وأعذبهم فى الآخرة بالنار (ومالهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من عذابنا (وأما الذين آمنوا) يعنى بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته (وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما فرضت عليهم (فنوفيهم أجورهم) يعنى جزاء أعمالهم لا ينقص منه شئ (والله لا يحب الظالمين) اى لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذى ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) اى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما أضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده و بامره من غير تفاوت أصلا فاضافه اليه (من الآيات) يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها أخبار لا يعلمها الا من يقرأ و يكتب او نبى يوحى اليه وانت أمى لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى أنزل عليك (والذكر الحكيم) اى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش * قوله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية أجمع اهل التفسير ان هذه الآية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا قدموا عليك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط من غير اب فانزل الله تعالى ان مثل عيسى عند الله اى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير أب كمثل آدم فى كونه خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة آدم فى كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن أقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ فى القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير اب بل الشأن فى خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم فى كونه خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) اى أنشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من

(فيكون) اى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الحق من ربك) خبر مبتدا محذوف اى هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممترين) الشاكين ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام معصوم من الامتراء (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجىء بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم) اى يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته واصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه عليه السلام لما دعاهم الى الباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يامعشر النصارى ان محمدا نبى مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يامعشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا يا أبا القاسم رأينا ان لا نباهلك فصالحهم النبى على الفى حلة كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وأفلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم ير واحد من موافق او مخالف انهم أجابوا الى ذلك (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع

منا

تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق وأجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى أخبر بانه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال انى أخبركم أيضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال فى الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير أب ولا أم قلت هو مثله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لان الوجود من غير أب وأم أغرب فى العادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغرب به وحكى ان بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم اولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سليما وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة * قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) اى فمن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) اى هلموا والمراد منه المجىء وأصله من العلو بالرأى والعزم كما تقول تعالى نتفكر هذه المسئلة (ندع أبناءنا وابناءكم) اى يدع كل منا ومنكم ابناءه (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة الله (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) يعنى

منا ومنكم فى أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ماترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا ان لا نباهلك وان نترككك على دينك ونتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال انى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة ألفى حلة ألف فى صفر والف فى رجب زادفى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على اطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم ير واحد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته ومايدل عليها فى كتبهم * قوله تعالى (ان هذا) يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) وأصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى تتتابع فيه المعانى (ومامن اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفى والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له فى الالهية (وان الله لهو العزيز) اى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعنى فى تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) اى الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا فى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ماتريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ماتريد الا ان نقول فيك ماقالت اليهود فى عزير فانزل الله عز وجل قل

(ان هذا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها او مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن فى (ومامن اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز) فى الانتقام (الحكيم) فى تدبير الاحكام (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (قل يا أهل الكتاب) هم أهل الكتابين اووفد نجران او يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء) اى مستوية (بيننا وبينكم) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله

(الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً من دون الله) يعنى تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدى بن حاتم لما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا

عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال اوصراع اعترف بانى انا الغالب وسلم الى الغلبة (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة

يا اهل الكتاب تعالوا أى هلموا الى كلمة يعنى فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة او قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء اى عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى أمر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا فى معصية الله (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم لهؤلاء (اشهدوا بانا مسلمون) اى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان ابا سفيان أخبره ان هرقل ارسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها أبا سفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخارى وقد أخرجه باطول من هذا (٣) وفيه زيادة قوله اليريسين وفى رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى اتباع عبد الله بن أروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدوه عن الاسلام واتبعوك على كفرك * قوله عز وجل (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة

(٣) قوله وفيه زيادة قوله الخ غير ظاهر فان لفظ اليريسين الذى جعله زائدا هو المذكور فى هذه الرواية والذى فى شرح مسلم للنووى ان الرواية المشهورة الاريسيين وفيه الاريسين بفتح الهمزة وكسر الراء فيهما والاريسين بكسر الهمزة وتشديد الراء ثم قال وفى أول صحيح البخارى اليريسيين وفيه كلام آخر فى تفسير هذه الكلمة منه انهم الملوك ولم يذكر أن الملوك تفسير المضموم الهمزة بل لم يذكر مفسرا لمضموم الهمزة وذكر ان أتباع ابن اريس اليهود والنصارى ولم يذكر ابن أروس وبهذا يعلم ما هنا وما هناك اه

(أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبدأ وهؤلاء خبره (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته ها نتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه برىء من دينهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كانه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح اوما كان من المشركين كلهم يكون منهم (ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبى) خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (والذين آمنوا) من أمته (والله ولى المؤمنين) ناصرهم

وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل ان الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم فى ابراهيم انه كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عز وجل أخبر فى القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعنى يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعنى يا معشر اليهود والنصارى (حاججتم) اى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وتنزل عليكم بيانه فى أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم برأه الله عز وجل مما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم برىء من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختتن ويضحى ويستقبل الكعبة فى صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له * قوله عز وجل (ان اولى الناس بابراهيم) يعنى أخصهم به وأقربهم منه (للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا فى زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى هذه الامة الاسلامية (والله ولى المؤمنين) يعنى بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى ابى وخليل ربى ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين اخرجه الترمذى وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابى طالب واناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالا فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشى مرواهذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال الا تسمع كيف (٣) يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال

(٣) قوله يرطنون الذى فى كتب اللغة ان الرطانة فى الكلام بالاعجمية وهذا ليس منه فلم يكن لهذه اللفظة معنى يفهم على الحقيقة اه

عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي مامنعكم أن تسجدوا
وتحيوني بالتحية التي يحيني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت
تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية
اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن على ربه عز
الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثير
الكلام ولا الظلم وانما احب أن اجيب عن اصحابي فرهذين الرجلين فليتكلم احدهما وليتصت
الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن ام احرار
فان كنا عبيدا قد أبقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي أعبيدهم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال
النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة
قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه
فقال عمرو لا ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وأمر واحد على
دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم
عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد
الحجارة وأما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا
له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه
كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون
بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر
به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا
كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن
نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا
النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو أن
يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة
مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذى العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم
أو آذاكم غرم ثم قال ايشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب
ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم على دين
ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي جلوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان
الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا وكنا في خير جوار وأنزل الله عز وجل في ذلك البيوت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله تعالى (ودت طائفة من أهل الكتاب لو
يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت
فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم
الى الكفر (وما يضلون الا أنفسهم) لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال
المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم في
اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم (يا أهل الكتاب) الخطاب

(ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا انفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم (وما يشعرون) بذلك (يا اهل الكتاب

لليهود

اليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعنى القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة فى التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وأنتم تشهدون) يعنى ان نعته وصفته مذكور فى التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون فى القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعى فى اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذى كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام فى أول النهار والرجوع عنه فى آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعنى نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته فى التوراة (وأنتم تعلمون) يعنى انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب * قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد فى دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب وأعلم بما منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا فى شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذى أنزل على محمد فى امر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شئ لانه أول ما يواجه منه وأنشدوا فى معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله (لعلهم يرجعون) يعنى عنه اى انا ألقينا هذه الشبهة لعلهم يشكون فى دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك فى قلوب بعض من كان فى ايمانه ضعف * قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اى ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اى وافق ملتكم التى أنتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم اى ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) اى ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين ومابعده كلام متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لانكم أصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن

(لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأنتم تشهدون) تعترفون بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وتكتمون الحق) نعت محمد عليه السلام (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من اهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) اى القرآن (وجه النهار) ظرف اى أوله يعنى أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (واكفروا آخره) واكفروا به فى آخره (لعلهم يرجعون) لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الاولين قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله) ولا تؤمنوا متعلق بقوله

(أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم
أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا
المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى

اليهود بذلك قال فى أثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى أنتم عليه انما صار دينا بحكم
وأمره فاذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وأمر به وقيل معناه
لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن
والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول
تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد اى ما
احد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند ربكم) يعنى الا أن يحاجوكم اى اليهود
بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اى عند فعل ربكم وقيل او فى قوله او يحاجوكم
حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند
وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره آن يؤتى
مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع
هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله الآن أنزل كتابا مثل كتابكم و بعث نبيا
نبيكم حسدتموه و كفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة راجع
الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع احدهما موضع الآخر والمعنى
وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه و يحتمل ان يكون
الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم
ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله و يحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند
لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس
اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله عز وجل لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا
أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك
الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين
عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يا محمد ان التوفيق
للايمان والهداية للاسلام (بيد الله) اى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء)
يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده و يوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب
لليهود فى قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل فى اللغة الزيادة وا كثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفضل
الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) اى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) اى بمن يتفضل
عليه وهو للفضل اهل (يختص برحمته) يعنى بنبوته و رسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن
(من يشاء) يعنى من خلقه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق
لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله
ذو الفضل العظيم) * قوله عز وجل (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من

الجمع يعنى ولا تؤمنوا
لغير أتباعكم ان المسلمين
يحاجونكم يوم القيامة
بالحق و يغالبونكم عند الله
بالحجة ومعنى الاعتراض
ان الهدى هدى الله من
شاء هداه حتى أسلم او ثبت
على الاسلام كان ذلك ولم
ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم
تصديقكم عن المسلمين
والمشركين وكذلك قوله
(قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء) يريد
الهداية والتوفيق او يتم
الكلام عند قوله الا لمن
تبع دينكم اى ولا تؤمنوا
هذا الايمان الظاهر وهو
ايمانهم وجه النهار الا لمن
تبع دينكم الا لمن كانوا
تابعين لدينكم ممن اسلموا
منكم لان رجوعهم كان
أرجى عندهم من رجوع
من سواهم ومعنى قوله
ان يؤتى لان يؤتى أحد
مثل ما اوتيتم قلتم ذلك
ودبرتموه لا لشئ آخر يعنى
ان ما بكم من الحسد والبغى
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من العلم والكتاب دعاكم
الى ان قلتم ما قلتم و يدل
عليه قراءة ابن كثير آن
بالمد والاستفهام يعنى الآن يؤتى أحد مثل ما اوتيتم من الكتاب تحسدونهم

تأمنه

وقوله او يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى أحد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند
ربكم (والله واسع) اى واسع الرحمة (عليم) بالمصلحة (يختص برحمته) بالنبوة او بالاسلام (من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا وماتتى اوقية ذهبا فاداه اليه (ومنهم من

بدينار لا يؤده اليك) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لسهولة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا مادمت عليه قائما) الامدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه ملازما له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلس ابو عمرو فى رواية غيرهم بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده (بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) اى ترکهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا فى الأميين سبيل اى لا يتطرق علينا اثم وذم فى شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب ومافعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الاميين اى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من اوفى بعهده واتقى) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع الى الله تعالى اى كل من اوفى بعهد الله واتقاه (فان الله

منه بدينار لا يؤده اليك) الآية نزلت فى اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين لتظار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثر مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الآية أودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا وماتتى اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل أهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم فى الدين وأخذ ماله باى طريق كان (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل أراد انه ان اودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان أخرت استرجاع ما أودعته أنكره ولم يرده عليك (ذلك) اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى أخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى اخذها منهم باى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعنى اليهود (وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) اى ليس الامر كما قالوا (لهم عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفى ماقبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى اى ولكن (من أوفى بعهده) اى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وسائر ما انزل عليه و باداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء فى قوله بعهده راجعة الى الموفى (واتقى) يعنى الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة من كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية فى احبار اليهود ورؤسائهم

يحب المتقين) اى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل فى ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء قيل نزلت فى عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل الكتاب ويجوز ان يرجع الضمير الى من أوفى اى كل من اوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود واخذ الرشوة على ذلك (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء

ابى رافع وكنانة بن ابى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيى بن اخطب الذين كتموا ماعهد الله اليهم
التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوت
الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا
ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس
وخصم له (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ
مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه
من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفى رواية قال من
حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندى فقال ما يحدثكم ابو عبد
الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فى نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله
وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية واخرجه
الترمذى وابو داود وقالا ان الخصومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية
فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبد الله بن أبى اوفى ان رجلا
اقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى
ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة
الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به
ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وأيمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى شيئا
يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشترى يأخذ شيأ ويعطى شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ منه
للآخر فهذا معنى الشراء (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لا خلاق لهم فى الآخرة) اى لا نصيب لهم فى
الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعنى كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى
الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) اى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) اى لا
يطهرهم من الذنوب ولا يثنى عليهم بجميل (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (ق) عن ابى هريرة رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم
ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين
كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل مائه فيقول الله له اليوم امنعك فضلى كما
منعت فضل ما لم تعمل يداك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله
يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللمنان
المنان بما أعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن ابى امامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله
وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك * قوله عز وجل (وان منهم) يعنى من اليهود (لفريقا)
يعنى طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن

ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير فى بعهده الى الله (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة) اى لا نصيب (ولا يكلمهم الله) بما يسرهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) نظر رحمة (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم (ولهم عذاب اليم) مؤلم (وان منهم) من أهل الكتاب (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى ابن أخطب وغيرهم

عمرو الشاعر (يلوون) اى يعطفون و يميلون واصل اللى الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (ألسنتهم بالكتاب) يعنى بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوى لسانه عن سنن الصواب بما يأتى به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بالسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن الثقال قال يلوون ألسنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا ذلك فى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبى صلى الله عليه وسلم من التوراة و بدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعنى لتظنوا ان الذى حرفوه و بدلوه من الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه (وما هو من الكتاب) يعنى ذلك الذى يزعمون انه من الكتاب ما هو منه (و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعنى الذى يقولونه و يغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا فى كتاب الله ما ليس فيه * قوله عز وجل (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعنى عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس فى قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريدان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرنى الله وما بذلك بعثنى فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر اى ما ينبغى لبشر وهو جمع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط و يوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعنى المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لى من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب فى جواز الاضمار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه واختلفوا فى معنى الربانى فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم وكباره وقيل الربانى العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الربانى الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات ربانى هذه الامة قال سيبويه الربانى المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم و يرب الناس اى يعلمهم و ينعمهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لى ولكن أدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير فى (لتحسبوه) يرجع الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من الكتاب) اى التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (و يقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء (والنبوة ثم يقول) عطف على يؤتيه (للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته

وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء

وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العامل (بما كنتم تعلمون الكتاب) كوفي وشامي اى غيركم غيرهم بالتخفيف (وبما كنتم تدرسون) اى تقرؤن والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدر وحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على ثم يقول ووجهه ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عباداله ويأمركم (ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد ان أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي وبالرفع حجازي وأبو عمرو وعلى على ابتداء الكلام والهمزة في (أيأمركم بالكفر) للانكار والضمير في لا يأمركم وأيأمركم للبشر او لله وقوله (بعد اذ أنتم مسلمون) يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك او المراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام في (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم ومما يجوز ان تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن سادا مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به

الذي

الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم للناس طريق الخير وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه * قوله عز وجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اى ولا يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) يعني كفار قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله * قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر في أقاصيصك اذ أخذ الله وقال الفراء معناه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما انه مأخوذ من الانبياء والثاني انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعني بهذه الآية فذهب قوم الى ان الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان بعثهم بكتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبيين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبيون ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين وانما أطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي ابن ابي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين من اجل

(ثم جاءكم) معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول مصدق لما معكم) للكتاب الذى معكم (لتؤمنن به) بالرسول (ولتنصرنه) اى الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حزة وما بمعنى الذى او مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل اى أخذ الله ميثاقهم

لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل انى آتيتكم الحكمة وان الرسول الذى آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتينا كم مدنى (قال) اى الله (أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى) اى قبلتم عهدى وسمى اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا معكم على ذلك من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا تو كيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن الايمان بالنبى الجائى (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفار (أفغير دين الله يبغون) دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه أهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل (وله أسلم من فى السموات) الملائكة (والارض) الانس والجن (طوعا) بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا

الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة لتؤمنن به للذى عندكم فى التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذ استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله (ثم جاءكم رسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه فى كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما فى كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوى قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالسراج أخذ عليهم الميثاق فى امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى الآية وقال الامام فخر الدين الرازى يحتمل ان يكون هذا الميثاق ماقرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل فى عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعنى قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرله وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبى لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا فى اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالاشهاد (وأخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد (قالوا أقررنا) اى قال النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعنى قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعنى انتم على انفسكم وقيل على أممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله يا معشر الانبياء وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) اى اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فأولئك هم الفاسقون) اى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فانزل الله أفغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى أبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر اى افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (وله أسلم) اى خضع وانقاد (من فى السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره

قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال اى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) فيجازيكم على الاعمال يغبون ويرجع
بالياء فيهما حفص وبالتاء فى الثانى وفتح الجيم ابو عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غير
(قل آمنا بالله وما أنزل علينا) امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذا وحد الضمير وجمع فى آمنا او امر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا لامن الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسول فجاء تارة باحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب فى البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى امتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لان الكتب منزلة عليهم لا شركة للامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون) كرر فى البقرة وما أوتى موسى ولم يكررهنا لتقدم ذكر الانبياء حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لانفرق بين احد منهم) فى الايمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتنا (ومن يبتغ غير الاسلام) يعنى التوحيد واسلام الوجه لله او غير دين محمد عليه السلام (دينا) تمييز (فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا فى الخسران ونزل فى رهط اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) والواو فى

ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات
واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبى وقيل اسلم المؤمن طوعا و
الكافر كرها وقيل هذا فى يوم اخذ الميثاق حين قال ألست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال
طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكا
يسلم كرها عند الموت فى وقت اليأس فلم ينفعه ذلك فى القيامة وقيل انه لاسبيل لاحد من الخلق
الامتناع على الله فى مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كره
جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والياء والمعنى ان جم
الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه فى الدنيا * قوله عز وجل (قل آمنا بالله) ا
ذكر الله عز وجل فى الآية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق الرسول الذى يأتى مصدقا
معهم بين فى هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله و
وحد الضمير فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام
انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القو
وافقه اصحابه فحسن الجمع فى قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والها لا اله لنا غيره
رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما أنزل علينا) يعنى وقل يا محمد وصدقنا
بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل ولم
حرف وبدل (وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى) ا
خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم والاسباط هم اولا
يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) اى وما أوتى النبيون (من ربه
لانفرق بين احد منهم) وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر
عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قيل
لم عدى أنزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها فى البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجو
المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الآ
(ونحن له مسلمون) اى موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتنا * قوله عز وج
(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) يعنى ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين
سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو فى الآخ
من الخاسرين) يعنى الذين وقعوا فى الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جري
الطبرى عن عكرمة فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله
عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عز وجل (كيف
يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت فى اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة
وأتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصارى وطعمة بن ابيرق وجوج بن الاسلت وقال ابن عباس

نزلت

نزلت فى اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبى مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا أن الرسول حق) يعنى وبعد أن اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعنى الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التى بمثلها ثبتت النبوة (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم فى الآخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال فى اول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا وقال فى آخرها والله لا يهدى القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص بأولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم فى آخر الآية فقال والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها (أولئك جزاؤهم) يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها) اى فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) اى لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصارى لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه (وأصلحوا) اى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفى حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) اى غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت فى اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعنى باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت فى احد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر مابدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل فى الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن فعل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون فى معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدى لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن فان الذى يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال ان اليهود والكفار

معنى الفعل لان معناه بعد أن آمنوا (وجاءهم البينات) اى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى ما داموا مختارين الكفر أولا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدا (جزاؤهم) مبتدا ثان خبره (أن عليهم لعنة الله) وهما خبر أولئك او جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (والملائكة والناس اجمعين خالدين) حال من الهاء والميم فى عليهم (فيها) فى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما افسدوا او دخلوا فى الصلاح (فان الله غفور) لكفرهم (رحيم) بهم ونزل فى اليهود (ان الذين كفروا) بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت أو نزل فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (لن تقبل توبتهم) اى ايمانهم عند البأس لانهم لا يتوبون الا عند الموت

قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل

احدهم ملء الارض) الفاء في فلن يقبل يؤذن بان الكلام بنى على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذهبا) تمييز (ولو افتدى به) اى فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك قبل الواو لتأكيد النفي (أولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (ومالهم من ناصرين) معينين دافعين للعذاب (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر اولن تكونوا ابرارا اولن تنالوا برالله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل في هذه الآية قال الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض الحساب والى الرب بالتخلي عن الكونين وقال ابو بكر الوراق لن تنالوا

اوالمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبة اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم اى مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى (وأولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤا منهاجه وقوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحرث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا) اى قدر ملء الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقدمات على كفره لم ينفعه وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيأ في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو ان الكافر أنفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (أولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم اردت منك اهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيأ فابيت الا الشرك لفظ مسلم * قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر والكمال حتى تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا برالله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اى توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدي الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعني من جيد أموالكم

برى بكم الابرار كما باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان وانفسها

شترى اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها فقال لان السكر أحب الى فاردت ان
انفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما أنت محتاج
اليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اى الصدقة افضل قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى
الفقر وتامل الغنى (٣) ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان
لفلان اختلفوا فى هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة
اموالكم فعلى هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب فى اخراج الزكاة
وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شئ أنفقه المسلم من ماله مما يبتغى به وجه الله
يطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن
مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
الله تعالى يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الى بيرحا وانها صدقة لله
عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخ بخ ذلك مال رابح أو قال ذلك مال رابح اذا ان تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله
فقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى عمه (قوله بخ بخ) هى كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة
وهى مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ (قوله مال رابح) اى ذو ربح وفى الرواية
الاخرى ذلك مال رابح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه و بيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان
لابى طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى ان يبتاع له جارية من
سبى جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه
الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطانى الله تعالى فما كان شئ أحب
الى من فلانة فقلت هى حرة لوجه الله تعالى قال ولولا انى لا أعود فى شئ جعلته لله لنكحتها وعن عمرو
ابن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال
لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت أن أتصدق بها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفى رواية كان زيد اوجد فى نفسه فلما رأى ذلك منه النبى صلى
الله عليه وسلم قال اما ان الله قد قبلها وروى ان أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعى اثنى بخير ابلى فجاء بناقة
مهزولة فقال للراعى خنثى فقال الراعى وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم
حاجتى اليه ليوم اوضع فى حفرتى وقوله تعالى (وما تنفقوا من شئ) يعنى من أى شئ كان من طيب
تحبونه او من خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) اى يعلمه ويجازيكم به * قوله عز وجل (كل الطعام
كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية ان
اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل
والبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم
فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام

شئ فان الله به عليم) اى هو عليم بكل شئ تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين اى من اى شئ كان الانفاق طيب تحبونه او خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبى عليه السلام انك تدعى انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل والبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة فى ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كل الطعام) اى المطعومات التى فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كان حلا لبنى اسرائيل) اى حلالا وهو مصدر يقال حل الشئ حلا ولذا استوى فى صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم (الا ما حرم اسرائيل) اى يعقوب (على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) وبالتخفيف مكى و بصرى وهو لحوم الابل والبانها وكانا احب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلا لبنى اسرائيل من قبل انزال

التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل والبانها تحريم اسرائيل ذلك على نفسه

٣ قوله ولا تمهل فى بعض النسخ ولا تمهل وقوله بعد الا وقد كان ليس آخر الحديث فانه مذكور فى غير هذا المحل وقد كان لفلان كذا اه

كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعنى ليس
الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى أولاده فانكر اليهود
ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان
حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم
وقيل ان اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم
وأخبر ان كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذى حرمه على نفسه
كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت
اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه
فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة
ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفى هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما فى التوراة فلما أخبر ان ذلك ليس فى
التوراة علم ان الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعنى كل نوع من
الطعام اوسائر المطعومات كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه * اسرائيل هو
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا فى الذى حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم
الابل وألبانها وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب
مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب
اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هى
العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روى عن الضحاك ان يعقوب
كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح أحدهم وفى رواية آخرهم
فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما
صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما انى لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن
غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك فى
الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسى ما قال له الملك فاتاه الملك وقال
له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس فى آخرين أقبل
يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه
ملك فى صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى العين
ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقى منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زغاء كزغاء
صياح فخاف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه
بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له
الاطباء ان يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله
تعالى وسأل ربه أن ينجز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام

(قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بان يحاجهم بكتابهم و يبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرؤا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فاولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون

من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات

كان حلالا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على بني اسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا يأكله ولد لي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فاتوا بالتوراة) يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتوراة (فاتلوها) اى فاقرؤها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد وأصله من فرى الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود (من بعد ذلك) اى من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فاولئك هم الظالمون) اى هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما بقي عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التي كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعني قل صدق الله يا محمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل وأولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت محللة على بني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل وأخبر وأنتم كاذبون يا معشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) اى لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه * قوله عز وجل (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وأرض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على ملة ابراهيم أكذبهم الله تعالى وأخبر ان

(قل صدق الله) في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهي ملة الاسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (حنيفا) حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين) ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (ان اول بيت وضع للناس) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس باربعين سنة قيل اول من بناه

ابراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت والخبر (للذي ببكة) اى للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة و بكة لغتان فيه وقيل مكة البلد و بكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها ولانها تبك أعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله

ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى فى الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليترتب عليها ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشئ الذى يوجد ابتداء سواء حصل عقبه شئ آخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع للناس اى وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعنى يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة فى قوله وطهر بيتى وأضافه للناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذى ببكة قيل هى مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفى اشتقاق بكة وجهان احدهما من البك الذى هو عبارة عن الدفع يقال بكه بيكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد بن على الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثانى سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة اى تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اى مص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اى تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها اولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء فى كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين أحدهما انه اول فى الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارض وفى رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيأ من الارض بالفى عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو اول بيت بنى على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة ان يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين فى الارض ان يبنوا بيتا فى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت ٤ واسمه الضراح وأمرهم فى الارض ان يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة برحمك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال ابن عباس هو أول بيت بناه آدم فى الارض قيل ان آدم لما أهبط الى الارض استوحش وشكا الوحشة فامره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى فيها الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت أكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنائه القول الثانى ان المراد من الاولية كون هذا البيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى ان رجلا قال الى على بن أبى طالب فقال الا تخبرنى عن البيت اهو اول بيت وضع فى الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما

٤ قوله واسمه الضراح الذى فى القاموس ان الضراح البيت المعمور فى السماء الرابعة اه

(مباركا) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا وهدى حالان من الضمير فى وضع (فيه آيات بينات) علامات واضحات لا تلتبس على أحد (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد او لاشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على ان (ومن دخله كان آمنا) عطف بيان

قال أربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعنى انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته * قوله تعالى (فيه آيات بينات) اى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا فى تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة فى الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذى بعضها فى الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما أهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التى فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التى فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الخليل والمهندس له جبريل والبانى هو ابراهيم الخليل والمساعد فى بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت * قوله تعالى (مقام ابراهيم) يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من ان يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل فى معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجأ الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه فى الحرم واجمعوا على انه لو قتل فى الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم

لا آيات وان كان جملة ابتدائية او شرطية من حيث المعنى لانه يدل على أمن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انحسار الابصار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكانه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على انه لم يكن من شأنه ان يذكر شيأ من الدنيا فذكر شيأ هو من الدين وقيل فى سبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وامان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل فى الحل بقود او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم

القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك * قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) اى ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام * (فصل فى فضل البيت والحج والعمرة) * (ق) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن أبى سعيد الخدرى ان النبى عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل فى كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزى المكى قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفى لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه اخرجه الترمذى وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبى الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذى هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذى هذا حديث غريب

* (فصل فى احكام تتعلق بالحج) * قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبى والعبد ولو حج صبى يعقل او حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبى وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة

لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل أمنا من النار لقوله عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام (ولله على الناس حج البيت) اى استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفى غير ابى بكر وهو واسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج (من) فى موضع جر على انه بدل البعض من الكل (استطاع اليه سبيلا) فسرها النبى عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير فى اليه للبيت أو للحج وكل ما أتى الى الشئ فهو سبيل اليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزل

نوعان احدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر فى الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع ما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء فى قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب أن نستثنى من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باى وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشى وآخر يقدر على المشى على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعى الاستطاعة وجهان احدهما أن يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثانى لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره أن يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه وروجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون فى وقت جرت العادة بخروج اهل البلد فى ذلك الوقت فان خرجوا قبله او أخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر أو رصدى يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها الجدب او غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشى اولم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او أجنبى الطاعة فى ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابى حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ما روى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج أدركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك فى حجة الوداع اخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) يعنى ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غنى عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفى اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف فى الحديث وقيل هو الذى ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما

(ومن كفر) أى جحد فريضة الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران اى ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فان الله غنى عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفى هذه الآية انواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى اى انه حق واجب لله فى رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له فى صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه

صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من آمن) عن دين حق علم انه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل (تبغونها) تطلبون لها نصب على الحال (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك (وأنتم شهداء) انها سبيل الله التى لا يصد عنها الا ضال مضل (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قيل مر شاس بن قيس اليهودى على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتآلفهم فامر شابا من اليهود ان يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك

وقيل نزلت فى اليهود وغيرهم من اصحاب المال حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفر وابه فنزلت ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله والآخر فان الله غنى عن العالمين * قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعنى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهى حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى آيات القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) اى والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعنى لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم (تبغونها عوجا) يعنى زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء فى الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشئ الذى يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بالفتح والهاء فى قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل فى سبيل الله بالقاء الشبهة فى قلوب الضعفاء (وأنتم شهداء) قال ابن عباس يعنى وانتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه مكتوب فى التوراة وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التى تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد وذلك انهم كانوا يجتهدون و يحتالون بالقاء الشبهة فى قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودى وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم فى مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم فى الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس ابن قبظى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من أيديهم و بكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعنى شاسا اليهودى واصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك فى الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان

وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين

الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكرهم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى (ومن يعتصم بالله) اى يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) اى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة ٭ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي مناخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة احكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان

أظهركم بعد اذ كرمكم الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا بكين فنزلت الآية (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب اى من أين يتطرق اليكم الكفر (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه وبكتابه او هو حث لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) ارشد الى الدين الحق او ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى او هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط

ولو على نفسه او بنيه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد

يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا فى الحقيقة نهى عن ترك الاسلام اى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم السبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله أموركم تحسنون الظن بالله عز وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) اى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه أيضا سبب يوصل اليه وفى افراد مسلم من حديث زيد بن أرقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا وانى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بامر الله وطاعته (ولا تفرقوا) يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى أنتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا وان كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوى بسنده عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما عداوة قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت أخى بنى عمرو بن عوف وكان شريفا يسمى قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبى حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعى أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم بنو

(ولا تموتن الا وانتم مسلمون) ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله (ولا تفرقوا) اى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع او ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة والحروب فالف بين قلوبهم بالاسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا

الحيس انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أنا رسول الله قد بعثني الله الى العباد ادعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيأ وأنزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اى قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن بانى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان ابن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وهما بعد مشركان فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما

وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة قال
مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته
وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان
يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا اردتم أن تدخلوا في هذا الدين
قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة
الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسأرسله اليكما الآن
سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد الى أسيد قال
قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادي قال له
سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد
حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام
سعد مغضبا للذي ذكره من بني حارثة ثم قال والله ما اراك أغنيت شيأ فانصرف اليهما فلما
رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا انما اراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة
لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك
والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه
قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب
الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم من اشراق وجهه وتسهله
قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي
ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته وأقبل عامدا الى نادي
قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب
من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمنا
نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بني عبد
الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فاقاما عنده
يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمان الا
ما كان من دار أمية بن زيد وخطمة ووائل ووافق ذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا
يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى
بدرا وأحدا والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا
مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط
ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت
الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام وابو جابر أخبرناه وكنا نكتم
من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا
وانا نرغب بك عما انت فيه أن تكون حطبا للنار غدا وادعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول
صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث
الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند
العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بني النجار
وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعنى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم منى وأنا منكم احارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى فى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بمن دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعنى شيطان العقبة اسمع اى عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حى من العرب ابغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هنالك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوه يا جابر أما تستطيع ان تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الى وقال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لا اردهما قال والله يا ابا صالح لئن صدق الفال لأسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا

(وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فانقذكم منها) بالاسلام وهو رفع المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون انفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة او للنار او للشفا وأنث لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها او الواو فلما ذا يثنى شفوان (كذلك) ٢٩٢ مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) اى القرآن الذى فيه امر ونهى ووعد ووعيد (لعلكم تهتدون) لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) بما استحسنه الشرع والعقل (وينهون عن المنكر) عما استقبحه الشرع والعقل او المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما او المعروف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء الى الخير عام فى التكاليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له الا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر فى اقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا او للتبيين اى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) اى هم الاخصاء بالفلاح الكامل

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل لهم المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعنى يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم اعداء يعنى قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا يعنى فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يا معشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار الا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم منها) اى فخلصكم بالايمان من الوقوع فى النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) * قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام فى قوله ولتكن لام الامر اى لتكن منكم أمة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه (م) عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان فى الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظ من فى قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى لتكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذى فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا والخير المذكور فى الآية كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن أمة اى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن فى الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب فى فعل ما ينبغى وهو الامر بالمعروف والثانى الترغيب فى ترك ما لا ينبغى وهو النهى عن المنكر فذكر الحسن أولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة فى البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره * قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعنى اليهود والنصارى

قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) فى الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا

تكونوا يامعشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فى قول اكثر المفسرين
واختلفوا فى دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا
بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا فى دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع فى هذه الآية هم
اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب
وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما اهلك من
كان قبلهم بالمراء والخصومات فى الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم
الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وأنا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق
فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت اديم السماء
وخير قتيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل
الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدى وقال ان بارضى منهم كثيرا وفى رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا
بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله أكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذى عن ابى
غالب قال رأى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت
اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابى امامة
انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاث مرات او اربع مرات حتى
عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعنى الحجج
الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل فى
التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعنى لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب
عظيم فى الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود أراد بربقة الاسلام عقد
الاسلام وأصله ان الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوى
بسنده عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه
بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد * قوله
عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعنى اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه
الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود
وجوه المنافقين * وفى بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور
والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى
من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه وار بدلونه يعنى من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر
احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها
بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا
كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين
يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وساءت حزن
واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته واظلمت
واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثانى
بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل فى الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر
ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة فى بياض الوجوه وسوادها ان اهل

(من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق (وأولئك لهم عذاب عظيم) ونصب (يوم تبيض وجوه) اى وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم او بعظيم او باذكروا (وتسود وجوه) اى وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة

الموقف اذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من اهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من أهل الشقاوة (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء فى ذلك فروى عن ابى بن كعب انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابى بكر الصديق رضى الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لأناولهم اختلجوا دونى فاقول اى رب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما احدثوا بعدك (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى رب اصحابى اصحابى فيقال لى لا تدرى ما احدثوا بعدك زاد فى رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى او قال من امتى فيحلئون عن الحوض فاقول يارب اصحابى فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على على بن أبى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على لما ساروا الى الخوارج فقال على أيها الناس انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفى رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الخوارج شيأ قال سمعته يقول وأهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم فى الاعتقاد (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فما يؤوب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) يعنى المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففى رحمة الله) يعنى ففى جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل انما كرر كلمة فى لان فى كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم فى رحمة الله وانهم فى الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعنى القرآن وقيل هذه الآيات التى تقدمت (نتلوها عليك بالحق) اى بالمعنى الحق لان المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر العلم

(فاما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد ايمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبى وهو الظاهر او هم المرتدون او المنافقون اى اكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا او اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) ففى نعمته وهى الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة فى الوعد والوعيد وغير ذلك (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسىء (وما الله يريد ظلما للعالمين) اى لا يشاء ان يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير جرم او يزيد فى عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن

هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اخبرانهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وانه لا يظلم أحدا من خلقه (ولله ما في السموات وما في الارض) لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا او عزا أو سلطانا او يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما ملكه واهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يعني واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم * قوله عز وجل (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعونا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشئ في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم منذ آمنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم اى صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته (قوله خير الناس قرني) يعني اصحابي والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكانه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان أحدا انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها واكرمها على الله تعالى أخرجه الترمذي وقال

(ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور) فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ترجع شامي وحمزة وعلى كان عبارة عن وجود الشئ في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله (كنتم خيرامة) كانه قيل وجدتم خيرامة او كنتم في علم الله او في اللوح خيرامة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خيرامة موصوفين به

حديث حسن وأصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع أمتى أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار أخرجه الترمذى * عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتى أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتى كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله اخرجه الترمذى وله عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع الجيد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابى بكر منا كبر عن سالم بن عبد الله زاد غيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتى سبعون الفا او سبعمائة الف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل من أمتى الجنة سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربى اخرجه الترمذى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن ابى هريرة قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) اى وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر فى هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط فى هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شئ من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعنى ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد

(أخرجت) أظهرت (للناس) اللام يتعلق باخرجت (تأمرون) كلام مستأنف يبين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بينت بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه (بالمعروف) بالايمان وطاعة الرسول (وتنهون عن المنكر) عن الكفر وكل محظور (وتؤمنون بالله) وتدومون على الايمان به ولان الواو لا تقتضى الترتيب (ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام

(لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم فيه لانهم انما آثروا دينهم عن دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله ابن سلام واصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر (لن يضروكم الا اذى) الا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين او تهديد او نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكن لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما استؤنف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا اولم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم انهم لا ينصرون وثم للتراخى فى المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (ضربت) ألزمت (عليهم الذلة) اى على اليهود (أينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله) فى محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره الا معتصمين او متمسكين بحبل من الله (وحبل من الناس) والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة فى كل حال الا فى حال اعتصامهم

صلى الله عليه وسلم وبالدين الذى جاء به (لكان خيرا لهم) يعنى مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة فى الدنيا والثواب العظيم فى الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعنى من أهل الكتاب (المؤمنون) يعنى عبد الله بن سلام واصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشى واصحابه الذين اسلموا من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) اى المتمردون فى الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا فى دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون * قوله عز وجل (لن يضروكم الا أذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله ابن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى ان يضروكم الا أذى يعنى ان يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى يعنى باللسان من طعنهم فى دينكم او تهديدا والقاء شبهة وتشكيك فى القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعنى منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعنى لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون أن يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعنى جعلت الذلة ملصقة بهم كالشئ يضرب على الشئ فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى فى اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون فى جميع البلاد (أينما ثقفوا) اى حيثما وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) يعنى الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعنى المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعنى رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا فى غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعنى كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فى المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هى الجزية وذلك لان الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقى عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هى الجزية وقيل المراد بالمسكنة هوان اليهودى يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم) اى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك الذى نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل * قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا ولو لا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفى

بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين اى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء او خوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (ليسوا سواء) ليس أهل الكتاب مستوين

(من أهل الكتاب) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام اى استقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعاته واحدها انى كمعى اوانو كقنو اوانى كنحى (وهم يسجدون) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف) بالايمان وسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع (ويسارعون فى الخيرات) يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لأمة اى امة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا مثبطين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع بالقيام به (واولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين او من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم

قوله ليسوا سواء قولان أحدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثانى ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغنى عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب

دعانى اليها القلب انى امرؤ لها ✻ مطيع فلا أدرى ارشد طلابها

أراد ام غير رشد فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الأكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس قائمة اى مهدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) اى يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت فى اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخيرات) اى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب فى أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (واولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) اى من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم واستحقوا الثناء عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل ان يراد بالصالحين المسلمون والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله

عز وجل (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني أهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنوا هل الكتاب أيضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه اى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الايمان والتقوى * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم أموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان أبا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق أبو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر وأحد على المشركين وقيل ان الآية عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني اى تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله (وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها * قوله عز وجل (مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا) قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر وأحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل اراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما أن يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما انفق وجه الله تعالى فانه لا ينتفع بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهي مهلكة او حر فهي مهلكة ايضا (أصابت) يعني الريح التي فيها صر (حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه (فأهلكته) يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما أن يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه

(وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفي غير ابي بكر وابو عمرو بخير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه اى فلن تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) اى من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا) في المفاخرة والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس اوما يتقربون به الى الله مع كفرهم (كمثل ريح) كمثل مهلك ريح وهو الحرث او مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح (فيها صر) برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدا وخبر في موضع جر صفة لريح مثل (أصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر (فأهلكته) عقوبة على كفرهم

(وماظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة او يكون الضمير للمنفقين اى وماظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها الائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ٣٠٠ ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) فى موضع النصب صفة لبطانة يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم يقال ألا فى الامر يألو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز أو على حذف فى اى فى خبالكم (ودوا ما عنتم) اى عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة اى تمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم اشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم أن ينقلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفى صدورهم) من البغض لكم (أكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم (ها أنتم أولاء) ها للتنبيه وانتم مبتدا وأولاء خبره اى انتم أولاء الحاطئون فى موالاة منافقى اهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وأولاء موصول صلته تحبونهم والواو فى (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من لا يحبونكم اى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد لانهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس

ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ وقوله تعالى (وماظلمهم الله) يعنى بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعنى انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر فى سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعارى ودثارى والشعار الذى يلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اى لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء ولا اصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهى عن مباطنتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالا) يعنى لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ما عنتم) اى يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) اى ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار المؤمنين (وما تخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيظ (أكبر) اى اعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) يعنى ما بين لكم فتتعظون به * قوله تعالى (ها أنتم) ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار اليهم فى قوله (تحبونهم) والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعنى اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الايمان وأنتم لا تعلمون ما فى قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولا يحبونكم اى لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم فى أيدى الناس والمعنى انكم

(واذا لقوكم قالوا آمنا) أظهروا كلمة التوحيد (واذا خلوا) فارقوكم او خلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزى (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل في جملة المقول اى اخبرهم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان ٣٠١ شيأ من اسراركم يخفى عليه او خارج

تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعنى ان الذين وصفهم فى هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) اى خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع أنملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل فى قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه فى قلوبهم * قوله عز وجل (ان تمسسكم) اى تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى شئ ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اى اصابه (حسنة) المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) اى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) اى مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او غدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) اى بما اصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على أذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة (وتتقوا) اى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لا يضركم) اى لا ينقصكم (كيدهم) اى عداوتهم ومكرهم (شيأ) اى لانكم فى عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) اى عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شئ منه * قوله عز وجل (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين ان هذا كان فى يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى أحد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما

عن المقول اى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على ما يسرون فانى اعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (ان تمسسكم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسؤهم) تحزنهم اصابتها (وان تصبكم سيئة) اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة (يفرحوا بها) باصابتها (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيأ) مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك

فازدد فضلا فى نفسك لا يضركم مكى وبصرى ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا (ان الله بما تعملون) بالتاء سهل اى من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم اهله وبالياء غيره اى انه عالم بما يعملون فى عداوتكم فعاقبهم عليه (واذ غدوت من اهلك) واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من اهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها الى أحد (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ

ان المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد أخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لأمته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولو الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبي ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبي ابن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من أهلك اي واذكر اذ غدوت من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على انها من أهله تبوئ المؤمنين اي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكر اللقتال (والله سميع) يعني لاقوالكم (عليم) يعني بنياتكم وما في ضمائركم * قوله عز وجل (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) اي تجبنا او تضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن ابي فاستشاره فقال أقم بالمدينة فاخرجنا على عدو قط الا أصاب منا وما دخلوا علينا الا أصبنا منهم فقال عليه السلام اني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون في الشهادة حتى لبس لأمته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينبغي لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال (اذ همت) بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج الى أحد في الف والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخذل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا واولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فخضوا مع رسول الله (ان تفشلا) اي بان تفشلا اي بان تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور

(والله وليهما) محبهما وناصرهما ومتولى أمرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به او ذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر (وانتم أذلة) لقلة العدد

خرج الى أحد فى الف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا واولادنا فتبعه أبو جابر السلمى وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن أبى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا (والله وليهما) اى ناصرهما وحافظهما ومتولى أمرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشئ والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا اولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم أضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله عباده المؤمنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا أمرهم الا اليه * قوله عز وجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعنى بتقوا كم ما أنعم به عليكم من نصرته * قوله عز وجل (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم أحد على قولين أحدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بالف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا

وكان عدوهم زهاء الف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا اقليلا (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر اى نصركم الله وقت مقالتكم هذه او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقول لهم ذلك يوم أحد (ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منزلين شامى منزلين ابو حيوة اى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجئ بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته

كالآيسين من النصر (بلى) ايجاب لما بعد ان اى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا) على القتال (وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شئ من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الامر المطلق على الفور لا على التراخى والمعنى ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لا يتأخرون ولهم عن اتيانهم

فامدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا أو مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى ألن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بالف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضا بان الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثانى ان هذا الوعد بانزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمر ابن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و بقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب يتنبل له كلما فنى النبل أتاه به فنثره وقال ارم أبا اسحق ارم أبا اسحق مرتين فلما انجات المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة و بضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة فى مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد الفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما فى يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بان الله تعالى أمدهم يوم بدر بالف كما ذكر فى سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة آلاف و بخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك وأجيب عن الثانى وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفى يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فانزل الله ثلاثة آلاف بان هذا تقريب حسن ولله أن يزيد ما شاء فى اى وقت شاء ولهذا قال عكرمة فى قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو أمدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى أين قال ههنا وأشار الى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن انس رضى الله عنه قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عبد الله بن أبى أوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل فهو يغتسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال اوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبرى وأولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين ألن يكفيكم

يعنى ان الله تعالى يعجل نصرتكم و ييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم

أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة فى الآية على انهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله أمدهم وقد يجوز أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة فى ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم أمدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما فى سورة الانفال وأما يوم أحد فالدلالة على انهم لم يمدوا أبين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو أمدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابى وقاص المتقدم فى يوم أحد وانه رأى ملكين عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد وأما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر أن ينصركم فى سائر المواطن ثم رجع الى قصة أحد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد أن يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له أمده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد فى الشر والامداد فى الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم و يثقوا بنصر الله و يعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله اى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد ألن يعنى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا والى لقاء عدوكم وتتقوا يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم و يأتوكم يعنى المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى أمدهم بالف فلما سمعوا أن كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الآية على تقدير أن يجىء للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن ابى طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى ألفين من الملائكة وكانوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف فى سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة

(مسومين) قرئ بفتح الواو و بكسرها فمن فتح الواو أراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفونى انتى انا ذلكم * شاكى سلاح فى الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا فى تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال

(مسومين) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل اى معلمين أنفسهم او خيلهم بعلامة يعرف بها فى الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى نواصى الدواب واذنابها غيرهم بفتح الواو اى معلمين قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألفا فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف

لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة (العزيز) الذى لا يغالب فى أحكامه (الحكيم) الذى يعطى النصر لاوليائه و يبتليهم بجهاد أعدائه واللام فى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او بيمدكم ربكم (او يكبتهم) او يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه لاجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم (ليس لك من الامر شئ) اسم ليس شئ والخبر لك ومن الامر حال من شئ لانها صفة مقدمة (او يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم وليس لك من الامر شئ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ان الله تعالى مالك أمرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان أسلموا (او يعذبهم) ان اصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شئ انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء او بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطينى حقى اى ليس لك من أمرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفى منهم وقيل أراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن

على وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبى كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعنى بالصوف المصبوغ فى نواصى خيلهم واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوى بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال * قوله تعالى (وما جعله الله) يعنى هذا الوعد والمدد (الا بشرى لكم) يعنى بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) اى ولتسكن (قلوبكم به) اى فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعنى لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اى ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو يكبتهم) أصل الكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) اى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى أملوه من الظفر بكم * قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن أبى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن أبى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه و يقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى

الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان أكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادى شئ الا ما اوحى اليك فان الله تعالى هو مالك أمرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما وافق أمرى انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر امرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم او سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) هذا تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له ما فى السموات وما فى الارض وليس ذلك الا لله تعالى وليس لاحد معه أمر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له فى حكمه ولا معارض له فى فعله (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) اراد به ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدى قال له صاحب الدين زدنى فى المال حتى أزيدك فى الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعنى فى اكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) اى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) يعنى واتقوا ايها المؤمنون أن تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين أن يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار وقال بعضهم ان هذه الآية أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعنى فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره (والرسول) اى وأطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا

ملكه (يغفر لمن يشاء) للمؤمنين (ويعذب من يشاء) الكافرين (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) مضعفة مكى وشامى هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما أن تقضى حقى او تربى وأزيدك فى الاجل (واتقوا الله) فى اكله (لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين) كان ابو حنيفة رضى الله عنه يقول هى أخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وفيه رد على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة امره الجنة وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو هذه المواضع وان قال اهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه

(وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدنى وشامى فمن أثبت الواو عطفها على ماقبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على مايوصل اليهما ثم قيل هى الصلوات الخمس او التكبيرة الاولى او الطاعة او الاخلاص او التوبة او الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) اى عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع ماعلمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه فى العادة ادنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى ان الجنة فى السماء السابعة او فى السماء الرابعة فمعناه انها فى جهتها لا انها فيها او فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد ان بابه اليها (أعدت) فى موضع جر صفة لجنة ايضا اى جنة واسعة معدة (للمتقين) ودلت الآيتان على ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله اومن يتقى المعاصى فان كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهى لهم ايضا فى العاقبة ويوقف عليه ان جعل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) فى حال اليسر والعسر الانفاق مبتدا وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة اى أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فان قلت الآية تدل على ان الجنة معدة للمتقين وللتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما

ولا تعذبوا اذا أطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى مايوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ماقبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن ابى طالب الى أداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) اى عرض الجنة (السموات والارض) يعنى كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون اكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا ان مثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون وأراد بالذى وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة أفى السماء هى ام فى الارض فقال اى ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها كعرض السموات والارض (أعدت للمتقين) اى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عز وجل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) يعنى فى العسر واليسر لا يتركون

الانفاق فى كلتا الحالتين فى الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا فى حال فرح وسرور ولا فى حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم فى عرس اوحبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فاول ماذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال فى ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه فى مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل اخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت اووفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره واما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اى فل هلم فقال ابو بكر يارسول الله ذاك الذى لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأرجو أن تكون منهم (قوله أى فل) يعنى يافلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لا هلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرده فى جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم فى اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن انس الجهنى عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء اخرجه الترمذى وابوداود (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ماتركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعنى اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك لسوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل أن تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين فى الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه اوبدفع الضر عنه وقيل الاحسان أن تحسن لمن أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذى يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك فى كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة فى هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احساناً الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب * قوله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضى الله عنه قال المؤمنون للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا كان احدهم اذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع أنفك أذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت فى تيهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد

ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للامير ثم قد يأكلها أتباعه الا ترى انه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالانفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شئ على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان فى ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق فى جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (والكاظمين الغيظ) والممسكين الغيظ عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثر او الغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) اى اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة اين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (والله يحب المحسنين) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء عن الثورى الاحسان أن تحسن الى المسئ فان الاحسان الى المحسن متاجرة (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة القبح

ويجوز أن يكون والذين مبتدا خبره أولئك (او

وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفى رواية ابى صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين احدهما انصارى والآخر ثقفى فخرج الثقفى فى غزوة واستخلف اخاه الانصارى على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة أن تأخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله فى الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصارى يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده فاتى به الى ابى بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر و يحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازى مالا يغار للقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (أو ظلموا أنفسهم) ظلم النفس هو مادون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا فى القبح وظلم النفس هو أى ذنب كان (ذكروا الله) يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها وأقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على أن لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة لان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمه وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه وانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) اى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا قيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البنانى بلغنى ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

(فصل فى فضل الاستغفار) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال انى كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعنى الله منه ما شاء أن ينفعنى واذا حدثنى أحد من الصحابة استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله الى آخر الآية اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث قد روى من غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه وروى مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب

ظلموا أنفسهم) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما (ذكروا الله) بلسانهم او بقلوبهم ليبعثهم على التوبة (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب الا الله) من مبتدا ويغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير فى يغفر والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب واشعار بان الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من الضمير فى ولم يصروا اى وهم يعلمون انهم اساؤا ووهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله

اخرجه

اخرجه ابو داود (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال اذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لى ذنبى قال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى ان عبدى أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب وفى رواية اعمل ماشئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادرى أقال فى الثالثة او الرابعة اعمل ماشئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها اى ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروى بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذى والحاكم وقال حديث حسن صحيح على شرط البخارى ومسلم عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره أو قال عسى أن يغفره الله الا من مات مشركا ومن قتل مؤمنا متعمدا أخرجه ابو داود انتهى * قوله عز وجل (أولئك) اشارة الى من تقدم ذكره فى قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية (جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار) معنى الآية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من العقاب والبه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثانى ايصال الثواب والبه الاشارة بقوله وجنات تجرى من تحتها الانهار اى ذلك لهم ذخرا لا ينخس واجرا لا يوكس (خالدين فيها) اى فى الجنات (ونعم اجر العاملين) اى ونعم ثواب المطيعين يعنى الجنة * قوله عز وجل (قد خلت من قبلكم سنن) يعنى قد انقضت من قبلكم سنة الله فى الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم احد وقيل فى معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضى الله عنهم بذلك وقيل سنن اى شرائع وقيل سنن اى امم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت منى سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالى واستدراجى اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذى اجلته لاهلاكهم (فسيروا فى الارض) امر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف احوال الماضين بقوله (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فرغب امة محمد صلى الله عليه وسلم فى تأمل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تأمل احوال الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له اثر فى النفس كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفى هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم فى غزوة احد يقول فانى انما امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذى اجلته لهم فى اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى (هذا) يعنى القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده (بيان للناس) يعنى عامة (وهدى) يعنى من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعنى خاصة

(أولئك) الموصوفون (جزاؤهم مغفرة من ربهم) بتوبته (وجنات) برحمته (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات نزلت فى تمار قال لامرأته تريد التمر فى بيتى تمر أجود فادخلها بيته وضمها الى نفسه وقبلها فندم او فى أنصارى استخلفه ثقفى وقد آخى بينهما النبى عليه السلام فى غيبة غزوة فاتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح فى الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى فى الامم المكذبين من وقائعه (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعتبروا بها (هذا) اى القرآن او ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) اى ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك

(ولا تهنوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنيمة او على من قتل منكم او جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم

أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد اوو أنتم الاعلون بالنصر والظفر فى العاقبة وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون اوو أنتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر اولان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى اى ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعنى ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به و يبشركم به من الغلبة (ان يمسسكم قرح) بضم القاف حيث كان كوفى غير حفص و بفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة و بالضم ألمها (فقد مس القوم قرح مثله) اى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم اولى ان لا تضعفوا (وتلك) مبتدا (الايام) صفته والخبر (نداولها) نصرفها (بين الناس) اى نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب فاصابوا

وقيل فى الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضى المغايرة للبيان هو الدلالة التى تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغى والموعظة هى الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادى الى ما ينبغى فى الدين وهو الهدى والثانى الكلام الزاجر عما لا ينبغى فى الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم * قوله عز وجل (ولا تهنوا ولا تحزنوا) نزلت يوم أحد حين امر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا اى ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعنى على من قتل منكم لانهم فى الجنة (وانتم الاعلون) يعنى بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب فاقبل خالد بن الوليد فى خيل المشركين يريدان يعلوا عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلوا علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون فى العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) اى اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف و بفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد (فقد مس القوم) يعنى الكفار (قرح مثله) يعنى فى يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة تنقل الشئ من واحد الى آخر يقال تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هى دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين فى يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين ٤ (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله ابن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم فى أخراكم فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا

٤ قوله (خ) عن البراء الخ كأنه رواه بالمعنى اذ رواية البخارى فى غزوة أحد تغاير هذه لفظا اه

فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم ببوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال ابو سفيان * ان لنا عزى ولا عزى لكم * فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا * الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم ببوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اى ليعرفهم باعيانهم الان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن أراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) اى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) اى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم أنتم فهو محقهم واستئصالهم * قوله عز وجل (أم حسبتم) اى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتي وثوابي (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدي النفي في الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي اوجب عليكم فجرى النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى

المؤمنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى لا تحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اى ولما تجاهدوا الان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله في فلان خيرا اى ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل

(ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن او جزم للعطف على يعلم الله وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه ٣١٤ في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) اى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين أيديكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار لكن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته * لما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم واعطتها فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (ولقد عفا عنكم) مضت (من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما ان أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه

مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما يثبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما أمرته به (ويعلم الصابرين) يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفي هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم أحد والمعنى ام حسبتم أيها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) قال ابن عباس لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا ليستشهدوا فيه فيلحقوا باخوانهم فاراهم الله يوم أحد فلم يثبتوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فاراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت اى تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه اى من قبل ان تلقوا يوم احد (فقد رأيتموه) يعني رأيتم ما كنتم تمنون والهاء في رأيتموه عائدة على الموت اى رأيتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم (وأنتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس في عينك علة اى رأيته رؤية حقيقة وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم * قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا الا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فانا ان نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فانقلع وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد

واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قميئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا وصاح صارخ ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سية قوسه وتنل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول لانجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لى انا اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف

(خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبى فى سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبى الله قالوا وفشا فى الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى فيأخذ لنا امانا من ابى سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلما مهم النبى صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهرانى قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذى كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل فى نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد

وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تران الله ارسل عبده * ببرهانه والله أعلى وامجد
أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء أنا محمد وأنا احمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن ابى موسى الاشعرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال أنا محمد وانا احمد وانا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة (قوله المقفى) هو آخر الانبياء الذى لانبى بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (أفان مات أوقتل انقلبتم على اعقابكم) يعنى أتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد أوقتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين أن موت محمد صلى الله عليه وسلم اوقتله لايوجب ضعفا فى دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعده وتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعنى فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعنى بارتداده لان الله تعالى لايضره كفر الكافرين لانه تعالى غنى عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) يعنى الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى قوله وسيجزى الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابابكر واصحابه وكان على يقول ابو بكر أمين الشاكرين وامين اخبار الله وكان اشكرهم وأحبهم الى الله تعالى * قوله عز وجل (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) اى بامر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لاينفع وان الحذر لايدفع المقدور وان أحدا لايموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة فى الخوف والجبن وفى الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا) يعنى مؤقتا له اجل معلوم لايتقدم ولايتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لايقدر أحد على تغييره اوتقديمه اوتأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعنى من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعنى من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت فى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد واعلم ان هذه الآية وان نزلت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان الاصل فى ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الآخرة جزاؤه ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفى رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او

يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت اوقتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد اوعن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وانما ضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس أن تموت الا باذن الله) اى بعلمه او بان يأذن ملك الموت فى قبض روحه والمعنى أن موت الانفس محال أن يكون الا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر لاينفع وان أحدا لايموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك (كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) مؤقتا له اجل معلوم لايتقدم ولايتأخر (ومن يرد) بفعله (ثواب الدنيا) اى الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) من ثوابها (ومن يرد ثواب الآخرة) اى اعلاء كلمة الله والدرجة فى الآخرة (نؤته منها

امرأة يتزوجها وفى رواية ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه وروى البغوى بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله له وقوله تعالى (وسنجزى الشاكرين) يعنى المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل (وكأين من نبى) اى وكم من نبى (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله اوجه احدها أن يكون القتل راجعا على النبى وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ماوهنوا فى دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغى لكم أن تكونوا امثالهم الوجه الثانى ان القتل نال النبى ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبى قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغى لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل نال الربيين لا النبى والمعنى وكأين من نبى قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبى قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذى اصابهم انما هو فى سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغى لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد وحجة هذه القراءة ما روى عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل فى القتال وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل الف وقيل ربيون يعنى فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) اى فما جبنوا عن الجهاد فى سبيل الله (لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا) يعنى عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعنى وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا أن يعتضدوا بابن ابى فى طلب الامان من ابى سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدى هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى فى الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد فى طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع أوليائه واصفيائه ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الربيين (الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا فى أمرنا) يعنى ما اسرفنا فيه فخطيئتنا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشئ ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكى لا تزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدى بهم فى هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا (فآتاهم الله

كاف التشبيه وصارا فى معنى كم التى للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان مكى (من نبى قاتل) قتل مكى وبصرى ونافع (معه) حال من الضمير فى قتل اى قتل كائنا معه (ربيون كثير) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فما وهنوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث ارادوا أن يعتضدوا بابن أبى فى طلب الامان من ابى سفيان (والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) اى وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (واسرافنا فى امرنا) تجاوز نا حد العبودية

(وثبت أقدامنا) فى القتال (وانصرنا على القوم الكافرين) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله

ثواب الدنيا) اى النصرة والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين) اى هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم) يرجعوكم الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هو عام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شئ

ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمه لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعنى يرجعوكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعنى مغبونين فى الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) اى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عز وجل (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان ابا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله (بما أشركوا بالله) يعنى انما كان القاء الرعب فى قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعنى حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار فى الدنيا وهو القاء الرعب والخوف فى قلوبهم بين حالهم فى الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار اى مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) اى المسكن الذى يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل فى جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها * قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعنى بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين فى الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعنى اذ تقتلون الكفار

حتى لا يستجيروهم الى موافقتهم وعن السدى ان تستكينوا لابى سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين) سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم اى كان السبب فى القاء الله الرعب فى قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يردان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * اى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر (ومأواهم) مرجعهم (النار وبئس مثوى الظالمين)

قتلا

النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من اين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) اى حقق (اذ تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه ابطل حسه بالقتل

(باذنه) بامره وعلمه (حتى اذا فشلتم) جبنتم (وتنازعتم فى الامر) اى اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم بتركهم المركز واشتغالكم بالغنيمة (من بعد ما اراكم ما تحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف يقدره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجازان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (منكم من يريد الدنيا) اى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحد اخلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وأمرهم ان يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين اوعليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله ابن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) اى كف معونته عنكم فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبول توبتهم او هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء ادیل لهم او ادیل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب (ان تصعدون) تبالغون فى الذهاب فى صعيد الارض والاصعاد الذهاب فى صعيد الارض او الابعاد فيه بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا

قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعنى بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم فى الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اى قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم فى نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعنى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعنى الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعنى يا معشر المسلمين يعنى عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعنى ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعنى ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو عنه بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك * قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعنى هاربين فى الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب فى الارض والابعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من أسفل الى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين فى معنى الآية قولان أحدهما أنه صعودهم فى الجبل عند الهزيمة والثانى انه الابعاد فى الارض فى حال الهزيمة ووقت

(ولا تلوون على أحد) ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة فى موضع الحال (فى أخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهى المتاخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل ٣٢٠ مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فاثابكم) عطف على صرفكم اى فجازاكم الله (غما) حين

الهرب (ولا تلوون على احد) اى لا يعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوكم فى اخراكم) اى فى آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من كرّ رجع فله الجنة (فاثابكم غما بغم) يعنى فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التى عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل فى الاغلب الا فى الخير وقد يجوز استعماله فى الشر لانه ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هى القيود الثقال والمحدرجة هى السياط والباء فى قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا فى معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثانى هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثانى هو ما سمعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم وقيل الغم الاول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثانى حين أشرف ابو سفيان عليهم وذلك أن اباسفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك قوله تعالى (لكيلا) فى لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفى فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقد روى انهم لما سمعوا بان النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم ومافاتهم والقول الثانى ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكى تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذى فاتهم الغنيمة والذى أصابهم القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون) اى هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها * قوله عز وجل (ثم أنزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) الذى اصابكم (أمنة نعاسا) يعنى أمنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان أمنكم أمنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن انس عن ابى طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مرارا يسقط وآخذه ويسقط فاخذه واخرجه الترمذى عنه قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد وذكره نحو رواية البخارى وزاد الطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفى رواية اخرى له قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت اراهم ومامنهم يومئذ أحد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم

صرفكم عنهم وابتلاكم (بغم) بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم امره او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع (ولا ما أصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خبير بما تعملون) عالم بعملكم لا يخفى عليه شئ من اعمالكم وهذا ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) ثم انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الامن ونعاسا بدل من أمنة او هو مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا

انزل

والاصل انزل عليكم نعاسا اذا أمنة اذ النعاس ليس هو الأمن ويجوز ان يكون أمنة مفعولا له او حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة او على انه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) يعنى النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلى اى الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين

(وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) مايهمهم الاهم أنفسهم وخلاصها لاهم الدين ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) فى حكم المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية اوظن أهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر من شئ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل ان الامر) اى النصر والغلبة (كله لله) ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر ولله خبر ان كله بصرى وهو مبتدا ولله خبره والجملة خبر ان (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك) خوفا من السيف (يقولون) فى انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا) اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة او يظنون خبر لطائفة او صفة أخرى اوحال اى قد أهمتهم انفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون او استئناف (قل لو كنتم فى بيوتكم) اى من علم الله منه انه يقتل فى هذه المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل فى مضاجعهم) مصارعهم بأحد ليكون ماعلم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة فى الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ماينكبون به فى بعض الاوقات تمحيص لهم (وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم) وليمتحن مافى صدور المؤمنين من

انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ماسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين (وطائفة قد اهمتهم أنفسهم) يعنى المنافقين أراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا فى الخوف وفى القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعنى حملتهم أنفسهم على الهم لان أسباب الخوف وهى قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعنى يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) اى كظن اهل الجاهلية (يقولون) يعنى المنافقين (هل لنا) اى مالنا (من الامر من شئ) وذلك انه لما شاور النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى ابن سلول رأس المنافقين فى هذه الواقعة واشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبى صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابى قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شئ وهو استفهام على سبيل الانكار اى مالنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعنى مالنا من هذا الذى يعدنا محمد به من النصر والظفر من شئ انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعنى النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) يعنى من الكفر والشك فى وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذى أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم نقتل رؤساءنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ماقتلنا ههنا وعن ابن عباس فى قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قيل ان الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق والذى قال لو كان لنا من الامر شئ هو معتب بن قشير (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) اى قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لابد وأن يقتلوا والمعنى لو جلستم فى بيوتكم لخرج منها وظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه الى حيث يقتلون فيه (وليبتلى الله مافى صدوركم) اى وليختبر مافى صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ماعلمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ليبتلى أولياء الله مافى صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن اوليائه المؤمنين (وليمحص مافى قلوبكم) قال قتادة اى يظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة

الاخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لصالح جمة اولابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (ان الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع ابى سفيان للقتال بأحد (انما استزلهم الشيطان) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وتقريب ٣٢٢ والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان اصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد الا ثلاثة عشر رجلا منهم ابو بكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد ابن ابى وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن أبى واصحابه (وقالوا لاخوانهم) اى فى حق اخوانهم فى النسب او فى النفاق (اذا ضربوا فى الارض) سافروا فيها للتجارة او غيرها (أو كانوا غزا) جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت او قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اللام يتعلق بلا تكونوا اى لا تكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او يقالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيى ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال اى الامر بيده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على اعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى اى الذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص الا فى هذه السورة كأنه اراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) ما بمعنى الذى والعائد محذوف وبالتاء حفص

وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ما فى قلوبكم يعنى من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) اى انهزموا وهو بوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبى صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) اى طلب زلاتهم كما يقال استعجله اى طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهى الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة فى قلوبهم لانه امرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعنى بمعصيتهم النبى صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا أن يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعنى ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب فى هزيمته يوم أحد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعنى لمن تاب وأناب (حليم) لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين عبد الله بن أبى واصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا فى الارض) يعنى اذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها (أو كانوا غزا) جمع غاز اى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا فى الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعنى مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة فى قلوبهم) يعنى غما وتأسفا (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيى والمميت هو الله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس فى البيت وهل يحمى أحد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هو المحيى المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام ببيته عند اهله فلا تقولوا أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلأن يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من أن يموت فى بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة) يعنى فى العاقبة (خير مما تجمعون) يعنى من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل فى سبيل الله او الهلاك بالموت فان

(ولئن متم أوقتلتم لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله فى هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهوساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم ان من سافر من اخوانهم أوغزا الوكان بالمدينة

ماتنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا (ولئن متم اوقتلتم لالى الله تحشرون) يعنى لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فى دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون * قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة من الله وماصلة لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى فى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعنى جافيا (غليظ القلب) يعنى قاسى القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) اى لتفرقوا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم احد عندك (فاعف عنهم) اى تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) اى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء فى المعنى الذى من اجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا اوكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك فى أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا فى الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد أن يستن به من بعده من أمته وقيل انما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوى بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الامة وانما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم فى امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسارى بدر وهو من امر الدين قال على بن ابى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب فى قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم يجمع امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم فى مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب أخى حزم لترشد فى الامر
ولا تك ممن يستبد برأيه * فتعجز أولا تستريح من الفكر

لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل فى سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله انما ما للشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) اى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم أولتقتدى بك أمتك فيها فى الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندى وما عنده من الرأى وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من ماخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة

ألم تر أن الله قال لعبده * وشاورهم في الأمر حتما بلا نكر

* قوله تعالى (فاذا عزمت) يعني على المشاورة (فتوكل على الله) اى فاستعن بالله في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شئ الا على الله تعالى في جميع أموره وان المشاورة لا تنافي التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم * قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعني من الناس لان الله تعالى هو المتولي نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم فخالفتكم أمره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) اى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران ابن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن * قوله عز وجل (وما كان لنبي أن يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فانزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبي استتابه وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الانبياء أكرموا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيأ من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشئ في خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين اى وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شئ لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على

(فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأي على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على الارشد لا على المشورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الامور اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك (وما كان لنبي ان يغل) مكي وأبو عمرو وحفص وعاصم اى يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية ويقال أغله اذا وجده غالا والمعنى ما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا الان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا ان روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت الآية

ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبى ليغل على نفى الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبى الغلول أراد ما غل نبى قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبى الغلول واذا لم يحل له لم يفعله وحجة هذه القراءة انهم نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول فى بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبى ان يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولهما معنيان أحدهما ان يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبى ان يخان اى تخونه أمته والثانى ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبى ان يخون اى ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بالشئ الذى غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ فى النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ فى النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه انه يأتى باثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزى به يوم القيامة وهو فى جزاء عمله (وهم لا يظلمون) يعنى بل يعدل بينهم يوم القيامة فى الجزاء فيجازى كل على عمله

(فصل فى ذكر أحاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال) وقد تقدم ان أصل الغلول هو أخذ الشئ فى خفية وانه الخيانة الا انه قد صار فى العرف مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن ابى هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيأ قد أبلغتك لفظ مسلم * الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادى يعنى وادى القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بنى الضبيب فلما نزلنا الوادى قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له شملته الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفى رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بنى الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذى يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذى لا يدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهنى ان رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم توفى فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا

(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) اى يأت بالشئ الذى غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء فى الحديث او يأت بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جىء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزى فهو فى جزاء علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) اى جزاء كل على قدر كسبه

خرز من خرز اليهود لا يساوى درهمين أخرجه ابو داود والنسائى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه أخرجه ابو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه أخرجه ابو داود وقوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله) يعنى فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) اى رجع (بسخط من الله) يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المقضى للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعنى الغال او المتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعنى هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعنى من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير فى قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير فى قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه وقوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حى من احياء العرب الا وقد ولدوه وله فيهم نسب الا بنى تغلب فانهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى آدم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم وأحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من أنفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى السماوى (ويزكيهم) اى ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة

(أفمن اتبع رضوان الله) اى (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم درجات عند الله) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده والمنة فى ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله فى الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفسهم اى من أشرفهم (يتلوا عليهم آياته) اى القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى (ويزكيهم) ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان او يأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة

والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعنى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) يعنى لفى جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) يعنى ما أصابهم يوم احد (قد أصبتم مثليها) يعنى ببدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم فى اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم أنى هذا) اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند أنفسكم) يعنى انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة فى المدينة على الخروج الى العدو واختار واهم الخروج اليه وأيضا امر الرماة بالاقامة فى الموضع الذى عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلمانى عن على بن ابى طالب قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك أن تخيرهم بين أن يضربوا اعناق الاسارى و بين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسنده البغوى وأسنده ابن جرير الطبرى فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعنى بأخذ كم الفداء واختياركم القتل لانفسكم (ان الله على كل شئ قدير) يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة * قوله عز وجل (وما أصابكم) يعنى من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد (فباذن الله) يعنى فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) اى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما من الآخر والمنافق هو الذى أظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا فى الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم اسلامى لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا) المقول له عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد فى الف رجل حتى اذا كان (١) بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندرى علام نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى اخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اى لاجل دين الله

مصيبة) يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة (قلتم انى هذا) من اين هذا (قل هو من عند انفسكم) لاختياركم الخروج من المدينة اولتركيكم المركز لما نصب بقلتم واصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه وتقديره أقلتم حين اصابتكم وأنى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف كانه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا (ان الله على كل شئ قدير) يقدر على النصر وعلى منعه (وما اصابكم) ما بمعنى الذى وهو مبتدا (يوم التقى الجمعان) جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر (فباذن الله) فكائن باذن الله اى بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدا (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) اى جاهدوا للآخرة كما تقاتل المؤمنون (او ادفعوا) اى قاتلوا دفاعا عن انفسكم وأهليكم واموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما ترعوع العدو

(١) قوله بالشوط بشين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فطاء مهملة كما فى الزرقانى على المواهب

(قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال لما هو القاء النفس فى التهلكة (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعنى انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقللهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) اى يظهرون خلاف مايضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه للتأكيد ونفى المجاز (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين قالوا) اى ابن أبى واصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون او نصب باضمار أعنى اوعلى البدل من الذين نافقوا اوجر على البدل من الضمير فى افواههم او قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا) اى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو أطاعونا ماقتلوا) لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) بان الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت اومعناه قل ان كنتم صادقين فى انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فخذوا الى دفع الموت سبيلا وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل فى قتلى أحد (ولا تحسبن) شامى وحمزة وعلى وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد (الذين قتلوا) قتلوا شامى (فى سبيل الله امواتا

وطاعته اوادفعوا يعنى عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقعا للعدو (قالوا) يعنى المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما تبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ أقرب منهم للايمان) اى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهر واما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يعنى يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن الخلاص مواطأة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبد الله بن أبى المنافق واصحابه وفى المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون اخوانهم فى النسب لا فى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم اوعن اخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ماقتلوا لانهم بعد أن قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبى واصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لو أطاعونا) يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانصراف عنه (ماقتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعنى قل لهم يا محمد (فادرؤا) اى فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى ان الحذر لا ينفع من القدر وفى الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت فى شهداء أحد ويدل على ذلك ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا اننا احياء فى الجنة لئلا يزهدوا فى الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية اخرجه ابو داود (م) عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال أما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا * ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبد الله كذا

جاء

جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمر وقد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد لان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة أيضا (قوله ارواحهم في جوف طير خضر) اى يجعل الله ارواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا او يجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم * عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد ابن اسحق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال اني لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر ابن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام ابن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن وقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد أحد بار بعة اشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم واني اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم

قبائل بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار احد بنى عمرو بن عوف فلم يعلمهما باصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصارى لكنى لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن امية الضمرى اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابى براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابى براء ان عامر بن الطفيل أخفر ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزرى فى كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسماء فى ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج فى اصل أذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بنى سليم الى بنى عامر فى سبعين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا لام سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالى أتقدمكم فان أمنونى حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فاخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبنى عصية الذين عصوا الله ورسوله وفى رواية ان رعلا وذكوان وبنى لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال انس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه أن ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اولياء الشهداء واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن فى النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا فى القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اى ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من أمته والمعنى لا يظن ظان ان الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا يعنى كاموات غيرهم ممن لم يقتل فى سبيل الله (بل أحياء) اى بل هم احياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل فى سبيل الله حيا فاما أن يكون المراد انهم سيصيرون احياء فى الآخرة او يكون

بل احياء) بل هم احياء

المراد

(عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين) حال من الضمير فى يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين مجللا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبى عليه السلام لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة (ويستبشرون بالذين) باخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أولم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء (ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وان الله) عطف على النعمة والفضل وان الله على بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجملة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين) بل يوفر عليهم

المراد انهم احياء فى الحال وعلى تقدير انهم احياء فى الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه فى معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احياء فى الآخرة قال معنى الآية بل هم احياء فى الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا فى سبيل الله وقيل بل هم احياء فى الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة فى الحال بقوله بل احياء يعنى فى حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثانى واختلفوا فى معنى هذه الحياة هل هى للروح او للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى فى قبره ولا تأكله الارض كغيره وروى انه لما اراد معاوية أن يجرى الماء على قبور الشهداء امر أن ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوى بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقوله تعالى (عند ربهم) يعنى فى محل كرامته وفضله (يرزقون) يعنى من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال فى دار النعيم (ويستبشرون) اى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعنى من اخوانهم الذين تركوهم احياء فى الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا والحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا فى الجهاد فاخبرهم الله عز وجل انى قد أنزلت على نبى محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ألا خوف عليهم) يعنى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر انهم أيضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثانى لانفسهم خاصة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعنى كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع اجر المؤمنين

(فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله) (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله ٣ لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديقا

٣ قوله لا يخرجه الا جهادا الخ قال النووى فى شرح مسلم هكذا هو فى جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعد وايمانا بى وتصديقا وهو منصوب على انه مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ولا يحركه المحرك الا للايمان والجهاد والتصديق اه

برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذى نفس محمد بيده مامن كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم (ق) عن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذى عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل فى سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا فى سبيل الله او نكب نكبة فانها تجىء يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابو داود والنسائى واخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين (ق) عن ابى سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شىء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة أخرجه الترمذى وللنسائى نحوه عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته اخرجه ابو داود ﴿قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال اكثر المفسرين ان أبا سفيان واصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذى اصابهم يوم أحد ونادى مناد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابى كان خلفنى على اخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك على نفسى بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة

(الذين استجابوا لله والرسول) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين او نصب على المدح

ابن اليمان فى سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال (ق)
عن عائشة فى قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر
عظيم قالت لعروة يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وابو بكر لما أصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم
ما اصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون
رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فكر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد
وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ
كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولوددنا ان الله كان قد
اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء
وقد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على
بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى اصحابه
يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على
صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ابو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى
ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله انى انهاك عن ذلك
فوالله لقد حملنى ما رأيت على ان قلت أبياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردى باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكمو * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
انى نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وخش يقابله * وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل
الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنا محمدا رسالة وأحمل لكم آبالكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا
وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر
الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال ابو سفيان فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى
المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم
أحد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان فى اهل مكة
حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى
وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم انى قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا
عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لى أن لا أخرج اليها واكره ان يخرج
محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الى من ان يكون من قبلى
فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا فى جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل اضعها لك على
يد سهيل بن عمرو يضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لى هذه القلائص وانطلق
الى محمد فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابى سفيان فقال
نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم أتوكم فى

(من بعد ما أصابهم القرح) الجرح روى ان أبا سفيان واصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرهبهم و يريهم من نفسه واصحابه قوة فندب النبي اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان باصحابه القرح فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (للذين أحسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها فى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول ٣٣٤ قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) فى الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين

دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا الله وأطاعوه فى جميع اوامره وأطاعوا الرسول ايضا (من بعد ما أصابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من ألم الجراح (للذين أحسنوا منهم واتقوا) يعنى أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه (أجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفى المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعى فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثانى ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابى سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد أتوكم فى دياركم فقتلوا الا كثركم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم (ان الناس) يعنى ابا سفيان واصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعنى الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا و يجمعونه جموعا (فاخشوهم) اى فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا و يقينا وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافينا الله هو الذى يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس

* وحسبك من غنى شبع وري * اى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل

واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع أريد به الواحد او كان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثانى ابو سفيان واصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) اى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم او نعيم (ايمانا) بصيرة وايقانا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله اى الذى يكفينا الله يقال أحسبه الشئ اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو

ووكيل

(فانقلبوا بنعمة من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح فى التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بخروجهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (انما ذلكم الشيطان) هو خبر ذلكم اى انما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم (يخوف ٣٣٥ اولياءه) اى المنافقين وهو جملة

ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بامورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى (فانقلبوا) اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) اى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) اى تجارة وربح وهو ما اصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) اى لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا * قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان ألقى ذلك فى افواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله اولياءه يعنى الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره واولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعنى فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم (وخافون) اى فجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فانى وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بوعدى انى متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع فى الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيأ) يعنى بمسارعتهم فى الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيأ (يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة) يعنى لا يجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعنى المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشترى من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيأ) يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء واليا فمن قرأ

مستأنفة ببيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة و يخوف الخبر (فلا تخافوهم) اى اولياءه (وخافون ان كنتم مؤمنين) لان الايمان يقتضى أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو فى الوصل (ولا يحزنك) يحزنك فى كل القرآن نافع الا فى سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر (الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا يحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى الى قوله (انهم لن يضروا الله شيأ) اى اولياء الله يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعودو باله عليهم بقوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) اى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ماضر به الانسان نفسه

والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصى لان ارادته أن لا يكون لهم ثواب فى الآخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى استبدلوه به (لن يضروا الله شيأ) هو نصب على المصدر اى شيأ من الضرر الآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام والثانية فى جميع الكفار او على العكس (ولهم عذاب اليم ولا يحسبن) وثلاثة بعدها مع ضم الباء فى يحسبنهم باليا مكى وابو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها باليا مدنى وشامى الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان باليا والاخريان بالتاء (الذين كفروا) فيمن قرأ باليا رفع اى ولا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره فى قوله

وما مصدرية وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الامام مفصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب اى ولا تحسبن الكافرين وانما نملى لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين اى ولا تحسبن ان ما نملى للكافرين خير لهم وان مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خير لهم فقيل انما نملى لهم ليزدادوا اثما والآية حجة لنا على المعتزلة فى مسئلتى الاصلح وارادة المعاصى (ولهم عذاب مهين) واللام فى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين لتأكيد النفى (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص بميز حمزة وعلى والخطاب فى انتم للمصدقين من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى الى نبيه واخباره باحوالكم

بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خير لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خير انزلت فى مشركى مكة وقيل نزلت فى يهود بنى قريظة والنضير (انما نملى لهم) الاملاء الامهال والتأخير وأصله من الملوة وهى المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء فى الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) يعنى انما نمهلهم ونؤخر فى آجالهم ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة روى البغوى بسنده عن عبد الرحمن بن ابى بكر عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وقال ابن الانبارى قال جماعة من اهل العلم انزل الله عز وجل هذه الآية فى قوم يعاندون الحق سبق فى علمه انهم لا يؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وغيا قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وان من أطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا فى علمى لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا أن ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع فى الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل فى معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل فى معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين فى اصلاب الرجال المشركين وارحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذين جرى لهم

الحكم بالايمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب فى قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر او منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل فى معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعنى ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعنى انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعنى وان تصدقوا من اجتبيته برسالتى وأطلعته على ما أشاء من غيبى واعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فلكم أجر عظيم) يعنى فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعنى ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعنى البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذى يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا اخرجه ابو داود وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس فى رواية ابى صالح عنه والشعبى ومجاهد نزلت هذه الآية فى الذين يبخلون ان يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء ذهبوا الى أن البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد فى سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا فى ترك الواجب لا فى التطوع وقال ابن عباس فى رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت فى احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والمنع يدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبرى القول الاول واختاره وقوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق فى عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن

ثان (بل هو) اى البخل (شر لهم) لان اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) تفسير لقوله بل هو شر لهم اى سيجعل مالهم الذى منعوه عن الحق طوقا فى أعناقهم كما جاء فى الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق فى عنقه فينهشه ويدفعه الى النار

يرسل الرسول فيوحى اليه ويخبره بان فى الغيب كذا وان فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسول وان اثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص (وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) فى الآخرة ونزل فى مانعى الزكاة (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اى ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول

الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخارى (قوله زبيبتان) قيل هما النكتتان السوداوان فوق عينى الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان فى شدقيها وقد جاء فى الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان فى أصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن ابى ذر قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يارسول الله فداك أبى وأمى من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفذت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخارى بمعناه فى موضعين وقيل فى معنى الآية انه يجعل فى اعناقهم اطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من أموالهم فى الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس فى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة اى يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته فى عنقك وقيل يجعل فى رقابهم طوق من نار ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار أخرجه الترمذى وفى رواية ابى داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل فى معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار فى أفواههم عقوبة لهم والله أعلم قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى الباقى الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل فى معنى الآية وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وعلم وغير ذلك فالمؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله (والله بما تعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهى أبلغ فى الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعنى البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين * قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيى بن أخطب وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر الصديق الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت فقال يارسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابى بكر وتكذيبا لفنحاص وردا

(ولله ميراث السموات والارض) وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيل الله والاصل فى ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (والله بما تعملون خبير) و بالياء مكى وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان اله محمد يستقرض منا فنحن اذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفؤه من العقاب

عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول اوقالوها استهزاء وأيهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد فى كفره وضلاله (سنكتب ماقالوا) يعنى قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ماقالوا وقيل سنثبت ذلك القول فى صحائف أعمالهم التى تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ماقال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله أسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما هو أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل فى معنى الآية سنكتب على هؤلاء ماقالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة فى ضم قتلهم الانبياء الى ماوصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما اخوان فى العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظائم وانهم اصلاء فى الكفر والجهل والضلال ولهم فى ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم القبح والفحش (ونقول) يعنى لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) اى ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص فى الدنيا (ذلك) اى ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت أيديكم) انما ذكر الايدى على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسىء ويثيب المحسن ه قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف ومالك بن صيفى ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب من اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا فى التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا يعنى قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعنى امرنا وأوصانا فى كتبه (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعنى فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدى عن السدى انه قال ان الله تعالى أمر بنى اسرائيل فى التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدى عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود فى الدلالة على صدق النبى هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاى معجزة أتى بها النبى قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعنى انهما مما يتقرب بهما الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبنى اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوى وحفيف فتأكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا

مصدر به او بمعنى الذى (وقتلهم الانبياء بغير حق) معطوف على ماجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما فى العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (ونقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا عذاب الحريق) اى عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضيف الى الله تعالى لانه بامره كما فى قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (ذلك) اشارة الى ماتقدم من عقابهم (بما قدمت أيديكم) اى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والاضافة الى اليد لان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب ولانه يقال للآمر بالشىء فاعله فذكر الايدى للتحقيق يعنى انه فعل نفسه لا غيره بامره (وان الله ليس بظلام للعبيد) وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم (الذين قالوا) فى موضع جر على البدل من الذين قالوا او نصب باضمار اعنى او رفع باضمار هم (ان الله عهد الينا) امرنا فى التوراة واوصانا (ان لا نؤمن) بان لا نؤمن (لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) اى يتقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان سبب الايمان

للرسول الآتى به لكونه معجزة فهو اذا واسائر المعجزات سواء (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) بالمعجزات سوى القربان (وبالذى قلتم) اى القربان يعنى قد جاءاسلافكم الذين أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم (فلم قتلتموهم) اى ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم تؤمنوا بالذين أتوا به ولم قتلتموهم ٣٤٠ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انما نؤخر الايمان لهذا (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك (جاؤا بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (والزبر) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامى (والكتاب) جنسه (المنير) المضىء قيل هما واحد فى الاصل وانما ذكر الاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادى (كل نفس) مبتدأ والخبر (ذائقة الموت) وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك فمرجع الخلق الى فاجازيهم على التكذيب واجازيك على الصبر وذلك قوله (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) اى تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فان الدنيا ليست بدار الجزاء (فمن زحزح) بعد وزحزحة الابعاد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن نضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها

وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقى على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام فى البيت ويناجى ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوى وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التى ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسل من قبلى) يعنى مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذى قلتم) يعنى ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعنى فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل أسلافهم (ان كنتم صادقين) يعنى فى دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعنى هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعنى مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) اى الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمى الكتاب الذى فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اى يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) اى الواضح المضىء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل ٭ قوله عز وجل (كل نفس ذائقة الموت) يعنى ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت فى بنى آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل مما أخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت الا ويدفن فى التربة التى خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة فى الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل فى قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شىء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون أجوركم) يعنى توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) يعنى فمن نجا وأبعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يعنى ان العيش فى هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالقاس والقدر والقصعة ونحوها والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التى يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد ابن جبير هى متاع الغرور ان لم يشتغل بطلب الآخرة فاما من اشتغل بطلب الآخرة فهى له متاع وبلاغ

و بلاغ الى ماهو خير منها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين زاد الترمذى وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردىء وذلك فى وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختيار فى وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر (فى أموالكم) يعنى بالابتلاء فى الاموال بالنقصان منها وقيل بادائها فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعنى بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) قال عكرمة نزلت فى أبى بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بنى قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابى بكر لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى يمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى يمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهرى نزلت هذه الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودى وذلك انه كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم فى شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لى فلأقل قال فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن ان ندعه حتى ننظر الى اى شئ يصير أمره قال وقد اردت ان تسلفنى سلفا قال فما ترهننى أترهننى نساءكم قال انت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنون اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن فى وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح قال نعم ووعده ان يأتيه بالحرث وابى عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته انى لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعى أبو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد انى اذا جاء فسوف أميد يدى الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتى فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لى ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتأذن لى ان اعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد فى رواية ثم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد أصحاب السير والمغازى فاختلف عليه اسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفى فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا وقد اوقدت عليه نار قال فوضعته فى ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحرث بن اوس بجرح فى رأسه أصابه بعض أسيافنا فنزحنا وقد ابطا علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا واصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله

(لتبلون) والله لتبلون اى لتختبرن (فى أموالكم) بالانفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وأنفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على أن النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالطعن فى الدين وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك

(وان تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور

أى مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) واذكر وقت أخذ الله ميثاق اهل الكتاب (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) عن الناس بالتاء على حكاية محاطبتهم كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن وبالياء مكى وابو عمرو وابو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم اى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على انه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم او لجر منفعة او دفع أذية او ليخل بالعلم وفى الحديث من كتم علما عن اهله ألجمه الله بلجام من نار (واشتروا به ثمنا قليلا) عرضا يسيرا (فبئس ما يشترون) والخطاب فى

صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل فى شأن كعب بن الاشرف اليهودى لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعنى مشركى العرب أذى كثيرا يعنى بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وما اشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى (فان ذلك من عزم الامور) اى من صواب التدبير الذى لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا اى ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اى ألزمتم الاخذ به قوله تعالى (واذ أخذ الله) اى واذكر يا محمد وقت اذ أخذ الله (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعنى ليبينن ما فى الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل أن يشرحوا للناس ما فى هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتمونه) يعنى ولا يخفون ذلك عن الناس (فنبذوه) يعنى الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) اى فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعنى المآكل والرشا التى كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فعقله ووعاه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار اخرجه الترمذى ولابى داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فالقيته على بابه فقلت أريد أن تحدثنى فقال أما علمت انى قد تركت الحديث فقلت اما أن تحدثنى واما أن أحدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخزاز قال سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم أن يعلموا قال فحدثنى اربعين حديثا قوله عز وجل (لا تحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب اى لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية فى المنافقين (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت فى اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن

ابن (لا تحسبن) لرسول الله وأحد المفعولين (الذين يفرحون) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد بتقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين

(بما أتوا) بما فعلوا وهي قراءة أبي رجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا وقرأ النخعي بما آتوا اى اعطوا (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بمنجاة منه (ولهم عذاب اليم) مؤلم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شئ مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه وأروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم اى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون ٣٤٣ بما فعلوا من تدليسهم عليك

ابن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون قال ابن عباس مالكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما أتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) اى ويحبون أن يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأسبيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا اى بقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة وأحبوا أن يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة واحبوا أن يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا أن يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) اى فلا تظنهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود او المنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب أن يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك * قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ كيف يكون فقيرا (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم * قوله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب) قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما خلقته وأنشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون ارزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال

ويحبون أن يحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهما وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير (والله على كل شئ قدير) فهو يقدر على عقابهم (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لأولي الالباب) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكي ان في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبد هافتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت الا من ذلك

(الذين) فى موضع جر نعت لاولى او نصب باضمار أعنى او رفع باضمارهم (يذكرون الله) يصلون (قياما) قائمين عند القدرة (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) اى مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل فى يذكرون وعلى جنوبهم حال ايضا اوالمراد الذكر على كل حال لان الانسان لايخلو عن هذه الاحوال وفى الحديث من احب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها ومادبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبى عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذرفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفرله وقال عليه السلام لاعبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وماجليت القلوب بمثل الاحزان ولااستنارت بمثل الفكر

والاعتبار لاينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس انه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهى خالته قال فقلت لأنظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلى قال عبد الله ابن عباس فقمت فصنعت مثل ماصنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى فتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفى رواية فقمت عن يساره فاخذنى فجعلنى عن يمينه وفى رواية قال بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وذكره قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على بن ابى طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا فى الصلاة يعنى الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لايتركون الصلاة فى حال من الاحوال بل يصلون فى كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذى وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعى رضى الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه أن يصلى على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلى مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعى ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى غالب الاحوال لان الانسان قل أن يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهى القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل فى كل أحيانه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لايذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لايذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابوداود والترة النقص وقيل هى هنا التبعة وقوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) اصل الفكر اعمال الخاطر فى الشئ وتردد القلب فى ذلك الشئ وهو قوة منطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولايمكن التفكر الافيما له صورة فى القلب ولهذا قيل تفكروا فى آلاء الله ولاتفكروا فى الله اذ الله منزه أن يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون فى خلق السموات والارض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل فى المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وماجليت

القلوب بمثل الاخزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) اى ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا (ماخلقت هذا باطلا) يعنى عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن أن تخلق شيأ عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعنى اناقد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء فمن اراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتى بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) اى أهنته وأذللته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت فى ايذائه والخزى ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لايكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد أخزيته والمؤمن لايخزى قلت قد ذكر العلماء فى الجواب وجوها احدها ماروى عن انس فى تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من يخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هى خاصة لمن لايخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد فى النار فهو داخل فى قوله تعالى فقد أخزيته الوجه الثانى فى الجواب ان المدخل فى النار مخزى فى حال دخوله وان كانت عاقبته أن يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ماروى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك الخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبرى لان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك الخزى هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانبارى حمل الآية على العموم أولى من نقلها الى الخصوص اذ لادليل عليه الوجه الثالث فى الجواب ماقاله اهل المعانى وهو ان الخزى يحتمل معانى منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الافتضاح يقال خزى خزاية اذا استحى واذا عمل عملا يستحى منه ويخجل فيكون خزى المؤمن الذى يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى أن يخرج منها وخزى الكافر الهلاك بالخلود فى النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لايمكن حمله فى طرفى النفى والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع فى الجواب وهو الذى اختاره الفخر الرازى وصححه ان قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه لايقتضى نفى الاخزاء مطلقا وانما يقتضى أن لايحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبى وهذا النفى لاينافضه اثبات الاخزاء فى الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات فى وقت آخر والله أعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها (من أنصار) يعنى ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للايمان) قال ابن عباس وأكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظى المنادى هو القرآن قال اذ ليس كل أحد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعى اليها

اوالى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كانه قيل ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته اواهلكته اوفضحته واحتج اهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه فى ان من يدخل النار لايكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه وان فوق ذلك لخزيا (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار (من انصار) من اعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين (ربنا اننا سمعنا منادياً) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول عليه السلام او القرآن (ينادى للايمان) لاجل الايمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادى اذ لامنادى أعظم من منادى ينادى للايمان

(ان آمنوا) بان آمنوا اواى آمنوا (بربكم فآمنا) قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء فى الايمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا (وكفر عنا سيآتنا) صغائرنا (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار الممتسكون بالسنة جمع برأو بار كرب وأرباب وصاحب واصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) اى على تصديق رسلك او ما وعدتنا منزلا على رسلك او على ألسنة رسلك وعلى متعلق

بوعدتنا والموعود هو الثواب او النصرة على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف

والاول فى للايمان بمعنى الى يعنى ينادى الى الايمان (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائر ذنوبنا (وكفر عنا سيآتنا) اى صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح فى الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا فى المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار) يعنى فى جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون فى درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا فى جملة اتباعهم وأشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعنى على ألسنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعدوا الله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجأ اليه الذى هو سمة العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يثيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه بتجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حملك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعنى ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا فى ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لامحالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها او يوقعنا فى الخزى وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة فى موقف القيامة فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تخلف الميعاد) قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعنى أجاب دعاءهم واعطاهم ما سألوه (انى) اى وقال لهم انى (لا أضيع عمل عامل منكم) يعنى لا احبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه (من ذكر او أنثى) يعنى لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان او انثى عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله ما أسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشئ فانزل الله تعالى انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب أخرجه الترمذى وغيره وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعنى فى الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان منى يعنى على خلقى وسيرتى وقيل ان الرجال والنساء فى الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى) يعنى المهاجرين الذين هجروا اوطانهم وأهليهم وآذاهم المشركون بسبب

المعاد لان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز المعاد او المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو او المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى عدتك يؤيده قوله (ولا تخزنا يوم القيامة) اوهو اظهار للخضوع والضراعة (انك لا تخلف الميعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربهم) اى اجاب يقال استجاب له واستجابه (انى) بانى (لا أضيع عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (من ذكر او انثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو آدم او بعضكم من بعض فى النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضى الله عنه من خزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما أراد وقرأ الآيات (فالذين هاجروا) مبتدا وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه

اسلامهم

قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم الى حيث يامنون عليه فالهجرة كائنة فى آخر الزمان كما كانت فى اول الاسلام (واخرجوا من ديارهم) التى ولدوا فيها ونشؤا (وأوذوا فى سبيلى) بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين

(وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكى وشامى وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلى وفيه دليل على ان الواو لا توجب الترتيب والخبر (لأكفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (ثوابا) فى موضع المصدر المؤكد يعنى اثابة او تثويبا (من عند الله) لان قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنهم (والله عنده حسن الثواب) اى يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى ان طائفة من المؤمنين قالوا ان أعداء ٣٤٧ الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا

اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله و رسوله وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله و رسوله ومعنى فى سبيلى فى طاعتى ودينى وابتغاء مرضاتى وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعنى وقاتلوا العدو واستشهدوا فى جهاد الكفار (لأكفرن عنهم سيآتهم) يعنى لأمحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعنى ذلك الذى أعطاهم من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذى أعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون و يقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم فى هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه و يتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من خزبه أمر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش يتجرون و يتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية لايغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لايغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) اى ذلك متاع قليل و بلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعنى مصيرهم فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) اى وبئس الفراش هى قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب مانهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) اى جزاء وثوابا والنزل مايهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذى لاينقطع (خير للابرار) يعنى ذلك الفضل

من الجوع فنزل (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) والخطاب لكل أحد او للنبى عليه السلام والمراد به غيره لان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لايغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولاتكونن من المشركين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف اى تقلبهم فى البلاد متاع قليل وأراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او فى جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او أراد انه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) النزل والنزل مايقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام فى لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا وعطاء (من عند الله) صفة له (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك اى لابقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت فى ابن سلام وغيره من مسلمى أهل الكتاب او فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا

والنعمة التى أعدها الله للطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) من عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو فى مشربة له وانه لعلى حصير ما بينه و بينه شئ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه اهب معلقة فرأيت أثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخارى المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالى * قوله عز وجل (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) قال ابن عباس نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى جميع مؤمنى اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من أهل الكتاب يعنى بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعنى من يقر بوحدانية الله وما أنزل اليكم يعنى و يؤمن بما أنزل اليكم أيها المؤمنون يعنى القرآن وما أنزل اليهم يعنى من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعنى خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعنى لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) اشارة الى من هذه صفته من أهل الكتاب (لهم أجرهم عند ربهم) يعنى لهم ثواب أعمالهم التى عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجازى كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعنى على دينكم الذى أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعانى قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل فى معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعنى الكفار والاعداء و جاهدوهم (ورابطوا) يعنى وداوموا على جهاد المشركين وابتنوا عليه وأصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا للقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد

(وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن فى معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال اى غير مشترين (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده فى قوله اولئك يؤتون أجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه فى كل شئ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضى الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفى الجزع (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد اى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (ورابطوا) واقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو

(واتقوا الله لعلكم تفلحون) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه واعمل لتغنيب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في نعمتي ورابطوا أنفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون بقربتي قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان اوغيايتان اوفرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(سورة النساء)

نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الناس) يا بني آدم (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه (وبث منهما) ونشر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة اى وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها او على خلقكم والخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم

بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط أخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا الله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النساء)

وهي مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس
واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) اى احذروا أمر ربكم ان تخالفوه فيما أمركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانما أنث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فانما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لما ذا خلقت قالت خلقت لتسكن الي فمال اليها وألفها لانها خلقت منه واختلفوا في أي وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعني نشر وأظهر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء

الفائتة للحصر فان قلت الذي تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب

(واتقوا الله الذى تساءلون به) والاصل تتساءلون فادغمت التاء فى السين بعد ابدال الهمزة السينا القرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين اى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم أفعل كذا على سبيل الاستعطاف (والارحام) ٣٥٠ بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى اى واتقوا الارحام ان تقطعوها او على

موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا و بالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشئ واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا اوعالما (وآتوا اليتامى اموالهم) يعنى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الاناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعنى انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم اولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال

لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذى تساءلون به) انما كرر ذكر التقوى للتأكيد وانه أهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله وأحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا اذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون و يعطف بعضهم على بعض وفى الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى عن قطعها و يدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة فى ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه و ينسأ فى اثره فليصل رحمه (قوله ينسأ فى اثره) اى يؤخر له فى اجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم * وعن الحسن قال من سألك بالله فأعطه ومن سألك بالرحم فاعطه * وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص و يدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف و يتقى * قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه و يطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الصبى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر و بقى الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر و بقى الوزر وقال ثبت الاجر للغلام و بقى الوزر على ابيه والخطاب فى قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبى الذى مات ابوه واليتم فى اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن فى العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبى وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تتبدلوا) اى ولا تستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعنى الخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعى

والنخعى والزهرى والسدى كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردىء فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو أخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل اموالهم فنهوا عن ذلك (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) يعنى مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم الى أموالكم فى الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن أكل مال اليتيم وارادبه جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعنى ان اكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم * قوله عز وجل (وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى) يعنى وان خفتم يا اولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضى الله تعالى عنهما عن قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء الى قوله او ما ملكت أيمانكم قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء الى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه فى مالها فيسىء صحبتها ويتربص بها الى أن تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء او أكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذى فى حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوجون ماشاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى فى نكاح اربع فقال تعالى (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) يعنى ماحل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا الان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم الآية فخيركم فى هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو بمعنى أو فى هذا الفصل لانه لما كانت او

فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (انه) انا كلها (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما (وان خفتم الا تقسطوا) اى لا تعدلوا أقسط اى عدل (فى اليتامى) يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع يتيم لا غير (فانكحوا ماطاب لكم) ماحل لكم من النساء لان منهن ماحرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ماذهابا الى الصفة لان مايجىء فى صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت أيمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ماحل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات او كانوا يتحرجون من الولاية فى اموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا كثرن

فكانه قيل اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم أن لا تقسطوا فى نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة اى ادركت (مثنى وثلاث ورباع) نكرات وانما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب

على الحال من النساء او مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذى اطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجىء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جىء بأو لمكانها لذهب معنى التجويز (فان خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا اوفاختار واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى فى اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) اقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم فى حكمه اذا جار ويحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا عليه بانه يقال أعال يعيل اذا كثر عياله وأجيب بان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من اعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن

بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل ان الواو أفادت انه يجوز لكل احد أن يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لا انه يضم عددا واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد أن يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لا يشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جائزة وانها حرام ما روى عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود * عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن اربعا اخرجه الترمذى قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك فى احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد أن يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية وأجاب الشافعى بان هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم (ألا تعدلوا) يعنى بين الازواج الاربع (فواحدة) يعنى فانكحوا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) يعنى وما ملكتم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم فى الحرائر ولا قسم لهن (ذلك أدنى) اى اقرب (ألا تعولوا) معناه اقرب من أن لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ألا تعولوا اى لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا يضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه ان لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعى من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعى لانه انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعى وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله ألا تعولوا اى لا تكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهرى وهذا يقوى قول الشافعى لان الكسائى لا يحكى عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعى نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغى للحضرى ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهرى وبسط الامام فخر الدين الرازى فى هذا الموضع من تفسيره وردّ على ابى بكر الرازى ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن ابى حاتم قال كان الشافعى أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعى (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبى وجماعة هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج أيمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المراة كان اذا زوجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها الا قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك

(نحلة) من نحله كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم او على الحال من المخاطبين اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء اومن الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا اى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فان طبن لكم) للازواج (عن شئ منه) اى من ٣٥٣ الصداق اذهو فى معنى الصدقات

ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم أن يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمى كان اولياء النساء يعطى هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله تعالى باتيان نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعنى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى أخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لا يجب فى مقابلته غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعنى النساء المتزوجات (لكم) يعنى للازواج (عن شئ منه) يعنى من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعنى ما وهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعنى طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذى لا ينغصه شئ والمرىء المحمود العاقبة وفى الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وأنها تملكه ولا حق للولى فيه قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا او بنات او أمهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين أيديهم أمسك مالك واصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغى له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما أضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سماهم سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق أموالكم (التى جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن

(نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبئات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن لكم اعلاما بان المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الهاء يعود على شئ (هنيئا) لا اثم فيه (مريئا) لاداء فيه فسرهما النبى عليه السلام او هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا او حال من

 الضمير اى كلوه وهو هنى مرى وهذه عبارة عن المبالغة فى الاباحة وازالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزهما الباقون وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى احدكم شيأ فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء وأضاف الى الاولياء أموال السفهاء بقوله (أموالكم) لانهم يلونها ويمسكونها (التى جعل الله لكم قياما) اى قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم واولادكم قيما بمعنى قياما نافعا وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا

واصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فيأكلها الانفاق (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجيء منه وفيه دليل على جواز اذن الصبي العاقل في التجارة (حتى اذا بلغوا النكاح) اى الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد (فان آنستم منهم) تبينتم (رشدا) هداية في التصرفات وصلاحا في المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس

أنت قيم أهلك انفق عليهم ولا تؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) اى اطعموهم (واكسوهم) يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه امر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوها لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر والموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء اى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل * قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عم وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم وحقوق أموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) اى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) اى أبصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

* (فصل في احكام تتعلق بالحجر) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده واجرائه وتصرفه في أحوال داره وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد * (المسئلة الثانية) * قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم أموالهم) وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد * (المسئلة الثالثة) * في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء اما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما

ماروى عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وانا ابن اربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازنى اخرجاه فى الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة و بلوغ الغلام باستكمال ثمانى عشرة سنة والثانى الاحتلام وهو انزال المنى الدافق سواء أنزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبى او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ فى اولاد المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت من سبى قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ فى اولاد المسلمين فيه قولان أحدهما انه يكون بلوغا كما فى اولاد المشركين والثانى لا يكون ذلك بلوغا فى حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على موالد اولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على موالدهم ولا يقبل فى ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذى هو أمارة البلوغ بلوغا فى حقهم وأما الذى يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها أقل مدة الحمل *(المسئلة الرابعة)* فى بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا فى دينه وماله فالصلاح فى الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصى التى تسقط بها العدالة والصلاح فى المال هو أن لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن فى البيع والشراء فاذا بلغ الصبى وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه فى ماله وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعى فى استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا و بعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالانفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن *(المسئلة الخامسة)* اذا بلغ الصبى او الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب *(المسئلة السادسة)* اذا بلغ الصبى رشيدا زال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا فى دينه فعلى وجهين أحدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثانى لا يحجر عليه لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند ابى حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام ابن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين ألف درهم فقال على لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك فى بيعك فاتى على عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل فى بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعنى يا معشر الاولياء لا تأكلوا أموال اليتامى بغير حق (و بدارا ان يكبروا) يعنى لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) اى فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزأه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعنى محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى أبو داود عن

الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة او يفيد التقليل اى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابى حنيفة رحمه الله فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة (ولا تأكلوها اسرافا و بدارا ان يكبروا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا و بدارا مصدران فى موضع الحال وان يكبروا فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز ان يكونا مفعولا لهما اى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الامر بين ان يكون الوصى غنيا و بين ان يكون فقيرا فالغنى يستعفف من أكلها اى يحترز من أكل مال اليتيم واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن ابراهيم ماسد الجوعة ووارى العورة

والتناكر (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب اوهو راجع الى قوله فليأكل بالمعروف اى ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى الى مفعولين دلله فسيكفيكهم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير فى منه يعود الى ماترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا (مفروضا) مقطوعا لابد لهم من ان يحوزوه روى ان أوس ابن ثابت ترك امراته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابناعمه ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى فقير وليس لى شئ ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وابى العالية وعبيدة السلمانى وابى وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا فى انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض اى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب انى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبى والنخعى وقتادة قال الشعبى لا يأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا فى قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسى منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيأ فان أخذ وجب عليه رده وقال الكلبى المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيأ وروى ان رجلا قال لابن عباس ان لى يتيما وان له ابلا أفاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغى ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر نسل ولا ناهك فى الحلب وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان أبعد من ان يدعى عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصى وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا وشاهد ابه * قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية فى أوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امراته ويقال لها أم كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت أم كحة امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندى ما انفق علينا وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته منه شيأ وهن فى حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو امر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث (وللنساء نصيب) يعنى وللاناث من اولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر) يعنى من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعنى معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيأ فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله

فى اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة أن ادفعا الى أم كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين واسكما باقى المال * قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (أولوا القربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) اى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابى موسى الاشعرى والحسن وابى العالية والشعبى وعطاء بن ابى رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعى والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب او ندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه أن يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولى أن يعتذر اليهم ويقول انى لا املك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولى او الوصى انى لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب فى مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعى هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون الثابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحى من قسمته والقول الثانى ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الوصى أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو أن لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعنى اولادا صغارا (خافوا عليهم) يعنى الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بان يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وأمسك اموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير

(واذا حضر القسمة) اى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم) فاعطوهم (منه) مما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ بآية الميراث (وقولوا لهم قولا معروفا) عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف أن يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم

عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع مافى حيزه صلة للذين اى وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الاوصياء أن يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بنى ويا ولدى (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) اى يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار روى انه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا (وسيصلون) شامى وابو بكر أى سيدخلون (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (فى اولادكم) فى شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اى للذكر منهم اى من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه

الثلث كان المراد منها أن يوصى بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم أوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعده مونه أن يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية ان من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به ما يحب أن يفعل باولاده من بعده (فليتقوا الله) يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمروه ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقى لولده وورثته وأن لا يحيف فى وصيته والقول السديد من الاوصياء وأولياء اليتامى أن يكلموهم كما يكلمون اولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل * قوله عز وجل (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حبان نزلت فى رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فأكله فانزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما يعنى حراما بغير حق (انما يأكلون فى بطونهم نارا) يعنى سيأكلون يوم القيامة فسمى الذى يأكل نارا بما يؤول اليه أمرهم يوم القيامة قال السدى يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفى حديث ابى سعيد الخدرى قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وقيل انما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعينى وسمعت بأذنى (وسيصلون سعيرا) يعنى باكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة فى المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح فى اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من أعظم القرب قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وابو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى على فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فافقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع فى مالى كيف اقضى فى مالى فلم يجبنى بشئ حتى نزلت آية الميراث وفى رواية فقلت لا يرثنى الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفى رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله فى اولادكم وفى رواية أخرى فلم يرد على شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخارى ومسلم وقال مقاتل والكلبى نزلت فى أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبنانه وقال عطاء نزلت فى سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة واخا (ق) عن جابر رضى الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم أحد شهيدا وان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضى الله فى ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتى سعد الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقى فهو لك اخرجه الترمذى وقال السدى كان اهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الصغار من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة واخذوا ماله فشكت امرأته الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع فى تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض وأصول قواعدها

(فصل فى الحث على تعليم الفرائض) اعلم ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا وأشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهى ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا فى فروعها واصولها ويكفى فى فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وأنزلها فى كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض اخرجه الترمذى وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فانى امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك أن يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو أول علم ينسى وهو أول شئ ينزع من أمتى اخرجه ابن ماجه والدارقطنى

(فصل فى بيان احكام الفرائض) اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب أولام وابن الاخ للاب والام أوللاب وان سفل والعم للاب والام اوللاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقى بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض

(فصل) واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو أن يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو أن المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه فى الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف ملاهم وأديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودى من النصرانى ولا النصرانى من المجوسى والى هذا ذهب الزهرى والاوزاعى واحمد واسحق لما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن عبد الله بن عمرو بن

مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أوللانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع اى اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراد بقوله

العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطأ لما روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند أهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته

(فصل) والسهام المحدودة فى الفرائض المذكورة فى كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس *فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد لاب وأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين احداهما زوج وأبوان والاخرى زوجة وأبوان فان للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خير للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او أنثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض باهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

(فصل) روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض باهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر ففى هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان أما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس وأما الثانى وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى واحمد واولاد

الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابى الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لاب وأم او لاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وأم أولى ثم العم لاب وأم ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وأم او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن كان الباقى بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت وأخت كان للبنت النصف والباقى وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين وأخت كان للبنتين الثلثان والباقى للاخت ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول ابى موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما أنا من المهتدين ثم قال اقضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقى فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألونى ما دام هذا الحبر فيكم أخرجه البخارى وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اى يعهد اليكم ويفرض عليكم فى اولادكم يعنى فى أمر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعنى ان الولد الذكر له من الميراث ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالابوين أخذوا فروضهم وما بقى بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعنى المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعنى بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا ما ترك) واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على الثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة وأجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفى حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعنى فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان

(فان كن نساء) اى فان كانت الاولاد نساء خلصا يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان او صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) اى الميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم ان التارك هو الميت

(وان كانت واحدة فلها النصف) اى وان كانت المولودة منفردة واحدة مدنى على كان التامة والنصب اوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قدذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولانه قال فى آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفى الآية دلالة على ان المال كله للذكر اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير فى (ولأبويه) للميت والمراد الاب والام الا انه غلب الذكر (لكل واحد منهما السدس) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مما ترك ان كان له ولد) هو يقع على الذكر والانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) اى مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما يبقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ماترك لان الاب أقوى من الام فى الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كاملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة تجزة وعلى لمجاورة كسر اللام (فان كان له) اى للميت (اخوة فلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان والعلات والاخياف فى حجب الام سواء

ثلاثة

للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتى سعد ابن الربيع وهذا نص واضح فى المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعنى البنت واحدة (فلها النصف) يعنى فرضها (ولابويه) يعنى أبوى الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعنى ان للاب والام مع وجود الولد او ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك أبوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقى من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقى بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعنى للميت (وورثه أبواه فلامه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقى المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين أحد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة (فان كان له) يعنى للميت (اخوة) يعنى ذكورا واناثا (فلامه السدس) يعنى لام الميت سدس التركة اذا كان معها أب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا فى الاخوين فالا كثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلى وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الأم من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان فى لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بنى ان قومك حجبوها باخوين ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلى وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا فى اقل الجمع وفيه قولان أحدهما ان أقل الجمع اثنان وهو قول القاضى ابى بكر الباقلانى وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان أصل الجمع ضم شئ الى شئ وقال ابن الانبارى التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور فى كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبا كما والقول الثانى ان أقل الجمع

(من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية (يوصى بها) ومابعده بفتح الصاد مكى وشامى وحماد ويحيى وافق الاعشى فى الأولى وحفص فى الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصاد اى يوصى بها الميت (اودين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية فى الشرع وقدمت الوصية على الدين فى التلاوة والجواب ان او لا تدل على الترتيب الا ترى انك اذا قلت جاءنى زيد او عمرو كان المعنى

ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز فى اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقى كرجل مات عن أبوين وأخوين فان للام السدس والباقى وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقى بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصى بها اودين) يعنى ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت فى ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين فى اللفظ لا فى الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هى لاحد الشيئين كانه قال من بعد أحد هذين مفردا او مضموما الى الآخر قال على رضى الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام فى قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له فى الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعنى الذين يرثونكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا اى لا تعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذى دبر أمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعنى ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظة كان ثلاثة أقوال أحدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثانى حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب * قوله عز وجل (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الازواج

فى قوله من بعد وصية يوصى بها اودين من بعد احد هذين الشيئين الوصية او الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام الا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (آباؤكم) مبتدا (وابناؤكم) عطف عليه والخبر (لا تدرون) وقوله (ايهم) مبتدا خبره (أقرب لكم) والجملة فى موضع نصب بتدرون (نفعا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو على حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم أنفع لكم فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد اى فرض ذلك فرضا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) اى زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) اى ابن او بنت (فان كان لهن ولد) منكم او من غيركم (فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها اودين

(ولهن) يعني للزوجات (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها اودين) لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله في الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين * واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع او الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها * قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة او امرأة) تقدير الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي من الله ان أرد شيأ قاله أبو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما حصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التي نزلت في آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فيكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليس فيهم ولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما أعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما أعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث ودت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن أبي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيأ أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان اعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم (قوله الا يكفيك آية الصيف) أراد ان الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك احاله

ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها اودين) والواحد والجماعة سواء في الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين (وان كان رجل) يعني للميت وهو اسم كان (يورث) من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة تنطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (او امرأة) عطف على رجل

عليها وقوله تعالى (وله أخ او اخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافوا أحدهما الى الآخر وربما أضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء خبر فان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد ويجوز اسناده اليهما أيضا (فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سواء قال أبو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في أول سورة النساء من شان الفرائض أنزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال أنزلها الله في أولى الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) تقدم تفسيره وبقي شئ من الاحكام يذكرهنا وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الآية ما روى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه وفي رواية له شئ يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة أخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر أخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه أبو داود وقوله تعالى (غير مضار) يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله وذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد ابن ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى (وصية من الله) أي فريضة من الله وقيل عهد من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعني انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور

(وله اخ او اخت) اي لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين واما تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به او يرجع الى أحدهما وهو مذكر (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك) من واحد (فهم شركاء في الثلث) لانهم يستحقون بقرابة الام وهي لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى (من بعد وصية يوصى بها او دين) انما كررت لوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة (غير مضار) حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصي بزيادة على الثلث او لوارث (وصية من الله) مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية (والله عليم) بمن جار او عدل في وصيته

(حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح لانه لما قيل يسبح له علم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة اصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف والاكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب الا أن يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها والاخوان لاب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت او بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد عند ابى حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد والاب وله السدس مع الابن او ابن الابن وان سفل ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقى والجد وهو أبو الاب وهو كالاب عند عدمه الا فى رد الام الى ثلث ما يبقى والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وان سفل أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من اى جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين فى زوج وابوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لم كانت اولاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون ما بقى من الفرض واولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم ابوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم أعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب والاقرب فالاقرب والبنوة والابوة درجة والاخوة درجتان وبنوهم درجتان والاعمام ثلاث والاقرب يحجب الابعد والشقيقان يحجبان الاخ لاب والعصبة بنفسه يحرز جميع المال عند انفراده ويسقط عند استغراق الفرض ويأخذ ما فضل عنه عند مزاحمة ذوى الفروض والعصبة بغيره يأخذ مع غيره ما يأخذ ان انفرد ويحرز الباقى ان فضل عن بعض الفرض ويسقط ان استغرق الفرض والعصبة مع غيره يأخذ ما فضل عن ذوى الفروض ان فضل شئ وان لم يفضل شئ فلا شئ له والعصبة بنفسه الذكور من الاولاد والاباء والاجداد والاخوة والاعمام وبنيهم على الترتيب الذى ذكرناه والعصبة بغيره كل أنثى صار الذكر بسببها عصبة بان صار معها بحيث لو اسقطها اسقط الذكر معها وهن البنات وبنات الابن والاخوات لاب وأم والاخوات لاب مع الذكور من اولادهن وأخواتهن والعصبة مع غيره كل أنثى صار الذكر بسببها عصبة بان صار معها بحيث لو اسقطها اسقط الذكر معها وهن البنات وبنات الابن والاخوات لاب وأم والاخوات لاب مع الذكور من اولادهن وأخواتهن والعصبة مع غيره كل أنثى صار الذكر بسببها عصبة بان صار معها بحيث لو اسقطها اسقط الذكر معها وهن البنات وبنات الابن والاخوات لاب وأم والاخوات لاب مع الذكور من اولادهن وأخواتهن

(حليم) يعنى انه تعالى ذو حلم وذو اناة فى ترك العقوبة عمن جار فى وصيته وقال أبو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعنى الاحكام التى تقدم ذكرها فى هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم أن يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ورضى بما قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعنى ويتجاوز ما أمر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع للعاصى بالخلود فى النار فى هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون فى النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس فى معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبى يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار فى الخلود فى النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا فى النار بكفره فلا دليل فى الآية للمعتزلة والله أعلم قوله تعالى (واللاتى) هو جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعنى يفعلن الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة فى اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة حتى يبلغ الغاية فى جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة ههنا هى الزنا وانما سمى الزنا

فاحشة فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخواتهن لا غيرهن * وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدنى وشامى (وله عذاب مهين) لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها فى حق الكفار اذ الكافر هو الذى تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصى فهو مطيع بالايمان غير متعد حدود التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبى ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (واللاتى) هى جمع التى وموضعها رفع بالابتداء (يأتين الفاحشة) أى الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح يقال اتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى

فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم) قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج أي اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أي استمعوا شهادة أربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة ستارا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعني الشهود بالزنا (فأمسكوهن في البيوت) أي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعني تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فبقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

(فصل) اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى أن ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفي أحد الا أن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء ويروى مثله عن علي قال لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان أبا بكر ضرب وغرب وأن عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان أصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني مجنونا أو غير بالغ فلا جلد عليه * قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذي (يأتيانها) يعني يأتيان الفاحشة (منكم) يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه للرجال

(من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين (فان شهدوا) بالزنا (فامسكوهن في البيوت) فاحبسوهن (حتى يتوفاهن الموت) اى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن (او يجعل الله لهن) قيل او بمعنى الا ان (سبيلا) غير هذه عن ابن عباس رضي الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة (واللذان) يريد الزاني والزانية وبتشديد النون مكي (يأتيانها منكم) اى الفاحشة

(فآذوهما) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله (فان تابا) عن الفاحشة (وأصلحا) وغيرا الحال (فاعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (ان الله كان توابا رحيما) يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد

لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى في السحاقات والثانية في اللواطين والتي في سورة النور في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر لابي حنيفة رحمه الله في انه يعزر في اللواطة ولا يحد وقال مجاهد آية الاذى في اللواطة (انما التوبة) هي من تاب الله عليه اذا قبل توبته أي انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكنه تأكيد للوعد يعني انه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك (للذين يعملون السوء) الذنب لسوء عقابه (بجهالة) في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله

اخرجه

حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض أي يتوبون ببعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا

لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه والاكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعني عيروهما بالقول باللسان وهو أن يقال له أما خفت الله أما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعني من الفاحشة (وأصلحا) يعني العمل فيما يأتي (فأعرضوا عنهما) أي اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله وقال أهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ أنجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوأ لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة اجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على أن عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به * عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر

(فاولئك يتوب الله عليهم) عدة بانه ينى بذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة (وكان الله عليما) بعزمهم على التوبة (حكيما) حكم بكون الندم توبة (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن) اى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى ان يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعد به الا مختار (ولا الذين يموتون) فى موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيآت اى ليست التوبة للذين يعملون السيآت ولا للذين يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبير الآية الاولى فى المؤمنين والوسطى فى المنافقين والاخرى فى الكافرين وفى بعض المصاحف بلا مين وهو مبتدا خبره (أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما) اى هيأنا من العتيد وهو الحاضر او الاصل اعددنا فقلبت الدال تاء * كان الرجل يرث امراة مورثه بان يلقى عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت (ياايها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) اى ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او

أخرجه الترمذى الغرغرة أن يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا زال أغفر لهم ما استغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو أن يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فاولئك يتوب الله عليهم) يعنى يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم ما فى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما أتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب * قوله عز وجل (وليست التوبة للذين يعملون السيآت) قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر أحدهم الموت) يعنى وقع فى النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال انى تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة فى حق المؤمنين وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف فى الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب (أولئك أعتدنا لهم) اى هيأنا لهم (عذابا أليما) * قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) نزلت فى اهل المدينة وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوى عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من

مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حزة وعلى من الاكراه مصدر فى موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه كما فى قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل

(ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن او مجزوم بالنهي على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (الا أن يأتين بفاحشة) هي النشوز وايذاء الزوج واهله بالبذاء اى الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد غدرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان ٣٧٠ فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع (مبينة) وبفتح الياء مكي وابو بكر والاستثناء من اعم عام الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت أن يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا الان يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) لقبحهن او سوء خلقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه) في ذلك الشيء او في الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلا او ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدلى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فاعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء

الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل أن يلقى عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس ابن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه أن ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات (ولا تعضلوهن) اى ولا تمنعوهن من الازواج وأصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعني لتضجروهن فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها واصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت اوزنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو أن تصنع لها كما تحب أن تصنع لك (فان كرهتموهن) يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية ان كرهتموهن بفاحشة وهي اما النشوز أو الزنا بين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المرأة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعني وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس

منه بما اعطاها فقيل (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) اى بتطليق امراة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) واعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما مر في آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امراة أتتبع قولك ام قول الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم

(فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) اى بنا والبهتان أن تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو برىء منه لانه بهت عند ذلك اى يتحير وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين وآثمين ثم انكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) اى خلا بلا حائل ومنعه القضاء والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث انكر الاخذ وعال بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن او قول النبى عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان فى ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا لانرثهن كرها ولكن نخطبهن فنتزوجهن برضاهن فقيل لهم (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطء اى لا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوأة الاب بنكاح او ملك يمين او بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (الا ما قد سلف) اى لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال وقال (انه كان فاحشة) بالغة فى القبح (ومقتا) وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى (وساء سبيلا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى اول السورة نكاح ما طاب اى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار فى شرح المنار والجدة من قبل الام او الاب ملحقة بهن

أفقه منك يا عمر وفى رواية امرأة اصابت وامير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس فى صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور أيسرها واسهلها (فلا تأخذوا منه شيأ) يعنى من القنطار الذى آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جازله ذلك (أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعنى ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعنى أتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه فى الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل أن يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فى ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض) اصل الافضاء فى اللغة الوصول يقال أفضى اليه اى وصل اليه ثم للمفسرين فى معنى الافضاء فى هذه الآية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثانى فى معنى الافضاء هو أن يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبى الافضاء ان يكون معها فى لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هى كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التى تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفى ابو قيس وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اتخذتك ولدا وانت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستأمره فأتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (الا ما قد سلف) يعنى الا ما مضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصى (ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية الحزى والخسارة (وساء سبيلا) اى وبئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة ابيه مقتيا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط ابن ابى عمرو بن امية روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مر بى خالى ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه * قوله عز وجل (حرمت عليكم أمهاتكم) بين الله عز وجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب او نسب

(خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم واصل أمهات أمات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هى الوالدة القريبة ويدخل فى حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة اوبدرجات بانات كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (وأخواتكم) جمع أخت وهى عبارة عن كل امراة شاركتك فى اصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم) جمع عمة وهى كل امراة شاركت اباك فى اصله وهن جميع اخوات الاب واخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهى أخت ابى الام (وخالاتكم) جمع خالة وهى كل امراة شاركت الام فى اصلها فيدخل فيه جميع اخوات الام واخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهى اخت أم الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهى عبارة عن كل امراة لاخيك اولاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ والاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول اوّل أصوله واوّل فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اوّل أصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واوّل فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه * الصنف الثانى المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثانى المحرمات بالرضاع وذلك فى قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) كل انثى انتسبت بالابن اليها فهى امك وبنتها أختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه فى الصحيحين

(ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حمزة انها لا تحل لى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة اخى من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما ثبتت حرمة الرضاع بشرطين احدهما أن يكون ارضاع الصبى فى حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله فى عامين عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء فى الثدى وكان قبل الفطام اخرجه الترمذى عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان فى الحولين اخرجه مالك فى الموطا بأطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد اللحم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثانى أن يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعى ويدل على ذلك ما روى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم

(م) عن أم الفضل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا

(وبناتكم) و بنات الابن و بنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (وأخواتكم) لاب وأم اولاب اولام (وعماتكم) من الاوجه الثلاثة (وخالاتكم) كذلك (وبنات الاخ) كذلك (وبنات الاخت) كذلك ثم شرع فى السبب فقال (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

(وأمهات نسائكم) وهن محرمات بمجرد العقد (وربائبكم) سمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربيهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما (اللاتي في حجوركم) قال داود اذا لم تكن في حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن اولكونهن بصدد احتضانكم كانهن في العقد على بناتهن

من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا الا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعي واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بان السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وأمهات نسائكم) يعني اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع ايضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها اولم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان أم المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح أمها دخل بها اولم يدخل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها اوماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل ابنائكم) يعني أزواج ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل أزواج أبنائه وأبناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من اصلابكم) انما قال من اصلابكم احترازا من التبني ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين) يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو

عاقدون على بناتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) متعلق بربائكم اي الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب اي ادخلتموهن والستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتي دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامل وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز ان تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا اولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فلا حرج عليكم في ان تتزوجوا

بناتهن اذا فارقتموهن اوماتن (وحلائل ابنائكم) جمع حليلة وهي الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر او يحل فراش الآخر من الحل اومن الحلول (الذين من اصلابكم) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وان تجمعوا بين الاختين) اي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين

تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جاز له نكاح اختها الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع اوهبة اوعتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو ان يتزوج احداهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روى قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية فاما انا فلا أحب ان أصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لى من الامر شئ ثم أجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه على بن أبى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك فى الموطا وقوله تعالى (الا ما قد سلف) يعنى لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان انكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتهما شئت ويدل على ذلك ما روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله انى أسلمت وتحتى اختان قال طلق ايتهما شئت اخرجه ابو داود *(فروع)* تتعلق بحكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها اخرجاه فى الصحيحين قال بعض العلماء فى حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة اولين لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما* الفرع الثانى المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت فى الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها فى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين* الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه امها ولا ابنتها ولو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزنى بها على آباء الزانى ولا ابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير والزهرى واليه ذهب مالك والشافعى وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبى هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة أجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول فى اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء فى تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثانى لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى (والمحصنات) يعنى وحرمت المحصنات (من النساء) وأصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فتزوجن ببعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ما ملكت ايمانكم) يعنى السبايا اللاتى سبين ولهن أزواج فى دار الحرب فيحل

(الا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما) وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امرأة الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف (والمحصنات من النساء) اى ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائى بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها فى جميع القرآن (الا ما ملكت أيمانكم) بالسبى وزوجها فى دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات اى اللاتى لهن ازواج الا ما ملكتموهن بسبيهن واخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبى فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء

لما لكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود أراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها وقال علماء أراد بقوله الا ما ملكت أيمانكم ان تكون أمته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل أراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ماوقوع الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت أيمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم يعني كتب الله تحريم ماحرم عليكم من ذلك وتحليل ماحل كتابا (وأحل لكم ماوراء ذلكم) يعني وأحل الله لكم ماسوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل ماسوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم أصناف أخر سوى ماذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده أربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ماذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ماوراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (ان تبتغوا باموالكم) فيه اضمار تقديره وأحل لكم ان تبتغوا اى تطلبوا باموالكم اى تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن وفي الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم (محصنين) يعني متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعني غير زانين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعني مهورهن وانما سمي المهر أجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم اى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني (ق) عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سألت

على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات المذكورة وأحل كو في غير ابي بكر عطف على حرمت (ان تبتغوا) مفعول له اى بين لكم مايحل مما يحرم لان تبتغوا او بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر (باموالكم) يعني المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا وان القليل لا يصلح مهرا اذ الحجة لا تعد مالا عادة (محصنين) في حال كونكم محصنين (غير مسافحين) لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني (فما استمتعتم به منهن) فما نكحتموه منهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن لان المهر ثواب على البضع فما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن

ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله انا ما أفتيت بإباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا أجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا أعلم في الاسلام شيأ أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول أهل العلم جميعا من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الاثر والرأي وانه لا رخصة فيها للمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله وأما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري أولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن أجورهن يعني مهورهن (فريضة) يعني لازمة وواجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن جعل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد انهما اذا عقدا عقدا الى أجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه (ان الله كان عليما) يعني بما يصلحكم أيها الناس في منا كحكم وغيرها من سائر أموركم (حكيما) يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما أمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

(فريضة) حال من الاجور اى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيدها على مقداره او فيما تراضيا به من مقام او فراق (ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فيما فرض له من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت

(فصل في قدر الصداق وما يستحب منه) اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولا أنكح شيأ من بناته على أكثر من اثنتي عشرة اوقية أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (م) عن ابي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونشا قالت أتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في أقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي

حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روى عن سهل بن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيأ جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شئ فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيأ فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازارى هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شئ وان لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم مولياً فامر به فدعى له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معى سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن وفى رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفى رواية فقد أنكحناكها بما معك من القرآن أخرجاه فى الصحيحين وهذا لفظ الحميدى ففى هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيأ فهذا يدل على جواز اى شئ كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى ومنعه أصحاب الرأى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل أخرجه ابو داود عن عبد الله بن عامر عن أبيه ان امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه أخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر * قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة (أن ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات فمما ملكت أيمانكم) يعنى جارية اخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفى الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما أن لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة فى الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى واحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر أن ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابى حنيفة الا ان يكون فى نكاحه حرة والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند ابى حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر وفى الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يقيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص

(ومن لم يستطع منكم طولا) فضلا يقال لفلان على طول اى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (أن ينكح) مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله او بدل من طولا (المحصنات المؤمنات) الحرائر المسلمات (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) اى فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم اى من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد فى النص للاستحباب بدليل ان الايمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول

(والله اعلم بايمانكم) فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على ان الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا يختلف

(بعضكم من بعض) اى لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب

(فانكحوهن باذن أهلهن) سادتهن وهو حجة لنافى ان لهن أن يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لا عقدهم وانه ليس للعبد والامة أن يتزوج الا باذن المولى

(وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مطل واضرار وملائ مهورهن موالیهن فكان أداؤها اليهن اداء الى الموالى لانهن وما فى ايديهن مال الموالى والتقدير وآتوا موالیهن بحذف المضاف

(محصنات) عفائف حال من المفعول فى وآتوهن

(غير مسافحات) زوان علانية

(ولا متخذات أخدان) زوان سرا والاخدان الاخلاء فى السر

(فاذا أحصن) بالتزويج احصن كوفى غير حفص

(فان أتين بفاحشة) زنا

(فعليهن نصف ما على المحصنات) اى الحرائر

(من العذاب) من الحد يعنى خمسين جلدة وقوله نصف ما على المحصنات يدل على انه الجلد لا الرجم لان الرجم لا يتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن بالاحسان

وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن والله ذهب مالك والشافعى وقال ابو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى (والله أعلم بايمانكم) قال الزجاج اى اعملوا على الظاهر فى الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعنى انكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك أمر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وأنفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون فى النسب الى آدم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المؤمنين بعضهم اكفاء بعض (فانكحوهن باذن أهلهن) يعنى اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا فى جواز نكاح الامة (وآتوهن أجورهن) يعنى مهورهن (بالمعروف) يعنى من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهور أمثالهن وأجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما أضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعنى عفائف (غير مسافحات) يعنى غير زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك فى كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعنى حبها الذى يزنى بها فى السر قال الحسن المسافحة هى التى كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هى التى تختص بواحد ولا تزنى مع غيره وكانت العرب فى الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فاذا أحصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن (فان أتين بفاحشة) يعنى بزنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعنى فعلى الاماء اللاتى زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقال طاوس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا أحصن والذى لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه فى الصحيحين (قوله ولا يثرب عليها) اى لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء فى اللوم قال الشيخ محيى الدين النواوى وهذا البيع المأمور به فى الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشترى بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته او

(ذلك) اى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الاثم الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولاضرر اعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك (وأن تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لان فيه ارفاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفى الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) يستر المحظور (رحيم) يكشف المحظور (يريد الله ليبين لكم) اصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عليكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (والله علم) بمصالح عباده (حكيم) فيما شرع لهم (والله يريد أن يتوب عليكم) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود

بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشى العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمى الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وأن تصبروا) يعنى عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما انتم محتاجون اليه * قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام فى قوله ليبين معناه أن يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من اجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) اى ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) اى شرائع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امرنا به وبينه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيما دبر من أمورهم (والله يريد أن يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا مثلهم (أن تميلوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله أن يخفف عنكم) يعنى ليسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا واطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يعنى بالحرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه

لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا

(الا أن تكون تجارة) الا أن تقع تجارة تجارة كون فى اى الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطى والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اوولكن كون تجارة عن تراض غير منهى

عنه وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطى وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفى خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة اوولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة او معنى القتل اكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أولا تتبعوا أهواءها فتقتلوها او تركبوا ما يوجب القتل (ان الله كان بكم رحيما) ولرحمته بكم نبهكم على ما فيه صيانة اموالكم وبقاء ابدانكم وقيل معناه انه أمر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ومن يفعل ذلك) اى القتل أى ومن يقدم على قتل النفس (عدوانا وظلما) لاخطأ ولا قصاصا وهما مصدران فى موضع الحال أو مفعول لهما (فسوف نصليه نارا) فن ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك) أى اصلاؤه النار (على الله يسيرا) سهلا وهذا الوعيد فى حق المستحل للتخليد وفى حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه

تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيها كل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه فى المعاصى وأما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل فى اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الاهم ههنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار مالم يتفرقا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا او يخير أحدهما الآخر فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) اى لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهى للانسان عن قتل نفسه (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجابها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا (قوله يتردى) التردى هو الوقوع من موضع عال الى أسفل (قوله يتوجأ) يقال وجأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اى يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفى رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل فى معنى قتل الانسان نفسه أن لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بان تعملوا عملا ربما أدى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعنى انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل انه تعالى أمر بنى اسرائيل بقتل أنفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعنى ماسبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى آية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من أول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعنى يتجاوز الحد فيضع الشئ فى غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون أخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا) أى ندخله فى الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أى هينا لانه تعالى قادر على ما يريد * قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اجتناب الشئ المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة فى الكبائر

فمن ذلك ماروى عن أبي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخرجاه في الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور أو قال شهادة الزور (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أبا الرجل وأمه فيسب اباه وأمه وفي رواية من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعمائة أقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام أو جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال علي بن أبي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي منادمن بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيآت ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيآت الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيآت مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباه ذلك (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دونه فهو من السيآت فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر

نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضي الله عنهما الكبائر كل ما نهى الله عنه من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وعنه ايضا الكبائر ثلاث الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد بها انواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر

(وندخلكم مدخلا) مدخلا مدنى وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفران يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالآية ٣٨٢ على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل

بالحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد فى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية مالم تغش الكبائر وزاد فى رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه * قوله عز وجل (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أصل التمنى ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وأكثر التمنى تصور مالا حقيقة له وقيل التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء فى الحسنات فى الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن فى الميراث وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمنى على قسمين أحدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد فى نفسه انه أحق بتلك النعمة من ذلك الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثانى ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين او الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدرى لعل هلاكك فى ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطنى ما يكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعنى مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب فى الاجر يعنى ان الرجال والنساء فى الاجر فى الآخرة سواء لان الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوى فى ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال فى الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعنى من طاعة الازواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعنى من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل

لان الكبائر والصغائر فى مشيئته تعالى سواء ان شاء عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيآت فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوز ان يذهبا بالحسنات لان لفظ السيآت ينطلق عليهما ولما كان اخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق يتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغى لكل من بسط فى الرزق او قبض فعلى كل واحد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك الشئ له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل ما للغير وهو مرخص فيه لم والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجو ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث (واسألوا الله من فضله) فان خزائنه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل

لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيأ فى الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء ان يكن رجالا وان يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن ان يسألوه من فضله فانه أعلم بمصالح عباده (ان الله كان بكل شئ عليما) يعنى انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل فى الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذى قدر له قوله تعالى (ولكل) يعنى من الرجال والنساء (جعلنا موالى) يعنى ورثة من بنى عم واخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعنى يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالى اى ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعنى من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الاول أصح لانه مروى عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم او اليد أو هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل فى الجاهلية ويعاقده فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وارثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس فى مال الآخر وكان الحكم ثابتا فى الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعنى اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبنى بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعنى من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق عن داود ابن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة فى حجر ابى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت أيمانكم انما نزلت فى ابى بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما أسلم امره الله ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم وقوله تعالى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين * قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) نزلت فى سعد ابن الربيع وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة

والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك

(بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل ٣٨٤ والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند ابى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا من أموالهم) وبان نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول (فالصالحات قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة اى اذ كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن مايجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين وصى بهن الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثانى (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضى الله عنهما هو ان تستخف بحقوق زوجها ولا يتطيع أمره (فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد اى لاتداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع او هو أن يوليها ظهره فى المضجع لانه لم يقل عن المضاجع ينزعن

وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمتى فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتانى فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اردنا امرا وارادالله أمرا والذى ارادالله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها فى طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بامر المرأة ويجتهد فى حفظها ولما أثبت القيام للرجال على النساء بين السبب فى ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعنى ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب فى الميراث والتعصيب فى الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) يعنى وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها اخرجه الترمذى (فالصالحات) يعنى المحسنات العاملات بالخير (قانتات) اى مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن فى غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذى هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله ومايجب على المرأة من حفظ متاع البيت فى غيبة زوجها عن ابى هريرة قال قيل يارسول الله اى النساء خير قال التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره أخرجه النسائى ورواه البغوى بسند الثعلبى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعنى بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما فى الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء وقيل فى معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان (واللاتى تخافون) اى تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) اى شرورهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى امره اذا أمرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه اولم تجبه اذا دعاها اولم تبادر الى امره اذا أمرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن) يعنى اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو أن يقول لها اتقى الله وخافيه فان لى عليك حقا وارجعى عما انت عليه واعلمى ان طاعتى فرض عليك ونحو ذلك فان أصرت على ذلك هجرها فى المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن فى المضاجع) يعنى ان لم

ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره فى الفراش ولا يكلمها وقيل هو أن يعتزل منها الى فراش آخر (واضربوهن) يعنى ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن قيل هو أن يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعى الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر فى الحديث قصة فقال ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذى بزيادة فيه (قوله عوان) جمع عانية اى اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق وقوله (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اى لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا يضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت اخرجه ابو داود (قوله ولا تقبح) اى لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها اوقال يضاجعها من آخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابى ذئاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زئرت النساء على ازواجهن فرخص فى ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس أولئك بخياركم اخرجه ابو داود * اياس بن عبد الله هذا قد اختلف فى صحبته وقال البخارى لا يعرف له صحبة (قوله زئرت) يقال زئرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشئ احاط به ففى هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها للتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغى أن يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بما بلغ شئ اولى فى هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان أبت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل ان له أن يعظها عند خوف النشوز وهل له أن يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز أن يعظها وأن يهجرها او يضربها عن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجه ابو داود (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفى رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى أخرى حتى ترجع عن طلق بن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور أخرجه الترمذى وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك الينا وله عن أم سلمة قالت قال

(واضربوهن) ضربا غير مبرح امر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران (فان أطعنكم) بترك النشوز (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر أى طلبته

الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجنى عليكم اذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله (وان خفتم شقاق بينهما) اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر فى الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه او يميل الى شق اى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكما من اهله) رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما (وحكما من اهلها) وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير فى (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة يورث فى وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق والقى فى نفوسهما المودة

اقراره

رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امراة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان أطعنكم يعنى فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعنى فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه أزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلى فى صفة الله تعالى معناه الرفيع الذى يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلى بالاطلاق الذى يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذى يصغر كل احد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال من أن يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله على كبير قادر على أن ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصى اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى بكم أن تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم قوله تعالى (وان خفتم) يعنى وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اى ظننتم (شقاق بينهما) يعنى بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو أن يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدى الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا وقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) اختلفوا فى المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحى الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب أن يكون امرا لآحاد الامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد أن يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها (ان يريدا اصلاحا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعى بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما عليكما ان رايتما أن تجمعا جمعتما وان رايتما أن تفرقا فرقتما فقالت المراة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال على كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعى والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى أن يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب وأشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته فى الاقامة على النكاح او فى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق او طلاق او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما فى ذلك مثل أن يطلق حكم الرجل او يفتدى حكم المراة بشئ من مالها فللشافعى فى ذلك قولان احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج أن يطلق الا باذنه ولا لحكم المراة أن يختلع بشئ من مالها الا باذنها وهو مذهب ابى حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال أما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على

اقراره ورضاها ومعنى قول على للزوج كذبت اى لست بمنصف فى دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثانى انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة أن يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فى ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما فى كتاب الله تعالى فقال الرجل أما الفرقة فلا يعنى ليست الفرقة فى كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت أن تكون الفرقة فى كتاب الله بل هى فى كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حاليهما فى الوصلة وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعنى ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عز وجل (واعبدوا الله) يعنى وحدوه وأطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتى به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولا تشركوا به شيأ) يعنى وأخلصوا له فى العبادة ولا تجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او أراد بعمله غير الله فقد أشرك به ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير او اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا (قوله هل تدرى ما حق الله على عباده) معناه ما يستحقه مما أوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيأ ويجوز أن يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب اى متأكد قيامى به وقوله افلا أبشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى أن لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة وقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعنى برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو أن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم ابوك وفى رواية قال أمك ثم أمك ثم اباك ثم ادناك فادناك (قوله ثم اباك) فيه حذف تقديره ثم بر أباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو احدهما ثم لم يدخل الجنة قوله تعالى (وبذى القربى) أى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذو رحمه من قبل أبيه وامه (ق) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه (قوله ينسأ له فى أثره) يعنى يؤخر له فى أجله وعمره وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) أى واحسنوا الى اليتامى وانما أمر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق)

والاتفاق أو الضمير ان للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد او الضمير ان للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة (ان الله كان عليما) بارادة الحكمين (خبيرا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله (واعبدوا الله) قبل العبودية اربعة الوفاء بالمعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولا تشركوا به شيأ) صنما وغيره ويحتمل المصدر اى اشراكا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ او عم او غيرهما (واليتامى والمساكين

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى (والجار ذي القربى والجار الجنب) اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان لي جارين فالى أيهما اهدي قال الى اقربهما بابا منك (م) عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو أن تهدي اليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشيء الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك * عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى (وابن السبيل) يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن أبي شريح خويلد ابن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقريه به (قوله جائزته يومه وليلته) الجائزة العطية أي يقرى الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو أن يكرم الضيف فاذا سافر أعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر وقوله أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه أي يوقعه في الاثم لانه اذا أقام عنده ولم يقره اثم بذلك وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) يعني المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم أن لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وأن يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية * عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة أخرجه الترمذي * عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت اباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك

والجار ذي القربى) الذي قرب جواره (والجار الجنب) اي الذي جواره بعيد أو الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي (والصاحب بالجنب) اي الزوجة عن علي رضي الله عنه او الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر او شريكا في تعلم علم أو غيره او قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد (وابن السبيل) الغريب او الضيف (وما ملكت ايمانكم) العبيد والاماء

(ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم (فخورا) يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا (الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى ٣٨٩ من أو على الذم او رفع على انه خبر

جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذى يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذى يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من أقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوى بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال فى مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء فى الفدادين من أهل الوبر والسكينة فى أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما * قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت فى اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت فى كردم بن زيد وحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن نافع ويحيى بن عمر وكانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل فى كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفى الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعنى اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال (وأعتدنا للكافرين) يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعنى فى الآخرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) يعنى للفخار والسمعة وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه نزلت هذه الآية فى اليهود وقيل فى المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين أموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعنى ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال أنه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس

مبتدا محذوف تقديره هم الذين يبخلون (ويأمرون الناس بالبخل) بالبخل حمزة وعلى وهما لغتان كالرشد والرشد اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل والجود ان يؤكل ولا يأكل (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ما انعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفى الحديث اذا انعم الله على عبده نعمة احب أن يرى نعمته على عبده * وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فتم به فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه قيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) اى يهانون به فى الآخرة (والذين ينفقون اموالهم) معطوف على الذين يبخلون او على الكافرين (رئاء الناس) مفعول له اى للفخار وليقال ما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار

الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا فى الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم فى النار يقرن مع كل كافر شيطان فى سلسلة من النار ثم يوبخهم الله تعالى ويعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعنى وأى شئ عليهم وأى وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى أى وبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعنى لا يخفى عليه شئ من أعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعنى وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذى يكون فى الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم أحدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شئ يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعنى الحسنة بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقى له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى أجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتى على سيآتى بمثقال ذرة أحب الى من الدنيا ومافيها (م) عن انس بن مالك فى قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها * عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذى (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن احد منكم باشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار وفى رواية فما أنتم باشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا فى اخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا مابقى فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله

(وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) وأى تبعة ووبال عليهم فى الايمان والانفاق فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والافعل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للعاق ماضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ (وكان الله بهم عليما) وعيد (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) هى النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة (وان تك حسنة) وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة حجازى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) يضاعف ثوابها يضعفها مكى وشامى

لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا اى شئ أفضل من هذا فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم و يدل عليه ما روى عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى منادمن عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون و يؤتى بالعبد و ينادى منادعلى رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول اى رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكته انظروا في أعماله الصالحات فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك أعطينا كل ذي حق حقه و بقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما اى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته و بقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها و يضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة (و يؤت من لدنه) يعنى من عنده (أجرا عظيما) يعنى الجنة والمعنى و يعط من عنده أجرا عظيما يعنى عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال انى أحب ان أسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك أحد رواته وقوله تعالى (يومئذ) يعنى يوم القيامة (يود) اى يتمنى (الذين كفروا) يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعنى فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعنى لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا ان لن يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند

وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) اى امتك (شهيدا) حال اى شاهدا على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (يومئذ) ظرف لقوله (يود الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء او تصير البهائم ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء و تخفيف السين والامالة وحذف احدى التاءين من تتسوى حمزة

وعلى تسوى بادغام التاء في السين مدنى وشامى

طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا احدهم ليصلى بهم المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزل (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) اى لا تقربوها فى هذه الحالة (حتى تعلموا ما تقولون) اى تقرؤن وفيه دليل على ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما امر النبى عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الايمان ولان الامة اجتمعت على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (ولا جنبا) عطف على وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا اى ولا تصلوا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجتناب (الا عابرى سبيل) صفة لقوله جنبا اى لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين

ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس فى رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا فى الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال انى أجد فى القرآن أشياء تختلف على قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفى موطن لا يتساءلون وفى موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فاموهم على فى المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فعلى هذا ففى المراد بالصلاة قولان أحدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثانى ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز * واعلم ان هذا النهى عن قربان الصلاة فى حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها فى غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعنى لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى (ولا جنبا) يعنى ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجتناب واصل الجنابة البعد سمى الذى أصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الا عابرى سبيل) العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء فى معنى قوله الا عابرى سبيل على قولين أحدهما ان المراد بالعبور هو

العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه اولدخول فيه مثل ان يكون قد نام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون الماء فى المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراسانى والنخعى والزهرى واليه ذهب الشافعى وأحمد القول الثانى ان المراد من قوله الا عابرى سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون فى سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلى الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابرى السبيل المسافرين منع الجنب من العبور فى المسجد وهو مذهب أبى حنيفة وصحح ابن جرير الطبرى والواحدى القول الاول ويدل على صحته وجهان أحدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شئ الوجه الثانى ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد فى الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال

(حتى تغتسلوا) الا ان تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب ابى حنيفة رحمه الله وهو مروى عن على رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله لا تقربوا الصلاة اى مواضع الصلاة وهى المساجد ولا جنبا اى ولا تقربوا المسجد جنبا الا عابرى سبيل الا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور فى المسجد عند الحاجة

(فصل فى أحكام تتعلق بالآية) اختلف العلماء فى العبور فى المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأى وقال قوم يتيمم للعبور فى المسجد واختلف العلماء فى المكث فى المسجد أيضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث فى المسجد بحال لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة فى المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء ان تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز احمد المكث فى المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزنى من أصحاب الشافعى وأجاب أحمد عن حديث عائشة بانه فى روايته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون فى المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور فى سننه واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن أم سلمة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض اخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا ما روى عن على بن ابى طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شئ ليس الجنابة اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح *عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيأ اخرجه الدارقطنى ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المنى وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة فى الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمرأة

ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابوداود والترمذى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد فى رواية وان لم ينزل وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض واراد به المرض الذى يضر معه امساس الماء مثل الجدرى واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف اوزيادة الوجع فانه يتيمم ويصلى مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح فى الوجه واليدين لما روى عن جابر قال خرجنا فى سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل تجدون لى رخصة فى التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العى السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر اوقال يعصب شك الراوى على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده اخرجه ابوداود والدارقطنى ولم يجوز اصحاب الرأى الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان أكثر اعضائه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم قوله تعالى (اوعلى سفر) يعنى اوكنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلى ولا اعادة عليه لما روى عن أبى ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر ابدو فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبنى الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوذر فسكت فقال ثكلتك امك يا أباذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتنى بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكانى ألقيت عنى جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه أبوداود والعس قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء فى موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلى ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعى وقال مالك والاوزاعى لا اعادة عليه وقال ابوحنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء وقوله تعالى (اوجاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعنى مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشئ باسم مكانه وقوله تعالى (اولامستم النساء) قرئ هنا وفى سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء فى معنى الملامسة على قولين أحدهما انه الجماع وهو قول على وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيى كريم يكنى عن الجماع بالملامسة والقول الثانى ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة فى اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من قرأ أولامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة أيضا على الاطلاق لانه قد ورد فى الحديث النهى عن بيع الملامسة قال أبو عبيدة فى معناها هى ان يقول اذا لمست ثوبك او لمست ثوبى فقد وجب البيع فالملامسة فى الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة فى غير المجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

(فصل فى أحكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* *اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهرى

(وان كنتم مرضى اوعلى سفر اوجاء أحد منكم من الغائط) اى المطمئن من الارض وكانوا ياتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث (اولامستم النساء) جامعتموهن كذا عن على رضى الله عنه وابن عباس

والاوزاعى

والاوزاعى والشافعى لما روى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته او جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك فى الموطا قال الشافعى وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هى الا أنت فضحكت أخرجه ابو داود وأجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذى انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقى يعرف بعروة المزنى وانما المحفوظ عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه فى الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حائل * (المسئلة الثانية) * اختلف قول الشافعى فى لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثانى انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعى التردد بين التعلق بعموم الآية فى قوله اولامستم النساء او النظر الى المعنى فى النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لا فعل منه فى المباشرة رجلا كان او امرأة واللامس هو الفاعل اللمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثانى انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدى على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة او سنها او ظفرها فلا وضوء عليه * (المسئلة الثالثة فى الحدث) * وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ او يتيمم عند عدم الماء لما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء او ضراط أخرجاه فى الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقىء ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى لما روى عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطنى وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى واحمد واسحق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روى عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان

فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه أخرجه الترمذى وقال هو أصح شئ فى هذا الباب * (المسئلة الرابعة) * من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغماء او نوم لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه و يستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض و يدل على ذلك ما روى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن أخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابى هريرة وعائشة و به قال الحسن واسحق والمزنى وذهب قوم الى انه لو نام قائما او قاعدا او ساجدا وهو فى الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع و به قال سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى لما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث * (المسئلة الخامسة) * من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وأبى هريرة وعائشة و به قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والبه ذهب الاوزاعى والشافعى وأحمد واسحق غير ان الشافعى قال ينتقض الوضوء اذا لمس ببطن الكف والرجل والمرأة فى ذلك سواء و يدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح ولابى داود والنسائى نحوه * وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابو زرعة * وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول على وابن مسعود وابى الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن والبه ذهب الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى واحتجوا بما روى عن طلق بن على قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوى فقال يا نبى الله ما ترى فى مس الرجل ذكره بعد ما توضأ قال هل هو الا مضغة او قال بضعة منه اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى نحوه بمعناه واجاب من اوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن على بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى أول الهجرة وهو يبنى المسجد وابو هريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابى هريرة ناسخا لحديث طلق بن على وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند اهل الحديث وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة و يدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لى فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابى بكر الصديق فقالوا ألا ترى الى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبنى ابو بكر وقال

(فلم تجدوا ماء) فلم تقدروا على استعماله لعدمه او بعده او فقد آلة الوصول اليه او المانع من حية او سبع او عدو (فتيمموا) ادخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة والجزاء الذى هو الامر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والمسافرون اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة اذا لم يجدوه لبعض الاسباب فلهم ان يتيمموا لمستم حمزة وعلى (صعيدا) قال الزجاج هو وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طيبا) طاهرا

ماشاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو أحد النقباء ماهى باول بركتكم يا آل ابى بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه فى الصحيحين * قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهى بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اى اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ما قبله والمعنى اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعنى فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مأمور بالتطهر بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعى اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعى قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد فى كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أصل التيمم فى اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو فى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا فى الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التى ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التى لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد فى قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالى اكان فى الموضع تراب أو لا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعى فى تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار فاما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذى خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعى فى تفسير الصعيد وهو القدوة فى اللغة وقوله فى ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وابو عبيد فى انه التراب وجميع الاقوال فى الصعيد صحيحة فى اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس فى قوله صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعى الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذى ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت ليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى فى سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك فى الصخر الذى لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك فى الصخر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ارضا فوجب أن يكون هذا القدر كافيا وأجيب عنه بما تقدم من الدليل فى قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روى عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة فى تخصيص التراب والمفسر

يقضى على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ماهو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ماتصاعد على الارض وأجيب عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الوجه الممسوح فى التيمم هو المحدود فى الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك أن يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعر ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ماروى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقى ولم يضعفه وروى الشافعى عن ابراهيم بن محمد عن ابى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد على حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد على هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج فى الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابى جهيم بن الحرث فقال ابو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابى داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر فى حاجة الى ابن عباس فلما أن قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل فى سكة من سكك المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط او بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل أن يتوارى فى السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعنى أن أرد عليك الا اننى لم أكن على طهر وفى رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا أجود ما فى هذا الباب فان البيهقى أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعنى مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح مالم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبى صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهرى الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ماروى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بايديهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول على وابن عباس وبه قال الشعبى وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعى ومالك واحمد واسحق وداود الظاهرى واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة فاجنبت فلم أجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفى رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه فى الصحيحين وجملة ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع فى حد السرقة وقال ابو اسحق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح فى التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع فى حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح فى التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح فى التيمم الى

(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) قيل الباء زائدة

المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة فى الوضوء هى الممسوحة فى التيمم فيحمل المطلق الذى فى قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذى فى قوله تعالى فى آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) وأركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثانى قصد الصعيد فلو تعرض لهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح والكمله ان ينوى استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتى فرض بتيمم واحد وهو قول على وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبى والنخعى وقتادة واليه ذهب مالك والشافعى وأحمد واسحق وذهب جماعة الى أن التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلى به ما شاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهرى والثورى وأصحاب الرأى واتفقوا على انه يجوز ان يصلى بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء فى السفر بان يطلبه فى رحله وعند رفقائه وان كان فى صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا من طلب ولا يشترط طلب عند ابى حنيفة فان راى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الماء فى بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلى ولا اعادة عليه والله أعلم وقوله تعالى (ان الله كان عفوا) يعنى يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته أن يغفر الذنوب ويعفو عنها كان أولى بان يرخص للعاجزين أمر العبادة * قوله عز وجل (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت فى يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فانزل الله تعالى الم تر يعنى الم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى أعطوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التى هى للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعنى يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعنى يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعنى اليهود (ان تضلوا السبيل) يعنى عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكى يجتنبوا الاسلام (والله اعلم باعدائكم) يعنى انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما فى قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعنى متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره احد (وكفى بالله نصيرا) يعنى فهو ينصركم عليهم فتقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) اى يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعنى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال

علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل (ويريدون ان تضلوا) انتم ايها المؤمنون (السبيل) اى سبيل الحق كما ضلوه (والله أعلم) منكم (باعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم (وكفى بالله وليا) فى النفع (وكفى بالله نصيرا) فى الدفع فتقوا بولايته ونصرته دونهم اولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم وولايا ونصيرا منصوبان على التمييز او على الحال (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او يتعلق بقوله نصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا او يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدا ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته وهو (يحرفون الكلم عن مواضعه)

يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أماله عن مواضعه في التوراة التي وضعه الله تعالى فيها وازالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم اسم ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكرهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه فعنى عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) امرك قيل اسر وابه (واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ٤٠٠ ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه

ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعنى سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بامر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترضيه (وراعنا) أى ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بالسنتهم وطعنا في الدين) أصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعنى ولو أنهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعنى بدل قولهم لا سمعت (وانظرنا) يعنى بدل قولهم راعنا اى انظر الينا (لكان خيرا لهم) يعنى عند الله (وأقوم) يعنى أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله) يعنى طردهم وأبعدهم عن رحمته (بكفرهم) يعنى بجحد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وأمرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) أصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين أحدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس

لم يسمع شيأ فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك تسمع شيأ او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله (وراعنا) يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (وطعنا في الدين) هو قولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقده فيه (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا) ولم يقولوا وعصينا (واسمع) ولم يقولوا به غير مسمع (وانظرنا) مكان راعنا (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) عند الله (وأقوم) واعدل واسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وابعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام واصحابه او الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا انزل (يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) اى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم

يجعلها

(فنردها على ادبارها) فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة ممثلها والقاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم تعودوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فنعكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم (او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) اى نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان اريد الوجهاء او الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة ٤٠١ الالتفات والوعيد كان معلقا بان

يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردها على أدبارها) يعنى نجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة وأما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعنى على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعنى بتغيير أحوالهم فنقلبهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة ورددهم الى أذرعات واريحا من أرض الشام من حيث جاؤا وهو اجلاء بنى النضير فان قلت قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتى أهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى ان اصل اليك حتى يحول وجهى الى قفاى وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية فى خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يا رب أسلمت مخافة أن يصيبنى وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه فقات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق فى اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس أو باللعنة وهو قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أى نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية فى نلعنهم تعود الى المخاطبين فى قوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فنجعل الكناية فى قوله أو نلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذا كان فى الكلام دلالة عليهم وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعنى لابد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى أنه لا يمتنع عليه شئ يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا فى موضع المأمور سمى أمرا لانه عن أمره كان * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبرى معناه يا ايها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على أن اليهودى يسمى مشركا فى عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت فى وحشى وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضى الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه

لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان يأتى أهله وقال ما كنت أرى ان اصل الى اهلى قبل ان يطمس الله وجهى ولان الله تعالى أوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس تبدل احوال رؤسائهم فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود (وكان أمر الله) أى المأمور به وهو العذاب الذى اوعدوا به (مفعولا) كائنا لا محالة فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ان مات عليه (ويغفر مادون ذلك) اى مادون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران

مادونه لمن لم يتب اى لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبى عليه السلام من لقى الله تعالى لا يشرك به شيأ دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله (لمن يشاء) لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال على رضى الله عنه ما فى القرآن آية احب الى من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة والآية سبقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا

فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله وزنينا فلو لا هذه الآيات لا تبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعنى و يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام ففى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز فى الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو فى النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس انى لا رجوله كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن على بن ابى طالب قال ما فى القرآن أحب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعنى يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) اى اختلق (اثما عظيما) يعنى ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) نزلت فى رجال من اليهود أتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم ان يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهى صفة فى الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء و يدخل فى هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل او بزيادة الطاعة والتقوى او بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤا انفسهم

(ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (ألم تر الى الذين يزكون انفسهم) و يدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى

من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكى من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعنى ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيأ والفتيل المفتول وسمى ما يكون فى شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ وغيره و يضرب به المثل فى الشئ الحقير الذى لا قيمة له (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعنى قولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم (وكفى به) اى بذلك الكذب (اثما مبينا) * قوله عز و جل (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم و ينقضوا العهد الذى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابى سفيان فاحسن مثواه ونزل باقى اليهود على قريش فى دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان اردتم أن نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا اهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك المعانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر يعنى يا محمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها و يكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هى زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا اخذات اليمين مضى فى حاجته واذا اخذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغى الانسان وقيل الجبت هو حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (و يقولون) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (للذين كفروا) يعنى لكفار قريش (هؤلاء) يعنى انتم يا هؤلاء (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى طريقا (أولئك الذين لعنهم الله) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (ومن يلعن الله) يعنى يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا) يعنى ينصره قوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شئ البتة

ز كاتهم ولا ينقص من ثوابهم (فتيلا) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الاصابع من الوسخ (انظر كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم عند الله أزكياء (وكفى به) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى اليهود (يؤمنون بالجبت) اى الاصنام وكل ما عبد دون الله من دون الله (والطاغوت) الشيطان (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وذلك ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم اهل الكتاب وأنتم الى محمد اقرب منا وهو أقرب منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال ابو سفيان أنحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب انتم اهدى سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله) ابعدهم من رحمته (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم و يتمنون مال غيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) فام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار أن يكون لهم نصيب من الملك

(فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) اى لو كان لهم نصيب من الملك اى ملك اهل الدنيا او ملك الله فاذن لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) اى التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما اوتى اسلافه (فمنهم من آمن به) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وانكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته واعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) للصادين (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا كلما نضجت جلودهم) احرقت (بدلناهم جلودا غيرها) اعدنا تلك الجلود غير محترقة

وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشئ الحقير التافه الذى لا قيمة له قوله عز وجل (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) اصل الحسد تمنى زوال النعمة عن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى فى زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهى الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله فى جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعنى انه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فاكذبهم الله تعالى وردعليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعنى انه قد حصل فى اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم فى حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان الف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا فى حقهم ولا نقصا فى نبوتهم فلا يكون مستبعدا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا فى نبوته (فمنهم) يعنى من اليهود (من آمن به) اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه كعبد الله بن سلام واصحابه (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعنى وكفى فى عذاب من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولى محمد من آياتى الدالة على توحيدى وصدق رسولى محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اى ندخلهم نارا تشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعنى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعنى غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين الف مرة (ق) عن أبى هريرة يرفعه ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن فى الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول فى كل مرة وانما قال جلودا غيرها التبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمى خاتما غيره فالثانى هو الاول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهى النفس التى عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر فى كل ساعة من

الجلود مالا يحصى لتحترق ويصل ألمها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفى فنائها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد أحد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من جسمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا الا تألم لتكون زيادة فى عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) اى انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وانما أتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا بان احساسهم به فى كل حال كاحساس الذائق فى تجديد وجدان الذوق من غير نقصان فى الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه أحد (حكيما) يعنى فى تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعنى سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) يعنى باقين فيها (أبدا) يعنى ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعنى فى الجنات (أزواج مطهرة) يعنى مطهرات من الحيض والنفاس وسائر أقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعنى كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس يؤذى حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * قوله عز وجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) قال البغوى نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى على بن أبى طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت ثم جئت ترفق فقال على لقد أنزل الله عز وجل فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوى رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم أمنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة فى هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشى فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعنى انهم وجوه أهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبى صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بنى طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكر واسؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف أسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزى فى تفسير هذه الآية من رواية ابى صالح عن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابى انت وامى اجمعه لى مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان

فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله اى أدامك على عزك (ان الله كان عزيزا) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) فيما يفعل بالكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) من الانجاس والحيض والنفاس (وندخلهم ظلا ظليلا) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان طويلا فينا لا جوب فيه وداثما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل بقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقيل قد دخل فى هذا الاداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الانسان وحفظ الحواس التى هى ودائع الله تعالى

يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال ها كه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يأمركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من أمور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شئ حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضها عن المحارم وأمانة السمع ان لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الى أربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك أيضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التي أمر الله عز وجل بادائها الى أهلها وروى البغوي بسنده عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعني وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) اي نعم الشئ الذي يعظكم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعني انه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا أديتم الامانة فهو يبصر فعلكم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم الآية قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله

(واذا حكمتم بين الناس) بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة ابن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضي الله عنه بان يرده اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان أبدا (ان الله نعما يعظكم به) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كانه قيل نعم شيأ يعظكم به او موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها اي نعم الشئ الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون العين مدني وأبو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي (ان الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) باعمالكم ولما امر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل أمر الناس بان يطيعوهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم) اي الولاة او العلماء لان أمرهم ينفذ على الامراء

عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد أسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار انى قد أمنته وقد أسلم فقال خالد أتجير على وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على أمير فانزل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء فى اولى الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولى الامر منكم يعنى وأطيعوا اولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس أيضا قال على بن أبى طالب حق على الامام ان يحكم بما أنزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب او كره الا ان يؤمر بمعصية الله فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد باولى الامر ابا بكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر أخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن عن انس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ) يعنى اختلفتم فى شئ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء واصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (وأحسن تأويلا)

اى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) اى ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابى حازم الستم أمرتم بطاعتنا بقوله واولى الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله اى القرآن والرسول فى حياته والى أحاديثه بعد وفاته (ذلك) اشارة الى الرد اى الرد الى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشى ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ليرشو فاحتكما الى النبى عليه السلام فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق

يعنى وأحمد عاقبة وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له وأعظم أجرا * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به) قال ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى نتطلق الى محمد وقال المنافق بل نتطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمنى اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به او أخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة فى الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم نتطلق الى أبى بردة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون من الفريقين بل نتطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى أبى بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أطعموا اللقمة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتى فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آية القصاص وأنزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاى وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذى لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به فى هذه الآية الكذب لان الآية نازلة فى المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة فى الذين نافقوا من مؤمنى أهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعنى كعب بن الاشرف فى قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو بردة الكاهن فى قول السدى وقد أمروا ان يكفروا به يعنى بالطاغوت لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل (ويريد الشيطان ان يضلهم) يعنى عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعنى للمنافقين (تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعنى هلموا الى حكم الله الذى أنزله فى كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعنى يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واى اعراض وانما أعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا * قوله عز وجل (فكيف اذا أصابتهم مصيبة) يعنى فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت أيديهم) يعنى تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هى قتل

فقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل (الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق (يريدون) حال من الضمير فى يزعمون (ان يتحاكموا الى الطاغوت) اى كعب ابن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام او على التشبيه بالشيطان او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم) عن الحق (ضلالا بعيدا) مستمرا الى الموت (واذا قيل لهم) للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) للتحاكم (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم (فكيف) تكون حالهم وكيف يصنعون (اذا أصابتهم مصيبة) من قتل عمر بشرا (بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك فى الحكم

(ثم جاؤك) اى اصحاب القتيل من المنافقين (يحلفون بالله) حال (ان أردنا) ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى ٤٠٩ عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة

عمر لذلك المنافق وقيل هى كل مصيبة تصيب المنافقين فى الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعنى المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يحلفون بالله ان أردنا) اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) يعنى فى التحاكم الى غيرك لا اساءة (وتوفيقا) يعنى بين الخصمين لا مخالفة لك فى حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذى قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا فى حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) يعنى من النفاق (فاعرض عنهم) يعنى عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعنى باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) يعنى بليغا يؤثر فى قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان أظهرتم ما فى قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ فى نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم فى الملا وقل لهم فى أنفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اى اغلظ لهم فى القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها فى السر انجح وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء فى حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم فى أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق اوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ فى الآية ان يكون حسن الالفاظ حسن المعانى مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه فى القلوب وأثر فى النفوس قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا (الا ليطاع باذن الله) يعنى بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن فى ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه اى طاعته تكون باذن الله لانه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم) يعنى الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعنى جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متصلين عما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعنى من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعنى من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة (لوجدوا الله توابا رحيما) يعنى لو

(٥٢ (خازن) ل) (جاؤك) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفر لهم الرسول) بالشفاعة لهم والعامل فى اذ ظلموا خبران وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا اى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشانه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيما) بهم قيل جاء اعرابى بعد دفنه عليه السلام

العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق (فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا) فاعرض عن قبول الاعذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار او اعرض عن عقابهم وعظهم فى عقابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة ان يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه وفى انفسهم يتعلق بقل لهم اى قل لهم فى معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما ارسلنا من رسول) اى رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بتوفيقه فى طاعته وتيسيره او بسبب اذن الله فى طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت

فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله ٤١٠ من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك (فلا وربك) اى فوربك كقوله

فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) او التقدير فلا اى ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) اى لا تضيق صدورهم من حكمك اوشكا لان الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اى جعلها سالمة له اى خالصة وتسليما مصدره مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقياد الاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو انا كتبنا عليهم) على المنافقين اى ولو وقع كتبنا عليهم (ان اقتلوا) ان هي المفسرة (انفسكم) اى تعرضوا للقتل بالجهاد او ولو أوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم (او اخرجوا من دياركم) بالهجرة (ما فعلوه) لنفاقهم والهاء ضمير احد مصدري الفعلين وهو القتل او الخروج او ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (الا قليل منهم) قليلا شامي على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه

أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم * قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن أبيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير رأيا اى اراد سعة له وللانصاري فلما أحفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا في ذلك (قوله في شراج الحرة) الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير وقوله فلما أحفظ اى اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني أصل الجدار وقوله فاستوعى له اى استوفى له حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه أقرب الى فم الوادي فهو أولى بأول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك لزم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وجعل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروى انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه فقطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي الذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت) يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء من أمرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك * قوله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم) اى فرضنا واوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) يعني كما كتبنا على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت ابن

ابن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتى لرجالا الايمان فى قلوبهم اثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الاقليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى ان ما كتبنا عليهم الاطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) يعنى ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعنى فى الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (وأشد تثبيتا) يعنى تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة * قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم انى اذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا اراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله فى الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى فى أداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول اى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبدخول الجنة فى الآخرة (من النبيين) يعنى ان المطيعين مع النبيين فى الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء فى الجنة ومجالستهم لانهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان ذلك يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الآية أفاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى بكر فانه هو الذى سمى بالصديق من هذه الامة وهو أفضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وعلانيته فى الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله فى سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن اولئك) يعنى المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولئك (رفيقا) يعنى فى الجنة والرفيق

(ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لكان خيرا لهم) فى الدارين (واشد تثبيتا) لايمانهم وابعد عن الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) اى ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) اى لثبتناهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين) كافاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة اوالذى يصدق قوله بفعله (والشهداء) والذين استشهدوا فى سبيل الله (والصالحين) ومن صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم (وحسن اولئك رفيقا) اى وما احسن اولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه

(ذلك) مبتدا خبره (الفضل من الله) او الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى ان ما اعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم اوارادان فضل المنعم عليهم ومرتبتهم من الله (وكفى بالله عليما) بعباده وبمن هو اهل الفضل ودلت الآية على ان ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فانفروا ثبات) ٤١٢ فاخرجوا الى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة (او انفروا جميعا) اى مجتمعين او مع النبى عليه السلام لان الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم او انفروا ثبات اذا لم يعم النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا واللام فى (وان منكم لمن) للابتداء بمنزلتها فى ان الله لغفور ومن موصولة وفى (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن فى ليبطئن اى ليثاقلن وليتخلفن عن الجهاد و بطؤ بمعنى ابطا اى تأخر ويقال ما بطؤ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم اى فى الظاهر دون الباطن يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون انفسكم تأنوا حتى يظهر الامر (فان اصابتكم مصيبة) قتل او هزيمة (قال) المبطئ (قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبنى مثل ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) فتح او غنيمة (ليقولن) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طالبا للمثوبة (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى كانه (لم يكن) و بالتاء مكى وحفص (بينكم و بينه مودة) وهى اعتراض بين الفعل وهو ليقولن و بين مفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم مودة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن (فافوز) بالنصب لانه جواب التمنى (فوزا عظيما) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها اى ان صد الذين مرضت

الصاحب سمى رفيقا لارتفاق كل به و بصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن انس ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شئ الا انى احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشئ أشد فرحا بقول النبى صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وأرجو أن اكون معهم بحبى اياهم وان لم أعمل باعمالهم وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى أعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعنى بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقى و يحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل أن يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) اى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انفروا جميعا) يعنى او اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت فى المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان فى الجنسية والنسب واظهارهم كلمة الاسلام لا فى حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان أصابتكم مصيبة) اى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد أنعم الله على) يعنى بالقعود (اذ لم أكن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيدا) يعنى حاضر الوقعة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) اى فتح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم و بينه مودة) اى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (ياليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة التى غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) اى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله) هذا خطاب للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة) اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين

قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق و يخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) وعد الله المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله (ومالكم) مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الاثبات للانكار (لا تقاتلون في سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى واى شئ لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالعطف على سبيل الله اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين او منصوب على الاختصاص منه اى واختص من سبيل الله ٤١٣ خلاص المستضعفين من المستضعفين

الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا و يختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل) اى فيستشهد (او يغلب) يعني يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعني في كلتا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيهما (اجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة او أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر أو غنيمة لفظ مسلم * قوله عز وجل (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا أن يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمي من المستضعفين وفي رواية ابن أبي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعني وليا يلي أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعني ينصرنا و يمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان

لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم اهلها) الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى امرنا و يستنقذنا من اعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص و يستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة و بقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان بقوله

(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) اى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) اى الكفار (ان كيد الشيطان) اى وساوسه وقيل الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) لانه غرور لا يؤل الى محصول او كيده في مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار مادام وا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فنزل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) اى عن القتال (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال) اى فرض بالمدينة (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخافون ان يقاتلهم الكفار كما يخافون ان ينزل الله عليهم باسه لاشكا

في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهية لحكم الله وامره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون اى ويخشون الناس مثل خشية الله اى مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) هو معطوف على الحال اى او اشد خشية من اهل خشية الله واو للتخيير اى ان قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها أشد فانت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا أمهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو

منه

سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي وحمزة وعلي ثم اخبر ان الحذر لا ينجي من القدر بقوله (أينما تكونوا يدرككم الموت) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط في اين

عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوي * قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) يعني في طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) اى فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيده ما كاد المؤمنين به من تخويفه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد ابن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعني اذا جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعني يخافون مشركي مكة (كخشية الله او أشد خشية) او بمعنى الواو يعني واشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) يعني لم فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) اى قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعني وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) اى ولا تنقصون من أجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه وأشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع * قوله عز وجل (أينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهادا عدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي

منه شئ بقوله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) البروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هى المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله منهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعنى المنافقين واليهود حسنة اى خصب فى الثمار ورخص فى السعر يقولوا هذه من عند الله يعنى من قبل الله (وان تصبهم سيئة) اى جدب فى الثمار وغلاء فى السعر (يقولوا هذه من عندك) يعنى من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذى جلبتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) اى قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه (فمال هؤلاء القوم) اى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعنى لا يفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى (ما اصابك من حسنة) يعنى من خير ونعمة (فمن الله) يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما اصابك من سيئة) يعنى من شدة ومكروه ومشقة واذى (فمن نفسك) يعنى فمن قبل نفسك وبذنبك اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفى المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما اصابك ايها الانسان والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برىء لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبى ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصى بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال فى الطاعة والمعصية أصابنى وانما يقال أصبتها ويقال فى النعم والمحن أصابنى بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابنى خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل فى معنى الآية ما اصابك من حسنة اى النصر والظفر يوم بدر فمن الله وما اصابك من سيئة اى من قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعنى فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الآية قلت أما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى فى قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها وأما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك

(ولو كنتم فى بروج) حصون او قصور (مشيدة) مرفعة (وان تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) اضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا اصابهم خير حمدوا الله تعالى واذا أصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عند الله) والمضاف اليه محذوف اى كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) يفهمون (حديثا) فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما اصابك) يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما اصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك اى فبسبب ما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبسبب ما كسبت ايديكم

(وارسلناك للناس رسولا) لا مقدرا حتى تسبوا اليك الشدة او ارسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة (وكفى بالله شهيدا) بانك رسوله وقيل هذا متصل بالاول اى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية

عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان المرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الآية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى * قوله تعالى (وارسلناك للناس رسولا) يعني وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد اطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما أمر به ونهى عنه فقد اطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) يعني حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فحرنا بامرك طاعة اى امرنا وشاننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) اى يثبت ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فاعرض عنهم) اى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم في ضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) اى فوض امرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعني ناصرا لك عليهم * قوله عز وجل (افلا يتدبرون القرآن) اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في أدبارها ثم استعمل في كل تفكر

الحسنات من الله خلقا وايجادا فاني يكون لهم حجة في ذلك وشهيدا تمييز (من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه لا يأمر ولا ينهى الا بما امر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة لله (ومن تولى) عن الطاعة فاعرض عنه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم (ويقولون) ويقول المنافقون اذا أمرتهم بشيء (طاعة) خبر مبتدا محذوف اى امرنا وشاننا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زور وسوى فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل او من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة وابو عمرو (غير الذي تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون (والله يكتب ما يبيتون) يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فاعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام (وكفى بالله وكيلا) كافيا لمن توكل عليه (افلا يتدبرون القرآن) افلا يتأملون في معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر في ادبار الامر وما يؤول اليه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمل

والتفكر تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (ولو كان من عند غير الله) كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) اى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم او تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته او من حيث المعانى فكان بعضه اخبارا بالغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم ٤١٧ وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها

وتأمل يقال تدبرت الشئ اى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القرآن تامل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلاثة اوجه أحدها فصاحته التى عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها فى أسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين واخبارهم وما يأتى فى المستقبل من أمور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون فى القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن او الخوف أذاعوا به) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعنى المنافقين أمر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعنى القتل والهزيمة اذاعوا به اى افشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال اذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره قال الشاعر

اذاع به فى الناس حتى كانه * بعلياء نار اوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعنى الامر الذى تحدثوا به (الى الرسول) يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره (والى اولى الامر منهم) يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى اولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب وما ينبغى

(٥٣ (خازن) ل) كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما اخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعاره فيذيعونه فينشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل

لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما الماذكر في الاسى قبلها تثبيطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل في سبيل الله) ان افردوك وتركوك وحدك (لاتكلف الانفسك) غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج ومامعه الا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) اى بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع الكريم أعود من انجاز اللئيم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع شر او جلب نفع مع جواز هاشرعا (يكن له نصيب منها) من ثواب الشفاعة

لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولولا ان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعني لبقيتم على الكفر والضلالة (الاقليلا) اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لاتكلف الانفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لاتدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لاتكلف الانفسك يعني لاتكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) اى لعل الله (ان يكف باس الذين كفروا) يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان أبا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله أشد باسا) اى أعظم صولة (وأشد تنكيلا) يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره * قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصر شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم

(ومن يشفع شفاعة سيئة) هى خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضى الله عنهما ما لها مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو الماشى بالصلح وضده النميمة (يكن له كفل منها) نصيب (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من أقات على الشئ اقتدر عليه او حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها (واذا حييتم) اى سلم عليكم فان التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت ٤١٩ العرب تقول عند اللقاء حياك الله اى أطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام (بتحية) هى تفعلة من حيا يحيى تحية (فحيوا باحسن منها) اى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شئ منتهى ومنتهى السلام وبركاته (اوردوها) اى أجيبوها بمثلها ورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف اى ردوا مثلها والتسليم سنة والرد فريضة والاحسن فضل ومامن رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعند أبى يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام اوغيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن منها لاهل الملة اوردوها لاهل الذمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لاغرار فى تسليم اى لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه (ان الله كان على كل شئ حسيبا) اى يحاسبكم على كل شئ من التحية وغيرها

فيشفعهم فى جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اى حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هى النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) اى ضعف وقيل نصيب (منها) اى من وزرها (وكان الله على كل شئ مقيتا) قال ابن عباس يعنى مقتدرا او مجازيا او أقات على الشئ قدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كففت الشر عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعنى قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن ابى موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ماشاء وفى رواية كان اذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها) التحية تفعلة من حيا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة فى الدنيا او فى الآخرة والتحية ان يقال حياك الله اى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به فى الآية يعنى اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه أتم وأحسن وأكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان فى حياته سلما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (اوردوها) يعنى اوردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شئ من رد السلام بمثله او باحسن منه مجاز

(فصل فى فضل السلام والحث عليه) (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (قوله اى الاسلام خير) معناه اى خصال الاسلام خير (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن ابى امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشى السلام أخرجه ابن ماجه

(فصل فى أحكام تتعلق بالسلام) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى فى كيفية السلام)* (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله

وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه وروى ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد * (المسئلة الثانية في حكم السلام) * الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضي حسين من أصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهاره او يتأكد استحبابه اما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والامر للوجوب لان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد أحدهم أخرجه ابو داود * (المسئلة الثالثة في آداب السلام) * السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روى عن أنس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فان كن جمعا جالسات في مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روى عن اسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة أجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض * (المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها) * فمن ذلك

(الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أى ليحشرنكم اليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لاريب فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم أو صفة لمصدر محذوف اى جمعا لاريب فيه والهاء يعود الى الجمع (ومن أصدق من الله حديثا) تمييز وهو استفهام بمعنى النفى اى لا أحد أصدق منه فى اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشئ بخلاف ماهو عليه (فما لكم) مبتدأ وخبر (فى المنافقين فئتين) اى مالكم اختلفتم فى شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين ومالكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك مالك قائما قال سيبويه اذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل اى شئ يستقر لك فى هذه الحال

الذى يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط او البول ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء * (المسئلة الخامسة فى حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى) * اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى انه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودى أو نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس ان يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يا نبى الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من اهل الكتاب فقولوا عليك اى عليك ما قلت أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذى * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث (لاريب فيه) يعنى لاشك فى ذلك اليوم انه كائن (ومن أصدق من الله حديثا) يعنى لا أحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لاشك فيها ولاريب * قوله عز وجل (فما لكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم فى المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال كما ينفى الكير خبث الحديد وقيل نزلت فى قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(والله أركسهم) ردهم الى حكم الكفار (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا فى كفرهم (أتريدون ان تهدوا) ان تجعلوا من جملة المهتدين (من اضل الله) ممن جعله الله ضالا او أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تغيير المن سماهم مهتدين والآية ٤٢٢ تدل على مذهبنا فى اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهداية (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون) عطف على تكفرون (سواء) اى مستوين أنتم وهم فى الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا تتولوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة فى سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما كان حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون الى قوم) اى ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بينكم وبينهم ميثاق) القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال ابن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال اى فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق (او جاؤكم) عطف على صفة قوم اى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين اى الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض

انا على الذى فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا فى تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احدا الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق لما تكلم فى حديث الافك ومعنى الآية فما لكم يا معشر المؤمنين فى المنافقين فئتين اى صرتم فى امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد فى التباين لهم والتبرئ منهم ثم أخبر عن كفرهم بقوله (والله أركسهم) يعنى نكسهم فى كفرهم وارتدادهم ورددهم الى احكام الكفار (بما كسبوا) اى بسبب ما كتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهر وا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) هذا خطاب للفئة التى دافعت عن المنافقين والمعنى أتبتغون ايها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى (ومن يضلل الله) يعنى عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعنى فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى قوله تعالى (ودوا) يعنى تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعنى تكفرون انتم يا معشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعنى يسلموا ويهاجروا (فى سبيل الله) معكم وهى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين فى اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفى هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين اى خذوهم ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعنى اين وجدتموهم فى الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعنى فى هذه الحالة (ولا نصيرا) يعنى ينصركم على اعدائكم لانهم اعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وفى رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم (او جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين

(أن يقاتلوكم) عن ان يقاتلوكم اى عن قتالكم (او يقاتلوا قومهم) معكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنها (فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) اى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا الى القتال (ستجدون آخرين يريدون

يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم (ان يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم (او يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهو قوم هلال الاسلميون و بنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا أو لجأ الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم فى هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر أن لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام او القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعنى فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) و يقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (وألقوا اليكم السلم) يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة * قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا من حاضرى المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفى رواية أخرى عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون ان يأمنوكم) يعنى يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (و يأمنوا قومهم) يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعنى كلما دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعنى فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسير والى مكة (و يلقوا اليكم السلم و يكفوا أيديهم) اى ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعنى اسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعنى حيث ادركتموهم (واولئكم) يعنى اهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى أطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابى جهل ابنى هشام وهما اخوا عياش بن ابى ربيعة لامه والله لا يظلنى سقف ولا

(فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) اى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا الى القتال (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم) بالنفاق (و يأمنوا قومهم) بالوفاق هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا اشر افيها من كل عدو (فان لم يعتزلوكم) فان لم يعتزلوا قتالكم (و يلقوا اليكم السلم) عطف على لم يعتزلوكم اى وان لم ينقادوا لكم بطلب الصلح (و يكفوا ايديهم) عطف عليه أيضا اى ولم يمسكوا عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمنا) ابتداء من غير قصاص اى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم اباحة دمه (الا خطأ) الا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن اى لكن ان وقع خطأ و يحتمل ان يكون صفة لمصدر اى الا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مسلما او يرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم

(ومن قتل مؤمنا خطأ) صفة مصدر محذوف اى قتلا خطأ (فتحرير رقبة) مبتدأ والخبر محذوف اى فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مؤمنة) قيل لما اخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما أو من كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من تصرف ٤٢٤ الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب فى العمد أيضا لكن يحتمل ان يقال

أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتيانى به فخرجا فى طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن ابى انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو فى الاطم فقالوا انزل فان أمك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ يحول بينك وبين دينك فلما ذكر والده جزع أمه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به ثم تركوه موثقا فى الشمس ماشاء الله فاعطاهم الذى ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا لقائك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقى الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اى شئ صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امرى وامر الحرث ما قد علمت وانى لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى أهله) اى وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه (الا أن يصدقوا) يعنى الا أن يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفو عنه (فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا أو ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) اى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليما) يعنى بمن قتل خطأ (حكيما) يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (الا ان يصدقوا) الا ان يتصدقوا عليه بالدية اى يعفوا عنه والتقدير فعليه دية فى كل حال الا فى حال التصدق عليه بها (فان كان من قوم عدو لكم) فان كان المقتول خطأ من قوم اعداء لكم اى كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) اى المقتول مؤمن (فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى اذا أسلم الحربى فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهى الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار لم توجد (وان كان) اى المقتول (من قوم بينكم) بين المسلمين (وبينهم ميثاق) عهد (فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) اى وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على ان دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا (فمن لم يجد) رقبة اى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهى نصب على المصدر (وكان الله عليما) بما مر (حكيما) فيما قدر

فصل

(فصل فى احكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل (المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل) قال الشافعى القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ او دية حالة مغلظة فى مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وأما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطا ايضا ان يقصد رمى مشرك أو كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين اوشعارهم فالصورة الاولى خطا فى الفعل والثانية خطا فى القصد *(المسئلة الثانية فى حكم الديات)* فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو الف دينار أو اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك ماروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاة الفى شاة وعلى أهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه ابو داود فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى وذهب قوم الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل فى ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائى فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمى فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية فى قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة فى بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهى ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل أربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفى رواية أخرى الا ان كل قتيل خطا العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها أربعون فى بطونها أولادها أخرجه النسائى وذهب قوم الى ان الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون

جذعة وهذا قول الزهرى وربيعة واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأى وأما دية الخطا فمخففة وهى أخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا فى تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهرى وربيعة وبه قال مالك والشافعى وابدل قوم أبناء اللبون ببنات المخاض بروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأى والدية فى قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجانى منها شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين فى كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم * (المسئلة الثالثة فى حكم الكفارة) * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب فى مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له أن ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا فى خلال الشهرين او نسى النية او نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعى واظهر قولى الشافعى لانه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه أن يبنى وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبى ولو حاضت المرأة فى خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فقيه قولان أحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما فى كفارة الظهار والثانى لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطا والله أعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت فى مقيس بن صبابة الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر الى بنى النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموا ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهرى ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية أخيك لتكون عليك سبة أقتل الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال فى ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار أرباب فارع
وادركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصد القتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعنى وطرده عن رحمته (وأعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حال من ضمير القاتل اى قاصدا قتله لايمانه وهو كفرا وقتله مستحلا لقتله وهو كفر ايضا (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) اى ان جازاه قال عليه السلام هى جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) أى انتقم منه وطرده من رحمته (واعد له عذابا عظيما) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما فى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم

قال لافتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفى رواية قال اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شئ وفى رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فاما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه فى الصحيحين وروى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه ابو داود والنسائى وزاد النسائى فى رواية بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التى فى سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى أن هذه الآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقال بعضهم نسختها التى فى الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النساء أيضا وهى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب الى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وفى رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن أصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

(فصل) وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد فى النار وأجاب علماء السنة بان الآية نزلت فى كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد فى النار بسبب كفره وعن ابى مجلز فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هى جزاؤه فان

شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود لا يقتضى التأبيد بل معناه دوام الحالة التى هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود فى حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذى لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور فى الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا فى النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت فى أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل اولى والله أعلم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت فى رجل من بنى مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثى فهربوا منه وأقام على ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لى يا رسول الله فقال كيف أنت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وفى رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بنى سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فتفقدوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذى تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) يعنى التحية يعنى لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اى استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اى لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعنى لست من اهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة فى بلد او قرية او حى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزنى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه ابو داود والترمذى وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودى او النصرانى انا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعى ان الذى هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذى كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب

(يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سرتم فى طريق الغزو (فتبينوا) فتثبتوا حمزة وعلى وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوّ كوافيه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) السلم مدنى وشامى وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) فى موضع النصب بالقول وروى ان مرداس بن نهيك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة

(تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمى به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل فى تقولوا (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام و يتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم والكاف فى كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم (فتبينوا) كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير اولى الضرر) بالنصب مدنى وشامى وعلى لانه استثناء من القاعدين اوحال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض او العاهة من عمى اوعرج اوزمانة اونحوها (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان

خاصة لانه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من التهود او التنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعنى تطلبون الغنيمة التى هى من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغانم كثيرة) اى غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام و يتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعنى كما كان هذا الذى ألقى اليكم السلام فقتلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم أنتم من قبل يعنى من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون فى قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعنى بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) اى ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فلا تتهاونوا فى القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه * قوله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال أملى على النبى صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها على فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر (ق) عن البراء ابن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر وفى رواية اخرى لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول واضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لا يعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله غير اولى الضرر يعنى اولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) يعنى فضيلة فى الآخرة قال ابن

كان معلوما تو بيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لا يستوون فاجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل

عباس أراد بالقاعدين هنا أولى الضرر فضل الله المجاهدين على أولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعنى كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعنى الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعنى فى سبيل الله (على القاعدين) يعنى الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجرا عظيما) يعنى ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة فى الاسلام درجة والجهاد فى الهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هن سبع وهى التى ذكرها الله تعالى فى سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها ابو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله او جلس فى ارضه التى ولد فيها فقالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل فى الآية الاولى درجة واحدة وذكر فى هذه الآية درجات فما وجه الحكمة فى ذلك قلت أما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما فى الحديث والله أعلم * قوله تعالى (ومغفرة) يعنى لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعنى رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعنى لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعنى بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته * عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال أيما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمنت له ان أرجعته ارجعته بما اصاب من اجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أخرجه النسائى

(فصل) اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهليهم وجيرانهم وسواء فى ذلك الحر والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فتجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الاعلى طريق الاختبار ولا يدخل فى هذا الفرض اعنى فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين فى بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختبار والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم * قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة) يجوز ان يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم وماضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين والتوفى قبض الروح

والملائكة ملك الموت وأعوانه (ظالمى انفسهم) حال من ضمير المفعول فى توفاهم اى فى حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة (قالوا) اى الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم فى امر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا فى شئ من الدين (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين عن الهجرة (فى الارض) ارض مكة فاخرجونا كارهين (قالوا) اى الملائكة موبخين لهم (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)

خسران فاولئك ودخول النساء لما فى الذين من الابهام المشابه بالشرط او قالوا فيم كنتم والعائد محذوف اى قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل

ظالمى أنفسهم) الآية نزلت فى أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس ابن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعنى ملك الموت وأعوانهم وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفى التوفى هنا قولان احدهما أنه قبض ارواحهم الثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمى انفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين وقيل ظالمى انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى أى الفريقين كنتم أفى فريق المسلمين أم فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين (فى الارض) يعنى فى ارض مكة (قالوا) يعنى قال لهم الملائكة (الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعنى الى المدينة وتخرجوا من بين أظهر المشركين فاكذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم (فأولئك) يعنى من هذه صفتهم (مأواهم) يعنى منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعنى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعنى ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فأولئك) يعنى المستضعفين واهل الاعذار (عسى الله أن يعفو عنهم) يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس كنت أنا وأمى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف * قوله عز وجل (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت

نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا أطمع أنجز (وكان الله عفوا غفورا) لعباده قبل ان يخلقهم (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة لحقته بذلك (كثيرا وسعة) فى الرزق او فى اظهار الدين او فى الصدر لتبدل الخوف بالامن

(ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير فى يخرج (الى الله ورسوله) الى حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فقد وقع اجره على الله) اى حصل له الاجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شئ يجب على الله لاحد من خلقه (وكان الله غفورا رحيما) قالوا كل هجرة لطلب علم او حج او جهاد او فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فقد وقع اجره على الله (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم فيها فالضرب فى الارض هو السفر (فليس عليكم جناح) حرج (أن تقصروا) فى ان تقصروا (من الصلوة) من اعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضى ان القصر رخصة فى السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لان لا جناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم واما الآية فكانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر و يطمئنوا اليه (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ان خشيتم ان يقصدكم الكفار بقتل او جرح او أخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور تعالى ليس بشرط لما روى عن يعلى بن امية انه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على انه لا يجوز الاكمال فى السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك

فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم أبال به رغم أنفه ويقوى ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم أنفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغمهم اى مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وانشد الزجاج فى المعنى

الى بلد غير دانى المحل * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة فى معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من أرض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومى اى هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعنى فى الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبل هذه سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز و جل وانى لأجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة وابعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرج حوابه يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز و جل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت) يعنى قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع أجره على الله) يعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل فى حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذى عمل واتى به أما تمام الاجر فلا والقول الاول أصح لان الآية انما نزلت فى معرض الترغيب فى الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعنى و يغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا وقوله عز و جل (واذا ضربتم فى الارض) يعنى اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) اى حرج واثم (ان تقصروا من الصلوة) يعنى من أربع ركعات الى ركعتين وذلك فى صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر فى اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى أصله وفسر ابن الجوزى القصر بالنقص ولم اره لاحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكر وافى تفسير قصر الصلاة المذكورة فى الآية قولين احدهما انه فى عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثانى ان المراد بالقصر ادخال التخفيف فى ادائها وهو ان يكتفى بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول اصح و يدل عليه لفظة من فى قوله أن تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى (ان خفتم أن يفتنكم) يعنى يقتلكم و يقتلكم فى الصلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهرى الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله

تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط فعلى هذا لايجوز القصر عند الامن ولايجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر فى حال الامن فى السفر جائز ويدل عليه ماروى عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر ابن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن فى ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن أمرنا أن نصلى ركعتين فى السفر أخرجه النسائى وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لايخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذى والنسائى وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لاتحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف مادل عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا فى حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب اسفار النبى صلى الله عليه وسلم وا كثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب فى الوقوع وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة فلعلى بهذا رخصت لكم فى قصر الصلاة ثلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل أعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع

(فصل فى احكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى فى حكم القصر)* قصر الصلاة فى حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا فى جواز الاتمام فى حال السفر فذهب اكثر العلماء الى ان القصر واجب فى السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابى حنيفة ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها فى الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفى رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر أخرجاه فى الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام فى السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابى وقاص واليه ذهب الشافعى واحمد وهو رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ماروى البغوى بسنده الشافعى عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يارسول الله بابى انت وأمى قصرت واتممت وصمت وأفطرت قال احسنت ياعائشة وما عاب على اخرجه النسائى وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولفظة لاجناح انما تستعمل فى الرخصة لافيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التتميم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع *(المسئلة الثانية)* اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هى مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك

اسقاط محض لايحتمل الرد وان كان المتصدق ممن لاتلزم طاعته كولى القصاص اذا عفا فمن تلزم طاعته اولى ولان حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان اردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلاة ان يفتنكم اى لان لايفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومئ على الدابة عند الخوف او يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فتحرزوا عنهم

عن ابن عباس وابن عمر و جابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعى وأحمد *(المسئلة الثالثة)* ذهب الشافعى ومالك واحمد والجمهور الى انه يجوز القصر فى كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر فى سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثورى يجوز ذلك *(المسئلة الرابعة)* اختلف العلماء فى مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله و يروى ذلك عن انس أيضا وقال عمر و بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر فى السفر القصير واختلفوا فى حد الطويل الذى يجوز فيه القصر فقال الاوزاعى مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران و يفطران فى مسيرة اربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فتكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثورى وابو حنيفة واهل الكوفة لا قصر فى أقل من ثلاثة أيام

(فصل) قيل قوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا فى القرآن كثير يجىء الخبر بتمامه ثم يذكر عليه خبرا آخر هو فى الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه *قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة) الآية روى عن ابن عباس و جابر ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم وأمهاتهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف و روى عن ابى عياش المرزوقى فى سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفى رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم فى الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذا كنت يا محمد فى اصحابك وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعنى اذا حان وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلى بهم (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا فى هؤلاء الذين امرهم الله باخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم فى الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذى به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذى من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل أراد بهم الطائفة الذين بقوا فى وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعنى اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة

(واذا كنت) يا محمد (فيهم) فى اصحابك (فاقمت لهم الصلوة) فاردت ان تقيم الصلاة بهم و بظاهره تعلق ابو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الائمة توارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل امام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) اى الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضى الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فاذا سجدوا) اى قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فليكونوا من ورائكم) اى اذا صلت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو

فليكونوا من ورائكم يعنى فلينصرفوا الى المكان الذى هو فى وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) يعنى ولتأت الطائفة التى كانت فى وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التى بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعنى ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فى دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر فى أول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما ينتبه للمسلمين فى أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين فى المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين فى الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة فى الاقدام على المسلمين فلاجرم ان الله تعالى أمرهم فى هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الاسلحة (ودّ الذين كفروا) يعنى تمنى الكفار (لو تغفلون) يعنى لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم) يعنى حوائجكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعنى فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

(ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) فى موضع رفع صفة لطائفة (فليصلوا معك) اى ولتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وأسلحتهم) جمع سلاح وهو ما يقاتل به واخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (ودالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) اى تمنوا ان تنالوا منكم غرة فى صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيشدون عليكم شدة واحدة

(فصل فى أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* قال ابو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب ابى حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزنى من أصحاب الشافعى كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبى صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت فى حق غيره من أمته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتمونى أصلى ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن على بن ابى طالب أنه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فان سائر أمته داخلون فى هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء الآن ورد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم فخذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة من بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم *(المسئلة الثانية)* قال الخطابى صلاة الخوف انواع صلاها النبى صلى الله عليه وسلم فى ايام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فى ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وابلغ فى الحراسة فهى مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو فى غير جهة القبلة فرق الامام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلى بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية أتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتى الطائفة الثانية التى كانت تحرس فيصلى بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا فى التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاء العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه فى الصحيحين الذى صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابى

حسنة وقد اخرجاه من رواية أخرى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعى لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط للصلاة وأبلغ فى حراسة العدو أما كونه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجىء والذهاب وكونها أحوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا فى الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلى مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم فى صلاتهم ثم تاتى الطائفة الثانية فتصلى مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تاتى الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب ابى حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو وصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجه النسائى قال ابو بكر السنى سمع الزهرى من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذى أخرجاه فى الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا فى مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفى رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى بعض أيامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة فى الصحيحين أخذ الاوزاعى واشهب المالكى وهو جائز عند الشافعى أيضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى أدركت أول الصلاة وهى فى حكم من خلف الامام وأما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمنفرد فى حكم صلاته * (المسئلة الثالثة) * فيما اذا كان العدو فى ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه وقام الصف المؤخر فى نحر العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه الذى كان مؤخرا فى الركعة الاولى فقام الصف المؤخر فى نحر العدو فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبى صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخارى طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعى ومن وافقه فيما اذا كان العدو فى جهة القبلة (المسئلة الرابعة) *

اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون بالركوع والسجود الى أى جهة كانت هذا مذهب الشافعى ومذهب أبى حنيفة انهم لا يصلون فى هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة فى كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) أى ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم فى وضع السلاح فى حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعنى راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بنى محارب وبنى ثعلبة بنجد فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه ٣ من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن فقال لا أحد فقال أتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك فقال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا أعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما أدرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى أصحابه واخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعنى من عدوكم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون به * قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلوة) يعنى فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعنى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله فى جميع أحوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل أحيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعنى فصلوا لله قياما يعنى فى حال الصحة وقعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم يعنى فى حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعنى فاذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب (فاقيموا الصلوة) يعنى فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين فى اوطانكم فاقيموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعنى فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعنى مكتوبة موقتة فى أوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على اى حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا فى الحضر اربع ركعات وفى السفر ركعتين قوله تعالى (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان ابا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعنى

وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يلحقهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أخبر انه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى (فاذا قضيتم الصلوة) فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) اى دوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال او فاذا أردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود (فاذا اطمأننتم) سكنتم بزوال الخوف (فاقيموا الصلوة) فاتموها بطائفة واحدة او اذا أقمتم فاتموا ولا تقصروا واذا اطمأننتم بالصحة فاتموا القيام والركوع والسجود (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محدودا باوقات معلومة (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض بهم ثم ألزمهم الحجة بقوله

٣ قوله من زلخة هى وجع يأخذ فى الظهر فيصلب و يغلظ حتى لا يتحرك معه اه

(ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) اى ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم ٤٣٨ كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله مالا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة (وكان الله عليما) بما يجد المؤمنون من الالم (حكيما) فى تدبير أمورهم روى ان طعمة بن ابيرق احد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) أى محقا (لتحكم بين الناس بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر فى أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه (ولا تكن للخائنين) لاجل الخائنين (خصيما) مخاصما اى ولا تخاصم اليهود لاجل بنى ظفر (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما)

ولا تضعفوا ولا تتوانوا فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب ابى سفيان وأصحابه ثم اورد عليهم الحجة فى ذلك والزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب وانهم كونون لا يقرون بذلك كله فانتم أيها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) يعنى وتأملون من الله من الثواب فى الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعنى انه تعالى لا يامركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم * قوله عز وجل (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق زاد فى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودى وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الآية انا أنزلنا اليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يعنى بما علمك الله واوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية فى قوة الظهور روى عن عمر انه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أرانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعنى يا محمد (للخائنين خصيما) يعنى ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعنى مما هممت به من معاقبة اليهودى وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده يستر هاعليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعنى بعباده المؤمنين

* (فصل) * وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه فى قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودى فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحى السماوى والامر الالهى فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودى برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه فى الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه

ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارق اوذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانته (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة انه مفرط فى الخيانة وركوب

عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر فى الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم هم بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطا فى نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبى صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل قد يقع منه على وجه التأويل او السهو اوامر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يعنى ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها فى العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة اى فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) يعنى خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودى وهو برىء وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب الما ثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة * قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن ابيرق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعنى يضمرون ويقدرون ويزورون فى أذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه شئ من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية (ها أنتم هؤلاء) هاللتنبيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعنى خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم فى الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يقتل صاحبه عما هو

الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة لسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم فى حضرته لا ستره ولا غيبة (اذ يبيتون) يدبرون واصله ان يكون ليلا (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا (وكان الله بما يعملون محيطا) عالما علم احاطة (ها أنتم هؤلاء) هاللتنبيه فى أنتم واولاء وهما مبتدا وخبر (جادلتم) خاصمتم وهى جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك اواولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم (عنهم) عن طعمة وقومه

(فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه وقرئ عنه اى عن طعمة (ام من يكون عليهم وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (ومن يعمل سوأ) ذنبا دون الشرك (او يظلم نفسه) بالشرك اوسوأ قبيحا يتعدى ضرره الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه بما يختص به كالحالف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (يجد الله غفورا رحيما) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها (وكان الله عليما حكيما) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (او اثما) او كبيرة او الاول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ذنبا ظاهرا وهذا لانه يكسب الاثم آثم وبرمى البرىء باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل عليه مالا علم له به (ولولا فضل الله عليك ورحمته) اى عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر او المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير فى منهم يعود الى الناس (ان يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بان الجانى ان صاحبهم (وما يضلون الا انفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة

عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه (فى الحيوة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفى قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة فى الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعنى اذا أخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (ام من يكون عليهم وكيلا) يعنى محافظا ومحاميا عنهم من باس الله اذا نزل بهم قوله تعالى (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية فى ترغيب طعمة فى التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت فى قومه الذين جادلوا عنه وقيل هى عامة فى كل مسىء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسىء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون فى الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعنى فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوأ اى قبيحا او يظلم نفسه برميه البرىء وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعنى من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) فى هذه الآية دليل على حكمين أحدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثانى ان ظاهر الآية يقتضى ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعنى ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعنى انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يقيد جر منفعة او دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذى ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن الضر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فانى لغفار ان تاب وهذه الآية نزلت فى طعمة أيضا (وكان الله عليما) يعنى بسارق الدرع (حكيما) يعنى اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة او اثما) قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل ان الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريئا) يعنى ثم يقذف بما جناه برياء منه وهو نسبة السرقة الى اليهودى ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير فى قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريا (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذى يتحير فى عظمه (واثما مبينا) يعنى ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البرىء باهت فقد جمع بين الامرين * قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعنى يا محمد بالنبوة ورحمته يعنى بالعصمة وما أوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعنى من بنى ظفر وهم قوم طعمة (أن يضلوك) يعنى عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل وقيل معناه يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمى بها اليهودى (وما يضلون الا أنفسهم) يعنى ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له أنه برىء فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) يعنى انهم وان سعوا فى القائك فى الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك

أن الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شئ فى المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره أحد (وأنزل الله عليك الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى القضاء بهما يعنى وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك فى الشبهات (وعلمك مالم تكن تعلم) يعنى من أحكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب مالم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم مالم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعنى ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذى تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفالك غائلة من أرادك بسوء ففى هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من ألطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه * قوله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم) يعنى من نجوى قوم طعمة وقيل هى عامة فى جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا وناجيته سارر ته وأصله ان يخلو فى نجوة من الارض وقيل أصله من النجى والمعنى لا خير فى كثير مما يدبرونه و يتناجون فيه (الا من أمر بصدقة) يعنى الا فى نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها (أو معروف) يعنى أو أمر بطاعة الله وما يجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (أو اصلاح بين الناس) يعنى الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هى الحالقة أخرجه الترمذى وابو داود وقال الترمذى و يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحالق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن ام كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمى خيرا زاد مسلم فى روايته قالت ولم اسمعه يرخص فى شئ مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعنى هذه الاشياء التى ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعنى فى الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (أجرا عظيما) لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله * قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت فى طعمة أيضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايمان واصله من المشاقة وهى كون كل واحد منهما فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أى وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (و يتبع غير سبيل المؤمنين) يعنى و يتبع غير طريق المؤمنين

على خلاف ذلك (وانزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) والسنة (وعلمك مالم تكن تعلم) من أمور الدين والشرائع ومن خفيات الامور وضمائر القلوب (وكان فضل الله عليك عظيما) فيما علمك وانعم عليك (لا خير فى كثير من نجواهم) من تناجى الناس (الا من امر بصدقة) الا نجوى من امر وهو مجرور بدل من كثير او من نجواهم او منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير (او معروف) اى قرض او اغاثة ملهوف او كل جميل او المراد بالصدقة الزكاة و بالمعروف التطوع (او اصلاح بين الناس) اى اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء او ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم او المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) يؤتيه ابو عمرو

وحمزة (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (و يتبع غير سبيل المؤمنين) اى السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها

وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) اى نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع الى النار روى ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل ان الاجماع حجة فقرأ القران ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به) نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني أعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور واذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك (ويغفر ما دون ذلك) يعني ما دون الشرك (لمن يشاء) يعني لمن يشاء من اهل التوحيد قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التأكيد اولان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر (٣) وهو ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك * قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته وفي قوله اناثا اقوال احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بني فلان والقول الثاني اناثا يعني اموات قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تجيبني وهذه الدراهم تنفعني ولان الانثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحي كما ان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون) اى وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه أغواهم واغراهم على عبادتها واطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة (لعنه الله) اى أبعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعني ابليس (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعني حظا مقدرا معلوما فكل

(ونصله جهنم) في العقبى (وساءت مصيرا) قيل هي في طعمة وارتداده (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره في هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الصواب (ان يدعون من دونه) ما يعبدون من دون الله (الا اناثا) جمع انثى وهي اللات والعزى ومناة ولم يكن حي من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله (وان يدعون) يعبدون (الا شيطانا) لانه هو الذي اغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد (لعنه الله وقال لاتخذن) صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (من عبادك نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا لي من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله

(٣) قوله وهو ان الآية المتقدمة الخ الذي ذكره عند الآية المتقدمة انها نزلت في اهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية او في قاتل حمزة واصحابه او في جواب رجل سأل عن الشرك لما نزل قوله تعالى قل يا عبادي الآية ولم يقدم لسرقة طعمة ذكرا على انه لا يظهر ان تكون سبب نزول الآية كما هو ظاهر اه

ما أطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومقروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولأضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولأمنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أمنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا عن مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وقيل يحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن اسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره أنس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق أخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو أن يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الآية سؤالان * الاول قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشئ المقدر القليل وقال في موضع آخر لأحتنكن ذريته الا قليلا وقال لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا أقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما اراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار * السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها أن ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا أنه كان يعلم الغيب الوجه

(ولاضلنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل (ولأمنينهم) ولالقين في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكرير اى لآمرنهم على ان يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب او بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم او بالوشم او بنفي الانساب واستلحاقها او بتغيير الشيب بالسواد او بالتحريم والتحليل او بالتخنث او بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) واجاب الى ما دعاه اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) في الدارين

الثالث قال المساوردى من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعنى الشيطان يعدحزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم ما يوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شئ منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) يعنى باطلا وضلالا (أولئك) يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولا يجدون عنها) يعنى عن جهنم (محيصا) يعنى مفرا ومعدلا يعنى لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلد فيها الماذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (أبدا) بلا انتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا انقطاع له ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفى قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لا يفيد التأبيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لا ينقطع وقوله عز وجل (وعد الله حقا) يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا حقا (ومن أصدق من الله قيلا) يعنى ليس أحد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى (ليس بامانيكم ولا أمانى اهل الكتاب) الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه واراده وفى المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح (من يعمل سوأ يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوأ يعنى شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بشئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولى ونصير وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوأ من مسلم ونصرانى وكافر قال ابن عباس هى عامة فى حق كل من عمل سوأ يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله وايننا من لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره وامامن كان جزاؤه فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فانى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن أبى بكر الصديق

(يعدهم) يوسوس اليهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (ويمنيهم) مالا ينالون (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو ان يرى شيأ يظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان فى الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ النخعى سيدخلهم (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن اصدق من الله قيلا) قولا وهو استفهام بمعنى النفى اى لا أحد اصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه (ليس بامانيكم) ليس الامر على شهواتكم وامانيكم ايها المشركون ان تنفعكم الاصنام (ولا امانى اهل الكتاب) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة (من يعمل سوأ يجز به) اى من المشركين واهل الكتاب بدليل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده

قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا اقرئك آية أنزلت على قلت بلى يا رسول الله قال فاقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انفصاما في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون بأعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد احدا عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعني ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على أمرين أحدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد لوجه الله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعني دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز أن يكون حالا لابراهيم ويجوز أن يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند

(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن) قوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام في من يعمل وفيه اشارة الى ان الاعمال ليست من الايمان (فأولئك يدخلون الجنة) يدخلون مكي وأبو عمرو وابو بكر (ولا يظلمون نقيرا) قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله من يعمل سوأ يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) عامل للحسنات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم

جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعنى صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمى ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله فى كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خليلا لانه والى فى الله وعادى فى الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذى ليس فى محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد فى معنى الخلة التى هى بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح منى * وبه سمى الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة سميت خلة للاختلال الذى يلحق الانسان فيها وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هى تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا فى السبب الذى من أجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذى بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد انما الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فرووا بيطحاء من الرمل سهلة فقال لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس اناقد جئنا بالميرة فانا نستحى أن نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التى معهم ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولما كان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هى ملأى باجود دقيق يكون حوارى فأمرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليلى الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء فى النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفى ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله فى أوله وتحمدوه فى آخره فقال جبريل أنت خليل الله فمن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله (م) عن أنس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

(فصل) وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبى صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء فى

(واتخذ الله ابرهيم خليلا) هو فى الاصل المخالل وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يداخلك خلال منزلك او يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة أصفى لانها من حبة القلب وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث جمة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفى الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لانك تعطى الناس ولا تسألهم وفى قوله

(ولله ما فى السموات وما فى الارض) دليل على ان اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياجه تعالى لانه منزه عن ذلك (وكان الله بكل شئ محيطا) عالما (ويستفتونك فى النساء) ويسألونك الافتاء فى النساء والافتاء تبيين المبهم (قل الله يفتيكم فيهن

حديث عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا وأنا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذى باطول منه قوله تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) قال اهل المعانى لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما فى السموات وما فى الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذى يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعنى عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه * قوله عز وجل (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت فى بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن فى أول السورة وقالت عائشة هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها القلة الجمال والمال تركها وفى رواية قالت هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها ولا يدعها تتزوج غيره فيدخل عليه ويشركه فى ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعنى ويستخبرونك يا محمد فى شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذى استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فاجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعنى قل يا محمد الله يفتيكم فى شأن النساء وحالهن (وما يتلى عليكم فى الكتاب) يعنى يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم فى النساء بما أنزل فى كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التى تتلى عليكم وانها فى اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التى تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (فى يتامى النساء) قيل معناه فى النساء اليتامى وقيل فى اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت فى يتامى أم كحة (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعنى ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة فى ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعنى وترغبون فى نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة فى أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء الى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير

ومايتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء) اى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب اى القرآن فى معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك اعجبنى زيد وكرمه ومايتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم او على لفظ الله وفى يتامى النساء صلة يتلى اى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز ان يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وماله فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) اى فى ان تنكحوهن لجمالهن او عن ان تنكحوهن لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) اى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون

الاطفال والنساء (وان تقوموا لليتامى) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى ان تقوموا او منصوب بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بالقسط) بالعدل فى ميراثهم ومالهم (وما تفعلوا من خير) شرط وجوابه

(فان الله كان به عليما) اى فيجازيكم عليه (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب اوضرب (او اعراضا) عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن

او دمامة اوسوء فى خلق او خلق اوملال اوطموح عين الى أخرى اوغير ذلك (فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما) كوفى يصالحا غيرهم اى يتصالحا وهو اصله فابدلت التاء صادا وادغمت (صلحا) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة اوعن بعضها اوتهب له بعض المهر اوكله او النفقة (والصلح خير) من الفرقة اومن النشوز اومن الخصومة فى كل شئ اوو الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (واحضرت الانفس الشح) اى جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعنى انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته واحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة فيجازيكم (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدى الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) فيثيبكم عليه

فان الله كان به عليما) يعنى فيجازيكم عليه قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له أمسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت فى حل من النفقة على والقسمة لى قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفى زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقنى ودعنى أقوم على اولادى واقسم لى كل شهر بن ان شئت وان شئت فلا تقسم لى فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الى فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعنى علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعنى من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعنى بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو اعراضا يعنى بوجهه عنها او يعبس فى وجهها او يترك مضاجعتها او يسىء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة فى القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعنى فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (أن يصالحا) من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعنى فى القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت فى السن وأنا أريد أن أتزوج امرأة جميلة شابة أوثرها عليك فى القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمى وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هى المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان أمسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعنى اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقنى وامسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (وأحضرت الانفس الشح) الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعنى وان تحسنوا أيها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله فى حق المرأة فانها أمانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى

وكان عمران الخارجي من اذم بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت اليه وقالت الحمد لله على انى واياك من اهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل ان يسوى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والمحادثة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا فى المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك يعنى المحبة لان عائشة رضى الله عنها كانت احب اليه (ولو حرصتم) بالغتم فى تحرى ذلك (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعنى ان اجتناب كل الميل فى حد اليسر فلا تفرطوا فيه وان وقع منكم التفريط فى العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما يضاف اليه (فتذروها كالمعلقة) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة (وان تصلحوا) بينهن (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم (وان يتفرقا) اى ان لم يصطلح الزوجان على شئ وتفرقا بالخلع او بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها (يغن الله كلا) كل واحد منهما (من سعته) من غناه اى يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا هنا من عيشه (وكان الله واسعا) بتحليل النكاح (حكيما) بالاذن فى السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغنى ثم المقتدر بين غناه وقدرته بقوله (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا والمتملكون عبيده رقا

فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) يعنى ولن تقدروا ان تسووا بين النساء فى الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعنى على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعنى الى التى تحبونها فى القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت فى الميل القلبى لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل فى القول والفعل عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه الترمذى وعند ابى داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك يعنى القلب اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعنى فتدعوا الاخرى التى لا تميلون اليها كالمعلقة لا أيما ولا ذات بعل كالشئ المعلق لا هو فى السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هى مخلصة فتتزوج ولا هى ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعنى بالعدل فى القسم (وتتقوا) يعنى الجور فى القسم (فان الله كان غفورا) يعنى لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحيما) يعنى بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه (وان يتفرقا) يعنى ان لم يصطلحا وارادا الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعنى من فضله ورزقه والمعنى يغنى الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفى هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعنى واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذى وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعنى فيما أمر به ونهى عنه

* (فصل فيما يتعلق بحكم الآية) * وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن فى القسم فان ترك التسوية بينهن فى فعل القسم عصى الله عز وجل فى ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط فى البيتوتة اما فى الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان فى نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوى بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالى للقديمات ويدل على ذلك ما روى ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه فى البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخارى مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسائه معه قوله تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) يعنى عبيدا وملكا قال اهل المعانى لما ذكر الله تعالى انه يغنى من سعته وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه فى طلب الخير منه

(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا او بأوتوا (وايا كم) عطف على الذين أوتوا (أن اتقوا الله) بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية فى معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة مازال يوصى الله عنها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده (وان تكفروا) عطف على اتقوا الان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فان لله مافى السموات ومافى الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حميدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد وتكرير قوله لله مافى السموات ومافى الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه ان يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على ان التقوى اصل الخير كله وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الانتهاء عن الشرك (ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (ان يشأ يذهبكم) يعدمكم (ايها الناس ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم اوخلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب احدهما دون الآخر والذى يطلبه اخسهما (وكان الله سميعا) للاقوال (بصيرا)

لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى من اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة (وايا كم) يعنى و وصينا كم يا اهل القرآن فى كتابكم (ان اتقوا الله) اى بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا ما اوصاكم به (فان لله مافى السموات ومافى الارض) يعنى فان لله ملائكة فى السموات والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض ومافيهن ومالكهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك حقيق لكل احد ان يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حميدا) يعنى محمودا على نعمه عليهم (ولله مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعنى شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفائدة فى تكرير قوله تعالى ولله مافى السموات ومافى الارض قلت الفائدة فى ذلك ان لكل آية معنى تختص به اما الآية الاولى فمعناها فان لله مافى السموات ومافى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له مافى السموات ومافى الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلالا بالطاعات ولا ينقص بالمعاصى وقيل لما بين ان له مافى السموات ومافى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له مافى السموات ومافى الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا اى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما فى السموات والارض وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير * قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم أيها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا فى القدرة لا يمتنع عليه شئ اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت فى مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت فى المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطؤن فى قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب فى الآخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه فى الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعنى لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا

(بصيرا) بالافعال وهو وعد ووعيد (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين فى اقامة العدل حتى لاتجوروا (شهداء) خبر بعد خبر (لله) اى تقيمون شهاداتكم لوجه الله (ولو على انفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة على نفسه هى الاقرار على نفسه لانه فى معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار ٤٥١ يشترك جميعها فى الاخبار عن حق

(بصيرا) يعنى بنياتهم وما فى نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدى ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغنى فانزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق فهى خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة فى القيام بالعدل فى جميع الشهادات واجتناب الجور وفيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل فى جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعنى أقيموا شهاداتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول الحق فى شهادته (ولو على أنفسكم) يعنى ولو كانت الشهادة على انفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو أن يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة فى كونه موجبا للحق عليه (أو الوالدين والاقربين) يعنى ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوى رحمه او اقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعنى المشهود عليه (غنيا او فقيرا فالله اولى بهما) يعنى منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعنى فالله اولى بالغنى وبالفقير (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعنى فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق فى اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلوا) قرئ بواوين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوى لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (او تعرضوا) يعنى او يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلوا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل فى الشهادة من قولهم لويت الشئ اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلوا يعنى تميلوا مع احد الخصمين دون الآخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى انه تعالى يجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت فى عبد الله بن سلام واسد واسيد بنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا يعنى بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعنى آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب

لاحد على احد غيران الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (او الوالدين والاقربين) اى ولو كانت الشهادة على آبائكم وامهاتكم واقاربكم (ان يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (او فقيرا) فلا يمنعها ترحما عليه (فالله اولى بهما) بالغنى والفقير اى بالنظر لهما والرحمة وانما ثنى الضمير فى بهما وكان حقه ان يوحد لان المعنى ان يكن احد هذين لانه يرجع الى ما دل عليه قوله غنيا او فقيرا وهو جنس الغنى والفقير كانه قيل فالله اولى بجنسى الغنى والفقير اى بالاغناء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (أن تعدلوا) عن الحق من العدول او كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل (وان تلوا) بواو واحدة وضم اللام شامى وحمزة من الولاية (او تعرضوا) اى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها غيرهما تلوا وابواوين وسكون اللام من اللى اى وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الايمان ودوموا عليه او لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض او للمنافقين اى يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (بالله ورسوله) اى محمد صلى الله عليه وسلم

(والكتاب الذى نزل على رسوله) اى الفرقان (والكتاب الذى أنزل من قبل) اى جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وانزل مكى وشامى وابو عمر و وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) لان الكفر ببعضه كفر بكله (ان الذين آمنوا) بموسى عليه السلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بموسى بعد عوده (ثم كفروا) بعيسى عليه السلام (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) الى النجاة او الى الجنة او هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله (بشر المنافقين) اى اخبرهم ووضع بشر مكان تهكمهم (بان لهم عذابا اليما) مؤلما (الذين) نصب على الذم او رفع بمعنى أريد الذين او هم الذين (يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم امر محمد عليه السلام (فان العزة لله جميعا) ولمن اعزه كالنبى عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (فى الكتاب) القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها

للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا ايها الذين آمنوا فى الماضى والحال آمنوا فى المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعنى القرآن (والكتاب الذى انزل من قبل) يعنى وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التى انزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت فى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعنى بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها فى الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان فى قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكى عن على بن ابى طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعنى من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعنى طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يعنى اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان أخبرتهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) يعنى يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (أيبتغون عندهم العزة) يعنى يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فان العزة لله جميعا) يعنى فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز اولياءه واهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (فى الكتاب) يعنى القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) قال المفسرون الذى انزل عليهم فى النهى عن مجالستهم هو قوله تعالى فى سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستهزؤن به فى مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجالسون اليهم ويخوضون معهم فى الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود

فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) حتى يشرعوا فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة أى انه اذا سمعتم أى نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما أفادته الجملة بشرطها أو جزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمين

عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يقعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (انكم اذا مثلهم) اى فى الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم (يتربصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو اخفاق (فان كان لكم فتح من الله) نصرة وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين فاشركونا فى الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشانهم لانه أمر عظيم تفتح

القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) يعنى يأخذوا فى حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل فى هذه الآية كل محدث فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعنى انكم يا أيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فانتم وهم فى الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر أو خالط اهله كان فى الاثم بمنزلتهم اذا رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض فى بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) أى انهم اجتمعوا فى الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم فى عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل (الذين يتربصون بكم) نزلت فى المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر (فان كان لكم فتح من الله) أى ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعنى المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعنى فى الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفى الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) أى دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعنى المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان أى غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعنى من صلاتهم والدخول فى دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبنا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنىء ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه فى الدنيا ولهم فى الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذى نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعنى الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين فى الدنيا لاجل كرامتهم بل أخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فيه قولان أحدهما وهو قول على بن أبى طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سال على بن أبى طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلونا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثانى ان هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يعود دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل

له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لانه لحظة من الدنيا يصيبونها (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا مما أصبتم (فالله يحكم بينكم) أيها المؤمنون والمنافقون (يوم القيامة) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اى فى القيامة بدليل اول الآية كذا عن على رضى الله عنه او حجة كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما

(ان المنافقين يخادعون الله) اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر والمنافق من أظهر الايمان وابطن الكفر اواولياء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل المغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال فى الدنيا وأعدلهم الدرك الاسفل من النار فى العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران (يراؤن الناس) حال اى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمراآة مفاعلة من الرؤية لان المرائى يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (ولا يذكرون الله الا قليلا) ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مذبذبين) نصب على الذم أى مرددين يعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين اى يدفع فلا يقر فى جانب واحد الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب (بين ذلك) بين الكفر والايمان (لا الى هؤلاء) لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعنى أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) يعنى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت

للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) يعنى متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعنى انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعنى ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (قوله كمثل الشاة العائرة) بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدرى لاى الغنمين تتبع ومعنى تعير تردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى الى أين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين أن يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعنى أتريدون بذلك (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) أى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متدارکة متتابعة بعضها فوق بعض وانما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لانه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الاسفل فى العقبى تعديلا ولانه مثله فى الكفر

طبقات

وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله والدرك بسكون الراء كوفى غير الاعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح الراء (ولن تجدلهم نصيرا) يمنعهم من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور فى ولن تجدلهم نصيرا (واصلحوا) ما أفسدوا من أسرارهم واحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) ٤٥٥ ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (واخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فاولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم فى الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء فى الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) لله (وآمنتم) به فما منصوبة بيفعل اى اى شئ يفعل بعذابكم فالايمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فاذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان (وكان الله شاكرا) يجزيكم على شكركم او يقبل اليسير من العمل ويعطى الجزيل من الثواب (عليما) عالما بما تصنعون (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولا غير الجهر ولكن الجهر الفاحش (الا من ظلم) الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه

طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هى توابيت من حديد مقفلة عليهم فى النار فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر فى الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر وقيل هو الذى يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى (ولن تجدلهم نصيرا) يعنى ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا) يعنى من النفاق (واصلحوا) يعنى أصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعنى وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به (واخلصوا دينهم لله) يعنى واخلصوا طاعتهم وأعمالهم التى عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فاولئك) يعنى التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعنى فى الجنة وقيل مع بمعنى من اى من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغنى الذى لا يحتاج الى شئ من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان قلتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعانى فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة فى ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان فى الذكر (وكان الله شاكرا) يعنى مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر فى صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعنى بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك * قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال اهل المعانى يعنى انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعنى من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس فى الغيبة ووقوع ذلك الشخص فى الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق منى او غصب ونحو ذلك وان شتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيأ على ذلك ويدل على

(وكان الله سميعا) لشكوى المظلوم (عليما) بظلم الظالم ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به حثا على الافضل ٤٥٦ وذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيبا للعفو فقال (ان تبدوا خيرا) مكان جهر السوء (أو تخفوه)

ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو أحد على أحد الا ان يكون مظلوما فانه قد أرخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظلوم (عليما) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تخفوه) يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هممتم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالحق ينحصر في قسمين أيضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه وارفع ضرعنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (او تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (واعتدنا) يعني وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعني يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعني والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (أولئك) يعني من هذه صفتهم (سوف نؤتيهم أجورهم) يعني جزاء

فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) اي تمحوه عن قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) اي انه لم يزل عفوا عن الاثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) اي دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) في الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما (أولئك سوف نؤتيهم) وبالياء حفص (أجورهم) اي الثواب الموعود لهم ايمانهم

(وكان الله غفورا) يستر السيآت (رحيما) يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر ان من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بتقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص واصحابه للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) و بالتخفيف مكى وابو عمرو (كتابا من السماء) اى جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وانما أسند السؤال اليهم وقد وجد من آبائهم فى ايام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فقالوا ارنا الله جهرة) عيانا اى ارنا نره جهرة (فاخذتهم الصاعقة) العذاب الهائل او النار المحرقة (بظلمهم) على انفسهم بسؤال شئ فى غير موضعه او بالتحكم على نبيهم فى الآيات

ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم و يغفرها لهم و يرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم فى حال الكفر قوله تعالى (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعنى يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص ابن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ليشهد لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) يعنى أعظم من الذى سألوك يا محمد فقبه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظم عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا فى أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم و راضين بسؤالهم ومشا كلين لهم فى التعنت (فقالوا) يعنى اسلاف هؤلاء اليهود (أرنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بنى اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة فى سورة البقرة (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعنى الهاوهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعنى عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فانى قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفى قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) يعنى حجة واضحة تدل على صدقه وهى المعجزات الباهرات التى أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعنى ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك ان بنى اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد

وتعنتهم فى سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك احق فانه قال رب ارنى انظر اليك وما اخذتهم الصاعقة بل اطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن الا ما هو ممكن الثبوت ثم احياهم (ثم اتخذوا العجل) الها (من بعد ما جاءتهم البينات) التوراة والمعجزات التسع (فعفونا عن ذلك) تفضلا ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة على من خالفه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه

(وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) اى ادخلوا باب ايليا مطاطئين عند الدخول رؤسكم (وقلنا لهم لا تعدوا) لا تجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا باسكان العين وتشديد الدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة ابى الا انه ادغم التاء فى الدال وابقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتح التاء الى العين (فى السبت) باخذ السمك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا مؤكدا (فبما نقضهم) اى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (وكفرهم بآيات الله) اى معجزات موسى عليه السلام (وقتلهم الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما (بغير حق) بغير سبب ٤٥٨ يستحقون به القتل (وقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى محجوبة لا يتوصل اليها شئ من

والميثاق (وقلنا لهم) يعنى والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت) يعنى وقلنا لهم لا تجاوزوا فى يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك فى يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهى عن العمل والكسب فى يوم السبت (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعنى وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما أمرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعنى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعنى وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق انبيائه (وقتلهم الانبياء) يعنى بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعنى بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعنى وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهى لا تفقه ما تقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعنى قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعنى بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا من اليهود قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى حين رموها بالزنا وذلك انهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم * قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا وردّ عليهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) وفى قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثانى انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى أبدل ذكرهم فى عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعنى ألقى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء فى صفة التشبيه الذى شبه على اليهود فى أمر عيسى عليه السلام فروى الطبرى

الذكر والوعظ (بل طبع الله عليها بكفرهم) هو رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام واصحابه (وبكفرهم) معطوف على فبما نقضهم او على ما يليه من قوله بكفرهم ولما ذكر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم عطف بعض كفرهم على بعض (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) هو النسبة الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح) سمى مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح اولانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ فسمى مسيحا بمعنى الماسح (عيسى بن مريم رسول الله) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول بسنده وان لم يقولوا ذلك (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم انت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل منافق يدخل بيت عيسى فلما اراد واقتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يؤمنون وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه

بسنده عن وهب بن منبه انه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى اولنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشترى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفى رواية أخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بى احدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى بدراهم يسيرة وليأ كان ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ماتجعلون لى ان أنا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبى الله فأخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذوه وقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى فى ذلك الوقت قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب ماذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى ألقى على جميع من كان مع عيسى فى البيت حين أحيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليجزى الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من اراد ابتلاءه من عباده ويحتمل أن يكون ألقى شبهه على بعض اصحابه بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقى ذلك فأخذوه وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفى امر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود (لفى شك منه) يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه فى البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (مالهم به من علم) يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى او غيره (الا اتباع الظن) يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة (وما قتلوه يقينا) قال ابن عباس يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعنى علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا

(وان الذين اختلفوا فيه) فى عيسى يعنى اليهود قالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا او اختلف النصارى قالوا الله وابن الله وثالث ثلاثة (لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح احد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح احدهما لان المراد انهم شاكون مالهم به من علم ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه اى فى قتله لفى شك منه اى من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى (وما قتلوه يقينا) اى قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين او ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه اى حق انتفاء قتله حقا

المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بنطيونس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة قوله تعالى (وان من اهل الكتاب) يعني ومامن احد من اهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى (قبل موته) اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجأة فقيل له أرأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فقيل له ارأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله فاهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من ائمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما

(بل رفعه الله اليه) الى حيث لا حكم فيه لغير الله او الى السماء (وكان الله عزيزا) في انتقامه من اليهود (حكيما) فيما دبر من رفعه اليه (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه ومامنا الا له مقام معلوم والمعنى ومامن اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف او الضمير ان لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام او الضمير في به يرجع الى الله او الى محمد صلى الله عليه وسلم والثاني الى الكتابي

قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم واجاب اصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت و يدركون نزوله فيؤمنون به و يكون معنى الآية وما من احد من اهل الكتاب ادرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به و يشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل (فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى ما حرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ماذكره من نقضهم الميثاق وما عددد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة و كقولهم أرنا الله جهرة و كعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ماذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى فى معنى الآية فخرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا بهم به و كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به فى كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم فى كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه و بغى بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة ان يأكلوا الربا ونهاهم ان يأكلوا أموال الناس ظلما فاكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ماذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فاما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيأ أنتهى اليه فتركته ولقد أنصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الآية ماتقدم ذكره وكلها ذنوب فى المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ماتقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين فى تفسير هذه الآية ماذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم ان أنواع الذنوب محصورة فى نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك فى غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هى الذنوب التى

(ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وهى ماذكر فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا (وبصدهم عن سبيل الله) ويمنعهم عن الايمان (كثيرا) أى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة

شدد عليهم بسببها فى الدنيا والآخرة أما التشديد فى الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد فى الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم أن قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب قوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم) يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم فى الآيات التى تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وأرشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالغون فيه أولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعنى بالله ورسله (يؤمنون بما أنزل اليك) يعنى بالقرآن الذى أنزل اليك (وما أنزل من قبلك) يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما انهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى أنهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقرآن الذى أنزل اليك يا محمد وما أنزل من قبلك (والمقيمين الصلوة) اختلف العلماء فى وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى أن يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له أفلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روى عن عثمان ابن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدوة على ذلك فكيف يتركون فى كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغى أن ينسب هذا اليهم قال ابن الانبارى ما روى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد وربما غبى عليه ان السابقين الاولين كانوا أبعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من أن يتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرقؤه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة أهم الراسخون فى العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وانما نصب على المدح والمعنى أذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك فى صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين اعراب أوله وأوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب أوله وربما أجروا اعراب آخره على اعراب اوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الأزر

وهذا على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءنى قومك المطعمين وهم المعنون والقول الثانى ان المقيمين الصلاة غير الراسخين فى العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من

(واعتدنا للكافرين منهم) دون من آمن (عذابا أليما) فى الآخرة (لكن الراسخون فى العلم) اى الثابتون فيه المتقنون كابن سلام واضرابه (منهم) من أهل الكتاب (والمؤمنون) اى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك) أى سائر الكتب (والمقيمين الصلوة) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفى مصحف عبد الله والمقيمون وهى قراءة مالك بن دينار وغيره

قبلك و بالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبرى القول الثانى واختاره وقوله تعالى (والمؤتون الزكوة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت و بالثواب و بالعقاب (أولئك) يعنى من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم أجرا عظيما) يعنى سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو الجنة * قوله عز وجل (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدى بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله أنزل على بشر من شئ من بعد موسى فانزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا أوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح و بجميع الانبياء المذكورين فى هذه الآية وهم اثنى عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على أحد هؤلاء الانبياء قادحا فى نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا فى نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبى بعث بشريعة واول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر (وعيسى وايوب و يونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) يعنى وآتيناداود كتابا مزبورا يعنى مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم و يقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه و يقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجئ الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود و يتعجبون منها فلما فارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى البارحة وانا اسمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدى زاد البرقانى قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتى لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى فى هذه الآية لان الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء فى الآية انه لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعنى سميناهم فى القرآن وعرفناك أخبارهم والى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعانى الذين نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على

على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه ان يؤمن بهم جميعا اذلو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص

(انا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه فى الوحى اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كهود وصالح وشعيب وغيرهم (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط) اى اولاد يعقوب (وعيسى وايوب و يونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) زبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (ورسلا) نصب بمضمر فى معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا (قد قصصناهم عليك من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) سأل ابو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر اول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام والآية تدل

من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال القراء العرب تسمى كل ما يوصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامى يعنى على وجهه لم تك شيأ قال موسى يا رب هل فى خلقك شئ يشبه كلامك قال لا واقرب خلقى شبها بكلامى أشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعنى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين ارسلت رسلا الى خلقى مبشرين من اطاعنى واتبع امرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف أمرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة فى ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة فى ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التى النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر فى تلك الدلائل التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون أحكام الله تعالى التى افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد

علينا كل ذلك (وكلم الله موسى تكليما) اى بلا واسطة (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح اى اعنى رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وان يكون مفعولا اى وارسلنا رسلا واللام فى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا بما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها مما يعرف بالعقل

(وكان الله عزيزا) في العقاب على الانكار (حكيما) في بعث الرسل للانذار وما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل (لكن الله يشهد بما انزل اليك) ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات ٤٦٥ كما تثبت الدعاوى بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة (انزله بعلمه) اى انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه اوانزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى انكار الصفات فانه اثبت لنفسه العلم (والملائكة يشهدون) لك بالنبوة (وكفى بالله شهيدا) شاهدا وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انا لا نجده فى كتابنا (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الرشد (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمدا عليه السلام بتغيير نعته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ما داموا على الكفر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم فى جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يا أيها الناس

أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله (حكيما) يعنى فى ارساله الرسل قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله أعلم انكم لتعلمن انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفى رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك فى كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعنى ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى أن اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى أنزله عليك (أنزله بعلمه) يعنى انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم بانك أهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده فى انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعنى يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعنى وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك * قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات فى قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لأتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعنى عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعنى كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات فى قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم فى الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبى والجلاء وفى الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم طريقا) يعنى يجوز فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق فى علمه انهم لا يؤمنون (الا طريق جهنم) يعنى لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى الى جهنم وهى اليهودية لما سبق فى علمه انهم أهل لذلك (خالدين فيها) يعنى فى جهنم (أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا * قوله عز وجل (يا أيها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركى العرب (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعنى بدين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذى هو الحق (من ربكم) يعنى من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم)

قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) اى بالاسلام او هو حال اى محقا (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم اى اقصدوا واتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد

يعنى فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعنى من الكفر الذى أنتم عليه (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله ما فى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن ايمانكم لان له ما فى السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على ما يشاء (وكان الله عليما) يعنى بما يكون منكم لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله (حكيما) يعنى فى تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى النصارى وذلك ان الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا فى عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون فى عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذى أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا فى دين النصارى ليضلهم بذلك وستأتى قصته فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا فى امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا فى التقصير فى أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى فى رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب (لا تغلوا فى دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو فى الدين حرام والمعنى لا تفرطوا فى امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعنى لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد فى بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو فى دينهم ارشدهم الى طريق الحق فى امر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى بن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلمته) هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة (ألقاها الى مريم) يعنى أوصلها الى مريم (وروح منه) يعنى انه كسائر الارواح التى خلقها الله تعالى وانما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل فى جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله أن يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان فى كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل أدخل النكرة فى قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله) يعنى فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وأنه لا ولد له وصدقوا رسله فيما

بينهما فى الجزاء (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم) لا ابن الله (رسول الله) خبر المبتدا وهو المسيح وعيسى عطف بيان او بدل (وكلمته) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام (ألقاها الى مريم) حال وقد معه مرادة اى اوصلها اليها وحصلها فيها (وروح) معطوف على الخبر ايضا وقيل له روح لانه كان يحيى الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لما انه يحيى القلوب (منه) اى بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه و به اجاب على بن الحسين بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد فى مجلسه حيث زعم ان فى كتابكم حجة على ان عيسى من الله (فآمنوا بالله ورسله

ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدا محذوف اى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتهوا) عن التثليث (خير لكم) والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أانت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (انما الله) مبتدا (اله) خبره (واحد) توكيد (سبحانه ان يكون له ولد) أسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) بيان لتنزهه مما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه ولد أو جزأ منه اذ النبوة والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح فى الاجسام وهو يتعالى عن ان يكون جسما (وكفى بالله وكيلا) حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى نزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح) اى لن يأنف (أن يكون عبدا لله) هو رد على النصارى (ولا الملائكة) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (المقربون) اى الكرو بيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن

جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم فأثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعنى يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله اله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه أن يكون له ولد) يعنى لا ينبغى أن يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعنى انه تعالى كاف فى تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غنى عنهم وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعنى لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اى أنفت منه وأصله من نكفت الشئ نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح أن يكون عبدا لله (ولا الملائكة المقربون) يعنى

فى طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتى ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثانى على الاول لكن هذا ليس ما تنازع فيه لان الآية

تدل على ان الملائكة المقربين باجمعهم افضل من عيسى ونحن نسلم بان جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر الى هنا ذهب بعض اهل السنة ولان المراد ان الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجى رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر لا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هى التى تورث الحمقاء امثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير اب وهو يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى وينبئ بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم فبرؤه من العبودية فقيل لهم هذه الاوصاف فى الملائكة اتم منها فى المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل ان خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام افضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة افضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام الملائكة ودللنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء انهم قهروا نوازع الهوى فى ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث النفسانية والدواعى الجسدانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها فكانت ازيد ثوابا بالحديث

ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم فى ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى فى عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التى وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيد الله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولاحجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعنى كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعنى ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعنى فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذى وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيأ (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) يعنى يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعنى ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) يعنى الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله) يعنى من سوى الله لانفسهم (وليا) يعنى ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعنى ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته * بقى فى الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى والوجه الثانى ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى * قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التى تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق (وانزلنا اليكم نورا مبينا) يعنى القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع النور والايمان فى القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فاما الذين آمنوا بالله) يعنى صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب (واعتصموا به) يعنى بالله فى ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل فى معنى واعتصموا به اى وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم فى رحمة منه) يعنى فسيدخلهم فى رحمته التى ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعنى ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر

استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف احدهما فى التفصيل فى قوله تعالى بعد هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثانى ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) اى رسوله بيهر المنكر بالاعجاز (وانزلنا اليكم نورا مبينا) قرآنا يستضاء به على

فى ظلمات الحيرة (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله او بالقرآن (فسيدخلهم فى رحمة منه) اى جنة (وفضل) زيادة النعمة

على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعنى ويوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ويرشدهم لدينه الذى ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) نزلت فى جابر بن عبد الله الانصارى (ق) عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعودانى ماشيين فاغمى على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فافقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف اصنع فى مالى كيف أقضى فى مالى فلم يرد على شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وفى رواية فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قال هكذا نزلت وفى رواية للترمذى وكان لى تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ولابى داود قال اشتكيت وعندى سبع اخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يارسول الله الا أوصى لاخواتى بالثلثين قال أحسن قلت بالشطر قال أحسن ثم خرج وتركنى فقال ياجابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبى الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسيره والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملنى ان احدثك فيها مالم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحمك الله وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يامحمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم فى أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه أحد الابوين ولا أحد الاولاد قوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعنى مات سمى الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة (ليس له ولد) يعنى ولا والدا فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله اخت) يعنى ولذلك الهالك أخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من أبيه (فلها نصف ماترك) يعنى فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند ابى حنيفة وأهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت أخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث

(يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) كان جابر ابن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت (وله اخت) اى لاب وام او لاب (فلها نصف ماترك) اى الميت (وهو يرثها) اى الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) اى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره فى الاسقاط فلم اقتصر على نفى الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ (فان كانتا اثنتين) اى فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله اخت (فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة) اى وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة (رجالا ونساء) ذكورا واناثا (فللذكر) منهم (مثل حظ الانثيين

(يبين الله لكم ان تضلوا) يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهة ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفي رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها سبعة أشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في أهل مني ببراءة ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بمراده واسراركتابه

(تفسير سورة المائدة)

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة أشهر وان كان لا يجوز الظلم في شئ من جميع أشهر السنة وانما أفرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روى عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه

العقود

(يبين الله لكم) الحق فهو مفعول يبين (ان تضلوا) كراهة ان تضلوا (والله بكل شئ عليم) يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

(سورة المائدة)

مدنية وهي مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفى بالعهد واوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف او ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله

العقود التى أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التى عهدتها اليكم فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هى عهود الايمان وما أخذه على عباده فى القرآن فيما أحل وحرم وقيل هى العقود التى كانت فى الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذى كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا فى الاسلام وقيل بل هى العقود التى يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبرى واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا يا أيها المؤمنون بعقود الله التى اوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذى أربع من الحيوان لكن خص فى التعارف بما عدا السباع والضوارى من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حى لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر فى قول جميع أهل اللغة واختلفوا فى معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعزو على هذا القول انما أضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبى بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما أضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما أحل منها لانه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هى الاجنة التى توجد ميتة فى بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب أكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعى ويدل عليه ما روى عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الجنين ذكاته ذكاة امه أخرجه الترمذى وابن ماجه وفى رواية أبى داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد فى بطنها الجنين انلقيه ام نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى الطبرى عن ابن عمر فى قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما فى بطنها قال عطية العوفى قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد فى بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما فى بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل أكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى (الا ما يتلى عليكم) يعنى فى القرآن تحريمه وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وأنتم حرم) يعنى احللت لكم الانعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وأنتم محرمون فى حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا فى حال احرامه (ان الله يحكم ما يريد) يعنى ان الله يقضى فى خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكرى اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى امراء لا اقطع امرا دونهم واعلى أسلم وآتى بهم فخرج من

(احلت لكم بهيمة الانعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم فى البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم اى احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد (وانتم حرم) حال من محلى الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام فى حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام او من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر

(ولا الشهر الحرام) اى اشهر الحج (ولا الهدى) وهو ما اهدى الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة او لحاء شجر او غيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا فى أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله واما القلائد فجاز ان يراد بها ذوات القلائد وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لانها أشرف الهدى كقوله وجبريل وميكائيل كأنه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى اى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها (يبتغون) حال من الضمير فى آمين (فضلا من ربهم) اى ثوابا (ورضوانا) وان يرضى عنهم اى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم

عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها بالليل سواق حطم * ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نيا ما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هى المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل شعائر الهدايا المشعرة واشعارها أن يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة انها هدى وهو سنة فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فاحرم عليه شئ كان له حلالا أخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا ببدنته فاشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند أبى حنيفة لا يجوز اشعار الهدى بل قال يكره ذلك ٣ وقال ابن عباس فى معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هى ان تصيدوا وأنتم محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيأ من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التى نهى عنها (ولا الشهر الحرام) اى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسىء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عكاظ فيقول انى قد أحللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسىء فى سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى ما يهدى الى بيت الله من بعير أو بقرة او شاة أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * وأعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية بها لانها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعنى ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعنى يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق والارباح فى التجارة (ورضوانا) يعنى ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا يناولونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون

٣ قوله وقال ابن عباس الخ كأن هذا قول ثان له رضى الله عنه اذ تقدم له غير هذا اه

يلتمسون فى حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

(فصل) اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل فى الشهر الحرام وفى الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لا منسوخ فى هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا فى الشهر الحرام ولا فى غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال أهل الشرك فى الاشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم وقوله تعالى (واذا حللتم) يعنى من احرامكم (فاصطادوا) هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض معناه أنه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعوكم (شنآن قوم) يعنى بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعنى لأن صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأن صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل وأخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى) يعنى ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعنى ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله) اى احذروا الله ان تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف امره ففيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى فى اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله أحلت لكم بهيمة الانعام ثم

(واذا حللتم) خرجتم من الاحرام (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلى الصيد وانتم حرم (ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) جرم مثل كسب فى تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه واول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا وان صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامى وابو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكى وابو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفى او البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل اثم وعدوان

فيتناول بعمومه العفو والانتصار (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان اهل الجاهلية يأكلونه فقال (حرمت عليكم الميتة) اى البهيمة التى ماتت حتف انفها (والدم) اى المسفوح وهو السائل (ولحم الخنزير)

انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقى فى العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجارى وكانت العرب فى الجاهلية تجعل الدم فى المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير اراد به جميع اجزائه واعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم فى سورة البقرة احكام هذه الثلاثة اشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء فى ذلك وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعنى ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها اذا ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعنى المقتولة بالخشب وكانت العرب فى الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعنى التى تتردى من مكان عال فتموت او فى بئر فتموت والتردى هو السقوط من سطح او من جبل ونحو وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها ويدخل فى هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى او بالسهم (والنطيحة) يعنى التى تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب فى الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها فى حكم الميتة فاما الهاء فى هذه الكلمات التى تقدمت اعنى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت لم أثبتت الهاء فى النطيحة مع انها فى الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفى مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعنى كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رايت قبيلة بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف ارجل هو أم امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء فى النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتى فعيلة بالهاء وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقبيلة بنى فلان وقوله تعالى (وما اكل السبع) قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله او اكل منه اكلوا ما بقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفى الآية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقى منه (الا ما ذكيتم) يعنى الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة فى الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول على بن ابى طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبى هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جائز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها

وكله نجس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود (وما أهل لغير الله به) اى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت او انخنقت بالشبكة او غيرها (والموقوذة) التى اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت (والمتردية) التى تردت من جبل او فى بئر فماتت (والنطيحة) المنطوحة وهى التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما اكل السبع) بعضه ومات بجرحه (الا ما ذكيتم) الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا ادركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت

(وماذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون اليها تسمى الانصاب واحدها نصب اوهو جمع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) في موضع الرفع بالعطف على ٤٧٥ الميتة اى حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا

برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة وروح الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية أن يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشئ فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روى عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وساحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين وأقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرئ مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح وأما آلة الذبح فكل ما أنهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى (وماذبح على النصب) يعني وحرم ماذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وماذبح على اسم النصب او لاجل النصب فهو حرام (وأن تستقسموا بالازلام) يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اى ليس عليه شئ وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او مرقتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها * عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن واستقسم بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ماذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني يئسوا أن ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا

والاستقسام بالازلام وهي القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او غير ذلك يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب امرني ربي وعلى الآخر نهاني والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفي شرح التأويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل اوائك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على احكام الله تعالى ويجوز أن يجعل الله في النجوم معاني واعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء والائمة في ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم

الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة ويحتمل أن يعود الى كل محرم في الآية (اليوم) ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه او يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله تعالى

يطمعون فى ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم تريد يوما بعينه يعنى وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخافوهم) فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) اى وخافوا مخالفة امرى واخلصوا الخشية لى * قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الآية فى يوم الجمعة بعد العصر فى يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق و بركت لثقل الوحى وذلك فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فاى آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر انى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات فى يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم يوم عيدلنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودى فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت فى يوم عيدين فى يوم جمعة و يوم عرفة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان فى ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة و يوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع اعياد لاهل الملل فى يوم واحد قبله ولا بعده و روى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعنى بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم اى حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه انى اظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبى وكل كتاب ولم يكن هذا لغيرهذه الامة وقال ابن الانبارى اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ فى وقت ثم يزيد عليه فى وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما فى وقته وكذلك الوقت الثانى تاما فى وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين أكمل منها والشرائع التى تعبد الله عز وجل بها عباده فى الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع فى اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية

وفى بوعده من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين و زوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (واخشون) بغير ياء فى الوصل والوقف اى اخلصوا لى الخشية (اليوم) ظرف لقوله (أكملت لكم دينكم) بان كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك اى كفينا من كنا نخافه او أكملت لكم ما تحتاجون اليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوفيق على شرائع الاسلام وقوانين القياس

دينا) حال اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذا ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها (في مخمصة) مجاعة (غير) حال (متجانف لاثم) مائل الى اثم اى غير متجاوز سد الرمق (فان الله غفور) لا يؤاخذه بذلك (رحيم) باباحة المحظور للمعذور (يسئلونك) في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (ماذا أحل لهم) كانه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوا الان يسئلونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحل لهم خبره كقولك اى شئ احل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كانهم حين تلى عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال

في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد التحتم واما في آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) يعني بالكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل اهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه وأهله ويعدهم في الخير حتى يجيء الاسلام فيقول يارب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم أجزي وقوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة او الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعني لمن أكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار * قوله عز وجل (يسئلونك ماذا أحل لهم) روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا أحل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن ابي خيثمة وعويمر بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت

(قل احل لكم الطيبات) اى ما ليس بخبيث منها او هو كل ما لم يأت تحريمه فى كتاب الله او سنة او اجماع او قياس (وما علمتم) عطف على الطيبات اى احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا (من الجوارح)

اى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين وقيل هى من الجراحة فيشترط للمحل الجرح (مكلبين) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع انه استغنى عنها بعلمتم ان يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه اولان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد (تعلمونهن) حال او استئناف ولا موضع له وفيه دليل على ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من انجحهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عن لقاء النحارير انامله (مما علمكم الله) من التكليف

يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزى واخرج حديث أبى رافع الحاكم فى صحيحه قال البغوى فلما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوى وهذا القول أصح فى سبب نزولها وأما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعنى يسألك أصحابك يا محمد ما الذى أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل كانهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) يعنى قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعنى ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب او سنة * واعلم ان العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ باهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعنى واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اى اكتسبتم مكلبين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله ففى الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها انه ٣ اذا اشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها ان لا ينفر منه اذا اراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسكن عليك الا ان يأكل الكلب فلا تأكل فانى أخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لا تدرى أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا أصبت بحده فكل واذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته

٣ قوله اذا اشليت قال فى الصحاح وقول الناس أشليت الكلب على الصيد خطأ وقال ابو زيد أشليت الكلب دعوته وقال ابن السكيت يقال اوسدت الكلب بالصيد وآسدته اذا اغريته به ولا يقال اشليته انما الاشلاء الدعاء اه

بعد

بعد يوم او يومين ليس به الا أثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيما اذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيأ فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وهو أصح قولى الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم فى أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن أبى وقاص وبه قال مالك لما روى عن ابى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه ابو داود وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدا والمعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن ابى ثعلبة الخشنى قال قلت يارسول الله انا بارض قوم اهل كتاب أفنا كل فى آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى (فكلوا مما امسكن عليكم) دخلت من فى قوله مما للتبعيض لانه انما احل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعنى اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدى اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير فى عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح اى سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الاكل يعنى واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل ٣ وسيأتى بيان هذه المسئلة فى سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعنى واحذروا مخالفة الله يعنى فيما أحل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه عنه ثم قوله عز وجل (اليوم أحل لكم الطيبات) انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التى سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذى أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذى تقدم ذكره فى قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فبين انه كما أكمل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام فى ذلك اليوم وفى معنى الطيبات فى الآية المتقدمة وقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يعنى وذبائح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل فى دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فاما من دخل فى دينهم بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بنى تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن على بن أبى طالب قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يتمسكوا بشئ من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعى ان من دخل فى دين اهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبى رباح والشعبى وعكرمة وقتادة والزهرى والحكم وحماد وهو مذهب أبى حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعى وأجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر أهل الشرك من مشركى العرب وعبدة

(فكلوا مما أمسكن عليكم) الامساك على صاحبه ان لا يأكل منه فان أكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازى ونحوه فاكله لا يحرمه وقد عرف فى موضعه والضمير فى (واذكروا اسم الله عليه) يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح اى سموا عليه عند ارساله (واتقوا الله) واحذروا مخالفة امره فى هذا كله (ان الله سريع الحساب) انه محاسبكم على افعالكم ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كرره تأكيدا للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أى ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها بالملة

٣ قوله وسيأتى بيان هذه المسئلة الخ لم يتعرض لما ذكره هنا عند الآية الآتية فى سورة الانعام اه

الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على ان المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهى محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ماقبل هذه الآية فى بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام لايختلف من تولاه من كتابى أوغيره وانما تختلف الزكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودى أونصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لايحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبى وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقول وقال الحسن اذا ذبح اليهودى أو النصرانى وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولانسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولاوجه للنسخ وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعنى ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لايمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة فى ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لاتدخل الامة المؤمنة فى هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لايحل نكاح الزانية لانها لم تدخل فى هذا التحليل واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت انى أخشى ان أفضحك انى قد بغيت فأتى عمر فذكر ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر أو العفائف لبحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى واحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لايجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعى قال لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب أبى حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء فى حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وان طلحة ابن عبد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لاأعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء اهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لاتحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون

(وطعامكم حل لهم) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم

(والمحصنات من المؤمنات) هى الحرائر أو العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بحث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هى الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات

والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله تعالى (اذا آتيتموهن اجورهن) يعنى مهورهن وهو العوض الذى يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعنى متعففين بالتزوج غير زانين (ولا متخذى أخدان) يعنى ولا منفردين بمغى واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعنى ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعنى فقد بطل ثواب عمله الذى كان عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والآخرة وقيل فى معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعنى نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضى اعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزوج المسلمين اياهن ليس بالذى يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فى الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم فى الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله أو جحد بشئ مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعنى اذا أردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا تجرت فاتجر فى البر أى اذا أردت التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهرى وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبى صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه فى الصحيحين وقيل فى معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام الى الصلاة أن يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذى وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار فى معنى الآية * وفروض الوضوء المذكورة فى هذه الآية اربعة * الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعى على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وجهته ان الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا ولما روى فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب أن يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية فى جميع الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم

(اذا آتيتموهن اجورهن) أعطيتموهن مهورهن (محصنين غير مسافحين) متزوجين غير زانين (ولا متخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (فقد حبط) بطل (عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم) اى اذا أردتم القيام الى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن اى اذا اردت أن تقرأ القرآن فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم المسبب مقام السبب لملابسة بينهما طلبا للايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لانه دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضؤن لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ

وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الاعضاء الاربعة فى هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بانا انما أوجبنا النية فى الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس فى المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فقد دخل جميع اللحية فى حكم الوجه * الفرض الثانى قوله تعالى (وأيديكم الى المرافق) يعنى واغسلوا أيديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين فى الغسل ونقل عن مالك والشعبى وزفر وأبى بكر بن داود الظاهرى انه لا يجب ادخال المرفقين فى الغسل واختاره ابن جرير الطبرى ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذى آمر به أن يبلغ المرفقين فى الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل فى المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين فى الوضوء وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم اى مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث ابى هريرة انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى اشرع فى العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما فى هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه * الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء فى القدر الذى يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفى رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الشافعى الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب وأخذ الشافعى باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة وهو ما روى عن المغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية ربع الرأس * الفرض الرابع قوله تعالى (وأرجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء فى هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة

الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه عليه السلام لا يسرى به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله الى المرافق لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب والشافعى باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ بيان النبى عليه السلام وهو ما روى انه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس (وأرجلكم الى الكعبين)

الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب هذه القراءة انما أمر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها وبدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناها والجواب عنها فقال ابو حاتم وابن الانباري وأبو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما أتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال ابو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا ان مسح الرأس أخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد يتسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

بالبت يعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما أخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة في الشعر أو يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

(فصل) قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل أولا وجهه ثم يديه

بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتأخير غيرهم بالجر بالعطف على الرؤس لان الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهي عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح ان النبي عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما امر بغسل هذه الاعضاء لتطهرها من الاوساخ التي تتصل بها لانها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ اقرب الى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا اراد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل ان الاولى أن يصلي الرجل في احسن ثيابه وان الصلاة متعممة افضل من الصلاة مكشوف الرأس لما ان ذلك أبلغ في التعظيم

ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب فى الوضوء غير واجب احتج الشافعى على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد فى قصة السعى بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبى صلى الله عليه وسلم فى الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد فى نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله تعالى ونص عليه فى هذه الآية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الآية ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكرو بيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

(فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله) (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا بإناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا و يديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء فافرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه * عن عبد خير قال أتانا على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتى بإناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمين ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده فى الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمين ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه ابو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء فى اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فادخل أصبعيه السبابتين فى أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم او قال ظلم واساء أخرجه أبو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذى وصححه (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال اخبرنى عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم * عن خالد عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلى وفى قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فادركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين اوثلاثا * عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة أخرجه البخارى * عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه ابو داود والترمذى وقال وقد روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل بين يدى يقول التى قبلها أجود فنظرت فاذا عمر قال انى قد رأيتك جئت آنفا قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفى رواية قال رأيت ابا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع فى الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفى رواية لمسلم قال سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذى * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه ابو داود وابن ماجه وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى اغتسلوا امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المنى على اى صفة كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه فى الماء يخلل بهما أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده اما قوله تعالى (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد تقدم تفسيره واحكامه فى تفسير سورة النساء وفى قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعنى من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعنى ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم فى الدين من حرج قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعنى ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذى واثقكم به)

(وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغسلوا أبدانكم (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء أحد منكم) قال الرازى معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث (من الغائط) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (او لامستم النساء) جامعتم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه الذى واثقكم به)

اذ قلتم سمعنا وأطعنا) اى عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان (واتقوا الله) فى نقض الميثاق (ان الله عليم بذات الصدور) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ٤٨٦ ترك العدل فيهم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) اى العدل أقرب الى التقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه (واتقوا الله) فيما أمروا به ونهى (ان الله خبير بما تعملون) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعد يتعدى الى مفعولين فالاول الذين آمنوا والثانى محذوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) والوعيد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم) اى لا يفارقونها (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه

يعنى واذكروا عهده الذى عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذى أخذه عليهم فى يوم ألست بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعنى فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى ان الله تعالى عالم بما فى قلوب عباده من خير وشر * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق فى كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعنى وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب فى شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أهل بغضك وأعدائك أقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ألا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) أمر الله بالعدل فى كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو أقرب للتقوى) اى العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعنى ان الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما وافقهم الله به واوفوا بالعهود التى عاهدهم عليها (لهم مغفرة وأجر عظيم) هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل اى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم واذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعنى والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (أولئك) يعنى من هذه صفته (أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع فى أن الخلود فى النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضى الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعنى الملازم له * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعنى اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التى أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التى ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم) يعنى بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية وفى صفة هذه النعمة التى أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه اذ اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرنى سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبى صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك منى يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى

فانزل

الشيخان ابو بكر وعمر والحنتان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية اذ ظرف للنعمة (ان يبسطوا) بان يبسطوا (اليكم أيديهم) بالقتل يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به

فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمر الساعدى وهو أحد النقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهى من مياه بنى عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه الا ثلاثة نفر كانوا فى طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمرى فلم يرعهم الا الطير تحوم فى السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقى رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بنى عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبنى النضير يستعينهم فى عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه فى الديات وقيل أرادوا ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فعمد الى رحى عظيمة ليطرحها على النبى صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه على بن ابى طالب فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابى فمن خرج اليك منهم وسألك عنى فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعنى اليهود ان يبسطوا اليكم أيديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف أيديهم عنكم) يعنى انه تعالى منعهم مما أرادوه بكم (واتقوا الله) يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافى عباده جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدى اليهود عنهم لما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) لما ذكر الله فى الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اتبعه بذكر أسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) اختلف العلماء فى معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم

(ذكر القصة فى ذلك)

قال أصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى أن يسير بنى اسرائيل الى الارض المقدسة وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثنى عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمر وابه فاختار موسى النقباء وسار بنى اسرائيل حتى قربوا من أريحا وهى مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء

(فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد اليكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى والدافع والمانع (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) هو الذى ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم النقباء وساروا بهم فلما دنوا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا ويوشع ابن نون وكانا من النقباء

يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق أمه وهى احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوى وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ماورد فى الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه فى عين الشمس ويروى أن الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره مابلغ ركبتى عوج وقال النوح عليه السلام احملنى معك فى السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عنى ياعدو الله فانى لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا فى فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدد فنقب الصخرة وقوره بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقى عوج النقباء أخذهم وجعلهم فى حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال ألا اطحنهم برجلى فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل انه جعلهم فى كمه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا ان العنقود العنب لايحمله الا خمسة أنفس منهم بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة انفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض ياقوم انكم اذا أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبى الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن بنى اسرائيل خبر القوم وأخبروا موسى وهرون بما رأيتم فيريان رأيهما وأخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بنى اسرائيل نكثوا العهد والميثاق وأخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما أوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا (وقال الله انى معكم) فيه حذف تقديره وقال للنقباء انى معكم يعنى بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بنى اسرائيل والقول الاول أولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عوده الى النقباء أولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبنى اسرائيل (لئن أقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهى قوله لئن أقمتم الصلاة (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لاكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن أقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلى يعنى جميع رسلى وانما أفرد الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعنى ونصرتموهم وأصل التعزير فى اللغة الرد فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعنى به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة فى تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر أقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا أخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان أقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا اذا كان معناه فنبتم نباتا وقوله لاكفرن عنكم سيآتكم يعنى اذا فعلتم سائر ما أمرتكم به لامحون عنكم سيآتكم وأغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعنى بعد أخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعنى فقد

(وقال الله انى معكم) اى ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) وكانتا فريضتين عليهم (وآمنتم برسلى) من غير تفريق بين أحد منهم (وعزرتموهم) وعظمتموهم أو نصرتموهم بان تردوا عنهم أعداءهم والعزر فى اللغة الرد ويقال عزرت فلانا أى ادبته يعنى فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام فى (لأكفرن عنكم سيآتكم) جواب للقسم وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم) أى بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم

(فبما نقضهم ميثاقهم) ما مزيدة لافادة تفخيم الامر (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية حجة وعلى أى ردية من قولهم درهم قسى اى ردىء (يحرفون الكلم عن مواضعه) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعنى ان تركهم واعراضهم عن

التوراة أغفال حظ عظيم أو قست

أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذى شرعه والهدى الذى أمر باتباعه قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) اى بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بنى اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعنى جازيناهم على ذلك بان أبعدناهم وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعنى غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعنى يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معانى الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعنى وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعنى على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيانتهم التى ظهرت (الا قليلا منهم) يعنى انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أى فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز أن يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعنى اذا عفوت عنهم فانك تحسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق أتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود فى نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لان الله تعالى سماهم به أخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعنى فتركوا ما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأغرينا) يعنى فالقينا وأوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثانى ان

قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) اى هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة أى على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (واصفح ان الله يحب المحسنين) ومن فى قوله (ومن الذين

قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) وهو الايمان بالله والرسل وافعال الخير يعنى ملفى باخذنا اى وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصر الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان (فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا) فالصقنا وألزمنا من غرى بالشئ اذا لزمه والصق به ومنه الغراء الذى يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بالاهواء المختلفة

(وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) اى فى القيامة بالجزاء والعقاب (يا اهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس (قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفوا عن كثير) مما تخفونه لا يبينه او يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق اولانه ظاهر الاعجاز او النور محمد عليه السلام لانه يهتدى به كما سمى سراجا (يهدى به الله) ٤٩٠ اى بالقرآن (من اتبع رضوانه) من آمن منهم (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله فالسلام السلامة او الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الاسلام (باذنه) بارادته وتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) معناه بت القول على ان الله هو المسيح لاغير قيل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك او لان مذهبهم يؤدى اليه حيث انهم اعتقدوا انه يخلق ويحيى ويميت (قل فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيأ (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا) اى ان اراد أن يهلك من دعوه الها من المسيح وأمه يعنى ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من فى الارض جميعا على المسيح وأمه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما و بينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص الى الصمدية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) اى يخلق من ذكر وأنثى و يخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى و يخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم و يخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد (والله على كل شئ قدير)

المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الأخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم التى عملوها فى الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى (يا أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما أخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفوا عن كثير) يعنى مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن (يهدى به الله) يعنى يهدى الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) اى اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده و بعث به رسله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعنى دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعنى يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعنى يقدر ان يدفع (من الله شيأ) يعنى من امر الله شيأ (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) يعنى يعدم المسيح وأمه (ومن فى الارض جميعا) و وجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا أراد اهلاكه واهلاك أمه وغيرها (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد ما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه واهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده (يخلق ما يشاء) يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير اب وأم وخلق عيسى من أم بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وأم (والله على كل شئ قدير) يعنى ان الله تعالى لا يعجزه شئ أراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) قال ابن

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) اى أعزة عليه كالابن على الاب او أشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله و يقول أقرباء الملك وحشمه نحن ابناء الملوك اونحن ابناء رسل الله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح انكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار ايا ما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال رداً عليهم (بل أنتم بشر ممن خلق) اى انتم خلق من خلقه لا بنوه (يغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلا (ويعذب من يشاء) من مات عليه عدلا (ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك والبنوة متنافيان (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم) اى الشرائع وحذف لظهوره اوما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره اولا يقدر المبين و يكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال اى مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة او خمسمائة سنة وستون سنة

ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز و جل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدى قال أما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى منادأن اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى ان تمسنا النار الا ايا ما معدودات وأما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد وأما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله وأما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب الى ابى وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء لتقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا فى تعظيم انفسهم الى أن قالوا نحن ابناء الله وأحباؤه فابطل الله عز و جل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه فى النار (بل أنتم بشر ممن خلق) يعنى بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعنى ان تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له و يميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) يعنى انه تعالى يملك ذلك لا شريك له فى ذلك فيعارضه وهو الذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل أن يكون له شبيه من خلقه اوشريك فى ملكه (واليه المصير) يعنى والى الله مرجع العباد فى الآخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة و وهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الآية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعنى احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك انها اربعمائة و بضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى ومحمد اربعة من الرسل فذلك قوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادرى من هو فكانت تلك السنون مائة واربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال ابو سليمان الدمشقى والرابع والله اعلم خالد

ابن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد كان تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم أن يقولوا انما عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فى هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعنى فقد أرسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على بعثة الرسل فى وقت الحاجة اليهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادى الله عندكم وايامه التى أنعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتمادى هؤلاء اليهود فى الغى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم سلى بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم فى ذات الله عز وجل (اذ جعل فيكم انبياء) يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بايام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بان جعل فيكم أنبياء قال الكلبى هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وأيضا كان أنبياء بنى اسرائيل من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك أنهم من أكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وأيضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل انبياء فانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء فكان هذا اشرفا عظما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا فى ايدى القبط قال ابن عباس يعنى جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التى انعم الله بها عليهم قوله تعالى (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هى الطور وما حوله وقيل هى اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى ارضه وبها كثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى

(أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير) والفاء فى (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم (بشير) للمؤمنين (ونذير) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (والله على كل شئ قدير) فكان قادرا على ارسال محمد عليه السلام ضرورة (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء) لانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم بتكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولانهم كانوا مملوكين فى أيدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام او أراد عالمى زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) اى المطهرة او المباركة وهى أرض بيت المقدس او الشام (التى كتب الله لكم) قسمها لكم

اوسماها او كتب فى اللوح المحفوظ انها مسا كن لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا ولا ترتدوا على ادباركم فى دينكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين) الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد (وانا لن ندخلها) بالقتال (حتى يخرجوا منها) بغير قتال (فان يخرجوا منها) بلا قتال (فانا داخلون) بلادهم حينئذ (قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين وهو فى محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أنعم الله عليهما) بالخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) اى باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) اى انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للمخلائق (قالوا يا موسى انا لن ندخلها) هذا نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التوكيد (أبدا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول (ما داموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب انت وربك يعينك على قتالك او وربك اى وسيدك وهو أخوك الا كبر هرون اولم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيئنى تريد معنى الارادة كانهم قالوا أريد قتالهم

كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكنهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على ادباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذى امركم به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعنى فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله * قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (يا موسى ان فيها) يعنى فى الارض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى اجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعنى أرض الجبارين التى أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بنى اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا اخبروا موسى أمرهم ان لا يخبر وا بنى اسرائيل بذلك فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا فى أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بنى اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا ونتصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعنى يخافون الله ويراقبونه (أنعم الله عليهما) يعنى بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعنى قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب ابن يوفنا لبنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعنى يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فانا قد رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا) يعنى قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين أبدا يعنى مدة حياتنا (ما داموا فيها) يعنى مقيمين فيها (فاذهب انت وربك

(فقاتلا انا ههنا قاعدون) ما كثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قال رب انى لا أملك) لنصرة دينك (الا نفسى وأخى) وهو منصوب بالعطف على نفسى او على ٤٩٤ اسم ان اى انى لا أملك الا نفسى وان أخى لا يملك الا نفسه او مرفوع بالعطف على محل ان واسمها او على الضمير فى لا املك وجاز للفصل اى ولا يملك أخى الا نفسه او هو مبتدا والخبر محذوف اى وأخى كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكانه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكرا النبى المعصوم او اراد ومن يؤاخينى على دينى (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم اهله وهو فى معنى الدعاء عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجنى من القوم الظالمين (قال فانها) اى الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم اى بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم او المراد فانها محرمة عليهم (اربعين سنة) فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها واقام فيها ما شاء الله ثم قبض واربعين ظرف التحريم والوقف على اربعين سنة او ظرف (يتيهون فى الارض) اى يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا اربعين سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث أصبحوا فى ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له

(فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجىء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما أرادوا بقولهم وربك أخاه هرون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب الى مما عدل به أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر قوله تعالى (قال) يعنى موسى عليه السلام (رب) اى يا رب (انى لا أملك الا نفسى وأخى) يعنى انى لا أملك الا نفسى وأخى لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا أملك الا نفسى ونفس اخى لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا أملك الا نفسى واخى وان كان معه فى طاعته يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخى فى الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه فى الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان فى قوله وأخى ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اى افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة أمر الله وهمهم بوقوع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فأجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعنى فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم أبدا ولم يرد تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع فاوحى الله تعالى الى موسى بنى حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولاتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم فى هذه القفار وأما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى أمرهم بان يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون فى الارض فاما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها أبناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله تعالى (يتيهون فى الارض) يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا فى مقدار الارض التى تاهوا فيها فقيل مقدارها ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا أمسوا اذا هم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض

اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى ازمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شئ قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالمكث اربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكونوا معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم فى التيه ومات فى التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحاء ممن قال انا ان ندخلها ابدا واختلفوا فى ان موسى عليه السلام مات فى التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا فى التيه جميعا

(قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام)

فمات هرون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدى اوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى انى احب ان انام على هذا السرير قال نم قال انى اخاف ان يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال لا تخف انا كفيك رب هذا البيت ثم قال يا موسى فنم أنت معى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان أخى افترونى أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * وأما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبى الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى كنت أنت تبتدئ به وتذكره لى ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أى رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفى رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال أجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء بأجوبة أحدها أنه

لا يمتنع أن يكون الله قد أذن لموسى فى هذه اللطمة و يكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل فى خلقه ما يشاء و يمتحنهم بما أراد ٣ والثانى ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا جواب الامام ابى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض قالوا وليس فى الحديث تصريح بانه قصد فقء عينه فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى وأما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فاشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب ابن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفى الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة و بعث الله يوشع الى بنى اسرائيل فاخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرئيل الى أريحا وهى مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان فى السابع نفخوا فى القرون وضجوا فى الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله وسال الشمس أن تقف والقمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل ففعلوا فالصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفى الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا أخرجه البخارى ومسلم * شرح غريب هذا الحديث (قوله لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة) البضع بضم

٣ قوله والثانى الخ هذا هو الجواب الثالث فى شرح النووى على مسلم ونص الجواب الثانى فيه والثانى ان هذا على المجاز والمراد ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة و يقال فقأ فلان عين فلان اذا غلبه بالحجة و يقال عورت الشئ اذا أدخلت فيه نقصا قال وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عينه فان قيل اراد رد حجته كان بعيدا والثالث الخ اه

الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أى لم يدخل عليها والخلقات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيى الدين قال القاضى عياض اختلف الناس فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذى حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضى وقد روى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افراتيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذى فتح أريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى الآية فقال الله عزوجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ماصنعت بنا يا موسى فمكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره فى التيه لم يجز ع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) يعنى لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز أن يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اى لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) يعنى اذكر لقومك واخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابنى آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابنى آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث فى الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به

(ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل)

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير ان حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته

(فلا تأس على القوم الفاسقين) فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم فى التيه لانه كان عقابا وقد سأل موسى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هرون فى التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء فى التيه الا كالب ويوشع ثم امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (واتل عليهم) على اهل الكتاب (نبأ ابنى آدم) من صلبه هابيل وقابيل او هما رجلان من بنى اسرائيل (بالحق) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين او تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وانت محق صادق (اذ قربا) نصب بالنبا اى قصتهما وحديثهما فى ذلك الوقت او بدل من النبا اى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قربانا) ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله

(فتقبل من احدهما) قربانه وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) قربانه وهو قابيل روى انه اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسده عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل

ار بعين ولدا فى عشر بن بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله فى نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده و ولد ولده اربعين ألفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية اخواته شاء غير توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا امر الله آدم أن يزوج قابيل لبودا أخت هابيل و يزوج هابيل اقليما أخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى أختى وأنا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه آدم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردىء واضمر فى نفسه لا أبالى أيتقبل منى أم لا لا يتزوج أختى احد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش فى غنمه فقربه واضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى أن اتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فاتى قابيل هابيل وهو فى غنمه (قال لأقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك وردّ قربانى وتريدان تنكح أختى الحسناء وانكح أختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير منى و يفخر ولدك على ولدى فقال هابيل وما ذنبى (انما يتقبل الله من المتقين) يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الى يدك) يعنى لئن مددت الى يدك (لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك) يعنى ما انا بمنتصر لنفسى بل أستسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (انى اخاف الله رب العالمين) والمعنى انى اخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك * قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (انى أريد أن تبوء باثمى واثمك)

يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قال لأقتلنك) اى قال لهابيل (قال انما يتقبل الله من المتقين) وتقديره قال لم تقتلنى قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المتقين وانت غير متق فانما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لامن قبلى وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال انى اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (لئن بسطت) مددت (الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط) بماد (يدى) مدنى وابو عمرو وحفص (اليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا فان فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى اثمه وانما معناه ما انا باسط يدى اليك مبتدئا كقصدك ذلك منى وكان هابيل عازما على مدافعته اذا قصد قتله وانما قتله فتسكا على غفلة منه انى اخاف جازى وابو عمرو (انى أريد) مدنى (ان تبوء) ان تحتمل او ترجع (باثمى) باثم قتلى اذا قتلتنى (واثمك) الذى لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وانما اراد ذلك لكفره بربه قضية الله تعالى او كان ظالما وجزاء الظالم جائز ان يراد يعنى

يعنى ترجع باثم قتلى الى اثم معاصيك التى عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل انى أريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز قلت اجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى أريد ان تبوء باثمى واثمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه أشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فانا أريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى أريد ان تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف وما باء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا القتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من اصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلم القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى (فاصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته أما دنياه فاسخاط والديه وبقى بلا اخ وأما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه) قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل ترك به العراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أروح وأنتن فاراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها ووارا ه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الارض يعنى يحفرها و ينثر ترابها اليريه كيف يوارى سوءة اخيه يعنى ليرى الله او يرى الغراب قابيل كيف يوارى و يستر جيفة اخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال ياويلتا) اى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فاوارى سوءة اخى) يعنى فاستر جيفته وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) يعنى على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا اعظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت

(فقتله) عند عقبة حراء او بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه) اى الله او الغراب (كيف يوارى سوءة اخيه) عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده روى انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة فحينئذ (قال ياويلتا أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فاوارى) عطف على اكون (سوءة اخى فاصبح من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى امره ولم يندم ندم التائبين او كان الندم توبة لنا خاصة او على حمله لا على قتله وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك فالسودان من ولده وما روى ان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر

الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك لينادينى من الارض فلم قتلت اخاك قال فان دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده أبدا وروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بنى انت وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرثى الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالجهلة من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد أخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما كانت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثلج فى الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وأبقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى (من أجل ذلك) يعنى بسبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل فى اللغة الجناية يقال أجل عليهم شرا أى جنى عليهم شرا (كتبنا) اى فرضنا واوجبنا (على بنى اسرائيل) فان قلت من أجل ذلك معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل

(من اجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة الى القتل المذكور قيل هو متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك اى فاصبح من النادمين لاجل حمله ولاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين (كتبنا على بنى اسرائيل) خصهم بالذكر وان اشترك الكل فى ذلك لان التوراة اول كتاب فيه الاحكام

وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من أجل ذلك اى من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعانى على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره فى هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنه قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى أنه حظر فى انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من اجل ذلك الذى ذكرنا فى اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببنى اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور ههنا فى حق بنى اسرائيل غير ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا شك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ما أقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله أعلم بمراده * قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعنى قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعنى بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (او فساد فى الارض) هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد فى الارض (فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبى او امام عدل فكانما أحيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعنى من غرق او حرق او وقوع فى هلكة فكانما أحيا الناس جميعا يعنى ان له من الثواب مثل ثواب من أحيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعانى قوله ومن أحياها على المجاز لان المحيى هو الله تعالى فى الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية أهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل فقال اى والذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعنى بعد مجىء الرسل وبعدما كتبنا عليهم تحريم القتل (فى الارض لمسرفون) يعنى بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه يجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله)

عطف على نفس اى بغير فساد فى الارض وهو الشرك او قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فكانما قتل الناس جميعا) اى فى الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (ومن أحياها) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك (فكانما أحيا الناس جميعا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور ان قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذى أراد احياءها اذا تصور ان حكمه حكم احياء جميع الناس رغب فى احيائها (ولقد جاءتهم) اى بنى اسرائيل (رسلنا) رسلنا ابو عمرو (بالبينات) بالآيات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم او بعد مجىء الرسل بالآيات (فى الارض لمسرفون) فى القتل لا يبالون بعظمته (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) اى اولياء الله فى الحديث يقول الله تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة

قال ابن عباس نزلت فى قوم من أهل الكتاب كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا فى الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى قوم من عرينة وعكل أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبى الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فامرلهم النبى صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى أثرهم فامر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة و ينهى عن المثلة زاد فى رواية قال قتادة فحدثنى ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفى رواية للبخارى ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعى واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم فى الحرة يعضون الحجارة زاد فى رواية قال أبو قلابة وأى شئ أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفى رواية ابى داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامرلهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم ان يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل فى آثارهم فما ارتفع النهار حتى جىء بهم فامر بهم فقطعت أيديهم وارجلهم وسمرت أعينهم وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد فى رواية له وأنزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه (قوله انا كنا أهل ضرع) يعنى أهل ماشية و بادية نعيش باللبن ولسنا من أهل المدن والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع أرياف (قوله استوخموا المدينة) يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله و ينهى عن المثلة المثلة ان تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير النسل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال

تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثانى معناه يحاربون اولياء الله واولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال أبو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) وللعلماء فى لفظة او المذكورة فى هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس فى رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى ومجاهد وهو ان الامام مخير فى أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثانى ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روى عن ابن عباس فى قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وارجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا اموالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعى والشافعى وأصحاب الرأى واختلفوا فى كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن فى بطنه برمح حتى يموت قال الشافعى يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق فى ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا فى تفسير النفى من الارض المذكور فى الآية فقيل ان الامام يطلبهم فى كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعى وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفى هو الحبس لانه نفى من الارض لان المحبوس لا يرى أحدا من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفى من الارض فى الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التى هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس فى السجون يعنى من هذه الامة وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذى ذكر فى هذه الآية من الحدود (لهم) يعنى للمحاربين (خزى فى الدنيا) أى عذاب وهوان وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فاما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب فى الدنيا فهو فى خطر المشيئة ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) يعنى لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعى فى الارض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم يعنى فلا سبيل لكم عليهم بشئ من العقوبات المذكورة فى الآية المتقدمة (فاعلموا أن الله غفور) يعنى لمن تاب من الشرك (رحيم) يعنى به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية وانه لا يطالب بشئ مما صاب من مال أو دم قال أبو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التى وجبت عليهم فى كفرهم ليكون ذلك داعيا

(ويسعون فى الارض فسادا) مفسدين ويجوز ان يكون مفعولا له اى للفساد وخبر جزاء (ان يقتلوا) وما عطف عليه وافاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل (او يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل واخذ المال (أو تقطع ايديهم وارجلهم) ان اخذوا المال (من خلاف) حال من الايدى والارجل اى مختلفة (او ينفوا من الارض) بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة (ذلك) المذكور (لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) فتسقط عنهم هذه الحدود لانها حق العباد (فاعلموا ان الله غفور رحيم) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فلا تؤذوا عباد الله (وابتغوا اليه الوسيلة) هى كل ما يتوسل به اى يتقرب من قرابة او صنيعة

لهم الى الدخول فى الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشئ بالاجماع وأما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدى هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشئ الا اذا أصيب عنده مال بعينه فانه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والاوزاعى غير أن مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فاما ما أصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الامام بشئ من ذلك وهذا حكم على بن أبى طالب فى حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فامنه على على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى أبى موسى الاشعرى وهو على الكوفة فى خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت فى الارض بالفساد وانى قد تبت من قبل أن يقدر على فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى فى الارض فسادا وانه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد الا بخير وقال الشافعى يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بنى آدم من قصاص أو مظلمة من مال أو غيره وأما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعى ويحتمل أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعنى واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة فى نوعين لا ثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثانى التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر

* ان الرجال لهم اليك وسيلة *

أى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة أى تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا فى سبيله) أى وجاهدوا العدو فى طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تسعدوا بالخلود فى جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعنى ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) المقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أيسر من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفى رواية البخارى قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك أن لا تشرك بى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا جاهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثانى انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعنى ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قال ابن السائب نزلت فى طعمة بن أبيرق وقد مناقصته فى سورة النساء وانما سمى السارق سارقا لانه يأخذ الشئ الذى ليس له أخذه فى خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحد بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبى والسدى وكذلك هو فى قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيمانهما وانما قال أيديهما ولم يقل يديهما لانه أراد يمينا من هذا ويمينا

يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة من الجراءة وهى فى الرجال اكثر وآخر الزانى لان الزنا ينبعث من الشهوة

من

من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شئ موحد من أعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها فى حد السرقة من الكوع وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعنى ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعنى عقوبة من الله (والله عزيز) فى انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعنى فيما أوجبه من قطع يد السارق

(فصل فى بيان حكم الآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السرقة (ق) عن عائشة أن قريشا أهمهم شان المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترى عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع فى حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها* وعن عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائى (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوى دراهم أخرجه البخارى ومسلم أما السارق الذى يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه *(المسئلة الثانية)* اختلف العلماء فى قدر النصاب الذى يقطع به فذهب أكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعى والشافعى ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا اخرجاه فى الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم او قيمتها لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابى هريرة ان قدر النصاب الذى تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابى ليلى لما روى عن انس قال قطع ابو بكر فى مجن قيمته خمسة دراهم وفى رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائى وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع فى اقل من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثورى وابو حنيفة لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع فى مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع فى القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهرى واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز *(المسئلة الثالثة)* الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التى يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان فى غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعى واحمد وقال ابن ابى ليلى والثورى والاوزاعى وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان فى برية ولا راعى له او متاع فى بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن

وهى فى النساء اوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنا تفاديا عن قطع النسل (جزاء بما كسبا) مفعول له (نكالا من الله) اى عقوبة منه وهو بدل من جزاء (والله عزيز) غالب لا يعارض فى حكمه (حكيم) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة

عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة فلا شئ عليه اخرجه الترمذى وابو داود والنسائى و زاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة (قوله غير متخذ خبنة) الخبنة بالخاء المعجمة و بعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان فى حضنه وقيل هو ما يأخذه فى خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع التمر الذى يجفف فيه مثل البيدر للحنطة و روى مالك فى الموطا عن ابى حسين المكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع فى ثمر معلق ولا فى حريسة الجبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابى حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده و جده هو عبد الله بن عمرو بن العاص (قوله ولا فى حريسة الجبل) من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس فى الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هى الشاة التى يدركها الليل قبل ان تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذى تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذى والنسائى *(المسئلة الرابعة)* اذا سرق ما لا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد من هؤلاء فيه *(المسئلة الخامسة)* اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر و يحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابى بكر وهو قول قتادة و به قال مالك والشافعى لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوى بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده و رجله فلا قطع عليه بل يحبس و روى عن على انه قال انى استحى ان لا أدع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها وهذا قول الشعبى والنخعى والاوزاعى و به قال احمد واصحاب الرأى قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعنى من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (واصلح) يعنى واصلح العمل فى المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعنى فان الله يغفر له و يتجاوز عنه (ان الله غفور) يعنى لمن تاب (رحيم) به

(فصل) وهذه التوبة مقبولة فيما بينه و بين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عندا كثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه فى المستقبل عن ابى أمية المخزومى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جى به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود والنسائى بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عندا كثر اهل العلم وقال الثورى واصحاب الرأى لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرد الى صاحبه و تقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمى فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم * قوله عز و جل (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد

(فمن تاب) من السرقة (من بعد ظلمه) سرقته (واصلح) برد المسروق (فان الله يتوب عليه) يقبل توبته (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنبه و يرحمه (الم تعلم) يا محمد او يا مخاطب (ان الله له ملك السموات والارض

من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعنى ان الله مدبر امر ما فى السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما وما لكه لايمتنع عليه شئ مما اراده فيهما لان ذلك كله فى ملكه واليه امره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك فى الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه فى مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة فى قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصى لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافى ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه فى ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه قوله تعالى (يا أيها الرسول) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبى فى مواضع من كتابه وبيا أيها الرسول فى موضعين هذا احدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله (لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لاتهتم بموالاتهم الكفار ولا تبال بهم فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعنى المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول واكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) اى وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثانى ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اى ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب اى يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لاتسمع من فلان اى لاتقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى (سماعون) يعنى بنى قريظة يعنى انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم اهل خيبر (لم يأتوك) يعنى اهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد

(ذكر القصة فى ذلك)

قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس فى كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بنى قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا احدهما فان امركم بالحد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بنى قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان تسألوه عن قضائه فى ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا

كل شئ) من التعذيب والمغفرة وغيرهما (قدير) قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) اى لاتهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فى الكفر اى فى اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب اى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر وقوعهم فيه اسرع شئ اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها (من الذين قالوا) تبيين لقوله الذين يسارعون فى الكفر (آمنا) مفعول قالوا (بافواههم) متعلق بقالوا اى قالوا بافواههم آمنا (ولم تؤمن قلوبهم) فى محل النصب على الحال (ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين قالوا اى من المنافقين واليهود ويرتفع (سماعون للكذب) على انه خبر مبتدأ مضمر اى هم سماعون والضمير للفريقين او سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) اى سماعون منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجوههم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك

والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا احدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاى رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام فى التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودى قال كذلك يقولون فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر فى امرأة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد اربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما أثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد ناشدنى بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبى صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيا امرك اذ أماتوه فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية أخرى لهما قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقال لرجل ممن يرضون اعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرأيته يحنى زاد فى رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هكذا

(يحرفون الكلم من بعد مواضعه) اى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا موضع
يحرفون صفة اقوم كقوله لم يأتوك اوخبر لمبتدا محذوف اى هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم (يقولون

تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم اخبرك نجد الرجم ولكنه كثر فى اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر الى قوله ان أوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبى صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه فى كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى اليه ان الرجم فى التوراة الموجودة فى ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما فى حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعنى يغيرون حدود الله التى اوجبها عليهم فى التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبرى يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعنى من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال فى موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعنى انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفى قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى (يقولون) يعنى اليهود (ان اوتيتم هذا فخذوه) يعنى ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعنى وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعنى كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعنى فلن تقدر على دفع امر الله فيه (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفى هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على القدرية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى للمنافقين واليهود اما خزى المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزى اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبى والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى الخلود فى النار للمنافقين واليهود * قوله عز وجل (سماعون للكذب اكالون للسحت) نزلت فى حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها فى كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع

ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز ان يكون حالا من الضمير فى يحرفون (فخذوه) واعلموا انه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وافتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) فاياكم واياه فهو الباطل روى ان شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله عليه السلام عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر (فلن تملك له من الله شيأ) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا (لهم فى الدنيا خزى) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) اى التخليد فى النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد اى هم سماعون ومثله (أكالون للسحت) وهو كل مالا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفى الحديث هو الرشوة فى الحكم وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكى وبصرى وعلى

الكذب ويأكل الرشوة وهى السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة فى الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشى والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا تكون له بركة ولا آخذه مروءة ويكون فى حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشى والمرتشى فى الحكم أخرجه الترمذى واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك فى الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة فى كل شئ فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * قوله عز وجل (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خيره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت فى اليهود بين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت فى رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حيى بن أخطب قد جعل للنضيرى ديتين وللقرظى دية واحدة لانه كان من بنى النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيى ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم

(فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) فلن يقدروا على الاضرار بك لان الله تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين

(فصل) اختلف علماء التفسير فى حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها منسوخة وذلك ان أهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال أحمد لانه لا منافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما أنزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا

الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لاجرم ان الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفى الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من اجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم (وما أولئك) يعنى اليهود (بالمؤمنين) يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك * قوله عز وجل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث فى بنى اسرائيل ألوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا اى انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم فى التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعنى لليهود يعنى يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو فى التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا (والربانيون والاحبار) أما الربانيون فتقدم تفسيره فى سورة آل عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمى به لمكان الحبر الذى يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال أبو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه فى قلوب الناس وافعاله الحسنة التى يقتدى بها وجمعه أحبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه وانما سمى العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم فى الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعنى بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله فى صدورهم ويدرسونه بالسنتهم لئلا

به وبكتابه مع ان الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهى مبتدا وخبره عندهم (ثم يتولون من بعد ذلك) عطف على يحكمونك اى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (وما اولئك بالمؤمنين) بك او بكتابهم كما يدعون (انا انزلنا التوراة فيها هدى) يهدى للحق (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) انقادوا لحكم الله فى التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعداء من ملة الاسلام التى هى دين الانبياء كلهم (للذين هادوا) تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم (والربانيون والاحبار) معطوفان على النبيون اى الزهاد والعلماء (بما استحفظوا) استودعوا قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها فى يحكم بها (من كتاب الله) من للتبيين والضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اى كلفهم الله حفظه او للربانيون والاحبار ويكون الاستحفاظ من الانبياء

ينسوه وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعنى ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى لا تخافوا أحدا من الناس فى اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعنى فى كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا) يعنى ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعنى الرشوة فى الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع فى المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يعنى ان اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه فى التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت فى الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روى عن البراء ابن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث فى اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله رد الكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من أحكام الله تعالى التى أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعى هذه الآيات الثلاث عامة فى اليهود وفى هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدى لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفى عليه النص أو أخطأ فى التأويل فلا يدخل فى هذا الوعيد والله أعلم بمراده قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) يعنى وفرضنا على بنى اسرائيل فى التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم فى التوراة ان على الزانى المحصن الرجم وأخبر ان اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا ان فى التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بنى النضير على بنى قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بنى النضير أدوا اليهم الدية كاملة فغير واحكم الله الذى أنزله فى التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه فى التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعى انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث على بن أبى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى (والعين بالعين) يعنى

(وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فى حكوماتهم وامضائها على خلاف ما أمر وابه من العدل خشية سلطان ظالم او خيفة أذية أحد (واخشون) فى مخالفة امرى وبالياء فيهما سهل وافقه أبو عمرو فى الوصل (ولا تشتروا بآياتى) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضى الله عنه هو عام فى اليهود وغيرهم (وكتبنا عليهم فيها) وفرضنا على اليهود فى التوراة (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق (والعين) مفقوءة (بالعين

والانف) مجدوع (بالانف والاذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) اى ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه مايمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة فنزلت

نفقأها (والانف بالانف) يعنى يجدع به (والاذن بالاذن) يعنى تقطع بها (والسن بالسن) يعنى تقلع بها وأما سائر الاطراف والاعضاء فيجرى فيها القصاص كذلك وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعنى فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما مالايمكن القصاص فيه كرض فى لحم أو كسر فى عظم أو جراحة فى بطن يخاف منها التلف فلا قصاص فى ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا فى التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة فى شرعنا ومن أنكره قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسئلة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعى وعن أحمد فى احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحى وهو الحق والالم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر أحد كون النبى صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحى اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدى من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور فى التوراة ومكتوب على بنى اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى (فمن تصدق به) يعنى بالقصاص فلم يقتص من الجانى (فهو كفارة له) فى هاء له قولان احدهما ان الهاء فى له كناية عن المجروح وولى المقتول وذلك ان المجروح او ولى المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روى عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذى وعن انس قال مارايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود والنسائى والقول الثانى ان الضمير فى قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعنى ان المجنى عليه اذا عفا عن الجانى كان ذلك العفو كفارة لذنب الجانى لا يؤاخذ به فى الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله تعالى وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) يعنى لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل * قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعنى وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعنى ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بأن التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعنى فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار للاول لان فى الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفى الثانى الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار

وقوله ان النفس بالنفس يدل على أن المسلم يقتل بالذمى والرجل بالمرأة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ماعملت فيه أن ورفعها على للعطف على محل أن النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت (فمن تصدق) من اصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من تصدق بدم فادونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالامتناع عن ذلك (وقفينا) معنى قفيت الشئ بالشئ جعلته فى أثره كأنه جعل فى قفاه يقال قفاه يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين الذين اسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا) هو حال من عيسى (لما بين يديه من

التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) اى وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذى تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذى قام مقامه فيه

(وهدى وموعظة) انتصبا على الحال اى هاديا وواعظا (للمتقين) لانهم ينتفعون به (وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بوجه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كى اى وقفينا ليؤمنوا وليحكم (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله يجوز ان يحمل على الجحود فى الثلاث ١٤ه فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما انزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم فى حكمه فاسق فى فعله (وانزلنا اليك الكتاب) اى القرآن فحرف التعريف فيه للعهد (بالحق) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطا (مصدقا) حال من الكتاب (لما بين يديه) لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشئ هو بين يديه لان ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها فى التوحيد والعبادة وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون (ومهيمنا عليه) وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات (فاحكم بينهم بما انزل الله) اى بما فى القرآن (ولا تتبع

(وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قال أهل المعانى قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم فى وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثانى أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما فى كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره فى الانجيل وجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما فى الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعنى فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل (وأنزلنا اليك الكتاب) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وانزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعنى بالصدق الذى لا شك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعنى انه يصدق جميع الكتب التى انزلها الله على انبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعنى شاهدا على الكتب التى قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذو والالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التى قبله لانه الكتاب الذى لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا على الكتب التى قبله فيما اخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك فى القرآن فقد صدقوا والا فلا (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعنى اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذى أنزله الله اليك (ولا تتبع اهواءهم) يعنى ولا تتبع اهواء هؤلاء اليهود فى الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ باهوائهم فى جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعنى ولا تنحرف عن الحق الذى جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب فى قوله منكم للامم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعنى لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو

أهواءهم عما جاءك من الحق) نهى ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمنا ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم او التقدير عادلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) ايها الناس (شرعة) شريعة (ومنهاجا) وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا الا تلزمنا ذكر الله انزال التوراة على موسى عليه السلام ثم انزال الانجيل على عيسى عليه السلام ثم انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال فى الاول يحكم بها النبيون وفى الثانى وليحكم اهل الانجيل وفى الثالث فاحكم بينهم بما انزل الله

البيان والاظهار فمعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع فى الشئ والشريعة فى كلام العرب المشرعة التى يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هى التى امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدى الى الشريعة قال ابن عباس فى قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذى لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال على بن ابى طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين فى طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهى قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهى دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعنى جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعنى ولكن اراد ان يختبركم (فيما آتاكم) يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعنى فبادروا يا أمة محمد بالاعمال الصالحات التى تقربكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعنى المطيع والعاصى والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعنى فيخبركم فى الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم فى الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين الحق والمبطل والطائع والعاصى بالثواب والعقاب قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما انزل الله) قال ابن عباس ان كعب ابن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وأن احكم بينهم بما انزل الله يعنى احكم بينهم يا محمد بالحكم الذى انزله الله فى كتابه (ولا تتبع اهواءهم) يعنى فيما امروك به قال العلماء ليس فى هذه الآية تكرار لما تقدم وانما انزلت فى حكمين مختلفين أما الآية الاولى فنزلت فى شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت فى شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه فى امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير فى قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى (واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) يعنى واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك فى كتابه واتباع اهوائهم (فان تولوا) يعنى فان

(ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) اراد (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما امر الله تعالى به (الى الله مرجعكم) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (جميعا) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه فى تقدير اليه ترجعون (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (وأن احكم) معطوف على بالحق اى انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم (بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك) اى يصرفوك وهو مفعول له اى مخافة ان يفتنوك وانما حذره وهو رسول مأمون لقطع اطماع القوم (عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا) عن الحكم بما انزل الله اليك واراد واغيره

(فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) اى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الابهام لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فان الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وان كثيرا من الناس لفاسقون)

أعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله عليك (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم فى الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبى والجلاء وأخر مجازاتهم على باقى ذنوبهم الى الآخرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعنى اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) يعنى أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعنى بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور فى الاحكام وتحريفهم اياها عما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بنى النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد ودينا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة وار بعين وسقا وأرش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أحكم ان دم القرظى وفاء من دم النضيرى ودم النضيرى وفاء من دم القرظى ليس لاحدهما فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تألو فى وضعنا وتصغيرنا فانزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى اى حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل فى احكامه ﴿قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن ابى ابن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود فانى أخاف الدوائر ولا بد لى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فانزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة أحد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا ألحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا فانى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا ألحق بفلان النصرانى من اهل الشام وآخذ منه امانا فانزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه فى حلقه اشارة الى انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه برآء (بعضهم اولياء بعض) يعنى ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى أحدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من

من الخارجون عن امر الله (الحكم الجاهلية يبغون) يطلبون وبالتاء شامى يخاطب بنى النضير فى تقاضيهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وناصب الحكم الجاهلية يبغون (ومن أحسن) مبتدأ وخبره وهو استفهام فى معنى النفى اى لا أحد احسن (من الله حكما) هو تمييز واللام فى (لقوم يوقنون) للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال ابو على معنى لقوم عند قوم لان اللام وعند يتقاربان فى المعنى ونزل نهيا عن موالاة اعداء الدين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اى لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بعضهم اولياء بعض) وكلهم اعداء المؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين

الله

(ان الله لا يهدى القوم الظالمين) لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون)
حال اومفعول ثان لاحتمال ان يكون فترى من رؤية العين او القلب (فيهم) فى معاونتهم ٥١٧ على المسلمين وموالاتهم (يقولون)

الله تعالى وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لا يهدى القوم
الظالمين) يعنى ان الله لا يوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم
لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان ابا موسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال
مالك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعنى مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا
اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر النصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام
يعنى هب انه مات فما تصنع بعده فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله
تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى فترى يا محمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم)
يعنى يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم
ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت فى عبد الله بن ابى المنافق وفى اصحابه من المنافقين (يقولون) يعنى المنافقين
(نخشى ان تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التى تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط
اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة فى الحرب والقحط والجدب
والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فعسى
الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا طمع فى خير فعله
وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه
وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى
وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل
خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعنى انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز
ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى فى قلوبهم الرعب فاخلوا
ديارهم وخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام وقوله تعالى (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) يعنى
فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا
على دس الاخبار الى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعنى ويقول الذين آمنوا فى وقت اظهار الله تعالى نفاق
المنافقين (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال
المنافقين عند ما أظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب
المنافقين فى ايمانهم الباطلة (حبطت أعمالهم) اى بطل كل خير عملوه لاجل ما أظهروا من النفاق
وموالاة اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعنى انهم خسروا فى الدنيا بافتضاحهم وخسروا فى الآخرة باحباط
ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه)
يعنى من يرجع منكم عن دينه الحق الذى هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله فى الكفر
بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيأ وانما ضر
نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذى هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن
الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف

اى فى انفسهم لقوله على
ما اسروا (نخشى ان تصيبنا
دائرة) اى حادثة تدور
بالحال التى يكونون عليها
(فعسى الله ان يأتى بالفتح)
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على اعدائه واظهار
المسلمين (او امر من عنده)
اى يؤمر النبى عليه السلام
باظهار اسرار المنافقين
وقتلهم (فيصبحوا) اى
المنافقون (على ما اسروا
فى انفسهم) من النفاق
(نادمين) خبر فيصبحوا
(ويقول الذين آمنوا)
اى يقول بعضهم لبعض
عند ذلك ويقول بصرى
عطفا على ان يأتى يقول
بغير واو شامى وحجازى
على انه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون
حينئذ فقيل يقول الذين
آمنوا (أهؤلاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم) اى اقسموا
لكم باغلاظ الايمان انهم
اولياؤكم ومعاضدوكم على
الكفار وجهد ايمانهم
مصدر فى تقدير الحال
اى مجتهدين فى توكيد
ايمانهم (حبطت أعمالهم)
ضاعت اعمالهم التى
عملوها رياء وسمعة لا ايمانا
وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال لهم وتعجيبا من سوء حالهم (فاصبحوا خاسرين)
فى الدنيا والعقبى لفوات
المعونة ودوام العقوبة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من الكفر

يرتدد مدنى وشامى

ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى بيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر قتله فى آخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستأتى قصة قتله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق فى خلافة ابى بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعى وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندى وبنو بكر ابن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة ارتدت فى خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء فى المعنى بقوله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال على بن ابى طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعى الزكاة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب (٣) كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين واما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه عليه فى الانتهاء وقال ابو بكر بن عياش سمعت اباحصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابى بكر الصديق لقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال اهل الردة وقالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابى بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد فى جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حمزة فكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام اراد بذلك وحشى انه فى حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفى حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابى موسى الاشعرى روى عن عياض بن غنم الاشعرى قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعنى ابا موسى الاشعرى اخرجه الحاكم فى المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال

(فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) يرضى اعمالهم ويثنى عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث اخبرهم بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم

(٣) قوله ارتد عامة العرب الخ الذى تقدم ارتدادهم فى زمن ابى بكر سبع فرق لا غير اه

(اذلة) جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا لا يجمع على اذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم اذلاء واذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل ٥١٩ والتواضع (اعزة على الكافرين)

الذى نزلت فى الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء من اهل اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من اخلاط الناس جاهدوا فى سبيل الله يوم القادسية فى خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبى معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه أحسن الثواب على طاعته وان يثنى عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعنى انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال على بن ابى طالب اذلة على المؤمنين يعنى أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم فى دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبارى اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين فى انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعنى انهم اشداء اقوياء فى أنفسهم وعلى أعدائهم (يجاهدون فى سبيل الله) يعنى انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعنى لا يخافون عذل عاذل فى نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان من كان قويا فى الدين فانه لا يخاف فى نصره لدين الله بيده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعنى انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أوالى الله ورسوله والمؤمنين يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت فى عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه

اشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يجاهدون فى سبيل الله) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم واعزة وأذلة (ولا يخافون لومة لائم) الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيأ مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم وان تكون للعطف أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى أمر من أمور الدين لا تزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيأ قط من لوم واحد من اللوام (ذلك) اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة

والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفواضل (عليم) بمن هو من أهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولى وان كان المذكور جماعة تنبيها على ان الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل انما أولياؤكم لله ورسوله والذين آمنوا لم يكن

فى الكلام أصل وتبع ومحل (الذين يقيمون الصلوة) الرفع على البدل من الذين آمنوا وعلى هم الذين أو النصب على المدح (ويؤتون الزكوة) والواو فى (وهم راكعون) ٥٢٠ للحال اى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة قيل انها نزلت فى على رضى الله عنه حين سأله

سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس فى مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة فى الصلاة وعلى ان الفعل القليل لا يفسد الصلاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يتخذه وليا أو يكن وليا (فان حزب الله هم الغالبون) من اقامة الظاهر مقام الضمير اى فانهم هم الغالبون او المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون اى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم اى اصابهم وروى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) يعنى اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم اياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (من الذين أوتوا الكتاب) من للبيان (من قبلكم والكفار) اى المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة قبلك والكفار بصرى وعلى عطف على الذين المجرورة اى من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أولياء واتقوا الله) فى موالاة الكفار (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها) اى الصلاة أو المناداة (هزوا ولعبا

وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء وقيل الآية عامة فى حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعنى باتمام ركوعها وسجودها فى مواقيتها ويؤتون الزكاة يعنى ويؤدون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم أما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه أحدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثانى أن يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت فى شخص معين وهو على بن أبى طالب قال السدى مر بعلى سائل وهو راكع فى المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل فى الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم أولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة على بن أبى طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن على الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو على فقال على من الذين آمنوا وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعنى ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتى بعدهم (فان حزب الله) يعنى أنصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب فى اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعنى أهمه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة ابن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود (والكفار) يعنى عبدة الاصنام وانما فصل بين أهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام أغلظ وأفحش من كفر أهل الكتاب (أولياء) يعنى لا تتخذوهم أولياء والمعنى ان أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أنتم أولياء وأنصار (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعنى مؤمنين حقا لان المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل * قوله تعالى (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) قال الكلبى كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الآية وقال السدى نزلت هذه الآية فى رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنارو هو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيأ لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعى النبوة فقد خالفت الانبياء

ذلك بانهم قوم لا يعقلون) لان لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) يعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وان اكثركم فاسقون) وهو عطف على المجرور اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وما أنزل وبان اكثركم فاسقون والمعنى اعاديتمونا لانا اعتقدنا توحيد الله وصدق انبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا فى ذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله مع انكم فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) اى ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (من لعنه الله) شر عقوبة فى الحقيقة من اهل الاسلام فى زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم اى الايمان اى بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اى جزاء ولابد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله (وغضب عليه وجعل

قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وما أسمج هذا الامر فانزل الله عز وجل ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية وأنزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) يعنى ان هزوهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا (هل تنقمون منا) يعنى هل تكرهون منا أو تعيبون علينا (الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا فى الدين الا الايمان بالله وبما أنزل الينا وبما أنزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر أو ينقم منه وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبى رافع وعازر وراء وزيد وخالد وازار بن أبى ازار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وأن أكثركم فاسقون) يعنى انما كرهتم ايماننا وتقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله * قوله عز وجل (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذى ذكرتم وتقمتم علينا من ايماننا بالله وبما أنزل علينا (مثوبة عند الله) يعنى جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها فى معنى الثواب فكيف جاءت فى الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعنى وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعنى من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان فى اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان فى الذين كفروا بعد نزول المائدة فى زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعنى وجعل منهم عبد الطاغوت

(٦٦ (خازن) ل) منهم القردة) يعنى اصحاب السبت (والخنازير) اى كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام او كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) اى العجل او الشيطان لان عبادتهم العجل

يعنى من اطاع الشيطان فيما سوّل له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أولئك) يعنى الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين (شر مكانا) يعنى من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه (وأضل عن سواء السبيل) يعنى وأخطأ عن قصد طريق الحق قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا آمنا) قال قتادة نزلت فى أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شئ من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج (والله أعلم بما كانوا يكتمون) يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم * قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة فى الشئ المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى يسارعون فى الخيرات وضدها العجلة وتقال فى الشر فى الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة فى قوله يسارعون (فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت) لفائدة وهى انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصى والمنهيات فيدخل تحته العدوان وأكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان وأكل السحت بعد الاثم والمعاصى وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعنى لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان وأكلهم السحت قوله تعالى (لولا) يعنى هلا وهى هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعنى الكذب (وأكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم وأكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعنى الاحبار والرهبان اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصى وهذا يدل على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين فى هذه الآية قال ابن عباس ما فى القرآن اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما فى القرآن آية أخوف عندى منها * قوله عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) نزلت هذه الآية فى فنحاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه فى هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبدوا باؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان

يبتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ فى الحذر والقطنة وهو معطوف على القردة والخنازير اى جعل الله منهم عبد الطاغوت (أولئك) الممسوخون الملعونون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهى لاهله للمبالغة (واضل عن سواء السبيل) عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الباء للحال اى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضى من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا اى قالوا ذلك وهذه حالهم (والله اعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثيرا منهم) من اليهود (يسارعون فى الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم او الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة فى الشئ الشروع فيه بسرعة (وأكلهم السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشد آية فى القرآن حيث انزل تارك النهى عن المنكر منزلة مرتكب المنكر فى الوعيد (وقالت اليهود يد الله مغلولة)

غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه ولما سماكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) يعنى امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هى المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت ايديهم اى فى نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اى شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا فى النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا فى الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفى الآخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) يعنى انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام فى اليد فقد اختلف العلماء فى معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم وغيرها كما جاءت فى الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثانى قول جمهور المتكلمين واهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر فى اللغة على وجوه احدها الجارحة وهى معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندى يد أشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى أولى الايدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة فى يد فلان اى فى ملكه ومنه قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك أما الجارحة فمنتفية فى صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعانى التى فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد فى حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وأجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اى ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثانى ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة فى وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم فى ملكه ومتقلبون فى نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى عن ابى الحسن الاشعرى قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها

روى ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من اكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فاشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل فى ملك يعطى ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما بسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط الباس كفيه فى صدرى فجعل للباس الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تأويل امثال هذه الآية وقوله غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا ابخل خلق الله او غل فى جهنم فهى كانها غلت وانما ثنيت اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه

فغاية ما يبذله السخى ان يعطيه بيديه

الحكمة (وليزيدن كثيرا منهم) من اليهود (ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفرا بآيات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكلمهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد أتاهم الاسلام وهم فى ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا فى بلد الا وقد وجدته من اذل الناس (ويسعون فى الارض فسادا) ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى عليه السلام من كتبهم (والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سياتهم (واتقوا) اى وقرنوا ايمانهم بالتقوى (لكفرنا عنهم سياتهم) ولم نؤاخذهم بها

التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذى يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة بان الاسم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ فى كلام العرب أن يقال ما اكثر الدرهمين فى أيدى الناس بمعنى ما أكثر الدراهم فى ايديهم لان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرهم فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه فى ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيديه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة فى كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل التى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين فى دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى أيضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التى حصلت فى المسلمين انما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما فى الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) يعنى كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم افسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلى ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم أفسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدى كلما أجمعوا أمرهم على شئ ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفاها الله واخمد نارهم وقذف فى قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعنى ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعنى اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سياتهم) يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل الاسلام لان

(ولأدخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل) اى أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم من ربهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن (لأكلوا من فوقهم) يعنى الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت ارجلهم) يعنى الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان فى النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه ٥٢٥ من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا

الاسلام يجب ما قبله (ولأدخلناهم جنات النعيم) يعنى مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل) يعنى أقاموا أحكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر أهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما فى القرآن وقوله تعالى (وما أنزل اليهم من ربهم) فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفى هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثانى ان المراد بما أنزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعنى ان اليهود لما أصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذى هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم أمة مقتصدة) اى عادلة والاقتصاد الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصوده اطلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشى وأصحابه الذين اسلموا (وكثير منهم) يعنى من اهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساء ما يعملون) يعنى بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية روى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل هذه الآية وقيل نزلت فى عيب اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريدان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الآية وأمره بان يقول لهم يا أهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية فى أمر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمسك فى بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تترك شيأ مما أنزل اليك من ربك وان اخفيت شيأ من ذلك فى وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال ابن

ربكم انه كان غفارا الآيات وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أم فى عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هى الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وكثير منهم ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ اعمالهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميع ما أنزل اليك واى شئ أنزل اليك غير مراقب فى تبليغه احدا ولا خائف ان يناله مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) رسالاته مدنى وشامى وابو بكر اى فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيأ قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض

فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها فى حكم شئ واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما أكلته قلنا هذا امر بتبليغ الرسالة فى المستقبل اى بلغ ما أنزل اليك من ربك فى المستقبل فان لم تفعل اى ان لم تبلغ الرسالة فى المستقبل فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا او بلغ ما أنزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ اصلا او بلغ ذلك غير خائف احدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا ثم قال مشجعا له فى التبليغ

عباس يعنى ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتى يعنى انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيأ مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيأ مما اوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيأ مما أنزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أخرجاه فى الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعنى يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم أحد وقد أوذى بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه أحد أراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابى فقال ان هذا اخترط على سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفى رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافنى فقال لا فقال من يمنعك منى قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى فى رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج رأسه فى يوم أحد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته الى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شئ من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شئ مما تدعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم أحدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد ألست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم ان تبينوه للناس فانا برئ من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا)

(والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم فقتلا فلم يقدر عليه وان شج فى وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعد ما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) على دين يعتد به حتى يسمى شيأ لبطلانه (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبيب

(فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تتأسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك (ان الذين آمنوا) بالسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم (والذين هادوا والصابئون والنصارى) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله ٥٢٧ فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعنى فلا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شئ ما لم يؤمنوا بين فى هذه الآية ان هذا الحكم عام فى كل أهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين وكذا قراءة أبى بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة فى عطف الصابئين على من قبلهم هى ان الصابئين أشد الفرق المذكورة فى هذه الآية ضلالا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا وانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى فى أول الآية ان الذين آمنوا ثم قال فى آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففى هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا اى بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهى ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على ان اشرف أقسام الايمان هذان القسمان وفى قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) يعنى أخذنا العهود عليهم فى التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وأرسلنا اليهم رسلا) يعنى لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) يعنى بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعنى من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعنى من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق

اى فانى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبران ولا يرتفع بالعطف على محل آن واسمها الان ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على ان الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبران والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل كانه يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شأنهم وانتصب فريقا وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى

(وحسبوا ان لا تكون) حمزة وعلى وأبو عمرو على أن ان مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد (٣) ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه مسد مفعولى حسب (فعموا وصموا) فلم يعملوا ٥٢٨ بما رأوا ولا بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصموا كثير منهم) هو بدل من الضمير اى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدا محذوف اى أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (انه من يشرك بالله) فى عبادته غير الله (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه (ومأواه النار) أى مرجعه (وما للظالمين) أى الكافرين (من أنصار) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى ثالث ثلاثة آلهة والاشكال أنه تعالى قال فى الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال فى الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب فى ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لان الله ربما يتجلى فى بعض الازمان فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن فى قوله

وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى (وحسبوا) يعنى وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (أن لا تكون فتنة) يعنى أن لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذى فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا أن لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما اقدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب فى الآخرة (فعموا وصموا) يعنى أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل فى زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعنى فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعنى ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعنى بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه (والله بصير بما يعملون) يعنى من قتل الانبياء وتكذيب الرسل * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل فى ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) يعنى وقد كان المسيح قال هذا لبنى اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعنى اذا مات على شركه (ومأواه النار) يعنى انه يصير الى النار فى الآخرة (وما للظالمين) يعنى وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك (من أنصار) يعنى ما لهم من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين انهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به أنه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى

(٣) قوله ما يشتمل عليه صلة أن وأن اى وأن وما تشتمل عليه صلتها اه

(ومامن اله الا اله واحد) للاستغراق أى وما اله قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له وفى قوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لان فى اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر او للتبعيض اى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عذاب اليم) نوع شديد الالم من العذاب (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) ٥٢٩ الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (ما المسيح ابن مريم الا رسول) فيه نفى الالوهية عنه (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول اى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس الها بل الله ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده كما احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وانثى (وأمه صديقة) اى وما أمه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم ابعدهما مما نسب اليهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقص لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر كيف نبين لهم الآيات) اى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب

فى سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى فى الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا أخبر الله عنهم فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (وما من اله الا اله واحد) يعنى انه ليس فى الوجود الا اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعنى وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعنى ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (أفلا يتوبون الى الله) يعنى من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر أى توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعنى لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه * قوله عز وجل (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعنى ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وأمه صديقة) يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وأمه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى انظر يا محمد (كيف نبين لهم الآيات) يعنى الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى

(قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هو عيسى عليه السلام اى شيأ لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكانه لا يملك منه شيأ وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شئ لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون اى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولونه و يعلم ٥٣٠ ما تعتقدونه (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحد فغلوا النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلوا اليهود وضعه عن استحقاق النبوة

(قل أتعبدون من دون الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها (والله هو السميع العليم) يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمائركم * قوله عز و جل (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفى الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان فى الدين (غير الحق) يعنى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك أنهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا فى عيسى عليه السلام أما غلو اليهود فالتقصير فى حقه حتى نسبوه الى غير رشدة وأما غلو النصارى فمجاوزة الحد فى حقه حتى جعلوه الها هم وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبى ما ذكر الله تعالى الهوى فى القرآن الا وذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير و يريده والخطاب فى قوله ولا تتبعوا أهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (وأضلوا كثيرا) يعنى من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعنى وأخطؤا عن قصد طريق الحق قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود) قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتى قصتهم فى سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعنى وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم و يقولون نحن من اولاد الانبياء عليهم السلام فاخبر الله تعالى بانهم ملعونون على ألسنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام فى لبئس لام القسم اى اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا

لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) قيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله او المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على ان ترك النهى عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عنه

(ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم) لبئس شيأ قدموه لانفسهم سخط الله عليهم اى موجب سخط الله (وفى العذاب هم خالدون) اى فى جهنم

(ولو كانوا يؤمنون بالله) ايمانا خالصا بلا نفاق (والنبى) اى محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليه) يعنى القرآن (ما اتخذوهم اولياء) ما اتخذوا المشركين اولياء يعنى ان موالاة المشركين تدل على نفاقهم (ولكن كثيرا منهم فاسقون) مستمرون فى كفرهم ونفاقهم اومعناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل اليه يعنى التوراة ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم اصلا (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) هو مفعول ثان لتجدن عداوة تمييز (والذين اشركوا) عطف عليهم (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اللام تتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين

(ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا) اى علماء وعبادا (وانهم لا يستكبرون) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا وان فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على ان العلم انفع شئ واهداه الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى

يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد فى رواية اوليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابوداود واخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب (قوله اكيله وشريبه وقعيده) هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الأطر العطف يعنى لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشئ * قوله عز وجل (ترى كثيرا منهم) يعنى من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه (يتولون الذين كفروا) يعنى يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليحيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) يعنى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة (أن سخط الله عليهم) يعنى بما فعلوا من موالاة الكفار (وفى العذاب هم خالدون) يعنى فى الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث الى كافة الخلق (وما أنزل اليه) يعنى ويؤمنون بالقرآن الذى أنزل اليه من ربه (ما اتخذوهم اولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار انصارا وأعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعنى ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام واصحابه قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) اللام فى قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام فى العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم فى الدين باى طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء فى مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره وأما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة فى طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بان منهم) يعنى من النصارى (قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى فى عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت

فيمن آمن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر أن يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى أشد وأغلظ من كفر اليهود وأقبح فان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون ببعض النبيين وينكرون بعضهم والأول أقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه

(ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية)

قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم ففتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر أن يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد أمر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها أحد عشر رجلا واربع نسوة سراوهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل ابن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له أيها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا يستأذن اولياء الله فقال ائذنوا لهم فرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا قد صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيأ مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ

جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا
من الحق فأنزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال
النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني انكم آمنون فرجع عمرو وأصحابه خائبين وأقام
المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره
وقهر اعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو
ابن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل
النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك
واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فارسل
اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها
وقالت ان الملك امرني اني لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى
الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم فقالت قد امر الملك نساءه ان يبعثن
اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت ام
حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من
الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي
وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله
عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك
الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى في
ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك
وبايعت ابن عمك جعفرا واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني أزهى وان شئت ان آتيك بنفسي
فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في أثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى
جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف
منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه
السلام فانزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني
وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين
رجلا أربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية رومين
من أهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه
السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن أقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون
عن الايمان والاذعان للحق * قوله عز وجل (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن
الذي أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى أعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ
حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن
عباس يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ

(واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع

مما عرفوا من الحق) وصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كانها تفيض بانفسها اى تسيل من اجل البكاء ومن في مما عرفوا الابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله ومن في من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا والتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة (يقولون) حال من ضمير الفاعل في عرفوا (ربنا آمنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع امة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم ٥٣٤ في الانجيل كذلك (ومالنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام

موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال اى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعني محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل في نؤمن والتقدير ونحن نطمع (ان يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فاثابهم الله بما قالوا) اى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي (ربنا آمنا) يعني بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعني ونرجو بذلك الايمان (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا) يعني بالتوحيد الذي قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعني في الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمني أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (اولئك أصحاب الجحيم) ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما

وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على ان الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية في ان الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع في السياق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك وانى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال اهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد في حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم بمنع التحريم اولا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على ترك هاتزهدا منكم وتقشفا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السنجي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ فجعل

بوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى (٣) وهم ابو بكر وعلى بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويحبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون فى الارض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وانام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فانى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما اهلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ أحله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مأمور بها وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعنى ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى حب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعنى وكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذى وأنمى فاما الجامد كالطين والتراب ومالا يغذى فكروه الاعلى وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى اذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن أبى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ما كان الذراع أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه أعجلها نضجا أخرجه الترمذى وقوله تعالى (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى أنتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما أمر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباده

ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فرقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره فقال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ (ولا تعتدوا) ولا تجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل او تحريم أو ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) حدوده (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) حلالا حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى

(٣) قوله وهم ابو بكر الخ فيه ان المعدود تسعة وفى الخطيب ان العاشر عثمان ابن مظعون لكن ينافيه قول الخازن فاتى هو واصحابه العشرة نعم عبارة الخطيب خالية من ذلك اه

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شئ يرى انه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات ٥٣٦ على ظن انه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف ايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله

ما يجري على اللسان بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) اى بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها وبالتخفيف كوفي غير حفص والعقد العزم على الوطء وذا لا يتصور في الماضي فلا كفارة في الغموس وعند الشافعي رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) اى فكفارة تنكثه أو فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التي من شأنها ان تكفر الخطيئة اى تسترها (اطعام عشرة مساكين) هو أن يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين (من أوسط ما تطعمون أهليكم) اى غداء وعشاء من براذ الاوسع ثلاث مرات مع الادام والادنى مرة من تمر او شعير (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو على محل من أوسط ابو

فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب أن لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعني ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفي الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته) يعني فكفارة أيمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) يعني من أقصد ذلك لان من الناس من يسرف في اطعام أهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل في أداء الكفارة وقيل أراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غالبا من أعلى الموجود ولا خسيس الثمن من أردأ الموجود بل الوسط في القيمة وقيل أراد بالوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ في كتاب الله أوسط فهو أفضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون أهليكم وأفضله (أو كسوتهم) هو معطوف على محل أوسط اى كما تطعمون المساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم فكذلك فاكسوهم من أوسط الكسوة (أو تحرير رقبة) يعني عتق رقبة والمراد جملة الشخص

(فصل في حكم الآية) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* في بيان الكفارة وهي أربعة أنواع النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال ابو حنيفة ان أطعم من الحنطة فنصف صاع وان أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة أيام *النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا أو رداء أو قميص أو عمامة او سراويل أو كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى ما يجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال

ووجهه ان من أوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود في الكلام وهو ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار وقميص ورداء (أو تحرير رقبة) مؤمنة او كافرة لاطلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد في كفارة القتل ومعنى او التخيير

ابو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب ثوب جامع كالملحفة * النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثورى اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع ويشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق فى الكفارة مكاتبا أو أم ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى فى اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ وجوزوا عتق القريب فى الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد أو الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند أبى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الاذنين فى الكفارة * النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعنى الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) يعنى فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام يعنى فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعى اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا فى وجوب التتابع فى الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة واحمد واحد قولى الشافعى والقول الثانى لا يجب التتابع فى كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثانى للشافعى * (المسئلة الثانية) * كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء أطعم وان شاء كسا وان شاء أعتق فبأيها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن العهدة * (المسئلة الثالثة) * لا يجوز صرف شئ من الكفارات الا الى مسلم محتاج فلو صرف الى ذمى أو عبد أو غنى لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى أهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى أهل الذمة لا يجوز * (المسئلة الرابعة) * اختلفوا فى تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير اخرجه الترمذى (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان أتتك عن مسئلة وكلت اليها وان أتتك من غير مسئلة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذى هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعى والشافعى الا أن الشافعى قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدلى انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) يعنى وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا أيمانكم) يعنى قللوا أيمانكم ففيه النهى عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر * قليل الالا يا حافظ ليمينه *

وايجاب احدى الكفارات الثلاث (فمن لم يجد) احداهما (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة ابى وابن مسعود كذلك (ذلك) المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (واحفظوا ايمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا او ولا تحلفوا اصلا

وصفه بانه لا يحلف وقيل فى معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب اوفعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه و يكفر لما روى عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير أخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين الله لكم جميع ما تحتاجون اليه فى أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى نعمه التى أنعم بها عليكم ان بين لكم آياته ومعالم شريعته * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما انزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله فى هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة و يذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشئ الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس قوله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة النساء ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا أخرجه الترمذى من طريقين وقال رواية ابى ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والنسائى وروى مصعب بن سعيد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابى وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به أنف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الآية ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بى هذا فلان أخى وكانوا اخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فانزل الله تحريم الخمر فى هذه الآية ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر يعنى انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر و يحسن ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل فى الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله فى يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر

(كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم و يسهل عليكم المخرج منه (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) اى القمار (والانصاب) الاصنام لانها تنصب فتعبد (والازلام) وهى القداح التى مرت (رجس) نجس اوخبيث مستقذر (من عمل الشيطان) لانه يحمل عليه فكأنه عمله والضمير فى (فاجتنبوه) يرجع الى الرجس او الى عمل الشيطان اوالى المذكور اوالى المضاف المحذوف كانه قيل انما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال رجس (لعلكم تفلحون) اكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه الا الشر البحت وامر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤدى اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كانه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما آخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال اهل الشرك فكانه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم افردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر (فهل انتم منتهون) من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والزواجر فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا) وكونوا حذرين خاشعين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة (فان توليتم) عن ذلك (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) اى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيأ من الخمر والميسر قبل التحريم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) اى شربوا من الخمر وا كلوا من مال القمار قبل تحريمهما

والميسر سببان عظيمان فى ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهى قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام فى الآية الاولى ثم افرد الخمر والميسر فى هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهى عن شرب الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر فى آخر الآية والله اعلم وقوله تعالى (فهل أنتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الامر اى انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور أم انتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفى هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما وعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام أخرجاه فى الصحيحين وزاد الترمذى وابو داود ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذى وقال حديث حسن واخرجه النسائى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود * قوله عز وجل (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (واحذروا) اى واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعنى فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر وا كلوا من مال القمار فى وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم (اذا ما اتقوا) يعنى اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم (وآمنوا) يعنى بالله و رسوله (وعملوا الصالحات) اى وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعنى اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشرب بها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقى بعد التحريم أمر وا باتقائها والايمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعنى ما حرم عليهم فى المستقبل (وأحسنوا) يعنى العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى و بالثانى المداومة عليها و بالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة فى الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعنى انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعنى من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد) نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام فى ليبلونكم لام القسم اى ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشئ من الصيد يعنى بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد فى حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشئ من الصيد ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تزل عندها اقدام الثابتين و يكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز و جل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيأ فى حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى (تناله أيديكم) يعنى الفرخ والبيض ومالا يقدر أن يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعنى كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس فى قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى احرامهم حتى لو شاؤا لنالوه بايديهم فنهاهم الله أن يقربوه (ليعلم الله) اى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله (من يخافه بالغيب) يعنى من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد فى حالة الاحرام شيأ بعد النهى (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى (فله عذاب أليم) يعنى فى الدنيا قال ابن عباس هو أن يوسع ظهره و بطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين فى معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) جمع حرام اى لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم اذا عقد الاحرام وأحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا فى الحرم نزلت هذه الآية فى أبى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا فى الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعى وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم فى قتلهن جناح الغراب والحداة

بتحريمهما (ثم اتقوا) سائر المحرمات او الاول عن الشرك والثانى عن المحرمات والثالث عن الشبهات (واحسنوا) الى الناس (والله يحب المحسنين) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم نزل (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لاظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم مالم يعلم ومن للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد او لبيان الجنس (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجدا كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب اليم) قال فى قوله بشئ من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشئ (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) اى المصيد اذ القتل انما يكون فيه (وأنتم حرم) اى محرمون جمع حرام كرداح فى جمع رداح فى محل النصب على الحال

من ضمير الفاعل فى تقتلوا (ومن قتله منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل اى ذاكرا لاحرامه او عالما ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه اورمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد فى الآية مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن ٥٤١ الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (فجزاء مثل ماقتل) كوفى اى فعليه جزاء يماثل ماقتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى خير بين ان يهدى من النعم ماقيمته قيمة الصيد وبين ان يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أوصاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعى رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم واصله فجزاء مثل ماقتل اى فعليه ان يجزى مثل ماقتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير فى قتل اذا المقتول يكون من النعم اوصفة لجزاء (يحكم به) بمثل ماقتل (ذواعدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل

والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية خمس لاجناح على من قتلهن فى الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن فى الحرم الغراب والحداة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وذكر نحوه وفى رواية النسائى قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعى عليها جميع مالا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل فى معنى السباع ولا فى معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأى الى وجوب الجزاء فى كل مالا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة فى الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة * قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذى يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء أما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه أعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمى فأصابه فهو كالعمد فى وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهرى نزل القرآن بالعمد ووجرت السنة فى الخطأ يعنى الحقت المخطئ بالمتعمد فى وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى فى الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لا يؤخذ به (فجزاء مثل ماقتل من النعم) يعنى فعليه جزاء من النعم مثل ماقتل والمثل والشبه واحد واختلفوا فى هذه المماثلة أهى بالخلقة أم بالقيمة والذى عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة فى الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك ومالا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب فى قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة فى هذه الصورة فوجب أن يكون فى سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة أمر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعى ومن وافقه فى اعتبار المماثلة بالخلقة أن الصحابة حكموا فى بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا فى النعامة ببدنة وهى لا تساوى بدنة وحكموا فى حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوى بقرة وكذا فى الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب فى الظبى شاة وفى الارنب سخلة وفى الضب سخلة وفى اليربوع جفرة ويجب فى الحمامة وكل ماعب وهدر كالقواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وماسواه من الطير ففيه القيمة فى المكان الذى أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس انهما حكما فى حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى فى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وفى الارنب بعناق وفى اليربوع بجفرة وقوله تعالى (يحكم به ذواعدل منكم) يعنى يحكم

القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق فى الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او بالمعنى لا بالصورة او بالصورة بلا معنى ولان القيمة اريدت فيما لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم ينافى تفسير المثل بالقيمة قلت من اوجب القيمة خير بين ان يشترى بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ماقتل من النعم على ان التخيير الذى فى الآية بين ان يجزى بالهدى او يكفر بالطعام او الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم

اى الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نبو عما فى الآية الاترى الى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من الهاء ٥٤٢ فى به اى يحكم به فى حال الهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان اضافته غير حقيقة ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعى رحمه الله فى الحرم (او كفارة) معطوف على جزاء (طعام) بدل من كفارة او خبر مبتدا محذوف اى هى طعام او كفارة طعام على الاضافة مدنى وشامى وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل أو كفارة من طعام (مساكين) كما تقول خاتم فضة اى خاتم من فضة (أو عدل) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ما عادل الشئ من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال عندى غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان اريد ان قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح (ذلك) اشارة الى الطعام (صياما) تمييز نحو لى مثله رجلا والخيار فى ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين (ليذوق وبال أمره) متعلق بقوله فجزاء اى فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا اى ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد التحريم او فى ذلك الاحرام (فينتقم الله منه) بالجزاء وهو خبر مبتدا محذوف بتقديره فهو ينتقم الله منه

بالجزاء فى قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم وديتكم وينبغى أن يكونا فقيهين فينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابى الى ابى بكر الصديق فقال انى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر أبى بن كعب فقال الاعرابى انى أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شئ أمرناك به وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعنى ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما أريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع فى الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع فى الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعى وقال أبو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) ذهب الشافعى ومالك وأبو حنيفة الى ان كلمة أو فى هذه الآية للتخيير وقال أحمد وزفر من أصحاب أبى حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعى اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة أشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال أبو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن أحمد روايتان كالقولين وأصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعى مقدر بالمد وعند أبى حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار فى تعيين أحد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذى وجب عليه الكفارة لان الله أوجب عليه أحد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين أيها شاء وقال محمد بن الحسن من أصحاب أبى حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة أو للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما واختلفوا فى موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم فى المكان الذى قتل فيه الصيد وقال الشعبى يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى (ليذوق وبال أمره) يعنى جزاء ذنبه والوبال فى اللغة الشئ الثقيل الذى يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم أيضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعنى قبل التحريم (ومن عاد) يعنى الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعنى فى الآخرة والانتقام المبالغة فى العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء فى المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعى وداود الظاهرى انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم أقتل قبله شيأ حكم عليه فان عاد بعد ذلك

ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد وج وهو وادبالطائف (والله عزيز ذوانتقام) يعنى ممن عصاه واذا أتلف المحرم شيأ من الصيد الذى لامثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشترى بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ماصيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ماقذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن أبى بكر وعمر وابن عمر وأبى أيوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وأنواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه ابوداود والترمذى والنسائى ولافرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل أكله وقال أبو حنيفة لايحل الا أن يموت بسبب وماعدا السمك فقسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلايحل أكلهما وقال سفيان ارجو أن لايكون بالسرطان باس واختلفوا فى الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل أكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لايحل للمحرم أكله فى حال الاحرام فان أصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر فى الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر أيضا وقال أحمد يؤكل كل مافى البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن أبى ليلى ومالك يباح كل مافى البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولايؤكل مالايؤكل نظيره فى البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلايحل أكله * قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعنى ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) ذكر الله عزوجل تحريم الصيد على المحرم فى ثلاثة مواضع من هذه السورة أحدها فى أول السورة وهو قوله غير محلى الصيد وأنتم حرم والثانى قوله يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لايحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثورى واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثى انه أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أوبودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مافى وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا أنا حرم أخرجاه فى الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا أعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وأبى هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد وأصحاب الرأى ويدل عليه ماروى عن أبى قتادة الانصارى قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى منزل فى طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول أخصف نعلا فلم يؤذنونى وأحبوا لو أنى أبصرته فالتفت فأبصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولونى السوط والرمح قالوا لا والله لانعينك عليه فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا فى أكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شئ فقلت نعم فناولته

(والله عزيز) بالزام الاحكام (ذوانتقام) لمن جاوز حدود الاسلام (أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لايؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع مايصاد فى البحر واحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (متاعا لكم) مفعول له اى أحل لكم تمتيعا لكم (وللسيارة) وللمسافرين والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتناتئكم ٤ يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره الى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ماصيد فيه وهو مايفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات كالبط فانه برى لانه يتولد فى البر والبحر له مرعى كما للناس متجر (مادمتم حرما) محرمين

٤ قوله لتناتئكم التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام هكذا يؤخذ من القاموس

(واتقوا الله) فى الاصطياد فى الحرم اوفى الاحرام (الذى اليه تحشرون) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم (جعل الله الكعبة) اى صير
(البيت الحرام) بدل اوعطف بيان (قياما) مفعول ثان اوجعل بمعنى خلق وقياما حال (للناس) اى انتعاشالهم فى

العضد فاكل منها وهو محرم وزاد فى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هى طعمة أطعمكموها
الله وفى رواية هو حلال فكلوه وفى رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم أحد أمره ان يحمل
عليها أو أشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقى من لحمها أخرجاه فى الصحيحين وأجاب أصحاب هذا المذهب عن
حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبى صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم
لا يأكل ما صيد لاجله (واتقوا الله) يعنى فلا تستحلوا الصيد فى حال الاحرام ولا فى الحرم ثم حذرهم
بقوله (الذى اليه تحشرون) يعنى فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل (جعل الله الكعبة
البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمى البيت كعبة لتربيعه وقيل
لارتفاعه عن الارض وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم أن يصطاد عنده
وأن يختلى خلاه وان يعضد شجره وأراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس أن
النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض
فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى
خلاه وقوله تعالى (قياما للناس) أصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس فى أمر دينهم ودنياهم
وآخرتهم أما فى أمر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك وأما فى أمر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شئ
ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقى الرجل قاتل أبيه اوابنه فى الحرم لم يهجه واما فى امر الآخرة فان
البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التى تقام عنده أسبابا لعلو الدرجات وتكفير
الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت
سببا لقيام الناس (والشهر الحرام) يعنى وجعل الشهر الحرام قياما للناس وأراد بالشهر الحرام الاشهر
الحرم الاربعة وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعنى وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون
فيها من القتال وذلك أن العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت
الاشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون فى الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح
الناس (والهدى والقلائد) يعنى وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك أنهم
كانوا يأمنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على أنفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا أنفسهم من
لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه
تعالى علم فى الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى
والقلائد يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما فى السموات وما فى الارض لانه تعالى علم جميع
المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله بكل شئ عليم) يعنى أنه تعالى لا تخفى
عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن انتهك محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعنى
لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول
الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى (ما على الرسول الا
البلاغ) يعنى ليس على رسولنا الذى أرسلناه اليكم الا تبليغ ما أرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج
ففى الآية تشديد عظيم فى ايجاب القيام بما أمر الله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه
من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

أمر دينهم ومعاشهم وضا الى اغراضهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وانواع منافعهم قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان فى اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله أو أريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (والهدى) ما يهدى الى مكة (والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيها أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما والى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) اى لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما فى السموات وما فى الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وأن الله غفور) لآثام من عظم المشاعر العظام (رحيم) بالجانى الملتجئ الى البلد الحرام (ما على الرسول الا البلاغ)

يعنى تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم

يعني انه تعالى لايخفى عليه شئ من أحوالكم ظاهرا وباطنا (قل لايستوى الخبيث والطيب) يعني الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردئ والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو أعجبك كثرة الخبيث) يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى أن اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله أن رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج بني بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة (فاتقوا الله) يعني فيما أمركم به أو نهاكم عنه ولا تعتدوه (يا أولى الالباب) يعني يا ذوي العقول السليمة (لعلكم تفلحون) * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسألني عن شئ فليسأل فلا تسألوني عن شئ الا أخبرتكم به مادمت في مقامي فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك أمنت أن تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسئلوا عن اشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء جمع شئ ان تبد لكم اي تظهر لكم وتبن لكم تسؤكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه النبي صلى الله عليه

(قل لا يستوى الخبيث والطيب) لما أخبر انه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أي الكافر ويثيب الطيب أي المسلم (ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (يا أولى الالباب) اي العقول الخالصة (لعلكم تفلحون) كانوا يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء امتحانا فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهي فعلاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهي مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التي هي لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها اي قوله (ان تبد لكم تسؤكم)

وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة لاشياء اى وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسوؤكم اى تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفا الله عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاقبكم الا بعد الانذار والضمير فى (قد سألها) لا يرجع الى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسئلة التى دلت عليها الا تسئلوا اى قد سأل هذه المسئلة (قوم من قبلكم) من الاولين (ثم أصبحوا بها) صاروا بسببها (كافرين) كما عرف فى بنى اسرائيل (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا أذنها اى شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفرى او برأت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع ذكرا اكله الرجال وان كان أنثى ارسلت فى الغنم وكذا ان كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت اخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة واذا نتجت ولدت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر به

وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض او نهى اوحكم وليس فى ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه حينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عز و جل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها ازوجها والحامل ولم يكن فى عدد هؤلاء دليل على عدة التى ليست ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها انزل الله عز و جل جوابهم فى قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية (عفا الله عنها) يعنى عن مسئلتكم عن الاشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها (والله غفور) يعنى لمن تاب منكم (حليم) فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعنى لما كان فى الجاهلية حليم يعنى عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التى يجوز السؤال عنها هى ما يترتب عليها امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن ابى وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود الاغلوطات صعاب المسائل التى تزل فيها اقدام العلماء ويؤيد ذلك قول ابى هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كى يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرمه الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تتكلفوا وعن ابى ثعلبة الخشنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تقربوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما فى جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعنى قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كانه تعالى يقول ان أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيأ فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم كذلك قوله تعالى (ما جعل الله) اى ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهى الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهى فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعنى المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب فى الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها (ولا حام) الحام هو الفحل من الابل يحمى ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس فى بيان هذه الاوصاف البحيرة هى الناقة اذا ولدت خمسة ابطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه وأكله الرجال والنساء وان كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت اثنتى عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم سيبت مع أمها ويفعل بها كما يفعل بأمها وقيل السائبة البعير الذى يسيب لنذر لهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفانى الله او شفى الله مريضى او قدم غائبى فناقتى هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها احد فهى بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا

ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها فى الغنم وان كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحامى هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات أكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار ولمسلم عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف اخا بنى كعب وهو يجر قصبه فى النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا فى جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعنى ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا أذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم (خ) عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعنى يقولهم ان الله امرنا بها (واكثرهم لا يعقلون) اراد بالاكثر الاتباع يعنى ان الاتباع لا تعقل ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) يعنى واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء وأضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما أنزل الله يعنى فى كتابه والى الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله و يبين لكم الشرائع والاحكام وان الذى تفعلونه ليس بشئ (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعنى قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله رد اعليهم (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) يعنى انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدى الذى يبنى قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا أمر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصى لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا فى خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعنى لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير و مجاهد نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب اليهود والنصارى يعنى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا فى صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم أنتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذى عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب اصحاب المعاصى فأما وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابى حازم عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله

ان الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) اى هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) اى كافينا ذلك حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذى والواو فى (اولو كان آباؤهم) للحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) اى الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه بالحجة (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم) انتصب انفسكم بعليكم وهو من اسماء الافعال اى الزموا اصلاح انفسكم والكاف والميم فى عليكم فى موضع جر لان اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (لا يضركم) رفع على الاستئناف او جزم على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد (من ضل اذا اهتديتم) كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها

لا يضركم ضلال من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز

عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم فى معنى الآية عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ماذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم والبستم شيعا وأذيق بعضكم بأس بعض فامر نفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست فى هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لى ولا لاصحابى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنت الغائب ولكن هذه الآية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن أبى أمية الشعبانى قال أتيت ابا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع بهذه الآية قال أية آية قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شيحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل فى معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعنى فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيأ من امره فقلت له الا ادلك على خاصة الله التى خص بها اولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقى الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل فى معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب اذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغى لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبرى واولى هذه الاقوال واصح التأويلات عندنا فى هذه الآية ما روى عن ابى بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية اوكد آية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعنى اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والمنكرات والذى يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم اى احفظوا انفسكم وهذا امر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله اعلم وقوله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعنى فى الآخرة الطائع والعاصى والضال

(الى الله مرجعكم جميعا) رجوعكم

والمهتدى

والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الآية ماروى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بداء خرجا من المدينة فى تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدى وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل البيت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا قالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لا ندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه ومالنا علم بالاناء فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاصر على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال تميم برئ الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو اعظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ماترك اهله قال تميم ولما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدى فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اتيت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم على اهل دينه فحلف فانزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدى قال الترمذى هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روى عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى وعدى بن بداء فمات السهمى بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان من اولياء السهمى فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخارى فى صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعنى ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر (اذا حضر احدكم الموت) يعنى اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر يعنى ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت واردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعنى من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا فى هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصى اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (او آخران من غيركم) يعنى من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير

المهاجرين مع عدى وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فرض بديل وكتب كتابا فيه مامعه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدوا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان) ارتفع اثنان لانه خبر المبتدا وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او لانه فاعل شهادة بينكم اى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان واتسع فى بين فاضيف اليها المصدر واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل (ذوا عدل) صفة لاثنين (منكم) من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت (او آخران) عطف على اثنان (من غيركم) من الاجانب

(ان أنتم ضربتم فى الارض) سافرتم فيها وانتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فاصابتكم مصيبة الموت) اومنكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ اذ يجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى اول الاسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما للحلف هو استئناف كلام اوصفة لقوله اوآخران من غيركم اى اوآخران من غيركم محبوسان وان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلوة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر اوالظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدى (فيقسمان بالله) فيحلفان به (ان ارتبتم) شككتم فى اماناتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لانشترى) وجواب الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم فى شأنهما فحلفوهما (به) بالله او بالقسم (ثمنا) عوضا من الدنيا (ولو كان) اى المقسم له (ذا قربى) اى لانحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا المشهود

والنخعى والشعبى وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعى وجماعة هى منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة فى الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لاتجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لاتجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى أنها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو فى ارض غربة فليشهد كافرين اوذميين اومن اى دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على اى دين كانا من أهل الكتاب اومن عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة فى هذا الموضع ولاتجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته فى سفر لايجد فيه مسلما عن الشعبى ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها الوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابوداود وقال قوم فى قوله ذوا عدل منكم يعنى من عشيرتكم وحيكم اوآخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها فى المسلمين وهذا قول الحسن والزهرى وعكرمة وقالوا لاتجوز شهادة كافر فى شئ من الاحكام وهذا مذهب الشافعى ومالك والى حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم فى هذا الموضع بان الله تعالى قال فى اول الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم اوآخران من غيركم فعلم بذلك أنهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لايجب عليه يمين ولان الميت اذا كان فى ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون اوعنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضر من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لايضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذى ابيح له أكل الميتة فى حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيأ من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولاعدولا فشهادتهم غير مقبولة فى حال من الاحوال وقوله تعالى (ان انتم ضربتم فى الارض) يعنى ان انتم سافرتم فى الارض (فاصابتكم مصيبة الموت) يعنى نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعنى ان اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما (من بعد الصلوة) يعنى من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لايحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله قال الشافعى الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان فى بيت المقدس فعند الصخرة وفى سائر البلاد فى اشرف المساجد واعظمها بها (ان ارتبتم) يعنى ان شككتم ايها الورثة فى قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لانشترى به ثمنا) يعنى لانبيع عهد الله بشئ من الدنيا ولانحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه اوحق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعنى ولو كان

(ولا نكتم شهادة الله) اى الشهادة التى امر الله بحفظها وتعظيمها (انا اذا) ان كتمنا (لمن الآثمين) وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) فعلاما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) اى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ٥٥١ اومعرفتهما او لتقدمهما على هما

المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهما اكثر من غيرهم (ولا نكتم شهادة الله) انما اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الآثمين) يعنى ان كتمنا الشهادة اوخنا فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما فى ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم (فان عثر) يعنى فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفى عليه قيل له قد عثر عليه (على انهما استحقا اثما) يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة (فآخران) يعنى من أولياء الميت واقربائه (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين فى اليمين (من الذين استحق عليهم) يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعنى بامر الميت وهم أهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله (لشهادتنا أحق من شهادتهما) يعنى ايماننا أحق واصدق من ايمانهما (وما اعتدينا) يعنى فى ايماننا وقولنا ان شهادتنا أحق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى وداعة السهميان وهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على أولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصى اذا أخذ شيأ من مال الميت وقال انه أوصى له به وأنكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما أسلم تميم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فانا أتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) يعنى ذلك الذى حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد ايمانهم أدنى اى اجدر واحرى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى ان يأتى الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم) اى وأقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله أن تحلفوا ايمانا كاذبة أو تخونوا أمانة (واسمعوا) يعنى المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى أو خان أمانته أو حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية

الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هما بدل من الضمير فى يقومان أو من آخران استحق عليهم الاوليان حفص اى من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة و يظهروا بهما كذب الكاذبين الاولين حمزة وأبو بكر على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح وسموا اولين لانهم كانوا أولين فى الذكر فى قوله شهادة بينكم (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) اى ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وما اعتدينا) وما تجاوزنا الحق فى يميننا (انا اذا لمن الظالمين) اى ان حلفنا كاذبين (ذلك) الذى ذكره من بيان الحكم (ادنى) اقرب (ان يأتوا) اى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على

وجهها) كما حملوها بلا خيانة فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) اى تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (واتقوا الله) فى الخيانة واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول واجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فان قلت ما معنى أو هنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق اما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعى والجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهما الشراء

الكريمة من أصعب ما في القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله أعلم باسرار كتابه * قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا اجبتم) يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا أجابكم أممكم وما الذي ردوا عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعني الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما أضمروا وما أظهروا ونحن لا نعلم الا ما أظهر وا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا وأبلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم على أنفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية أخرى معناه لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لانا كنا نعلم ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ومنه ما روى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دوني فلاقولن اي رب أصحابي فيقال لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي أخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على أممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازي وجها آخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (انك أنت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما غاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سألتنا عنه ليس بخاف عليك لانك أنت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس تخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق المخلوق عليه * قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك) قال بعضهم ان اذ قال الله يا عيسى صلة لما اذا أجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا أجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن تمردمنهم على الله وكان أشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم أتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم في أنبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد ذكر الله في هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة (٣) وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها (وعلى والدتك) يعني بنعمته على مريم عليها

(يوم) منصوب باذكروا أو احذروا (يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ما الذي أجابتكم أممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب باجبتم نصب المصدر على معنى اي اجابة اجبتم (قالوا لا علم لنا) باخلاص قومنا دليله (انك أنت علام الغيوب) أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدبا اي علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لا علم لنا (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في

(٣) قوله وقيل موضع اذ رفع الخ لا يلائمه قوله ومعناه الخ فليتأمل

(اذ أيدتك) اى قويتك نعمتى (بروح القدس) بجبريل عليه السلام أيد به لتثبت الحجة عليهم أو بالكلام الذى يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من أوصام الآثام دليله (تكلم الناس فى المهد) حال اى تكلمهم ٥٥٣ طفلا اعجازا (وكهلا) تبليغا

السلام أنه تعالى أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى (اذ أيدتك بروح القدس) يعنى بجبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرفة (تكلم الناس فى المهد) يعنى تكلمهم طفلا فى حال الصغر (وكهلا) يعنى وفى حالة الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك فى هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه (واذ علمتك الكتاب والحكمة) يعنى الكتابة وهى الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والانجيل) اى وعلمتك التوراة التى أنزلتها على موسى والانجيل الذى أنزلته عليك (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى) يعنى واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذنى (فتنفخ فيها) ذكرها هنا فيها وفى سورة آل عمران فيه فالضمير فى قوله فيها يعود الى الهيئة بجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون فى الهيئة انما يكون فى المهيأ ذى الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور فى آل عمران فى قوله فيه فيعود الى الكاف يعنى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فتكون طيرا باذنى) وانما كرر قوله باذنى تأكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيأ انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) يعنى وتشفى الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر (واذ تخرج الموتى) يعنى من قبورهم احياء (باذنى) تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيى الموتى وهو على كل شئ قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) يعنى واذكر نعمتى عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك (اذ جئتهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى ذكرت فى هذه الآية وذلك ان عيسى عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء (فقال الذين كفروا منهم) يعنى فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات (ان هذا الا سحر مبين) يعنى ما جاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات * قوله عز وجل (واذ أوحيت الى الحواريين) يعنى ألهمتهم وقذفت فى قلوبهم فهو وحى الهام كما أوحى الى أم موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه (أن آمنوا بى وبرسولى) يعنى عيسى عليه السلام (قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون) لما وفقهم الله للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع فى الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد أن يتوهم على الحواريين انهم

(واذ علمتك) معطوف على اذ أيدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ أوحيت (الكتاب) الخط (والحكمة) الكلام المحكم الصواب (والتوراة والانجيل واذ تخلق) تقدر (من الطين كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذنى) بتسهيلى (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير فى (فتكون طيرا باذنى) وعطف (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) على تخلق (واذ تخرج الموتى) من القبور احياء (باذنى) قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) اى اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم) ظرف لكففت (بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (واذ أوحيت) الهمت (الى الحواريين) الخواص او الاصفياء (أن آمنوا) اى آمنوا (بى

(٧٠ (خازن) ل) وبرسولى قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون) اى اشهد بانا مخلصون من اسلم وجهه (اذ قال الحواريون) اى اذكروا اذ (يا عيسى ابن مريم) عيسى نصب على اتباع حركة حركة الابن نحو يا زيد ابن عمرو (هل يستطيع ربك) هل يفعل او هل يعطيك ربك ان سألته فاستطاع واطاع بمعنى كاستجاب واجاب هل تستطيع ربك على اى هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف

والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أن ينزل علينا) ينزل مكى و بصرى (مائدة من السماء) هى الخوان اذا كان عليه الطعام من مادة اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليها (قال اتقوا الله) فى اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان يوجب التقوى (قالوا نريد أن نأكل منها) تبركا (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى (ونعلم أن قد صدقتنا) اى نعلم صدقك ٥٥٤ عيانا كما علمناه استدلالا (ونكون عليها من الشاهدين) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم) اصله يا الله فحذف ياوعوض منه الميم (ربنا) نداء ثان (أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) اى يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا والعيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل اى لمن فى زماننا من اهل ديننا وان يأتى بعدنا او يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم اولمتقدمين منا والاتباع (وآية منك) على صحة نبوتى ثم أكد ذلك بقوله (وارزقنا وانت خير الرازقين) واعطنا ما سألناك وانت خير المعطين (قال الله انى منزلها عليكم) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم وعد الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) بعد انزالها منكم (فانى اعذبه عذابا) اى تعذيبا كالسلام يعنى بمعنى التسليم والضمير فى (لا اعذبه) للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا من العالمين) عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاؤا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا

شكوا فى قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معى مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف أن تقوم معى فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ولا شك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة فى القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة فى قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعنى اتقوا الله ان تشكوا فى قدرة الله عز وجل والقول الاول اصح وقيل فى معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك و يعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد و ردفى الآثار من اطاع الله اطاعه كل شئ (أن ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان اوطبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام (قال) يعنى عيسى مجيبا للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعنى اتقوا الله فى هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا فى قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوه شيأ لم يسأله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآية بعد الايمان (قالوا نريد أن نأكل منها) يعنى قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لان نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد أن نأكل منها للتبرك بها لا لأكل حاجة (وتطمئن قلوبنا) يعنى وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا قدرة الله تعالى بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة (ونعلم أن قد صدقتنا) يعنى ونزداد ايمانا و يقينا بانك رسول الله (ونكون عليها من الشاهدين) يعنى لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بنى اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيأ الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك (قال عيسى ابن مريم اللهم) قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه و بكى ثم دعا فقال اللهم (ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا) يعنى عائدة من الله علينا وحجة و برهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلى فيه نحن ومن يجىء من بعدنا فنزلت فى يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) اى وتكون المائدة دلالة على قدرتك و وحدانيتك وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) اى ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وأنت خير الرازقين) يعنى وأنت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (انى منزلها عليكم) يعنى المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعنى بعد نزول المائدة (فانى أعذبه عذابا) يعنى جنسا من العذاب (لا أعذبه أحدا من العالمين)

يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبد الله بن عمر ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم ان سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل أولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفار رأس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شئ مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شئ اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض اوزمن اومبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة

وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم أصبحوا خنازير يسعون فى الطرق يأكلون العذرة من النكاسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب أنزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شئ الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شئ الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجئ آخرون فيأكلون حتى أكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ماشاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبى ولا امرأة فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ * قوله عز وجل (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون فى وقت هذا القول فقال السدى قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضى وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة وأجيب عن حرف اذ بانها قد تجئ بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعنى اذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عنى اذ جزى * جنات عدن فى السموات العلى

ولفظ الآية فى قوله أأنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم فى ادعائهم ذلك عليه وانه أمرهم به فهو كما يقول القائل لآخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس بالله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذونى وأمى الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت فى عيسى انه اله ورأوا ان مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال سبحانك) يعنى تنزيها لك من النقائص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا الله تعالى سبحانك (ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق) اى كيف اقول هذا الكلام ولست بأهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع فى بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال (ان كنت قلته فقد علمته) أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك) يعنى تعلم ما أعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما فى غيبى ولا اعلم ما فى غيبك وقيل معناه تعلم ما أخفى ولا أعلم ما تخفى وقيل معناه تعلم ما كان منى فى دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك فى دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشئ يقال نفس الشئ

(واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) الجمهور على ان هذا السؤال يكون فى يوم القيامة دليله سياق الآية وسباقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء دليله لفظ اذ (قال سبحانك) من ان يكون لك شريك (ما يكون لى) ما ينبغى لى (ان اقول ما ليس لى بحق) ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله (ان كنت قلته فقد علمته) ان صح انى قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى انى لا احتاج الى الاعتذار لانك تعلم انى لم اقله ولو قلته علمته لانك (تعلم ما فى نفسى) ذاتى (ولا اعلم ما فى نفسك) ذاتك فنفس الشئ ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك

وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشئ وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (انك انت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك قوله تعالى اخبارا عن عيسى (ما قلت لهم الا ما امرتني به) يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به (ان اعبدوا الله) يعني قلت لهم اعبدوا الله (ربي وربكم) يعني وحدوه ولا تشركوا به شيأ (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يعني وكنت اشهد ما يفعلون وأحصره مادمت مقيما فيهم (فلما توفيتني) يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت أنت الرقيب عليهم) يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شئ (وانت على كل شئ شهيد) يعني انت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني أنت العالم بكل شئ فلا يعزب عن علمك شئ قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وأنت العادل فيهم لانك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك أنت العزيز) يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده (الحكيم) في أفعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة اما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني بإقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكمت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك * عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي * قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان

لا ينتهي اليه علم أحد (ما قلت لهم الا ما امرتني به) اي ما امرتهم الا بما امرتني به ثم فسر ما أمر به فقال (ان اعبدوا الله ربي وربكم) فأن مفسرة بمعنى اي (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا (مادمت فيهم) مدة كوني فيهم (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ (وأنت على كل شئ شهيد) من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم من آمن ومنهم من اقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم اي ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وأنت العادل في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم اي لمن اقلع منهم وآمن فذلك بفضل منك وانت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك أو عزيز قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا اي يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في

الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه واما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من أيام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) اشارة الى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم) يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وأمه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض ومن فيهن (وهو على كل شئ قدير)

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده وأسراره كتابه

(تم الجزء الاول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثاني أوله تفسير سورة الانعام)

دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف اي قال الله هذا عيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم) بالسعي المشكور (ورضوا عنه) بالجزاء الموفور (ذلك الفوز العظيم) لانه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر (وهو على كل شئ قدير) من المنع والاعطاء والايجاد والافناء نسأله ان يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(تم الجزء الاول من تفسير الامام النسفي ويليه الجزء الثاني وأوله كاول الخازن)

(فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن الشريف للامام على بن محمد المعروف بالخازن)

صحيفة	
٤	مقدمة الكتاب وهى تتضمن ثلاثة فصول
٤	الفصل الاول فى فضل القرآن وتلاوته وتعليمه
٥	الفصل الثانى فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتى القرآن فنسيه ولم يتعهده
٧	الفصل الثالث فى جمع القرآن وترتيب نزوله وفى كونه نزل على سبعة احرف
٩	فصل فى كون القرآن نزل على سبعة احرف وماقيل فى ذلك
١١	فصل فى معنى التفسير والتأويل
١١	القول فى الاستعاذة
١٢	(تفسير سورة الفاتحة)
١٣	فصل فى ذكر فضلها
١٥	فصل فى حكم البسملة وفيه مسئلتان
٢٠	فصل فى آمين وفيه مسئلتان
٢٠	(تفسير سورة البقرة)
٢١	فصل فى فضلها
٤٤	فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام
٥٤	ذكر سياق قصة فرق البحر بنى اسرائيل
٥٥	ذكر القصة فى ميعاد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة
٦٢	ذكر الاشارة الى قصة اهل السبت
٦٢	ذكر الاشارة الى قصة ذبح البقرة
٦٥	فصل فى حكم القتيل اذا وجد فى موضع ولم يعرف قاتله
٧٨	فصل فى القول بعصمة الملائكة
٨٠	فصل فى حكم النسخ
١٠٨	فصل فى ذكر احاديث وردت فى ثواب اهل البلاء وأجر الصابرين
١٠٩	فصل اختلف العلماء فى حكم السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة
١١١	فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم (اى

صحيفة	
	قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة الخ)
١١٦	فصل فى حكم الآية (اى قوله تعالى فمن اضطر غير باغ الخ) وفيه مسائل
١٢٥	فصل فى حكم الآية (اى قوله تعالى ومن كان مريضا الخ) وفيه مسائل
١٢٦	فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه
١٢٨	فصل فى فضل الدعاء وآدابه
١٣١	فصل فى حكم الاعتكاف
١٣٢	فصل فى حكم اكل المال بالباطل
١٣٦	فصل واتفقت الامة على وجوب الحج الخ
١٦١	فصل فى تحريم الخمر ووعيد من شربها
١٦١	فصل فى احكام تتعلق بالخمر
١٦٣	فصل واما الميسر الخ
١٦٦	فصل فى حكم هذه الآية (اى قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الخ) وفيه مسائل
١٦٩	فصل فى بيان حكم الآية (اى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الخ) وفيه مسائل
١٧٢	فصل فى أحكام العدة وفيه مسائل
١٧٤	فصل فى حكم الخلع وفيه مسائل
١٨٠	فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل
١٨٣	فصل فى حكم الآية (اى قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الخ) وفيه فروع
١٨٤	فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى
١٩٠	ذكر الاشارة الى قصة الملا من بنى اسرائيل مع نبيهم
٢٠٠	فصل فى فضل آية الكرسى
٢٢١	فصل فى حكم الربا وفيه مسائل
٢٢٤	فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه
٢٣٤	(تفسير سورة آل عمران)
٢٥٩	ذكر سبب القصة المتعلقة بقوله تعالى فلما

D.77,1

FD 6"
3

صحيفة	
	أحس عيسى الخ
٢٨٤	فصل فى فضل البيت والحج والعمرة
٢٨٤	فصل فى أحكام تتعلق بالحج
٣١٠	فصل فى فضل الاستغفار
٣٢٥	فصل فى ذكر أحاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال
٣٣١	فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله
٣٤٩	(تفسير سورة النساء)
٣٥٤	فصل فى احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل
٣٥٩	فصل فى الحث على تعليم الفرائض
٣٥٩	فصل فى بيان احكام الفرائض
٣٥٩	فصل واسباب الارث ثلاثة الخ
٣٦٠	فصل والسهام المحدودة فى الفرائض الخ
٣٦٠	فصل روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء الخ
٣٦٧	فصل اتفق العلماء على ان هذه الآية (اى قوله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الخ) منسوخة
٣٧٦	فصل فى قدر الصداق وما يستحب منه
٣٩٣	فصل فى احكام تتعلق بالآية (اى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الخ)
٣٩٤	فصل فى احكام تتعلق بالآية (اى قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الخ)
٣٩٩	فصل واركان التيمم خمسة
٤١٩	فصل فى فضل السلام والحث عليه
٤١٩	فصل فى احكام تتعلق بالسلام
٤٢٥	فصل فى احكام تتعلق بالآية (اى قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الخ)
٤٢٧	فصل وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية (اى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الخ)
٤٣٠	فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية الخ
٤٣٣	فصل فى احكام تتعلق بالآية (اى قوله

صحيفة	
	تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الخ)
٤٣٤	فصل قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده الخ
٤٣٥	فصل فى أحكام تتعلق بالآية (اى قوله تعالى واذا كنت فيهم الخ) وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل
٤٣٨	فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء (اى قوله تعالى واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما)
٤٤٦	فصل وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
٤٤٩	فصل فيما يتعلق بالقسم بين الزوجات
٤٧٠	(تفسير سورة المائدة)
٤٧٣	فصل اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية (اى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ)
٤٨٣	فصل فى فرائض الوضوء
٤٨٤	فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله
٤٨٧	ذكر القصة فى بعث النقباء الى أرض أريحاء
٤٩٥	ذكر قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام
٤٩٧	ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل
٥٠٥	فصل فى بيان حكم الآية (اى قوله تعالى والسارق والسارقة الخ) وفيه مسائل
٥٠٦	فصل وهذه التوبة مقبولة الخ اى توبة السارق
٥٠٧	ذكر القصه فى ذلك اى المتعلقة بقوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الخ
٥١٠	فصل اختلف علماء التفسير فى حكم الآية (اى قوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم الخ)
٥٣٢	ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول قوله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود الخ
٥٣٦	فصل فى حكم الآية (اى قوله تعالى فكفارته اطعام عشرة مساكين الخ) وفيه مسائل

3947-13-4
39
TRIM 83



(تم فهرست الجزء الاول من تفسير الخازن)

DATE DUE

DEMCO 38-297

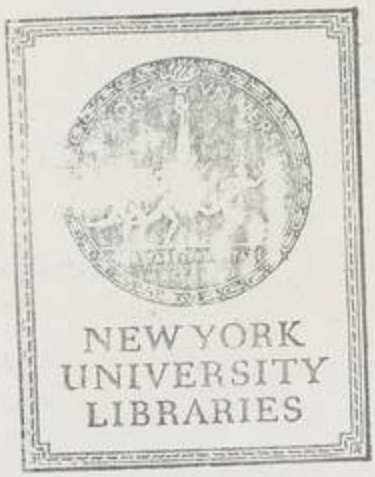

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY